قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان

المشهور ب

عقود الجمان في شعراء هذا الزمان

لكمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي

المتوفى سنة ٦٥٤ هـ

تحقيق

كامل سلمان الجبوري

المجلد الثاني

الجزء الثالث

الجزء الثاني مفقود

المحتوى:

سعد بن خليل بن محمد - عبد العزيز بن عثمان بن منصور

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت لبنان




قلائد الجمان
في فرائد شعراء هذا الزمان

منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م. ١٤٢٦ هـ

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ — ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ — رياض الصلح - بيروت ١١٠٧ ٢٢٩٠

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun-ilmiyah.com

الكتاب: قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان

المؤلف: ابن الشعّار الموصلي

المحقق: كامل سلمان الجبوري

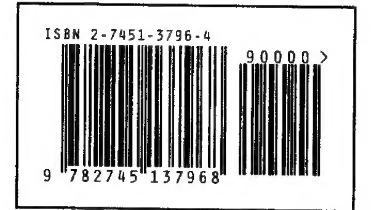
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 3440

سنة الطباعة: 2005 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد، وآله الطيبين، وصحبه المنتخبين.

وبعد:

هذا هو الجزء الثالث من كتاب:

قلائد الجُمان
في فرائد شعراء هذا الزمان

حسب تجزئة المؤلف.

ويقع في ٢٩٩ ورقة.

وتحمل ورقة الغلاف الأختام الثلاثة المثبتة على الجزء الأول.

وقد كتب على ظهر الورقة الأخيرة من هذا الجزء عبارة نصها:

«بلغ المقابلة من أصل مؤلفه بخط يده، والحمد لله على إحسانه».

إلا أن هذا التعليق جاء خاليًا من ذكر اسم قائله أو كاتبه، وهو مكتوب بحبر أسود يختلف عن حبر المتن.

وكتب إلى جانب العبارة السابقة، ولكن بحبر يشابه حبر المتن وبخط يشبه خط كاتب التعليق الأول، عبارة تفيد:

«يتلوه في الجزء الرابع إن شاء الله تعالى، عبد العزيز بن إبراهيم بن علي بن علي».

ومن هذا يتضح أن هذا الجزء لم يكن بخط المؤلف وإنما جرت مقابلته على الأصل الذي هو بخط مؤلفه.

أشرت في مقدمة الجزء الأول أن جامعة الموصل بالعراق أتحفت القرّاء بطبع الجزء الثالث من القلائد سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م محقّقًا من قبل الدكتور نوري حمودي القيسي، والدكتور محمد نايف الدليمي، وبمراجعة الدكتور عبد الوهاب محمد علي العدواني ـ جزاهم الله خيراً ـ ولم يصدر من الجامعة سواه.

بالرغم من أن تحقيق «قلائد الجمان» هذا ليس من الأمور السهلة، لعدّة أمور، منها أنه يعتمد على نسخة خطيّة واحدة، وقد انتشر الطمس في كثير من مواضعها، إضافة إلى أن النسخة التي اعتمد عليها المحققان ـ كما أرى ـ نسخة مصوّرة على نسخة مصوّرة، مما زاد الطمس طمسًا، والوضوح غموضًا ثم سقط بعض الصفحات منها مما لم ينتبه إليه المصوّر، وَحُقّق الكتاب على هذا الشكل، بين طمس وسقط. ومن خلال النسخة التي اعتمدت عليها والتي هي أفضل وضوحًا لاحظت ما يلي:

ـ سقط البيت ٢٩ من القصيدة العينية لـ (أبي السرايا بن خزرج الأنصاري) ترجمته رقم ٢١٠، ورقة ٣٧٤ب.

«إلى خير من أعطى . . . . ومـــا دُعـــي»

ـ سقط ٥ أبيات أحدها بعد البيتين الفائيين، وهو السطر الثاني من الورقة ١١٥ب، ترجمة (طه بن إبراهيم بن أبي بكر الهذباني) رقم ٢٢٨.

ـ نقص صفحتين من ترجمة (عبد الله بن الحسين، أبو البقاء النحوي) رقم ٢٤١، وهما الورقة ١٣٤ب ـ ١٣٥أ.

ـ نقص فقرات عديدة معلّقة على هامش الكتاب، منها في ترجمة (عبد الله بن عيسى) رقم ٢٣٦، الورقة ١٢٧ب.

وفي ترجمة (عبد الله بن علي بن سعيد الواسطي) رقم ٢٣٧، الورقة ١٢٨أ.

ـ سقط البيت الأول من القطعة الرائية من ترجمة (عبد الله بن عمر بن صالح الإربلي) رقم ٢٥٥، وهو بداية الورقة ١٥٥أ.

ـ نقص صفحتين من ترجمة (عبد الله بن محمد بن محمود التميمي الحليب) رقم ٢٦٦ ، وهما الورقتان ١٧١ب ـ ١٧٢أ .

ـ سقط البيت الأول من الورقة ١٧٢ب للترجمة السابقة .

ـ سقط البيت الثاني من الأبيات التائية لـ (عبد الرحمن بن بدر بن الحسن النابلسي) رقم ٢٧٥ ، الورقة ١٩٥أ .

ـ نقص صفحتين من نفس الترجمة وهما ٢٠٠ب ـ ٢٠١أ .

ـ سقطت ٧ أبيات من القصيدة الدالية ، في ترجمة (عبد الرحمن بن عبد المجيد الصفراوي) رقم ٢٧٦ ، الورقة ٢٠٩أ .

ـ سقط البيت الأخير لنفس القصيدة السابقة .

ـ سقط البيت السادس من المقصورة، في ترجمة (عبد السلام بن أبي علي اليهودي) ترجمة رقم ٣١٢ ، الورقة ٢٦٩ب .

ـ سقط عجز البيت الأول، وصدر البيت الثاني من أول الورقة ٢٨٥ب، من القصيدة البائية ، ترجمة (عبد العزيز بن النفيس البغدادي) رقم ٣١٧ .

ـ سقط البيت الخامس ما قبل آخر هذا الجزء، ترجمة (عبد العزيز بن عثمان الإربلي) رقم ٣٢٢ ، الورقة ٢٩٨أ .

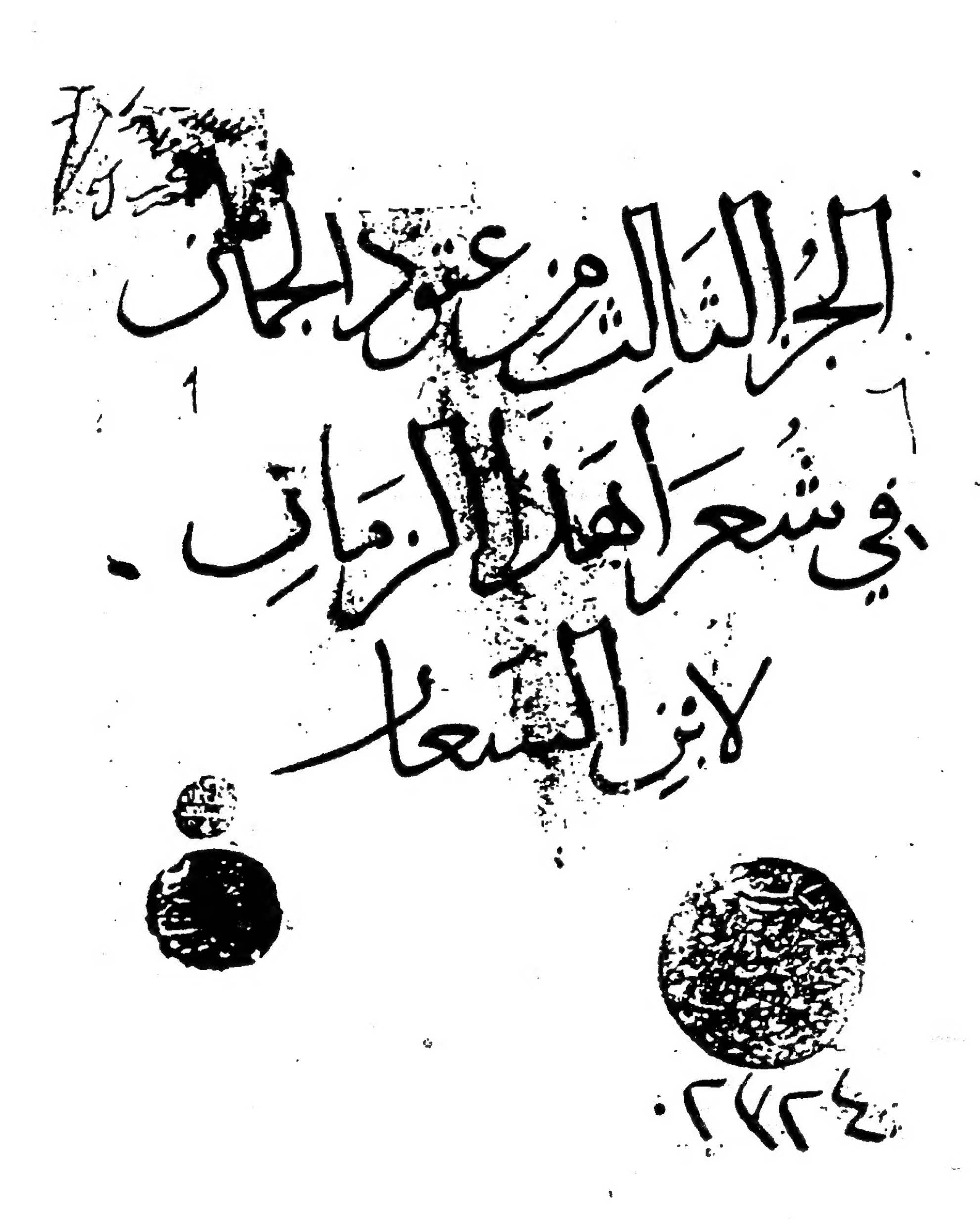
وقد أفدت من طبعة جامعة الموصل ، فقد خففت عني عناء النسخ ، بالرغم من أن قراءة السادة المحققين كانت غير دقيقة في كثير من المواضع ، وأخرى تركت فارغة ، وأعزو ذلك إلى رداءة التصوير .

وقد اهتديت إلى قراءة الكثير منها ، كما أني أفدت من قراءة المحققين في مواضع كثيرة ، ومن بعض الهوامش التي وضعها المحققان الفاضلان .

شكر الله سعي الجميع .

والحمد لله أولاً وآخراً .

المحقق


الجز الثالث من عقود الجمان
في شعرا هذا الزمان
لابن الشعار
٢٧٢٤

صفحة عنوان الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم وبه المستعان

يسعد بن خليل بن محمد

ابن أبي الجود الحيراني الشاعر من جزيرة الشمال قرية من

أعمال عزاز رحمهما الله تعالى نزيل دار المدرسة النورية

المنسوبة إلى بني عصرون من شعره

قوله

يمدح الأمير الكبير الإصفهسلار

عماد الدنيا والدين شرف الإسلام

والمسلمين افتخار الملوك والسلاطين

أبا المحاسن يوسف بن الأمير الكبير علاء الدين

علي بن نجا [illegible] حلب

حرسها الله تعالى أسعد الله [illegible]

ألامه وجدي أن تلوح المعالم وداعي حمامي أن تنوح الحمائم

الصفحة الأولى من الجزء الثالث

الصفحة الأخيرة من الجزء الثالث



المشهور ب

عقود الجمان في شعراء هذا الزمان

لكمال الدين أبي البركات المبارك بن الشعار الموصلي
المتوفى سنة ٦٥٤ هـ

تحقيق
كامل سلمان الجبوري

الجزء الثالث

/ ١ب/

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الثقة

[١٧٨]

سعد بن خليل بن محمد بن أبي المجد الجِبرانيُّ الشاعر[١]

من جِبْرِين الشمال، قرية من أعمال عَزاز[٢] ـ حرسها الله تعالىٰ ـ يتردد إلى المدرسة النورية المنسوبة إلى بني عصرون[٣].

فمن شعره، قوله يمدح الأمير الكبير الأصفهسلار عماد الدنيا والدين، شرف الإسلام والمسلمين، اختيار الملوك والسلاطين، أبا المحاسن يوسف بن الأمير الكبير علاء الدين طاي بُغا الملكي الناصري، المتولي بحلب ـ حرسها الله تعالىٰ ـ أسعد الله جدَّه، وجدد سعده: [من الطويل]

علامةُ وجدي أن تلوحَ المعالمُ ... وداعي حمامي أن تَنوحَ الحمائمُ

/ ٢أ/ وفرطُ غرامي كلّما شمتُ بارقًا ... من الغَور تهديه إليَّ المباسم

فيا صاح كن عوني على البين والهوى ... فقلبي ودمعي مستهامٌ وساجم

وذَرْني أبثُّ الحَزْنَ حزني ولوعتي ... فوجدي على فَقْد الأحبة دائم

وأشكو صَباباتي إلى البان واللِّوى ... فقد بان صبري والغَرامُ ملازم

وفي الحيِّ ريمٌ من تَميم ألفتُهُ ... قديمًا وما نيطتْ عليه التّمائم

يصدّ إذا حاولتُ منه وصالَهُ ... ويُنكرُ ما بي في الهوى وهْو عالم

ويَمْنَحُني بالبعد إنْ رمتُ قربَهُ ... ويَدفعني عن ظَلمه وهْو ظالمَ[٤]

---

(١) الجبراني: نسبة إلى جبرين، على غير قياس. لأن القياس يقتضي الجبريني. انظر: القاموس المحيط: مادة (جَبر).

(٢) من قرى حلب من ناحية عزاز، وتعرف بجبرين الشمالي.

(٣) وتعرف أيضًا بالمدرسة العصرونية نسبة إلى ابن أبي عصرون، عبد الله بن محمد بن هبة الله التميمي، وموقعها في دمشق.

(٤) الظلَّم: الريق.

غَـزَالٌ بـأكنـاف الصّـريـم محلّـهُ ... لحبـل وصـالـي والمـودَّة صـارم
بـدا بـدْرَ تَـمٍّ فـوقَ غُصـنٍ مُهفهـفٍ ... يحـفُّ بِـه ليـلٌ مـن الشعـر فـاحـم
ومـاسَ دلالاً فـي ثيـاب جَمـالـه ... كمـا مـاسَ ريـانٌ مـن البـانَ نـاعـم
وأشـرقَ مـاءُ الحُسْـنِ فـي ورد خـدّه ... فجُـنّ بـه ظـام إلـى الـوردَ هـائـم
وحيـنَ بـدا يـا سعـدُ لامُ عـذاره ... بَـدَتْ للهـوى فـي وجنتيـه عَـلائـم
أبيـتُ علـى جمـر مـن الشـوق مُضـرم ... وأسهـرُ مـن وجـدي بـه وهْـو نـائـم
وأظهـر مـن خَـوف الـوشـاة تجلّـداً ... وأبكـي أسًـى مـن حبّـه وهْـو بـاسـم
فـإن كـان دمعـي بـالصّبـابـة بـائحـاً ... فـإنَّ لسـانـي بـالصّبـابـة كـاتـم
/ ٢ب/ ولـم أنـسَ إذ عـاتبتُـهُ فـي قطيعتـي ... وقـد غفلـتْ لمّـا خلـونـا اللّـوائـم
فقـال وقـد مـضَّ العتـابُ فـؤادَه ... وقـد خَجلـت منْـه الخـدودُ النّـواعـمُ
إذا رامـت العُشـاقُ تقبيـلَ وجنتـي ... تُسَـلُّ عليهـا مـن جفـونـي صـوارم
وليـل سَـرَتْ بـي فـي دُجـاهُ نجـائـبٌ ... عتـاقٌ تجـوبُ المقفـرات رواسـم
عـرامـسُ تَفْلـي بـي الفـلاةَ كـأنهـا ... إذا لمحـتْ لمـعُ البـروق نعـائـم
إلـى ظـلِّ مـولانـا الأميـر أخـي النّـدىٰ ... وخيـر فتًـى تُعـزى إليـه المكـارم
إلـى يُـوسـف بحـر السَّمـاح ومـاجـد ... بسـاحتـه للمُعتفيـن مـواسـم
همـام علـيِّ الجـدِّ مـاضٍ جَنـانُـهُ ... لـه همَـمٌ نَحـو العُـلا وعـزائـم
إذا جـالَ فـي يـوم الـرّدى فَهْـوَ حَيْـدرٌ ... وإن جـاد فـي يـومِ النـدى فهْـو حـاتـم
وإن خفقـتْ رايـاتُـهُ خفقَـتْ لهـا ... قلـوبٌ وطـارت للكمـاة جمـاجـم
وإن صـدمَ الأعـداءَ يـومـاً ببـأسـه ... تـديـنُ لـه عنـد النّـزول الصّـلادم
وإن لمعـت فـي الحـرب زُرْقُ رمـاحـه ... تَـذلُّ لـهُ أُسْـدٌ ضَـوار ضَـراغـم
لَـهُ سطَـواتٌ فـي البـلاد وهيبَـةٌ ... علـى الأرض حتـى ليس تَسعَـى الأراقـم
لـه الجـدُّ والإقبـالُ والنّصـرُ والعـلا ... وجُـرْدُ المَـذاكـي والقنـا والصّـوارم
عـلا حلـبَ الشّهبـاءَ منـه سكينـةٌ ... وفـاضـت بحـارٌ مـن يـديـه خضـارم
/ ٣أ/ كـريـم إذا مـا الـركـبُ أمَّ جنـابَـهُ ... فمـن مـالـه تُهـدى إليـه كـرائـم
جـوادٌ إذا شمْنـا بـوارقَ كفِّـه ... تجـودُ علينـا مـن نـداهُ غمـائـم
ألا يـا عمـادَ الـدِّيـنِ والمـاجـدُ الّـذي ... لـه رتـبٌ مـن دونهـنّ النّعـائـم

وطودُ عُلاً نأوي إليه إذا سطتْ   علينا خُطوبٌ للزّمان عظائم
عُبَيْدُكَ سعدٌ قد بَرى البردُ جسمَهُ   وأنتَ له دون البريةَ حاسم
فعجِّلْ له يا معْدنَ الجود بالذي   وعدتَ فوعدُ الحرِّ كالدَّين لازم
وَجُدْ يا حليف المكرُمات بجوخة   سريعًا فجيش البرد لاشك قادم
وبادرْ بزرقاء الأديم إذا بدَتْ   تَهونُ علينا في هواها الدّراهم
فقلبي إلى إنجاز وعدكَ شيّقٌ   وطرفي إلى إيماض برقكَ شائم
لقد فازَ بالأَمال من جاء راجيًا   نداك وراجي جودِ غيرِك نادم

وقال أيضًا يمدحه ـ أدام الله معاليه ـ: [من الخفيف]

قادَهُ قائدُ الهوى في زمَام   نحو حيٍّ الحمى وتلكَ الخيام
وحداه حادي الكآبة والوجـ   ـد إلى حَرّة اللّوى والبَشام
وصبا نحوَ حاجر وزرود   فجفا جفْنَه لذيذُ المنام
/٣ب/ حَنَّ شوقًا إلى العقيق ونُعما   نَ بقلب متيّم مستهام
ناحَ إذ ناحت الحمائمُ في الدّو   ح وسحّتْ شؤونُه كالغَمام
يا خليليَّ علّلاني بتذكا   ر أُهيل النَّقا وسرْب المقام
وظبا رامة وأيّام لهوي   بالمصلَّى ومَربَعِ الآرام
بين شاد وشادن وشفيق   وشقيق وقينة ومدام
وغزال غزا صميمَ فؤاديَ   بجفون سقامُها من سقامي
قمرٌ عنده الوصالُ حرامٌ   والجَفا والصّدودُ غيرُ حَرام
صاد قلبي بوَرد خَدٍّ وَريحا   ن عذار ومُقلة وقَوام
رشأٌ كلّما شكَوتُ إليه   ما بقلبيَ من لوعة وغرام
هزّ من قدّه عليَّ قناةً   ورماني من طرفه بسهام
فلئن زاد هاجري وتمادىٰ   في عنادي وزاد في الآلام
وغدا الدّهرُ عائقي عن مرادي   وبدا قاصدي بداء عُقام
فاعتمادي على الأمير عماد الدْ   دين كنز العُفاة كهف الأنام
يوسفٌ خيرُ من إليه امتطينا   عيْسَنا في الوهاد والآكام
كعبةُ الجُود للوفود زحامٌ   بفِناه كوفد بيتِ الحرام

/ ٤أ/ سيدٌ سابقٌ إلى غاية الحلـ ـمِ خبيرٌ بالنقض والإبرام
ماجدٌ كلُّ من ترامى إليه عمَّه بالنَّوال قبل السَّلام
بحرُ جودٍ عذبُ المصادر والورْ دِ خضمٌّ يؤمُّه كلّ ظامي
وإذا جالت الجياد المذاكي وسما في الوغى سماءُ قتام
واستحال النّهارُ ليلاً وجالت في رؤوس القنا نجومُ الظّلام
وسرت أمُّ قَشْعَمٍ في الفريقيـ ـن وسَلَّ النّفوسَ غَربُ الحسام(١)
صال في الصّيد يوسفُ القائد الفذُّ وأسقى الكماة كأسَ الحمام
أيّها السيّدُ الهمامُ المرجّى لخطوب الزمان والأيّام
والجواد المُجدُّ في كلّ حال وعمادُ الإيمان والإسلام
عبدك السعدَ ساقه نحو مغنا كَ وَلاهُ يا معدنَ الإنعام
فاستمع مدحةً سمت بمعاليـ ـك وفاقتْ على مديح التّهامي(٢)
وأبقَ ما لاحَ بارقٌ وحدا الرّكـ ـبَ حداةٌ وناح وُرق الحَمام

وكتب إليه ـ أعلى الله قدره ـ يهنيه بعيد النحر: [من الطويل]

ألا يا عمادَ الدّين يا خيرَ ماجد وقَرمٍ سما فوق السّها والفراقد
/ ٤ب/ وبحرٍ سماحٍ لا يغيض مَعينُه يعمّ على العافين عذب الموارد
وكعبةَ آمالٍ لكلِّ مؤمِّلٍ ومنقذَنا من صَرْف دهرٍ مُعاند
تَهنَّ بعيد النّحر يا أوحدَ الورى ونحْرِ الأعادي واكتساب المحامد
وسد واسمُ واسلَمْ وابق ما لاح بارقٌ بجدٍّ ومَجدٍ دائمًا غيرِ نافد

وقال أيضًا يمدحه ـ أدام الله بقاه ـ [من الكامل]

منّي على تلك الرّسوم سلامُ ومنازل عبثتْ بها الأيامُ
دمَنٌ عهدتُ بها البدورَ طوالعًا فالصّبحُ مذ رَحلوا عليَّ ظلامُ
أَقوتْ من الغيدِ الحسان وأصبحتْ يأوي إليها الرّبدُ والآرام

---

(١) أم قشعم: الحرب والمنية والداهية.

(٢) التهامي: علي بن محمد، أبو الحسن، شاعر من أهل تهامة، زار الشام والعراق، وولي خطابة الرملة ثم رحل إلى مصر ومعه كتب من حسان بن مفرج الطائي، فأُخذ وسجن ثم قتل سرًا سنة ٤١٦هـ.
ترجمته في: الشجرية ٨٨٧. وفيات الأعيان ١/ ٣٥٧. النجوم الزاهرة ٤/ ٢٦٣. الأعلام ٤/ ٣٢٧.

أسفي على عصر الشَّباب وجيرتي ... بالمنحنى لو كان دام وداموا
أيامَ أرتعُ في رياضَ مسرَّتي ... لا العذْلُ يردعني ولا اللّوام
يا حبّذا زمنٌ تولّى باللِّوى ... فكأنّما ذاك الزّمانُ مَنام
والدّارُ تجمعُنا بمنعرجِ اللّوى ... وتضمُّنا وظبا العقيق خيام
والدهرُ عنا غافلٌ ورقيبُنا ... والعيشُ صافٍ والوشاةُ نيام
والراحُ دائرةٌ براحِ مُهفهفٍ ... تحيا بها الأرواح وهْي رمام
/ ٥أ/ رشأ له من قدِّه وقوامه ... يزنيّةٌ يسطو بها وحسام[1]
بدْرٌ بدا لي من خلال قَبائه ... فبدا بقلبي لوعةٌ وغرام
ريمٌ يَصيدُ بناظريه وجيده ... أُسْدَ العرين فما إليه مَرام
لَو عايَنَ العُذّال لامَ عذارَه ... عذروا وما عذلوا عليه ولاموا
لم أنسَ ليلة زار طيفُ خَيالِه ... زَوراً وقد سمحت به الأحلام
حيّا فأحياني بطيب سَلامه ... وألَمَّ بي فشفانيَ الالمام
فطفقتُ ألثمُ خدّه ورُضابُه ... شهْدٌ يُحيِّيني به ومدام
حتى إذا ما الفجر سلَّ حُسامَهُ ... وانزاحَ جيش الليل وهْو لُهام[2]
فارقتُ من أهوى بدمع سافحٍ ... وحُشاشة هاجت بها الأسقام
وبدا الصّباحُ فقلت غرة يوسفٍ ... لاحت فزال الظُّلمُ والاظلام
بَحرُ السَّماحِ أبو المَحاسن خيرُ مَنْ ... وَقَفَتْ بظلٍّ فنائه الأقدامُ
وعمادُ دين الله أفضلُ مَنْ مَشى ... فوقَ الثَّرى والماجدُ القَمْقَامُ
يا أيُّها النَّدْبُ الجوادُ ومَنْ لهُ ... منَنٌ عَلى كُلِّ الأنام جسامُ
دُمْ للنَّدى أبداً وَسَفْكِ دَم العدا ... يا مَنْ لَهُ الاحْسَانُ والانعامُ
وعليكَ ما ناحَ الحَمَامُ تحيةٌ ... وَعَلَيْكَ ما سَرَتِ النَّسيمُ سَلامُ

/ ٥ب/ وقال أيضًا يمدحه ـ رفع الله محله ـ: [من الطويل]

أحِنُّ إلى رِيمٍ بِرامَةَ ذِكْرُهُ ... أنيسي إذا نَامَ الخَلِيُّ ومُؤْنِسي

---

(١) اليزنية: الرماح، شبه القامة المعتدلة بها.
(٢) اللهام: الجيش العظيم الكثير العدد.

تَحُفُّ بِهِ سُمْرٌ وَبيضٌ صَوارِمٌ ... وأُسْدُ وَغىً تَسْطُو على كُلِّ أَشْوَسِ
عَزيزٌ عَرَفْتُ الذُّلَّ مُنْذُ عَرَفْتُهُ ... عزيزٍ بسِرْبالِ المَحَاسِنِ مُكْتَسِي
مِنَ التُّرْكِ يَسبيني بسحْرِ جُفونِهِ ... غَزالٌ بأثْوابِ الكآبةِ مُلْبسي
خَلَوْتُ بِهِ يا سَعْدُ والليلُ مُظْلِمٌ ... فَجلّى مُحَيَّاهُ دُجَى كُلِّ حِنْدِس
وباتَ إلى صَدْري أَضُمُّ قَوامَهُ ... وأَخْشى عَلَيْهِ مِنْ لَهيبِ تَنَفُّسي
وَمِذْعانةٍ رَيَّانَةٍ شَدْقَمِيَّةٍ ... بجاويةٍ هَوْجاءَ كالْهَيْقِ عِرْمِسِ(١)
جَزَعْتُ بِهَا أَجْوازَ كُلِّ تَنُوفَةٍ ... وجُبْتُ عَلَيْها بَسْبَساً بَعْدَ بَسْبَسِ(٢)
إلى يوسُفَ النَّدْبِ الهمامِ وخيرِ مَنْ ... يَجُودُ بجدواهُ على كُلِّ مُفْلِسِ
جَوادٌ لَنَا مِنْ رَاحَتَيْهِ سَحائِبٌ ... تَصُوبُ كَصَوْبِ العارِضِ المُتَبَجِّسِ
كريمٌ لَدَيْهِ حاتِمُ الجودِ مادِرٌ ... ومَنْ عِنْدَهُ قُسُّ الأيادي كأخْرَسِ(٣)
فَما جِئْتُهُ إلاَّ وجادَ بِكُلِّ ما ... أَرُومُ وأَدْناني وقَرَّبَ مَجْلِسي
فَلاَ زالَ في عِزٍّ وجَدٍّ مُجَدَّدٍ ... يعرّي الورى من كلِّ مَجْدٍ ويَكْتَسي

/ ١٦أ/ وكتب إليه، وقد حثه على نظم أبيات: [من البسيط]

قُلْ للأميرِ عمادِ الدينِ خَيْرِ فتًى ... عَمَّتْ أياديهِ كُلَّ النَّاسِ بالنِّعَمِ
يا يُوسُفَ الحُسْنِ والإحْسانِ لا بَرِحَتْ ... كَفّاكَ تُغْني الوَرَى عَنْ واكِفِ الدِّيَمِ
عُبَيْدُكَ السَّعْدُ لاَ يَنْساكَ مِنْ مِدَحٍ ... حَلَّتْ ومِنْ خِدَمٍ يا سَيِّدَ الأُمَمِ

وقال أيضًا يمدحه ـ أسبغ الله ظلاله ـ وذلك في العشر الأول من ربيع الأول سنة

---

(١) مذعانة: وهي الناقة السلسة الرأس المنقادة لقائدها.
ريّانة: المرتوية.
شدقمية: وهي نوع من إبل العرب معروف.
بجاوية: نسبة إلى بجاوة، وهي أرض النوبة وإليها تنسب النوق البجاوية يطارد عليها كما يطارد على الخيل.
الهيق: الطويل العنق.
العرمس: الناقة الصلبة.
(٢) البسبس: المفازة، أو الأرض المقفرة.
(٣) مادر: لقب رجل لئيم من بني هلال بن مالك بن صعصعة، سقى إبله، فبقى في الحوض قليل، فسلح فيه، يضرب المثل بلؤمه.
قس بن ساعدة الإيادي: أحد حكماء العرب وخطبائهم قبل الإسلام.

سبع وثلاثين وستمائة : [من الطويل]

قَوامُكَ أَمْ غُصْنٌ مِنَ الْبانِ أَهْيَفُ ... وطَرْفُكَ أَمْ سَيْفٌ مِنَ الْهِنْدِ مُرْهَفُ ؟

وَوَجْهُكَ أَمْ بَدْرٌ تَبَدَّى لِناظِري ... وفَرعُكَ أَمْ جُنْحٌ مِنَ اللَّيلِ مُغْدِفُ[1]

وَثَغْرُكَ أَمْ دُرٌّ ثَمِينٌ مُنَظَّمٌ ... وَرِيقُكَ أَمْ شَهْدٌ شَهِيٌّ وَقَرْقَفُ ؟

لَقَدْ حارَتِ الأَلْبابُ فِيكَ وأُلِّبَتْ ... عَلَيَّ وُشاةٌ فِي هَواكَ وَعَنَّفُوا

فَيا هاجِري مِن غَيرِ جُرْمٍ جَنَيْتُهُ ... فَحَتَّى مَ لا تَحْنُو وَلا تَتَعَطَّفُ ؟

حَلَفْتَ يَمِيناً لا تَخُونُ فَخُنْتَني ... كَذا كُلُّ غَدَّارٍ يَمِينُ وَيُخْلِفُ[2]

/٦ب/ رُوَيداً بِمَنْ جَمْرُ الجَوى في فُؤادِه ... وَأَدْمُعُهُ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ تَذْرِفُ

حَلِيفُ غَرامٍ لا يُفِيقُ مِنَ الأَسى ... كَئِيبٌ عَلَى ما فاتَهُ يَتَأَسَّفُ

فَيا أَيُّها البَدْرُ العَزِيزُ مَنالُهُ ... ويا أَيُّها الخِشْفُ الغَرِيرُ المُشَنَّفُ

ويا قاتِلِي فِي الحُبِّ رِفْقاً بِمُهْجَتي ... فَأَنتَ بِما أَلْقى مِنَ الشَّوقِ أَعْرَفُ

صَرَفْتُ إِلَيكَ القَلْبَ يا قَمَرَ الدُّجى ... وَلَيْسَ لِقَلْبِي عَنْ ودادِكَ مَصْرَفُ

ويا لائِمي مَهْ لا تَلُمْني على الْهَوى ... وَمهلاً فكَم في الحُبِّ تَلْحَى وَتُسْرِفُ ؟

ذَرِ اللَّوْمَ عَنِّي فَالْفُؤادُ مُعَذَّبٌ ... بِحُبِّ ظَلُومٍ في الْهَوى لَيْسَ يُنْصِفُ

غَزالٌ لَهُ قَلْبي كِناسٌ وَمَرْتَعٌ ... مَليحُ المُحيا ساحِرُ الطَّرْفِ أَوطَفُ[3]

فَحُبِّي لَهُ طَبْعٌ بِغَيْرِ تَكلُّفٍ ... وَحُبُّ جَمِيعِ الْعالَمِينَ تَكَلُّفُ

سَبانِي بِقَدٍّ كَالقَضِيبِ مُهَفْهَفٍ ... فَيا وَيْحَ مَنْ يَسْبِيهِ قَدٌّ مُهَفْهَفُ

وَخَصْرٍ كَصَبرِ المُدْنَفِ الصَّبِّ مُخطَفٍ ... نَحِيلٍ لأَلْبابِ البَرِيَّةِ يَخْطَفُ

فَلا وَجْدَ إلاّ ما وَجَدْتُ مَحَبَّةً ... ولا جُودَ [إلاّ] ما حَبانِيهِ يوسُفُ

سَرِيٌّ سَرى شَرقاً وغَرباً نَوالُهُ ... جَرِيٌّ إِلى الإحسانِ لا يتوقَّفُ

يَحِنُّ إلى بَذْلِ النَّدى كُلَّ ساعَةٍ ... كما حَنَّ مُشْتاقٌ إلى الإلفِ مُدْنَفُ

هُوَ البَحرُ بحرُ الجُودِ عَمَّ نَوالُهُ ... وأَمْواجُهُ بالدُّرِّ للنّاسِ تَقْذِفُ

/٧أ/ هوَ الغَيثُ والليثُ الهِزَبْرُ إذا سَطا ... هو البدرُ يهدي نُورُه ليسَ يكسَفُ

---

(١) المغدف : ذو الشعر الطويل الأسود.

(٢) يمين : يكذب.

(٣) الكناس : مستتر الظبي في الشجر.

إذا جالَت الجردُ الجيادُ لدى الوغى ولَمْ يبْقَ إلاّ صارمٌ ومُثَقَّفُ
ودارَتْ رَحَاءُ الحربَ واشتَدَّ بأسُها وهبَّتْ رياحٌ بالمَنِيَّة تَعْصِفُ
وزُلْزلَت الشُّمُّ ٱلعَوالي وأقْبلَت أُسودُ وغَى من خوفها الأرضُ تَرْجفُ
رأيتَ عمادَ الدِّين ذا البأس والعُلا بصارمه هامَ الضَّراغم يَقْطَفُ
حلَفْتُ وإنِّي صادقٌ غيرُ كاذب بما صَحَّ عنْدي من يَقيني وأعرفُ
بأنَّ عمادَ الدِّين كَعْبةُ مقصَدٍ وأفضَلُ منْ كُلِّ الأنام وأشرَفُ
فلا زالت الأقلامُ والبيضُ والقَنا تُساعدهُ والدَّهرُ بالنَّصر يُسْعِفُ

وقال أيضًا يمدحه ـ أسمى الله رتبته ـ: [من الخفيف]

هَلْ إلى وِرْدِ وجنتيكَ وُصُولُ وإلى سلسبيل فيكَ سَبيلُ ؟
يا غزالاً غَزا فُؤادي حُسامٌ بينَ جَفْنَيْه مُغْمَدٌ مَسْلُولُ
وهلالاً بَدا على غُصْنِ بان كُلَّما هَبَّت النَّسيمُ يميلُ
صِلْ فَجسمي منَ الفراق عَليلٌ وبقَلبي صَبَابةٌ وَغَليلُ
وَحَسُودي على هَواكَ كثيرٌ ومُعيني على الغرام قَليلُ
/ ٧ب/ يا عَذُولي ذَر الملامَ فَسَمْعي كَلَّ عمّا تَقُولُه يا عَذول
لا تَلُمْ في هوى بَديع المَعاني ففؤادي عَنْ حبِّه لا يحولُ
رَشَأ ردْفُه كَوزْري ثقيلٌ وكذا خَصْرُهُ كَجسمي نَحيلُ
منْ بَني التُّرك ناعسُ الطَّرْف أحْوى بابليُّ الجفونَ ظَبْيٌ كَحيلُ
كُلَّما رُمْتُ سَلْوةً عَنْ هَواهُ هاجَ وَجْدي رُضابهُ المَعْسُول
وَجَبينٌ إذا بَدا يخجلُ البَدْ رَ وَخَالٌ داج وخدٌّ أسيلُ
وَقَوامٌ إذا مَشى قُلْتُ أنْفا سُ شمال سَرَتْ به أمْ شَمُول ؟
طالَ في حُبِّ طَلْعَة ٱلبدْر لَيْلي وَكذا لَيْلُ عاشقيه يَطول
وَبَريقٌ بَدَا منَ اللَّيل وَهْنًا وَدُجى اللَّيْل ثَوبُهُ مَسْدُولُ
فحداني إليه وجدٌ قَديمٌ وغرام مُبَرِّحٌ لا يزول
وَدَعاني نَحْوَ الحمَى نَوحُ وَرْقا ءِ جَفَاها كما جَفاني الْخليلُ
فَهْي تَدْعُو عَلى الْغُصُونِ وَأبكي فكلانا فُؤادُهُ مَتْبُولُ

جَادَ صَوْبُ العِهادِ عهدَ التَّصابي ... وَزَمانَ الوِصالِ غَيْثٌ هَطُولُ(١)

وَسقى بالعَقيقِ عَيْشاً سَرَقْنا ... هُ مِنَ الدَّهْرِ والرَّقيبُ غَفُولُ

كأيادي أبي المَحاسنِ ذي المَجْـ ... ـدِ كَريمٌ لَدَيهِ كَعْبٌ بَخيلُ(٢)

/ ٨أ/ يُوسُفُ ٱلمُرْتَجى لِكُلِّ مُلِمٍّ ... لَوْذَعيٌّ لِقاصِديهِ كَفيلُ

والأميرُ الَّذي يُجيرُ مِنَ الدَّهْـ ... ـرِ إذا جارَ وٱلفَتى المَأمُولُ

فَهْوَ مِنْ عَثْرَةِ اللَّيالي مُقيلٌ ... وَبِناديهِ للعُفاةِ مَقيلُ

ماجِدٌ عِرْضُهُ ٱلمُنَقَّى مَصُونٌ ... وَنَداهُ إلى ٱلوَرى مَبْذُولُ

وإذا جالَتِ الجِيادُ المَذاكي ... فَهْوَ بالسَّيْفِ في الكُماةِ يَجُولُ

بَحْرُ علمٍ وطَوْدُ حِلْمٍ وضِرْغا ... مُ هِياجٍ وسَيْفُ عَزْمٍ صَقيلُ

كَمْ شُجاعٍ قد غادَرَتْهُ مَواضيـ ... ـهِ صَريعاً تَطا عليهِ الخُيولُ

وَهِزَبْرٍ على الجَدالةِ مُلْقى ... تَحْجُلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ وتَجُولُ(٣)

يا عِمادَ الإسلامِ يا مَنْ بِناديـ ... ـهِ لِراجي نَداهُ ظِلٌّ ظَليلُ

دُمْ مَدَى الدَّهْرِ في نَعيمٍ وعِزٍّ ... ما لِصَرْفِ الرَّدى إليكَ وُصُولُ

وٱسْمُ وٱسْعَدْ بٱلعيدِ وابْقَ مُهَنًّا ... ما بَدا بارِقٌ وهَبَّتْ قَبُولُ

وقال أيضًا يمدحه، ويداعبه بهذه الأبيات ـ حرس الله مهجته، وكبت حسدته ـ:

[من المجتث]

أبا ٱلمَحاسنِ يا مَنْ ... يَداهُ بٱلجُودِ تَتْرى

/ ٨ب/ وَمَنْ أبادَ أعادِيـ ... ـهِ بالمهنَّدِ قَهْرا

وأشْرَفَ الناسِ خيماً ... وأشْرَفَ النَّاسِ قَدْرا

وأغْزرَ الخَلْقِ علماً ... نَعَمْ وأطيَبَ ذِكْرا

---

(١) العهاد: المطر.

(٢) يعني أبا دؤاد، كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي، وكان مضرب المثل في الجود وحسن الجوار، عاش قبل الإسلام.

انظر أخباره في: الشعر والشعراء ١٨٩ و١٩٣. جمهرة الأنساب ٣٠٨. الأزمنة والأمكنة ٢/ ٢٢١. رغبة الآمل ٣/ ٥٢. الأعلام ٥/ ٢٢٩.

(٣) الجدالة: الأرض.

وَفــي الشَّجَــاعَــة والعَــدْ ... ل أنــتَ عَمْــرٌو وكِسْــرَى
إلَيْــكَ خُــذْ بيَمِينــي ... أُبثُّــكَ الآنَ أمــرا
فــأنْــتَ ذُخري لِــدَهْــري ... إذا عَــدِمــتُ الــذُّخــرا
رأيْــتُ شَخْصــاً يُنــادي ... بَيْــنَ البَــرِيَّــة جَهْــرا
وقــال: إنِّــي حَكيــمٌ ... أُبــدِّل العُسْــرَ يُسْــرَا
فَقُلْــتُ صِــفْ لــي دَواءً ... لَعَــلَّ دائــيَ يَبْــرَا
فقــالَ قُــرْطُــلُ تبْــنٍ ... يكُــونُ مِــنْ تبْــنِ حُــزرى[1]
فَجُــدْ بــه يــا رَجــائــيَ ... وأكســبْ ثَنَــاءً وأجــرا
وَدُمْ مَــدَى الــدَّهــرِ يــا مَــنْ ... عَــمَّ البَــرِيَّــةَ بِــرًّا

وقال أيضًا، يمدح السلطان الملك العزيز غياث الدين محمد بن غازي بن يوسف ـ رحمه الله / ٩أ/ في سيف لبعض العلويين[2]: [من الخفيف]

صَــارِمٌ كلَّمــا تَــذَكَّــرَ صفّيـ ... ـنَ بَكــى غَــرْبُــه بِــدَمْــعٍ سجــام[3]
ذابَ حُــزْنــاً علــى الحُسَيــنِ ووَجْــداً ... وَبَــراهُ الأســى وَفَــرْطُ السَّقــام

وقال أيضًا وهو مريض يتوسل إلى الله سبحانه وتعالىٰ في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة: [من البسيط]

يَــا ربِّ عَبْــدُكَ سَعــدٌ مــالَــهُ أحَــدٌ ... يُنْجيــه مِــنْ دائــه المــودي وشــدَّتــه
ولا مُعيــنٌ عَلَــى البَلْــوَى يُسَــاعِــدُه ... وَلاَ أنيــسٌ لَــهُ فــي دارِ غُــرْبَتــه
ولا دَوَاءٌ لِــداء قَــدْ أضــرَّ بَــه ... ولا طَبيــبٌ يُــداويــه بحكْمتــه
وَلاَ مُجيــرٌ وَلاَ جــارٌ ولاَ سَنَــدٌ ... ولا نَصيــرٌ ولا بُــرءٌ لِعلَّتــه
إلاَّكَ يَــا سيِّــدي يــا مَــنْ بقُــدْرَتــه ... أجْــرَى الجــواري وأنشــاهــا بصنعَتــه
فــانْظُــر إلَيــه بعَيْــنٍ منْــكَ راحمــةٍ ... بــأحمــدَ المُصْطَفَــى الهــادي وعِتــرتــه

---

(١) القرطل والقرطلة: عدل حمار، حزرى: موضع بنجد.
(٢) هذان البيتان والأبيات الأربعة التي ستأتي جزءان من قصيدة واحدة.
(٣) صفين: موضع بقرب الرقّة على شاطىء الفرات من غربيّها وفيه كانت الوقعة المعروفة بين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان.
غرب السيف: حدّه.

وقال أيضًا: [من الطويل]

يَحـنُّ إلـى حَـيِّ ٱلعَقيـق وَقَلْبُـهُ ... يَهيمُ هَوًى نَحْو الرُّبى والرَّبارب[1]
/٩ب/ وَيَصْبو إلى ريم رَماهُ برامة ... بأسهُم لَحْظ قاتلات صَوائِب
غَزالٌ غَزا ٱلبابَنا وقُلوبَنا ... بقَدٍّ وطَرْفٍ بابِليٍّ وَحَاجِب

وقال أيضًا في بعض العلويين[2]: [من الخفيف]

لَكَ يا ٱبنَ النَّبِيِّ مَرْتَبَةُ ٱلمَجْـ ... ـدِ علا جَدُّها على بَهْرام
قُمْ فهذي الجيادُ وٱلبيضُ والسُّمـ ... ـرُ وجُنْدُ الإلهِ عَنْكَ تُحامي
وٱطلُبِ ٱلثَّأرَ مِنْ أميَّةَ واضرِم ... نارَ حَرْبٍ في آل حَرْبِ اللئام
سِرْ وَصُل في الطُّغاة من آل سُفيا ... نَ فَسَيْفُ التأييد غَيْرُ كَهام[3]

وقال أيضًا: [من الوافر]

حَدا حَادي ٱلمَطايا بالبعاد ... فَنارُ البَيْنِ تُضرمُ في فُؤادي
وأرَّقَني فِراقُ أُهَيلِ نجد ... فَها أنا بعدَهُم حلفُ السُّهاد
ألا يا سَائقَ الأظعانِ رفقًا ... فَقَلْبي رائحٌ في الرَّكْب غادي
يحنُّ إلى الغُوير وسَاكنيه ... وجيران الأُجيرع من إياد[4]
وَيَومَ تَحمَّلوا حُمِّلْتُ منهُم ... جوًى يُوهي قُوَى صمِّ الصِّلاد
وَرُبَّ نُسَيمة هَبَّت سُحَيرًا ... تُبَشِّرني بوصل من سعاد
/١٠أ/ فَقُلْتُ شُغِلْتُ عنكَ بمدح نَدْب ... سما شرفًا على ٱلسَّبْع الشِّداد
فكلُّ جَوانحي باتَت تُنادي ... بألسن حالها في كلِّ نادي
بأنَّ مديحَ زَيْنِ الدِّين فَرْضٌ ... على أهلِ الغَوائر والنِّجاد
جوادٌ نرتجيه لكلِّ خَطْبٍ ... وَبَحْرُ نَدًى يُرَوِّي كُلَّ صَادي
فَكَمْ مِنْ رَاحَةٍ في راحَتَيْهِ ... تَسُحُّ على ٱلورَى سَحَّ الغَوادي

---

(١) الربارب: جمع ربرب، وهو القطيع من بقر الوحش.
(٢) الأبيات الأربعة هذه والبيتان السابقان جزءان من قصيدة واحدة.
(٣) السيف الكهام: الكليل.
(٤) الغوير: والأجيرع: موضعان.

بِمدْحِ أَبي المناقبِ طالَ شعْري ... على الشِّعرى وزَادَ على زِيادِ[١]

وقال أيضًا: [من الخفيف]

يا مُذيبَ الفُؤاد ما بتُّ من بَعْـ ... ـدكَ إلاّ بليلة الذُّبياني[٢]

صِلْ كَئيبًا حِلفَ الغَرامِ غَريبًا ... قَلبُه في يَدِ الصَّبابةِ عَاني

---

(١) يعني زياد بن معاوية، المعروف بالنابغة الذبياني.

(٢) ليلة الذبياني، وهي المنسوبة إلى النابغة الذبياني، لبيت قاله:

كليني لِهَمٍّ يا أُميمة ناصِبِ ... وليلٍ أُقاسيه بطيِّ الكواكِبِ

ذكر من اسمه سعيد

[١٧٩]

سَعيدُ بنُ عبدِ الله الشاعر الحلبي.

من شعراء الحلبيين المجيدين، أبو مُحَمَّد الحريريُّ.

كان شاعراً جيداً، حسن العقل، فصيح القول، قليل المعرفة بعلم العربية، صاحب اقتدار على إنشاء القوافي وعمل الشعر، يقوله بطبع سليم، وكانت تصدر عن خاطره /١٠ب/ القصائد النادرة، يرتضيها الأفاضل، ويستجيدها نقاد الشعر، عارية من اللحن، ولعله برز في عملها على كثير من شعراء زمانه.

وتوفي بحلب في الثاني عشر من صفر سنة تسع وستمائة، ودفن بمقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ قبلي حلب، عن نيّف وسبعين سنة[١].

روى عنه القاضيان، القاضي الإمام بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد، والقاضي أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة بحلب أدام الله أيامها.

شاهدت ولده بمحروسة حلب شاهداً ثبت الجنان، وسألته عن نسبه، فلم يزدني على ذلك شيئًا، وزعم أنَّ والده لم يرفع في نسبه أكثر من هذا، وذكر أنَّ شعره يدخل في أربعة أجلاد، وأنه بلغ من العمر أربعًا وثمانين سنة.

وطالعت بعد ذلك مجموع مدائح الوزير نظام الدين أبي المؤيد الطغرائي، فوجدت فيه: قال سعيد بن عبد الله بن المبارك: حدثني القاضي الأجل أبو محمد الحسن بن إبراهيم بحلب سنة أربع وثلاثين وستمائة بمنزله المعمور، من لفظه ـ أيّده الله تعالىٰ ـ قال: /١١أ/ كان سعيد بن عبد الله الحريري له أشعار حسنة ومقاصد سديدة، وألفاظ عذبة، ومعان سهلة، سمعت منه الكثير من شعره، وأنشدني معظمه،

---

(١) يذكر المؤلف هنا أنه توفي عن نيّف وسبعين سنة، ثم يورد بعد بضعة أسطر أنه سمع من ولده أنه بلغ من العمر أربعًا وثمانين سنة. وهذا تناقض لم يقع في أيدينا من المصادر ما يساعدنا على تحقيقه!!

حتى إنه لم يشذّ عني منه إلا اليسير، وكانت معرفتي به مذ كان يتردد إلى الوالد ـ رحمه الله تعالىٰ في سنة ثمانين وخمسمائة إلى أن توفي رحمه الله ـ يعرض عليه أشعاره، وجلّ مدائحه في الدولة الغياثية، والمملكة السلطانية الظاهرية، وأشعاره مشحونة بتشييد مكارمها، وإعلاء مفاخرها، ثم في خواصّها، ووزرائها، وكتابها، وأمرائها، وها أنا قد اخترت بعض أشعاره وقصائده، وإن كان شعره كله مختاراً حسنًا، خفيفًا على القلوب سماعه. ثم قال:

وحدثني الحريري في عاشر ربيع الأول سنة ستمائة قال: ذكر لي الوزير نظام الدين أبو المؤيد محمد بن الحسين بن محمد الطغرائي ـ رحمه الله ـ وزير الملك الظاهر ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أنه أنشد بالحضرة العالية المولوية السلطانية الظاهرية ـ شيد الله أركانها / ١١ب/ في بعض الليالي بيتين هما: [من البسيط]

إشْرَبْ هَنيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفقًا ... في مناذمهرَ وَدَع غمدانَ لليَمَن

فَأنْتَ أَولى بِتَاجِ ٱلمُلْكِ تَلْبَسُه ... مِنْ هوذة بنِ عليٍّ وابنِ ذي يَزَنِ[1]

فوقع التقدم إليه بأن يعمل الشعراء في هذا المعنى، فعملت بديها:

يا مَنْ تَفَرَّدَ في أيَّام دَولَتِه ... بسيرَةٍ ما حَكَتْهَا صُورَةُ الزَّمَنِ

أفْنَيْتَ مالكَ في ذُكْرٍ نَسَخْتَ به ... كسرَىٰ قُباذ وأنسَيْتَ ابنَ ذي يَزَنِ[2]

فَما أقولُ ومن أدْنَى مَواهِبكُم ... ما عَزَّ من مُضَرَ ٱلحَمراء وٱليَمَنِ

فَلْيَخْشَ مَن كانَ فيه مَدْحُ شاعِرِه ... (تلكَ المكارمُ لا قَعبانِ من لبنِ)[3]

---

(١) هوذة بن علي: ابن ثمامة بن عمرو الحنفي، من بني حنيفة، من بكر بن وائل (ت٨هـ) صاحب اليمامة بنجد، شاعر من بني حنيفة وخطيبها قبل الإسلام وفي العهد النبوي، وهو من أهل «قُرّان» من قرى اليمامة.

ترجمته في: الروض الأنف ٢/ ٢٥٣. التاج ٢/ ٥٨٥. الكامل لابن الأثير ١/ ١٦٥ ـ ١٦٦. رغبة الآمل ٤/ ١٣٤ ـ ١٣٥. ٦/ ١٢٨ ـ ١٢٩. الأعلام ٨/ ١٠٢ ـ ١٠٣.

سيف بن ذي يزن: ابن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميري (ت٥٠ق هـ/ ٥٧٤م) من ملوك العرب اليمانيين، ودهاتهم.

ترجمته في: الروض الأنف ١/ ٥١. الكامل لابن الأثير ١/ ١٥٨. الأخبار الطوال ٦٣. التيجان ٣٠٣. الأعلام ٣/ ١٤٩.

(٢) كسرى قباذ: أحد ملوك الفرس.

(٣) هذا شطر بيت من قصيدة متنازع في نسبتها بين أبي الصلت بن ربيعة الثقفي، وأمية بن أبي =

وَجَـلَّ ذِكْـرُكَ قَـدْراً أن نُشَبِّهَـهُ ... بـِٱلْعَارِض الهَتِـن ابـن ٱلعـارِض الهَتِـنِ
أعطَيْـتَ حَتَّـى غَـوادي ٱلمُـزْن قَـابلَـةً ... تَبعْـتُ غَـايَتَـه جُهـدي فَـأتعبَنـي
إشْـرَبْ فـلاَ تـاجَ إلا تـاجُ شَـامخَـة ... عَـزّت وَقَـالَـتْ لِمَـنْ يَبْغـي مَـداكَ : هُـن[1]

وأنشدني أيضًا ـ أبقاه الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني سعيد بن عبد الله الحريري لنفسه يمدح السلطان الملك الظاهر غياث / ١٢أ/ الدين[2] ـ تغمده الله برحمته ـ وأنا حاضر بالقلعة المنصورة ـ حرسها الله تعالىٰ ـ في ليلة عيد النحر: [من الخفيف]

كَلَـفٌ بـٱلحمـى ووَجْـدٌ قَـديـمُ ... وغَـرَامٌ بـالظّـاعنيـنَ مُقيـمُ
وجَـوًى أسْهَـرَ ٱلجُفُـونَ فَـلا ٱلنَّـوْ ... مُ بهـا مُـولَـعٌ ولاَ التَّهْـويـمُ
وَشَجـاً خَـامـرَ للفُـؤادَ ووَجْـدٌ ... بـتُّ منْـه كمـا يَبِيـتُ السَّليـمُ
شَـفَّ جِسْمـي سُقْمـاً وَمَـا السُّقْـمُ إلا ... مَـا جَنَـاهُ الطَّـرفُ ٱلمَـريـضُ السَّقيـمُ
بـأبـي زائـراً تَعَسَّـفَ نَجْـداً ... وَزَرُودٌ مِـن دُونـه والصَّـريـمُ
وأتَـى يَقْطَـعُ الفِجـاجَ وَللظَّلْـ ... ـمَـاء عقْـدٌ بـٱلنَيِّـرات نَظيـمُ
أوْدَعَ الليـلَ سـرَّه وَهَـل الليـ ... ـلُ بسـرِّ الأقمـار إلا نَمُـومُ ؟
فـٱكتَسـى الليـلُ بَهْجَـةً فَلهـذا ... رَاقَ مـاءٌ بـه وَرَقَّ النَّسيـمُ
وكـأنَّ الثَّـرَى بمَسْـراهُ فيـه ... عَنْبَـرٌ فُـضَّ مـن شَـذاهـا لَطيـمُ
يـا لَهـا زَوْرةً لِعَيْنَـيَّ منهـا ... نَظْـرَةٌ مِـنْ رُقَـادهـا وَنَعيـمُ
أذْكَـرَتْنـي غَـضَّ الصِّبـا حَيْـثُ لا النَّبْـ ... ـتُ هَشيـمٌ ولا النَّسيـمُ سَمُـومُ
واللَّيـالـي واهـاً لطيـب لَيـال ... لا ذَميـمٌ فيهـا ولاَ مَـذْمُـومُ
والصِّبـا فـي ٱقْتبـالـه لا جَـديـدٌ ... رَثَّ جِـدّاً ولا استشَـنَّ الأديـمُ

= الصلت، والنابغة الجعدي كما في السيرة النبوية ١/ ٤٤، وهو بتمامه في ديوانه ص١١٢، ويروى لأبي محمد الخازن وهو:
«سما علاً ونمى مجداً وفاض ندىً ... هذي المكارم لا قعبان من لبن»

(١) هُن: أمر من الهوان، وهو الذل والصغار.

(٢) المَلك الظاهر: غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب (٥٦٨ ـ ٦١٣هـ) من ملوك الدولة الأيوبية.
ترجمته في: شذرات الذهب ٥/ ٥٥. وفيات الأعيان ١/ ٤٠٢. الكامل في التأريخ ١٢/ ١٢٠. الأعلام ٥/ ١١٣.

/ ١٢ب/ حَبَّـذا حَبَّـذا بنَجْـرانَ رَسْـمٌ لمَطَـايـا اللَّـذات فيـه رَسِيـمُ
وعُقَـارٌ بـاكَـرْتُ عـانسَهـا البكْـ ـرَ وفَـودُ الظَّلمـاء داجٍ بَهيـمُ
بنَـدامـى تنَـاهَـزُوا فُـرَصَ اللَّـذْ ذات علمـاً بـأنَّهـا لا تَـدُومُ
فَطَـرَقْنـا بـالقَصْـف حـانَـةَ شَمْطَـا ءَ فكَـادَتْ لضَعفهـا لا تَقُـومُ
زَوْلَـةٌ هـرْقليَّـةَ النَّجْـر مـا تفْتـأ فـي بَيْعهـا مـا تَسُـوم[(١)]
فـأنَخْنـا بهَـا فَحُطَّـتْ رحَـالُ بحَـوانيتهـا وفُكَّـت خُتـوم
ثُـمَّ قـالَـت قَـرُّوا عُيُـونـاً فَعنَـدي الـ قَهْـوَةُ الصِّـرفُ والغَـزالُ الـرَّيـمُ
فـاغْنَمـوا غَفْلَـةَ الـزَّمـان فَمـا العيـ ـشَـةُ إلا مُـدامَـةٌ ونَـديـمُ
فَنَـزَلْنـا مـنْ سَـاحهـا فـي جَنـابٍ كـلُّ طَـارٍ يَغشـاهُ إلاّ الهُمـومُ[(٢)]
فـأشَـارَت إلَـى نَـزيـف عُقَـارٍ يُقعِـدُ البَـدْرَ وَجهُـهُ ويُقيـمُ
فـأتـى حَـامـلاً مـنَ الـرَّاح شَمْسـاً كلَّلَتْهـا مـنَ الحَبـاب نُجُـومُ
وَجَـلاهـا صـرْفـاً وفـي شَفَتيـه مـا إليـه هيـمُ القُلـوب تَهيـمُ
مـن عُقَـار أريجـهُ النَّشـرُ لا التَّبْـ ـخيسُ مـن شَـرطهـا ولا التَّحـريـمُ
كَـرُمَـتْ أنْ تُهَـانَ بـالعَصـر أو تَسْـ ـحُـو بهـا فـي قَـديـم عَصْـر كُـرومُ
فـأحْيهـا يـا مُـزَنَّـرَ الخَصْـر بـالقَتْـ ـل لتَحيـا أرْوَاحُنـا والجُسُـومُ
/ ١٣أ/ وأدرْهـا لا مـن يَـدَيْـكَ فمَـا الخُـر طـومُ إلا مـا كـأسـهُ الخُـرطـومُ[(٣)]
واسقهـا مُمْلقـاً مَتَـى خَـاف عُسْـرا جَـادَهُ للغيـاث كُـفءٌ كَـريـمُ
مَلـكٌ طَبَّـقَ البَـريَّـةَ جُـوداً فَتَسَـاوى غَنيُّهـا والعَـديـمُ
يـوسفـيٌّ نَمـاهُ مـنْ دَوحَـة المُلْـ ـكِ نجـارٌ لا يعتليـه وُصُـومُ[(٤)]
تَـمَّ سُلْطَـانُـه فَسَـادَ الملـوكَ الشِّيـبَ طَفْـلاً لـم يُلْـقَ عَنْـه تَميـمُ[(٥)]
إنْ أسَـاءُوا فَمُحسـنٌ وإذا ضَنْـ ـنُـوا فَسَمْـحٌ وإنْ هَفَـوا فَحَليـمُ

---

(١) الزولة: الظريفة الفطنة.
(٢) طار: أي طارىء، من طرأ الأمر إذا وقع فجأة.
(٣) الخُرطوم الأولى: الخمر، والثانية: استعارة للشفتين.
(٤) الوصوم: العيوب.
(٥) تميم: هي التميمة التي تعلق على الصبي من الخرز ونحوه لتحفظه من العين.

وإذا دقَّ مُشْكِـــــلٌ فبصيـــــرٌ وإذا جَـــلَّ حـــادثٌ فَعَظيـــمُ

لَهُـمُ النَّقْـصُ لا مَحـالـةَ ممـا لَـكَ منْـه التكميـلُ والتَّتْميـمُ

ولأعـدائـكَ التـأخُّـرُ عَمَّـا لَـكَ فيـه الإقـدامُ والتَّقـديـمُ ؟

حـاوَلـوا مـا حَـويْـتَ مـن رُتَـبِ ٱلْمجـ ـد وأيـنَ السَّمـاءُ ممّـا يَـرُومـوا ؟

أولا يَقْعـدُ المُحـاوِلُ عمًّـا حَـدَّثَتْـهُ أوهـامُـه ويَقـومُ! ؟

ولَـكَ الحـزمُ لَـو رَمَيْـتَ بـه العُضْـ ـمَ لألقَـتْ بهـا إليـكَ الحُـزومُ

والخِـلالُ التـي كـأنَّـك فيهـا للثُّـريـا والفَـرقَـدَيـن نَـديـمُ

والمَسـاعـي التـي مَلَكْـتَ خصـالَ السَّبْـقِ فيهـا ومـا عَصـاكَ سَليـمُ

فتقـدَّمْـتَ والـذي أوجَـبَ التَّقْـ ـديـمَ سـرٌّ لله فيـكَ قـديـمُ

/١٣ب/ وهو شيءٌ قضىٰ بأنك في المُلْـ ـكِ إمـامٌ وغيـرُكَ المـأمـومُ

فلهـذا أعطـاكَ مَـن أمْـرُه الأمـ ـرُ سُعـوداً مـا دبَّـرتْهـا النُّجـومُ

نـافـذاتٍ أحكـامُهـا تَعْقُـدُ الـزِّيـ ـجَ ويَعـوجُّ عنـدهـا التقـويـم

وهْـيَ مـن دون كُنْهِهـا يَقْصـرُ الفهـ ـمُ وفـي مثلهـا يَحـارُ الحكيـم

غيـرَ أنَّ الإقبـالَ حَظُّـكَ منهـا ولشـانيـكَ خَسْفُهـا والـرُّجـوم

ولـكَ الـدَهـرُ لا محـالـةَ حـزْبٌ ولأعـدائـكَ الليـالـي خُصُـوم

ولأنـتَ المخصـوصُ فـي هـذه الـدُّنْـ ـيـا بمـا منـه غيـرُك المحـروم

طُلْـتَ فَخْـراً فمـا لمجْـدكَ مَجْـدٌ فـي ٱلبـرايـا ولا لخيمـك خيـم

كـم خَـرقْـتَ النَّقْـعَ ٱلمُثـارَ بعـزم تَنْتَضـي حَـدَّ غَـرْبِـه وتَشيـم

فـوق طـرف يفـوتُ عـاليـةَ الطَّـر ف وتكبـو لـه الـرِّيـاحُ العَقيـم

أجـرَد إنْ زَجَـرْتَـهُ فَشهـابٌ ثـاقـبٌ أو ٱهجتَـهُ فَظَليـم

راحَ يَطْـوي ٱلبـلادَ لاَكَـرْكُ عَـزْ زَ علَيـه ولا عصـىٰ داروم[1]

يـا غيـاثَ الـدِّيـنِ ٱلـذي يَهَـبُ الأقْـ ـليـمَ جُـوداً ومـا عسـىٰ الاقليـم

---

(١) الكرك: قلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها، وهي على جبل عالٍ، بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس.

الداروم: قلعة بعد غزّة للقاصد إلى مصر، بينها وبين البحر مقدار فرسخ، خرّبها صلاح الدين لمّا ملك الساحل.

وٱلَّذي ما سألتَهُ الرزقَ إلاّ … جادَ ساحِ منه أجشُّ هزيم
بَنَدَىٰ راحَتَيْكَ أَيْنَعَ غُصْني … وتَثَنّى فهْوَ الرَّزينُ القَويمُ
/ ١٤أ/ فَلماذا أُهملتُ حتى كأني … في الرَّذايا مُعبَّد وسقيمُ؟(١)
تَنْتَحيني الأرزاءُ طَرْداً فَطَرْداً … عن حياض مازلتُ فيها أعوم
غيرَ أني أقولُ للنَّفس صَبْراً … تَجْدُبُ الأَرضُ تارةً وتسيم
ويَضِنُّ الحَيا لأمر ويَسْخو … قَطْرُه تارةً فتحيا الرُّسوم
فَثقي من مَواهب المَلْك الظّا … هر بالنّائل الذي لا يَريمُ
ومَتىٰ اعوجَّ أو تناقصَ حالي … فَبِكُم لا بغيرِكُمْ يَستَقيمُ
فادّرِعْ حُلّةً من العُمْر تُفْني … كُلَّ عيد من دونها وتَدوم
وٱنحَرِ الحاسدين ما نُحِرَ الهَد … يُ بجَمْعٍ ومَا أُقامَ الحَطيمُ(٢)

وأنشدني قال: أنشدني سعيد لنفسه: [من الطويل]

أَبىٰ ٱلبينُ أَنْ يَرْقا لمدْمَعه شَانُ … وَللبيد خَفْضٌ بالرّكائب هتّانُ
وأنىٰ يَفيضُ الدّمعُ أو يُحمَدُ الجَوى … ودونَ التّداني منك يا نُعمُ نَعمانُ؟
نأىٰ جَلَدي لمّا ترامتْ بك النّوى … وَوَلَّتْ حُمولٌ بالفريق وأظعان
وأسلمني بَينُ الخَليط إلَى جوًىٰ … لجفني به واد منَ الدَّمْع مَلآن
غراماً بظبْي ساحر اللّحْظ ساخر … كثير التعدِّي مَا تَعَدّاهُ عَدوان
من الغيد أمّا قَدُّه فَهْوَ بانةٌ … تَثَنّىٰ وأمّا وجْهُهُ فَهْوَ بُستان
/ ١٤ب/ على خَدِّه القاني من الحُسْن روضةٌ … يُضاحكُ فيها الوردَ آسٌ وَرَيحان
حمًى كلّما ٱمتدَتْ له كَفُّ قاطف … حَماهُ من الصُّدْغ المشوَّش ثُعبانُ
فَيَا بأبي أفدي على القُرْب والنَّوى … غَزالاً لَديَّ منهُ ظلٌّ وليَّان
نَفُوراً يَفُوزُ الغيرُ دُوني بوَصله … وحَظّي صُدودٌ من هَواهُ وهجرانُ
يُسدِّدُ سَهماً رَيَّشَتْهُ جُفُونُه … وما السَّهمُ إلاّ ما أراشَته أجفان
فمن مُنْصفي من مُنْبِض السَّهْم مُعْرضٍ … حَواجِبُهُ للنَزع عَوْجَاءُ مِرنَانُ

(١) الرذايا: جمع رذية، والرذي من أثقله المرض، والضعيف من كل شيء.
(٢) يوم جمع: يوم عرفة.

سَقانـي الحُمَيـا مـن يَـدَيْـه وثَغْـره فملـتُ ولا عَيْـبٌ إذا مـال سَكْـرانُ
عَشيَّـةَ أصلَتْنـا القفـارُ سَعيـرَهـا ونحـن بنَجْـران فللَّـه نَجـرانُ
وفـي دَيـره خَمَّـارةٌ هـرْقَليـةٌ لهـا مسَـحٌ تختـالُ فيهـا وصُلبـانُ
أنخنـا بـه والليـلُ يُبْـدي نسيمَـه وللغَيْـم دَمْـعٌ لا يكُـفُّ لَـهُ شَـانُ
وقـد صَدرَتْ ريحُ الصَّبا عـن عَبائـق تَضَـوَّعَ مـن أنبـاتهـا الـرَّنـدُ وألبـان
فقلنـا وكـادَتْ لا تُجيـب لضَعفهـا وفـي طـرس فَـودَيْهـا مـن الكبْـر عُنوانُ
أعنْـدَك يـا قـدِّيسـةَ الـدَّيْـر قهـوةٌ ؟ فقـالـتْ: وَظبـيٌ فـاتـرُ الطَّـرَف وسنـانُ
وأومَـتْ بـأطـراف ألبَنَـانَ مُشيـرةً إلـى بَـدْر تـمٍّ مـا تـولاَّهُ نُقْصَـان
نَـزيـفٌ أمـالَ التِّيـه غـضَّ قَـوامـه كمـا مَـال مـن صـرف المُدامـة نَشـوان
/ ١٥أ/ فجـاء وفـي إبـريقـه مثـلُ خَـدِّه عُقـارٌ بـواري نَـورهـا استَعَـر الحـانُ
وقـال هـي الـرَّاحُ التـي مـا سَخـا بهـا لقـديسـة فـي دَيـر سَمعـانَ سمعـانُ؟[1]
يـروقُـك فـي الـرَّاووق منهـا عَقَـائـقٌ يـذوبُ لَهـا فـي دُرَّة الكـأس مَـرْجـان
وطـافَ بهـا العيسـيُّ فينـا وقَـدُّهُ كغُصْـن تثنَّـى فـي نَقـاً وهْـو رَيَّـانُ
شَكـا خَصْـرُه الـزُّنّـارَ وارتـجَّ رِدْفُـه فمَـاجَـتْ بقُضبـان البشـامـة كُثبـانُ
وبتنـا عليهـا عـاكفيـن كـأنَّنـا مَجُـوسٌ وكـاسـاتُ المُـدامَـة نيـرانُ
نُنـادمُ أوثـانـاً علَيهـا بَـرانـسٌ لهـا مـن تصـاويـر الكنيسَـة أوثـانُ
خَليلـيَّ لا أنسـىٰ الشبـابَ فـإنَّـهُ لخيـل التَّصـابي فـي الخَـلاعـة مَيْـدان
فمَـا العيـشُ إلا قَيْنـةٌ ومُـدامـةٌ وطيـبُ مكـان مـا تعـدَّاه إمكـانُ
ولا المُلـك إلا دولـةٌ ظـاهـريـةٌ لهَـا الملكُ الغـازي بنُ يوسف سلطانُ
مليـكٌ لـه مـن بـاذخ الملـك مَنْصـبٌ تكـوَّنَ فيـه قبـلَ يـوجَـدُ كيـوان[2]
وجـرد تهـادىٰ فـي الحـديـد كـأنهـا أسـودٌ لهـا نـابُ السِّنَّـور خفـان

---

(١) دير سَمعان: دير بنواحي دمشق في موضع نزه وبساتين محدقة به وقصور، وفيه قبر عمر بن عبد العزيز.
انظر معجم البلدان/ مادة دير سمعان.

(٢) كيوان: نجم.

وتحسَبُهم فوقَ الجياد أجادلاً تطيرُ بها في مأزق الحرب عُقبان[1]
فوارس هيجاء تَخفُّ إلى الوغى سراعًا إذا خافَتْ مَن الطعَنِ فُرسانُ
لها جُلَلٌ من سابغيٍّ مفاضُها ومن يَلَب العادي وللبيض تيجان
/ ١٥ب/ كماة إذا قام الصَّريخ مثوِّبًا ومُدَّتْ من المُران للموت أشطان
أقاموا صُدورَ الخيل واعتقلوا القَنا وخاضوا غمار الحرب والنقعُ طوفانُ
بكل جريء لا يُرَدُّ عنانُه ولو أنَّ حَصْباءَ البَسيطة أقرانُ
هو النارُ لكنْ في غديرِ مُفَاضة يَشُقُّ به ليلَ الفُجاجة سَرحان
يحنُّ إلى الحرب العَوان فَقلبُه بها لا بحبِّ العامريَّة ولهان
ويَضحكُ واليومُ العُماسُ مقطِّبٌ فيرضَى له الخطيُّ والقرنُ غَضبان[2]
لدى ملك ما سلَّ غَرْبَ حسامه فصاحَبَ هامًا من أعاديه أبدانُ
ولا رَكبَ الجرداءَ إلا تَزَعْزَعَتْ له وَهْوَ في أرض الشآم خُراسان
ولا اهتزّ يوم الجدِّ في صدر دسته فَحَنَّ لمن يَرجو أياديه ميزان
عُلاً لا تضاهيها الكواكبُ رفعةً وراسخُ علم لا يُوازيه ثَهلان
فلا عجب إن زدْتَ في المُلك رفعةً ولا غَروَ إنْ ذلّوا عداكَ وإنْ هانوا
وأنت الذي رُضْتَ الصعابَ من العلا بهمة من يَلقى الدجى وَهْوَ يقظان
ومَن دأبه رَعيُ الرَّعايا وشأنُه حُنُوٌّ على مُستضعفيه وإحسان
بنى مَجْدَهُ إذ كان للمال هادمًا وفي هَدْمه الأموالَ للمَجْد بنيانُ
/ ١٦أ/ وقام بأعباء الممالك ناهضًا بما عَجَزتْ عنه تَميمٌ وذُبيان
وتمَّ وما تَمَّ الرِّهانُ لحكمة تبَّوأ منها ما تبوَّأ لُقمان
فحيدرةُ الكرارُ في مَتْن طِرْفه وفوق سَرير المُلك منه سُليمان
يَعُزُّ به ثغرٌ ومُلكٌ ومَوكبٌ ويُزهَى به تاجٌ ودَسْتٌ وإيوانُ
هو الظَّاهرُ المَلْكُ الذي في ظُهوره دليلٌ فما فيه مع الله بُطلانُ
حواني وأيامُ الزَّمان أساودٌ تحاولُ لَسبي والبَريةُ سِيدان[3]

---

(١) الأجادل: جمع أجدل وهو الصقر.
(٢) اليوم العماس: اليوم الشديد البأس في الحرب.
(٣) الأساود: الأفاعي. واللسب: اللدغ والعض. السِّيدان: جمع سِيد وهو الذئب.

ومــدَّ لنصــري راحــةً مُــذْ لَثَمْتُهــا تَــروَّىٰ بهــا قلــبٌ إلــى الجــود ظمــآن
وقــالــت يــدي للنيِّــرات تطــامَنــي فشــانــي مــن العَليــاء مــا فَــوقَــهُ شــان
ونلــتُ وقــد أصبحــتُ خــادمَ بــابــه بمــا لــم يَنَلْــهُ بــابــن أيهــمَ حَسّــان[١]
وخاطبــتُ منه البحــرَ بــالفضــل مفعَمــًا فكنــتُ لَــديــه بــاقــلاً وَهْــوَ سَحبــان[٢]
وهَــذَّبَ أشعــاري فَصــرتُ مُهــذَّبــًا ورُحــتُ ودونــي فــي المدائــح غَيْــلانُ[٣]
فــلا زال فــي مُلــك مَــديــد رُواقُــهُ علــى الــدَّهــرِ مــا أُرسـي ثَبيــرٌ ولبنــان[٤]
فيــا مَلكــًا مــا فــازَ كســرى بمُلكــه ولا نــالَــهُ مــن قبــل كسْــراهُ سَــاسَــان
أرى الخَلْــقَ جثمــانــًا ومُلكَــكَ رُوحَــه ولــولا وجــودُ الــرُّوحِ مــا قــام جُثْمــان

[١٨٠]

/١٦ب/ سعيدُ بنُ حمزةَ بنِ أحمدَ بنِ الحسنِ بن عليّ بن نصر بن محمَّد بن عبد الرَّحمن بنِ القاسمِ بن عبدَ الله بن سارُخ، أبو الغنائم الكاتبُ النّيليُّ[٥]:

(١) ابن الأيهم: وهو جَبَلَة بن الأيهم بن جبلة الغساني (ت ٢٠هـ) آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام.
ترجمته في: فتوح البلدان ١٤١ ـ ١٤٢. شرح مقامات الحريري ٨٣/٢. الأعلام ١١٢/٢.
حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد (ت ٥٤هـ) الصحابي، شاعر النبي (ص) وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام.
ترجمته في: الإصابة ٣٢٦/١. معاهد التنصيص ٢٠٩/١. الأغاني ١٣٤/٤. حسن الصحابة ١٧. الأعلام ١٧٥/٢.

(٢) باقل الإيادي: جاهلي، يضرب المثل بعيّه.
سحبان وائل بن زفر بن إياس الوائلي، (ت ٥٤هـ) خطيب يضرب به المثل في البيان، أسلم في زمن النبي (ص) ولم يجتمع به.

(٣) غيلان: ابن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث، ذو الرمّة (ت ١١٧هـ) شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره.

(٤) ثبير ولبنان: موضعان قرب مكة.
ساسان: جدّ الطبقة الرابعة من ملوك الفرس المعروفة بالساسانية.

(٥) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢١١/١٥ وفيه: «سعد بن حمزة بن أحمد بن الحسن بن محمد بن منصور بن الحارث بن شارخ النيلي، أبو الغنائم الكاتب..». المختصر المحتاج إليه ٩٣/٢ ـ ٩٤ رقم ٧٠١. التكملة لوفيات النقلة ٢٤٦/٤ رقم ١٤٩٥. ذيل الروضتين ٩٩ وفيه اسم جده: «ساروخ». النجوم الزاهرة ٢١٧/٦. تأريخ الإسلام (السنوات ٦١١ ـ ٦٢٠).

كانت ولادته بالنيل[١] لثلاث خلون من ربيع الأول سنة ثماني عشرة وخمسمائة، وقدم بغداد في صباه بعد عشرين سنة من عمره.

وقيل: كانت ولادته ببغداد في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، كذلك ذكر الشيخ أبو الحسن محمد بن أحمد بن القطيعي.

توفي يوم الجمعة عاشر شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وستمائة، ودفن بمقابر قريش بمشهد باب التبن.

كان صاحب شعر رقيق، وترسل حسن، فاضلاً متميزاً، خدم ببغداد في الأمور السلطانية، وامتدح بشعره الأمراء والولاة، وكان قد طاف بلاد الشام، سمع الحديث من أبي المظفر هبة الله بن أحمد بن الشبل الدقاق، وأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحراني. روى عنه من شعره الشيخ الحافظ أبو عبد الله بن النجار[٢]، وابن الدُّبيثي[٣]، وابن القطيعي وغيرهم، وكتبوا عنه.

/١٧أ/ أنشدني الشيخ الحافظ محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن النجار البغدادي بمدينة السلام، يوم الأحد ثالث شوال سنة تسع وثلاثين وستمائة قال: أنشدني أبو الغنائم سعيد بن حمزة بن أحمد بن الحسن بن محمد بن منصور بن الحارث بن سارُخ النيلي الكاتب لنفسه: [من الطويل]

هوًى قاطنٌ في ساحة الصَّدرِ رابعُ ... وَبَيْنٌ عن الأحباب والأهلِ مانعُ
إذا قلتُ قد جادَ الزمانُ بأوبة ... تَقَرُّ بها عيني وتَرْقَا المدامِع
تعرَّضَ يرمي عن قسيٍّ من النَّوى ... لأسهُمِها في قَلْبِ شمْلي مَواقع
مُنيتُ بفَقْدِ الصبرِ إذ كان جُنَّةً ... تمنَّته من بيضِ الخُطوب القَواطع

---

(١) نسبة إلى النيل: وهي بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد، يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير، حفره الحجاج بن يوسف، وسماه بنيل مصر. وهي اليوم تقع بين الحلة وبغداد وعلى مقربة من قضاء المحاويل. انظر معجم البلدان، مادة (النيل).

(٢) ابن النجار: محمد بن أبي محمد الحسن بن هبة الله، ترجم له المؤلف في الجزء السادس برقم ٦٩١.

(٣) ابن الدبيثي: محمد بن سعيد بن يحيى، ترجم له المؤلف في الجزء السابع برقم ٧٥٧.

وفَقْـد شَبـاب كـان فيـه وَسيلـةٌ لقلبـي إلـى البيـض الحسـان وشـافـع
نضـا صِبْـغَ فَـودَّي بعـد مـا كـان حـالكـًا وأعـدى إلـى خَطّـي وحظّـيَ نـاصـع
فَيـا وفْـد شيبـي ليـت أنّـك ظـاعـنٌ وعَصْـرَ شَبـابـي ليـتَ أنّـك راجـع
وسَـامحـة لـي فـي الكَـرى بَعْـدَ بينهـا وقـد بَخلـتْ بـالـوَصْـل والشَّمْـلُ جَـامـعُ
/ ١٧ب/ ومـا زارَ منهـا الطَّيْـفُ إلا أزارَهُ رَسيـسُ غـرامٍ ضُمِّنَتـه الأضـالـعُ
أيـا ظبيـة الـوَعْسَـاء مـن بَطْـن وجـرة هَنَـاكِ الكـرى إنّـي عـن النـومِ نـازع
يُـرينيـك عنـد القُـرْب يـأسـي بعيـدةً وتُـدنيـك أطمـاعـي ورَبعُـك شـاسـعُ
ومـا فقـدَتْ أطـلالُـك البـرقَ والحيـا إذا قـابلتْهـا زفـرتـي والمـدامـع
سـأسعـىٰ فـإن عـزّتْ علـيَّ مطـالبـي فـدونَ الغنـىٰ خَـرْقٌ مِـن الأرض واسـع
وإن أنـا لـم تَكْفَـل بنيـلِ مَطـالِبـي بـلادٌ فَمـا ضـاقـتْ علـيَّ المطـالـع

وأنشدني قال: أنشدني ابن سارُخ لنفسه: [من مجزوء الكامل]

أمـا الشُّـؤونُ فَقَـدْ مَضَـتْ والشَّـأن فـي شـأنيكمـا
لكنّهـا نَضَبَـتْ وَسَـدْ دَ مفيضهـا شـانيكمـا
ثـم اجعـلا مـا قـد بَقِـي فـي تُـربَتـي مـأقَيْكمـا
فـإذا أمَـرتُكُمـا بفَيـ ـضِ الـدَّمـعِ مـن غَـرْبيكمـا
حُـلاَّ عَـزَاليَهـا وجُـدْ دا بـالبُكـا خَـدّيكُمـا
حتـى يُقـال بـأنّنـي بكمـا بَكيْـتُ عَليكمـا

وأنشدني قال: أنشدني أبو الغنائم من شعره(١): [من الطويل]

/ ٢٦أ/ (٢) لقد هَجَرتني أمُّ هاجرَ وابتدتْ تَقُـولُ لقـد خـابَـتْ لنـا فيـك آمـالُ
رأتْ رجـلاً أعشـى مُسنّـًا ومـا بـه حَـراكٌ وقـدْ أرداه بـؤسٌ وإقـلالُ
ومـن جـاوزَ التِّسعيـنَ عـامـًا فَعـدْلُـه بُـرودُ قُـواهُ رثّـةٌ وهْـيَ أسمـالُ
ولمـا رأت شيبـي وفَقْـري تنكّـرتْ وصدَّت وحالتْ حين حالتْ بيَ الحالُ

---

(١) القطعة في الوافي ١٥/ ٢١١.
(٢) وردت في أصل المخطوطة برقم ٢٦أ، والصواب أن تكون في هذا الموضع، والسبب من الناسخ أو الورّاق لدى تجليد الكتاب واختلاف الورق.

ومـاذا عسـى مثلـي يحـبُّ ومـالـهُ شفيـعٌ إليهـا لا شَبـابٌ ولا مـالُ ؟

ومن شعره[(١)]: [من البسيط]

يـا شـائـمَ البَـرْق مـن شـرقـيِّ كـاظمـة يبـدو مـراراً وتُخْفيـه الـدَّيَـاجيـرُ
إذا سُقيـتَ ٱلحيـا مـن كـلِّ مُعْصِـرَةً وعـادَ مغنـاك خصْبـاً وَهْـوَ مَمْطـورُ
سَلِّـم علـى الـدَّوحـة الغَنَّـاء مـن سلَـمٍ وعَفِّـر الخـدَّ إن لاحَ اليعـافيـر[(٢)]
واسْتخبـر الجـؤذر السَّـاجـي اللحـاظ أخـا التـ ـعـذيـر هَـلْ عـاقَـه عنَّـا مَعَـاذيـرُ؟[(٣)]
فـإن يكـنْ حـالَ عمّـا كُنْـتُ أعهـدهُ وشـابَ أيمـانَـه البُهتـانُ والـزور
فـلا يغـرنَّ مخلـوقـاً ببَهْجتـه بَعـدي فمـا ذاك عنـد النّـاس معـذورُ

ومنها قوله:

هـل مـنْ رجـوعٍ إلـى الزَّوراء عـن كثـب ؟ وأيـنَ مـن واسـط بغـدادُ والقُـور[(٤)]
وأيـنَ رقَّتُهـا والـدَّوحُ تسجـعُ فـي أغصـانهـا بـالتغـاريـد الشَّحـاريـر ؟
/ ٢٦ب/ أحنُّ شوقًا إلى تلك الديار وقد ضـاهـى بَنفْسَجهـا وردٌ ومَنْثُـور
ومـالـت السَّـروُ فـي خُضْـر الثيـاب كمـا تَمـايلـتْ فـي الحـريـر الأخضـر الحـور
فـالـرَّوضُ والمـاء يجـري فـي جَـوانبـه مثـلُ السمـاء علـى أرجـائهـا النُّـورُ
أو مثـلُ سُنْـدُسـة تـزهـو وجـدولُهـا الـ ـجـاري حُسـامٌ جَـلاهُ القَيـنُ مشهـور
والغصـنُ سكـرانٌ مـن شُـرب النـدَى فـإذا دعـا ابـن ورقـاءَ أضحـى وَهْـوَ مخمـور
وهـاتفـات علـى الأغصـانَ قـد رقـدتْ عنهُـنَّ فـي غَسَـق الليـل النَّـواطيـرُ
فظلْـنَ يَسْجَعْـنَ حتـى كـدتُ مـن ولهـي أقضـي ولكنَّمـا فـي العُمْـر تـأخيـر
لكـنَّ وَجْـدي بتـرجيـع الهَـديـل ومـا غَـرَّدنَ بـاقٍ إلـى أن يُنفَـخَ الصـورُ

وقال أيضًا، يمدح عز الدين [مسعود] بن [مودود بن زنكي] بالموصل:

[من الخفيف]

---

(١) بعض أبياتها في المختصر المحتاج إليه ٢/ ٩٤.
(٢) اليعافير: جمع يعفور، الظبي الذي لونه كلون العفر، وهو التراب.
(٣) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية، والجمع جآذر.
(٤) القور: موضع، لعله نهر قورا في ناحية الكوفة، وعليه عدة قرى منها سورا.

ناشداني برملَتَي يبرين ... فَغَرامي بذكرها يَبريني
وانظُرا بينَ رامة والمصلّىٰ ... كَم غَزالَ أودىٰ بليث عَرين
يا خليليَّ خَلِّيانيَّ لكي أبـ ... ـذُل بالبَثِّ كلَّ سرٍ مَصونَ
واكتبا ما أُملُّ من لاعج الشو ... ق فُوَيقَ الثرىٰ بماء الجفونَ
لا تَضنَّا عَلَيَّ أن تُسعداني ... فَخليلُ الصَّفاء غَيرُ ضَنين
/٢٧أ/ واضْمَنا فائت الكَرَىٰ فعلىٰ الضَّا ... من حقاً غرامةُ المضمون
أمكنَ الوقتُ فاجعلا مُهـ ... ـرَ أبكَار المعاني غبَّ المهاري العُون
واذْعَرا بالسُّرى فؤادَ الدياجي ... وبأيدي الرِّكَاب قَلْبَ البينَ
وأنا كافلُ الغنى إن وَصَلنا ... رَبعَ صدر الزَّمانَ عزِّ الدَين
لا تَخافا سُوءَ الإضَافةَ في المَوْ ... صل أو حَادثَ الزَّمَان الخؤونَ
والفتى ذو الرياسَتَين سديدُ الدْ ... دَولة المرتجىٰ لدَفْع المنونَ
يا جَواداً علقتُ من فضله السَّا ... بق بَينَ الوَرَىٰ بحبلٍ متينَ
قد أتيتُ الحدباءَ مُذْ عَرَّقتني ... مُديَةُ الفَقْر بعدَ خمسٍ سنينَ
رَدَّت الصَّدر يُشبه التِّسعَ في التسـ ... ـع وخمساً من نسبة السِّتينَ
فاصرف الهمّة العليَّةَ في تَد ... بير حالي برأيَ عَقْلَ رَصين
وابقَ ما ذَرَّ شارقٌ لابساً في الـ ... فَخَر ثوبَ التأييد والتمكين

[١٨١]

سعيد بن محمد بن محمد بن محمد بن عطّاف[١]، أبو القاسم الهمدانيُّ المؤدّبُ، البغداديُّ المولد والمنشأ:

أصله من الجزيرة العمرية[٢]، يلقب الجَرْذ، /٢٧ب/ من أبناء المحدّثين، وكان

---

(١) ترجمته في: التكملة للمنذري ٢/ ١٠٣ ـ ١٠٤ رقم ٩٦٠، وفيه ولادته في العاشر من ذي الحجة سنة ٥٢٣هـ. العبر ٥/ ٦. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص١١٤ ـ ١١٥ رقم ١٢٣ وفيه: «سعيد بن محمد بن محمد بن عطاف بن أحمد بن حَبْشي بن إبراهيم الهمداني، الموصلي الأصل، البغدادي». المختصر المحتاج إليه ٢/ ٩١ رقم ٦٩٧. الجامع المختصر ٩/ ٢١٠. توضيح المشتبه ٣/ ٧٠. شذرات الذهب ٥/ ٩. مجمع الآداب ٥/ ١٤ رقم ٤٥٣٢ وفيه ولادته سنة ٥٢٢هـ.

(٢) الجزيرة العمرية: وهي جزيرة ابن عمر، بلدة فوق الموصل، بينهما ثلاثة أيام، ولها رستاق مخصب يحيط بها دجلة إلاّ من ناحية واحدة شبه الهلال، فعُمل له خندق أجري فيه الماء فأحاط الماء بها.
معجم البلدان/ مادة (جزيرة ابن عمر).

محدِّثًا صحيح السماع، حدّث عن أبيه، والقاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي البزار الأنصاري(١) وإسماعيل بن أحمد ابن السمرقندي(٢)، ومات يوم الأحد ثاني ربيع الآخر من سنة ثلاث وستمائة.

له شعر حسن، ولم يقع إليَّ منه سوى بيت واحد من جملة أبيات، وهو ما كتبه إلى بعض إخوانه يتقاضاه حاجة: [من المجتث]

أراكَ تَنْسَى وُعودي مُذ صِرتَ تأْكُلُ قَرْضي

هذه إشارة إلى أن أكل الطعام الذي قرضه الفار يورث النسيان على ما يقال.

[١٨٢]

سعيدُ بن محمد بن سعيد بن الموفق بن عليٍّ الخازن، أبو منصور بن أبيَ بكر، النيسابوري الأصل، البغداديُ المولد والدار:

كان فقيهًا فاضلاً متميزاً متأدبًا، من بيت الدين والخير والتصوّف.

وسكن رباط شيخ الشيوخ، وصحب المشايخ والصوفية، وكان أبوه وجده وأبو جده من المعهودين بالتصوف، المقيمين /١٨أ/ برباط شيخ الشيوخ، وإليهم أمر الخزن به، في زمن كل من تولى مشيخة الشيوخ بالرباط المذكور.

وسكن أبو منصور هذا المدرسة النظامية، واشتغل بها على الضياء ابن أبي القاسم عبد الرحمن الطيبي المعيد بها، وعلى غيره. وأقام بها من صغره، واشتغل بعلم المذهب والخلاف، وعلم الآداب والفرائض والحساب، وسمع من جماعة من مدينة السلام، وكثرت صحبته للشيخ أبي أحمد عبد الوهاب بن علي ابن سكينة، وسمع منه، وكتب عنه.

---

(١) ابن محمد الأنصاري الكعبي، ولد ببغداد وتوفي بها، (٤٤٢ ـ ٥٣٥هـ) عالم بالفرائض والحساب.
ترجمته في: مرآة الزمان ٨/ ١٧٨. ذيل ابن رجب ١/ ٢٣٠. الأعلام ٦/ ١٨٣.

(٢) محدّث مشهور، أملى بجامع المنصور ببغداد ٣٠٠ مجلس، احترف بيع الكتب، ولد بدمشق سنة (٤٥٤هـ) وتوفي ببغداد سنة (٥٣٦هـ).
ترجمته في: مرآة الزمان ٨/ ١٨١. المنتظم ١٠/ ٩٨.

ولما قدم القاضي تاج الدين، وولي تدريس النظامية، لازم الاشتغال به، وسماع دروسه، واستبدل بحلقة المناظرة كتبه، تكلم مع الفقهاء، وسمع ما كان يقرأ عليه من الفنون، وسمع منه، وكتب عنه، وقرأ عليه في مدة مقامه بالنظامية، وتعمد انفصاله عنه بالفتوى، وسمع من لفظ تاج الدين كتاب «روح العارفين»، وقرأ عليه من حفظه في سنة تسع وستمائة جميع كتاب «الخطب النباتية»، وكتاب «ألفاظ عبد الرحمن»، و«مقصورة ابن دريد»، وقرأ من حفظه عليه كتاب «الفصيح» لثعلب، وكتاب «ملحة الإعراب»، وكتاب «المستصفىٰ» بكماله تأليف الغزالي، وكتاب «كفاية المتفقه وتذكرة الفرضي المتنبّه»، وغير /١٨ب/ ذلك من التواليف.

وكانت ولادته سنة تسع وسبعين وخمسمائة ببغداد، وتوفي بها يوم الجمعة عاشر رجب سنة اثنتين وعشرين وستمائة، ودفن بالجانب الشرقي، بالمقبرة الوردية.

شاهدته ببغداد شابًا يتفقه على مذهب الإمام الشافعي، ولم أعلق عنه شيئًا من فيه، ثم وجدت له بعد موته قطعة يمدح بها بعض رؤساء إربل: [من الطويل]

سلامٌ على المولى السديد المؤيّد ... سلامٌ بريَّاه الرّكائبُ تغتدي
تَحيةُ من أضحى على العَهْد قَلبُه ... يَراه بعينَي شَوقه والتَّودُّدِ
إذا ضلَّ رَكْبٌ نحو إربلَ قاصد ... فَمن طيبِ ما أهدى معَ الركبِ يهتدي
يَرُدُّهمُ قصْدَ الطريق نَسائمٌ ... تَضوعُ بريا الماجد القَيل أحمد
كريمٌ يجولُ البشرُ في قسماته ... فأنواره كالبرق للشائم الصَّدي
تَرى رَبعَه بالبرِّ والخُلق آهلاً ... فموردُهُ بالبرِّ أعذَبُ مَوْرد
فلا زالَ في عزٍّ يدومُ ورِفعَة ... ولا زال في جَدٍّ سعيدٍ وسُؤدَدَ

وأنشدني ولده عبد الرحمن قال: أنشدني والدي لنفسه من قصيدة امتدح بها بعض الأمراء ببغداد، أولها يقول: [من الكامل]

/١٩أ/ لامَ ٱلعذولُ على ٱلغرام مُلَمْلَمَا ... قلقًا يَعُقُّ من الهُيام العُذَّلا
رَضَعَ الهوى طفلاً ولم يَكُ وارداً ... بحرَ السّلوِّ فما لَهُ أَن يَقبَلا
كُفَّ ٱلملامَ فلو شَرِبتَ كؤوسَهُ ... لعَذَرْتَه وكَفَفْتَ عنهُ المقْوَلا
صَبٌّ يذوبُ على الحَبيبِ تأسفًا ... وتُمَثِّلُ الأفكارُ منهُ مُمَثَّلا

وبقيتُ رَهْنَ صَبابةٍ لم يُلهني ... إلا ندى ٱلملك الذي حازَ العُلا
مَلِكٌ إذا رَكِبَ ٱلجوادَ تخالُهُ ... مَلَكًا على ظَهرِ الجوادِ تمثَّلا

[١٨٣]

سعيد بن محمد بن سعيد بن جُحدر بن الحسين بن جُحْدر، أبو منصور الجَزريّ:

من أهل الجزيرة العُمَرية، ومن بيتٍ مشهور بها.

كانت ولادته في يوم الأحد، رابع عشر جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

يروي عن شميم الحلي(١)، ومكي بن علي بن الحسن العراقي.

صار صوفيًا، ونزل الخانقاه بمصر، وعنده شيء من أدب، وله طبع يواتيه في عمل الشعر.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيبي بحلب قال: أنشدني أبو منصور سعيد بن محمد بن سعيد بن جحدر لنفسه: [من الطويل]

/١٩ب/ ومَا كُنتُ أرضى أن تكونَ كما ترى ... ولكنَّها الدُّنيا تجيءُ وتَذهبُ
إذا كنتُ أسعى والمقاديرُ حُكمُها ... خلافُ مُرادي فٱلمقاديرُ أغلَبُ
فَلا تجزَعي يا نَفْسُ وٱرضَيْ بما قضى ... فَإنَّ قضاءَ الله ما منهُ مَهْرَبُ
لئن كانتِ الأيامُ غَيَّرْنَ حالَتي ... فما ذاك بِدْعٌ إنَّها تَتَقَلَّبُ
ولا تعجبي إنْ كان دهري يضيمني ... فقدمًا إلى الأحرارِ مازال يذنب
صَبرتُ على الشكوى وأضمرتُ عِفَّةً ... فلا زمني أشكو ولا الخِلّ أعْتبُ

[١٨٤]

سعيد بن مودود بن سعيد بن الصباح بن المبارك، الضرير، أبو عبد الله، الكَرْخِيني الخطيب(٢).

---

(١) علي بن الحسن بن عنتر، ترجم له المؤلف في الجزء الرابع برقم ٤٢٣.
(٢) نسبة إلى كَرْخِيني: قلعة في وطاء من الأرض، حسنة حصينة، بين دقوقا وإربل، على تل عال، ولها =

كان حافظًا للقرآن العظيم، وعنده شيء من فقه، وقرأ طرفًا من الحساب والفرائض، وكان يتولى خطابة كبستدر من ولاية إربل، وبها توفي سلخ رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة، وله شعر.

أنشدني أبو الفتح مسعود بن مودود بن الصباح قال: أنشدني أخي سعيد لنفسه من قصيدة أولها: [من الطويل]

/ ٢٠أ/ تناشأتَ سيفًا صَفْحُه الصفحُ والشَّبا ... وحدَّاه عَزمٌ منكَ يَختطفُ العدا
وإنَّ الحيا والشمسَ ضدَّان آلفا ... بوجه شُجاع الدينِ مَنْ حازَ سُؤدُدا
فتًى لم يدعْ للشِّركِ شَملاً مجمَّعًا ... كما لم يَذَرْ للدِّينِ شملاً مُبَدَّدا

[١٨٥]

سعيد بن سعد الله بن عيسى بن محمد، أبو الخير، المعروف بسيدا:

من أبناء الأكراد، مولده بقرية من أعمال الموصل بنواحي عقر الحُمَيدية[(١)]، تدعى خلبتا[(٢)]، ونشأ بإربل، وأقام بها زمانًا طويلاً، إلى أن توفي بها ليلة الأربعاء الحادية والعشرين من ذي الحجة سنة سبعٍ وعشرين وستمائة، وكان قد جاوز الثمانين ـ رحمه الله تعالىٰ.

ختم القرآن العزيز على أبي الثناء البوازيجي، وأتقن طرفًا من النحو على أبي الثناء محمود بن الحسن الضرير المعروف بابن الأرملة.

كان شيخًا مداعبًا ساكنًا، من أهل الخير والعلم، وكان يتردد في إربل إلى أبناء أمرائها، يؤدبهم ويستفيدون منه، ويقرأون عليه، وله أشعار غريبة، أنشدني منها في الصاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ: [من الكامل]

/ ٢٠ب/ صمِّد بنشءِ من ذُؤابةِ أحمدٍ ... فهمُ الكِرامُ الطَّيِّبون الصِّيدُ

= ربض. معجم البلدان/ مادة (كرخيني).
(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (العقر).
(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (خلبتا).

لـو أمَّهـم يـومَ القيـامـة مجتَـدٍ والنـارُ تَـزفُـرُ والأنـامُ سجُـودُ
أعطـوه بـرَّ صـلاتهـم وصيـامهـم كَيْـلا يَـراهُـم سـائـلٌ مـردودُ
يـا آل مَـوْهُـوب بكـم عُـرِفَ النَـدى أنتـم مـوالٍ والأنـامُ عبيـدُ

وأنشدني لنفسه أيضًا فيه ـ رحمه الله : [من الوافر]

نَجـوعُ وأنـتَ يـا مَـأوى المُقـاوى لَنـا ولكـلِّ عـافٍ مُستجيـرِ[1]
ونُصبح فـي الطَّـوى خُمْصًـا ونُمسـي ولـم نَقـدرْ علـى خُبْـز الشَّعيـرِ
فعِـشْ مـا عَقَّـبَ الصبحُ الـدَّيـاجـي ومـا بَـزَغَـتْ بَـراحُ علـى ثبيـرِ[2]

وأنشدني أيضًا فيه يهنيه بالشهر : [من الوافر]

نُهنِّـي الشَّهـرَ بـالمَـوْلـى السَّعيـد أبـي البَـركـات ذي الكَـرَم التَّليـد
فَعَقْـوَتُـكَ الطـوافُ بكـلِّ سـاعٍ ودَارُك مـاتَنـي حـجُّ العَبيـد[3]
فـلاَ بَـرِحَـتْ عِـداتُـك فـي نُحـوسٍ ولا زَالـتْ نُجـومُـك فـي سُعُـود

---

(١) المُقاوى : جمع مُقوى الذي لا زاد معه .
(٢) براح : من أسماء الشمس .
(٣) العقوة : الساحة وما حول الدار والمحلة .

ذكر من اسمه سلمان

[١٨٦]

سلمانُ بنُ نصر الله بن عليّ / ٢١أ/ بنِ حَمَّاد بنِ حَبُّون، أبو الفوارسِ بن أبيَ المعزِّ النُّميريُّ الرَّحَبِيُّ:

من رحبة مالك بن طوْق، وهي مدينة مشهورة على الفرات بين الرقة وعانة[١].

كان شاعراً طلق اللسان، خبيثه، قرأ شيئًا من الفقه والأدب، أنشدني الصاحب شرف الدين أبو البركات ـ رحمه الله ـ قال: أنشدني أبو الفوارس لنفسه من قصيدة قالها في عز الدين عيسى بن مالك أولها: [من الطويل]

أُعايِنُ ما حَاكَ الرَّبيعُ ونَظَّما ... ودَنَّر مِنْ نَور الرِّياض ودَرْهما

ثيابَ حرير أخْضَر في عَروضها ... أجادَ لَها الرَّبعيُّ رقماً وسَهَّما

ومدَّتْ يدُ الأيام تجْري عَوارفاً ... فَنورَها كفُّ الربيعِ وخَتَّما

وما هو إلا أن خلا صفحةُ الثَّرَى ... بمدوس صُنع الخافقين فأحكما

وقَابلها وَجهُ السَّماء فَخُيِّلتْ ... لَنا من صَفَاهَا في البسيطة أنجُما

ألا فاسْقني بين الرياضَ مُدامةً ... وقُل هاكها في الكأس نصاً مُحرَّما

يُعَاطيكَها ظبيٌ تَخالُ رضابَه ... أرقَّ من الصَّهباء ريحاً ومَطْعَما

جرَى ماءُ رَيعان الشباب بخدِّه ... فبقَّلَ ريحانُ العذار ونَمنَما

فلم أرَ ماءً قَبلَ خَدِّيَه رقةً ... جَرَى فوق نار يَستشيطُ تضرُّما

/ ٢١ب/ فَلولا مَشيبي والحياءُ يَصُدُّني ... شَفيتُ غليلي من جَنى ذلك اللَّمى

وأنشدني قال: أنشدني سلمان بن نصر الله لنفسه في ولي الدين أبي الثناء محمود بن محمد بن مقدار الحراني، وزير الملك المعظّم مظفر الدين كوكبوري بن علي[٢] ـ رضي الله عنه ـ عند توجهه إلى إربل يمدحه: [من البسيط]

---

(١) انظر: معجم البلدان/ مادة (رحبة مالك بن طوق).

(٢) صاحب إربل (٥٤٩ ـ ٦٣٠هـ)، ولي إربل بعد وفاة أبيه وأقام بها مدة، وانتقل منها إلى =

أقسمتُ لم تُسقَ أرضٌ أنتَ موعدُها ... بالبَيْنِ وَهْوَ لديها أكبرُ الحزنِ
وإنما دفعتْ في البينِ قِصَّتَها ... إلى السَّماءِ فأبكَتْ أعيُنَ المُزنِ

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه في الوزير أبي الثناء المذكور: [من الكامل]

ماتَ المعلِّمُ للمَكارمِ والنّدى ... ونَسُوا الذينَ تعلّموا ما عُلِّموا
آهًا لأيّامِ الزَّمانِ لو أنها ... بمكارمِ ابنِ محمدٍ تتكلَّمُ

أنشدني الشريف جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أبي الغنائم الحارثي الهاشمي السويداوي قال: أنشدني سلمان بن حبون الرحبي لنفسه / ١٢٢أ/ يخاطب الملك العادل أبا بكر محمد بن أيوب[1] ـ رحمه الله ـ: [من مجزوء الكامل]

قَسمًا بآلِ محمّدٍ ... ما فوقَ ذلكَ من قَسَمْ
إن الأميرَ مُحَمّداً ... لولاهُ ما خُلقَ الكَرَمْ
يَهَبُ اليَراعَ بَراعَةً ... والسيفُ يَخضبهُ بدَمِ
ويَجودُ بالمئة العشَا ... رِ وليس يُتْبعُها نَدمْ
لكنَّ تُربَةَ أرضِنا ... نَقلتْهُ عن تلكَ الشِّيَمْ

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه: [من الوافر]

أعندَكَ إنَّ وَخْطَ الشَّيْبِ عارُ ... إذا ما قيلَ شابَ ولا وقَارُ
فَلا وأبيكَ لا صَحِبتْ يميني ... شِمَالي حينَ تهجُرني العُقارُ
ولا ألقاكَ مُمتلئًا سروراً ... إلى أن يملأَ القَلْبَ الخُمارُ
أعاذِلُ في المُدامِ أليسَ شَرْعًا ... وعقلاً في الحياةِ ليَ الخيارُ ؟
أأتركُ لذَّةَ الصَّهبَاءِ نَقداً ... لوَعْدٍ فيه مَطْلٌ وانتظارُ
فإني إن فَعَلتُ أخو خَسارٍ ... إذا ما فازَ بالربحِ التِّجارُ
ذَروني والمُدامَ فكلُّ عَيْشٍ ... لذيذٍ أو كريهٍ مُسْتَعارُ

= الموصل ودخل الشام، واتصل بالملك الناصر صلاح الدين، فأكرمه كثيراً، وتوفي بإربل.
ترجمته في: تكملة المنذري ٣/ ٣٥٤. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٢. الأعلام ٥/ ٢٣٧.

(١) ابن شادي: أخو السلطان صلاح الدين (٥٤٠ ـ ٦١٥هـ) من كبار سلاطين الدولة الأيوبية.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٤٨. السلوك للمقريزي ١/ ١٥١ ـ ١٩٤. مرآة الزمان ٨/ ٥٩٤. الأعلام ٦/ ٤٧.

وإن طَـالَ الحسـابُ فـإن عُمْـري ... وأيـامَ السّـرور بـه قصَـارُ
/٢٢ب/ أيـا ذاتَ الخمـار بمـا حـوَاهُ ... مـن الحُسـن البـديـع لَـكَ الخمـارُ
بَيـاضٌ مُشْـرِقٌ فيـه احمـرارٌ ... وطَـرفٌ فـاتـرٌ فيـه احـورارُ
وثغـرٌ كـالجُمـان علـى عقيـق ... لـه بـالمسـك والخمـر اختمـارُ
أديـري الكـأسَ مُتْـرَعـةً عُقـاراً ... وسُـرِّينـي بهـا ولَـكِ العَقـار
أديـريهـا بـأقـداحٍ كبـار ... فمثلـي لا يُـرويِّـه الصِّغـارُ
فقـد هَتَـفَ القُمـاري بـالنـدامـى ... وقـد غنَّـى علـى الفَنَـن الهـزارُ
وقـد خَـرفَ الخـريـفُ لنـا ثمـاراً ... ولـي فـي دَنِّهـا نعـمَ الثمـارُ
عَـروسٌ مـن دَمِ العُنقـود تُجلـى ... عَلينـا والهَشيـمُ لَهـا نثـارُ
فـأصفَـرُ ذاكَ فـي هـذا شَقيـقٌ ... وأبيـضُ ذاكَ فـي هـذا بَهـارُ
ألا قُـومَـا بنَـا فـالـدهـرُ نـارٌ ... لهـا لَهَـبٌ [و] أنفُسُنـا استعـارُ
لنَقضـي العُمْـرَ فـي غُمَـر التّصـابـي ... ففيـه لنـا علـى الـدّهـر انتَصـارُ
ونَمحـو بـالسـرور طُـروسَ قـوم ... عليهـم فـي معـانيهـا اعتبـارُ
ونَشـربَهـا مُعتَّقَـةً شَمـولاً ... لهـا للهـمِّ بـالفَـرَحِ انتشـارُ
فلـولاهـا لمـا ضُـربَـتْ قـداحٌ ... لَـدى شُـرب ولا عُـرفَ اليَسـارُ
كمـا لـولا ابـنُ محمـودٍ ينـالُ ... لمـا عُـرفَ الفخـورُ ولا الفَخـارُ

[١٨٧]

/٢٣أ/ سلمان بن مسعود بن الحسن بن أحمد بن يوسف بن محمد بن محمد الطوسيُّ[(١)].

من أبناء حلب، وجملة من يعتزي إلى هذا الشأن، والطوسي هو جده الحسن بن أحمد بن يوسف، ورد حلب على عهد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر[(٢)] ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وخدمه جنديًا، وبقي بعده، وخدم ابنه الملك الصالح

(١) ترجمته في: شذرات الذهب ٥/١٦٤. المختار من تأريخ ابن الجزري ١٦٤. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠هـ) ص١٨٩ ـ ١٩٠ رقم ٢٤٥ وفيه «سليمان».

(٢) ملك الشام وديار الجزيرة ومصر (٥١١ ـ ٥٦٩هـ).

=

أبا الفتح إسماعيل[1]، وكذلك ولده مسعود، ثم سليمان أيضًا.

وكان يخاطب بالحاجب، ويلبس لبس الأجناد، وكان شاعراً ذكيًا فطنًا، مقتدراً على المعاني الصعاب واستنباطها، سهلاً عليه إنشاء الشعر، التحق بالشعراء المتقدمين في حلاوة الألفاظ، واختراع المعاني، وإبداع الوصف، وحسن السبك، وكان إذا حاول معنى غريبًا لبعض الشعراء، نظمه وأتى به نادراً بديعًا، وسرقه أحسن سرقة، وعبّر عنه، ثم أتى به نادراً، وسبكه أجود سبك ثم اشتهر شعره بمدينته، ولم يزل هو وأبوه وجده متّصلين في خدمة ملوك حلب وولاتها.

لقيت ولده بحلب المحروسة، وذكر أن والده توفي في عاشر صفر سنة أربع وثلاثين وستمائة، عن أربع وستين سنة، فمن شعره قوله /٢٣ب/ في بركار:

[من الطويل]

وَلي صاحبٌ للمُشكلات تَخذْتُهُ ... يُساهمُني في الصَّعب منها ويَشرَكُ
إذا ما انبرى يوماً لَقَطعِ مَسافة ... يُسَنَّدُ من عَجْزِ القيام ويُمْسَكُ
يَقومُ على رجْلٍ ويعدو بأُخْتها ... وتلك إذا ما سار لاَ تَتَحرَّكُ
رَهاوِيَ سيرٍ يَسْبِقُ الطَّرْفَ سَيْرُهُ ... ويَسْقطُ مَن ضَعفٍ به حين يُتْرَكُ

وله في ركاب دار: [من مخلع البسيط]

وشاكرتي لنَجلِ بدر ... بدر الدجى وجهُهُ يُخالُ
إذا تثنّى رأيتَ غُصْناً ... يَميسُ في فَرْعه هلاَلُ
يُدني جَواداً إلى جَواد ... أشجَعُ مَن ضَمَّهُ نزالُ
وقبلَهُ ما رأيتُ ليثاً ... يَقودُ ذئباً لَه غَزالُ
يا قومُ كم من نَبيلِ قَومٍ ... أردَتْهُ مَن لحظه نبَالُ

وأنشدني أبو محمد القاسم بن محمد بن سراج الحلبي بها قال: أنشدني

= ترجمته في: العبر لابن خلدون ٢٥٣/٥ وما قبلها. الروضتين ٢٢٧/١ ـ ٢٢٩. وفيات الأعيان ٨٧/٢. النجوم الزاهرة ٧١/٦. الأعلام ١٧٠/٧.

(١) ترجمته في: العبر لابن خلدون ٢٥٣/٥ ـ ٢٥٨. مرآة الزمان ٣٦٦/٨. الأعلام ٣٢٧/١.

الحاجب سلمان لنفسه[١]: [من الطويل]

ألا زدْ غراماً بالحبيب وَدَاره وإن لجَّ واشٍ فاْحتَمِلْه وداره
/ ٢٤أ/ وإن قَدَحَ اللوامُ فيكَ بلَومهم زنادَ الهوى يوماً فأَورَى فَواره
عسى زَوْرَةٌ تشفي بها منه خلسةً فإنكَ لا يَشفيكَ غيرُ ٱزديارِه
وذي هَيَفٍ فيه يقومُ لعاذلي بعُذري إذا ما لامَ لائمُ عِذارِه
ووجهٍ يُضاهي البدرَ عندَ كمالِه بعيدُ المدى عن نَقْصِه وسَراره[٢]
فلا بدرَ إلا ما بدا من جيوبِه ولا غصن إلا ما ٱنثنى في ازاره
فسبحانَ من أجرى الطِّلا في رُضابِه ومَن أنبتَ الرّيحانَ في جُلَّنارِه
وقد ذَبَّ عنها صُدغُه بعَقاربٍ وناظِرُهُ من سَيفِه بشفارِه
فنرشفُ هذا بالتّوهُّم عُنوةً وباللحظ ذا نَجني بغَيرِ ٱختيارِه
ولي منزِلٌ بالحَزنِ أقوتْ طُلُولُه وقَرَّبَ منّي الحُزْنَ بُعْدُ مَزاره
فيا غَيثُ كم تَجفو ثَراهُ وتَغتدي يَميناً وطوراً تَغْتدي عن يساره
هَمَتْ أدمعي فانحلَّ عقدٌ فما به إليكَ ٱفتقارٌ إذ جَرَت في فَقارِه
فَللَّهِ أيامُ الربيعِ وقد شَدَتْ بَلابلُه في الدَّوحِ غِبَّ قطارِه
ولِلغَيمِ أنداءٌ تُقَلِّدُ شُحَّهُ زَرائدُ درٍّ من نظيمِ انتشارِه
وللطلِّ أنفاسٌ تَروقُ كأنما تَقَضَّى أصيلاً منه كلُّ نهارِه
/ ٢٤ب/ فهل من نديمٍ يُسْتَلَذُّ حديثُه لطيفِ المعاني فائقٍ من خُمارِه
إذا قُلتُ أوقدْ نارَ خمرٍ اصطباحنا يكونُ ببَردِ الماءِ إيقادُ نارِه
وهل مُسعدٌ والليلُ جامعُ قارِه دَجيٌّ يُحَيِّيني بجَامِ عُقارِه
ولي صاحبٌ إن شئتَ ألهاكَ مُنشداً قوافيَ شعْرٍ نَظمُها من شعَارِه
بلحنٍ يَرُدُّ الطَّيرَ عن وُكُناته ولفظٍ يَبيتُ الوحشُ دونَ وجَارِه
فتًى يُوشعيُّ الفعلِ في الليلِ دأبُهُ يَرُدُّ علينا الشمسَ من غربِ داره
ويَسعى بها الساقي فتحسبُ طاسَها وقد شجَّها زَنداً لفرطِ شَرارِه

---

(١) البيتان ٤ و ٦ في تأريخ الإسلام ١٩٠.
(٢) السرار: الليلة الأخيرة من الشهر.

مشعشعةً صاغت لزند مديرها   سواراً يُحيلُ الليلَ ضوءُ نهاره
سُلافًا كأخلاق العزيز محمد   ونُور مُحيّاهُ وطيب نجاره
مليك كَسَا الأيامَ والناسَ عزّةً   ثيابَ فَخار طرزُها من فخاره
فيا مَن غزاهُ الفقرُ زُرْهُ وأنتَ يا   حَريبَ الرّزايا مل ولذْ بديارهِ
تجدْ ملجأً للخائفينَ ومَربعًا   تَسُحُّ على العافينَ سُحْبُ يَساره
وإن كنتَ شاكًا فاختبره مُجربًا   لتَستصغرَ الأخبارَ عند اختباره
ترى جَبلاً يصبيك منه لَذاذةً   نَسيمُ صبًا من لُطفه ووقاره
ولا يأتلي الضِّيفانُ ملءَ فنائه   وأعشَارهُ مملوءةٌ من عشَاره
ويَجمعُ بين الشّاء والذئب عَدْلهُ   وسَطوتُه في بَطْشه وٱقتداره
/٢٥أ/ فيسنَحُ هذا خائفًا من وجاره   ويَسرَحُ هذا آمنًا في جواره
أيا مَلكًا من عَزمه ليس يأتلي   له صارمٌ يغري العدا بشفاره
أٱظمَا وبَحرٌ من نَوالك زاخرٌ   وساقيَ قد ضلّت تموج غمَاره؟(١)
غَوارِبُه لا تُختطى بمعابَر   وغوّاصُه لا يَلتقي بقَراره
وأحداثُ دهري قارَعتني وخيّمتَ   بربعي فقلبي آنسٌ باصطباره
ولولا يقيني من نَوالكَ بٱلغنى   لما كنتُ جَلْداً في لقاء المكاره
فخُذْ بنتَ فكر كالغزالة مبسمًا   يُبرقعُها فرطُ الحيا بخماره
وإن تكُ قد جاءتك من بعد فترة   وكسرة طَرْف للحيا في ٱنفطاره
فقد أصبحتْ في وجه عَصْريَ ناظراً   بفَترتَه تَسبيَ الورى في ٱنكساره
فلا زلتَ في أمن حليفَ سعَادة   وضِدُّك من خَوف عديمَ قراره

وقال أيضًا في الغزل: [من البسيط]

أبدى لنا من فُنون الحُسْن أصنافا   تُروى فَتَستغرقُ الألفاظَ أوصافا
زَبرْجَداً في عَقيق زانَه سَبَجٌ   ولؤلؤاً في زُلال الرِّيق شفّافا
كأنّهُ حين يَجلُوه تبسُّمُهُ   يَشقُّ من شفتيه عنه أصدافا
/٢٥ب/ يَريشُ من مُقلتيه أسهُمًا وكذا   يَسُلُّ منها إذا ما شاءَ أسيافا

(١) كذا في الأصل، ولعلها «بموج غماره» وإلا فلا يستقيم نحويًا.

وألسُنُ الزَّرد الموضون وَجْنَتُه | إذ صيَّرتها عُيونُ الناس أهدافا
فغادَرتْ حلقات منه حين رَمَتْ | خُدودَهُ أسهُمُ الألحاظ أنصافا
ريمٌ من الرُّوم مطبوعٌ على صَلَف | يَفوقُ غُصنَ النَّقا قدّاً وأعطافا
يجاذبُ الريحَ منه لينُ معْطفه | كما يُجاذبُ خَصراً منه أردافا
أميرُ حُسْنٍ تَراه واحداً وترى | في طَرفه مِن جُنود الحسْن آلافا
يَخالُ ناظِرهُ مبيضَّ ناظره | سيفاً وإنسانَه المُسْوَدَّ سيَّافا
يقولُ لي ولَهيبُ النار في كَبِدي | يَبغي بألطاف ذاكَ القول اسعافا
لا تُنكِرَنْ شُعلةً في قلبكَ اضطرمَتْ | ومنه أوطأتني للحُبِّ أكنافا
فالعُرْبُ ما برحتْ جوداً تدل إلى | بيوتها بوَقود النار أضيافا
أستودع اللهَ أحباباً فقدتُهمُ | بالرَّغم منّي وجيراناً وأُلاّفا
نذرتُ أدميَ لثماً إن هُمُ رجعوا | مَناسِماً من مَطاياهم وأخفافا
مازلتُ أسألُ سُقياً أربُعٍ دَرَسَتْ | لهم برامةَ هامي المُزْن ذرَّافا
حتى سَقاها من الوَسْميِّ مُنْهَمِرٌ | فزانَ مرتبعاً منها ومُصطافا
مُثْعَنْجِعرٌ طبَّق البُطنانَ وابلُهُ | كأنَّهُ من دُموعي كانَ غَرّافا[1]
/ ١٢٨أ/ مَنازلاً لظريف الحُسْن كلُّ فتًى | ما يأتلي طرفُه فيهنَّ طوَّافا
تلقى بها الماءَ عذباً والهَوا عَطِراً | والظلَّ ضافيَ والجنّات ألفافا

وأنشدني الشريف أبو نصر محمد بن أبي ظاهر البغدادي الهاشمي قال: أنشدني سلمان بن مسعود لنفسه يمدح راجح بن إسماعيل الحلي الأسدي الشاعر:[2]

[من الطويل]

أهاجَكَ برقٌ بالأُبيْرق لائح | فَدَمْعُكَ من سُحْب النواظر سائحُ
وتُطربُكَ الوَرْقاءُ حتى كأنما | تَبُثُّكَ أشجانَ الهوى وتُطارِحُ ؟

---

(١) البطنان: المواضع التي يستريض فيها ماء السيل.
(٢) أبو الوفاء (٥٧٠ ـ ٦٢٧هـ) شاعر من أهل الحلة تردد إلى بغداد واتصل بولاتها، وهاجر إلى حلب وحظي عند الأيوبيين في دمشق فاستقر فيها إلى أن توفي.
ترجمته في: التكملة للمنذري ٢/٢٢٩٩. أعيان الشيعة ٣١/٧٥. شعراء الحلة ٢/٣٥٩. الأعلام ٣/١٠.

وتَشتاقُ عَرْفَ الريح جاءت به الصَّبا كأنَّ نسيمَ الريحِ بالمسك فائحُ ؟
وما ذاكَ إلا أنَّ لَمْياءَ بالحمى سَرَتْ والدُّجى هاوٍ إلى الغرب جانح
وللصبح نورٌ من حَشَا الشَّرْقِ مُشرِقٌ وفيه سنى الشَّمْسِ المنيرة لائحُ
ومرَّتْ على الأمرات منه فضيلةٌ .. آكامها والصَّحاصحُ[1]
ودونَ الكثيب الفَرْدِ من آل عامر غَريرٌ بقلبي لا بواديه سانحُ
يَغارُ إذا ما عَنَّ سِرْبُ ظبائه ويخجلُ منهُ بانُهُ المتناوحُ
أُكتِّمُ أشجاني به وأصونُها ودمعي بها واشٍ عليَّ وشارح
/ ٢٨ب/ لهُ طُرَّةٌ كالليل والليلُ حالكٌ على غُرَّةٍ كالصبحِ والصبحُ واضحُ
حَلَفْتُ بربِّ البيت برّاً ومَن سَرَتْ إليه بهم خُوصُ الركاب الطلائح
لقد فاقَ أهل الحُسْنِ بالحسن هاجري كما فاقَ أهْلَ الفَضْلِ بالفَضْلِ راجحُ

[١٨٨]

سلمانُ بنُ داودَ بنِ غازي بن عينِ الدولة، أبو داودَ، البغداديّ المنشأ، الموصليُّ المولد:

كانت ولادته بالموصل سنة سبع وستمائة.

شاب شاهدته بالموصل سنة إحدى وثلاثين وستمائة، وهو ذو قريحة في الشعر راغبة، وفكرة في صياغة المعاني صائبة، وفيه دماثة ولطافة، مدح المولى الملك الرحيم بدر الدين[2] عضد الإسلام والمسلمين، أتابك، أبا الفضائل، نصير أمير المؤمنين ـ خلد الله ملكه ـ بهذه القصيدة، ويهنيه فيها بالنوروز، أولها: [من الطويل]

قفِ النِّضوَ بالوادي فقد فاحَ شيحُهُ وجاءَتْ بريّا ذلك الريح ريحُهُ
فإن كنتَ لا تَبغي وقوفاً فَسِرْ به على مَهَلٍ علَّ الذميلَ يُريحُهُ[3]

---

(١) الأمرات: جمع مرت، وهي المفازة بلا نبات، أو الأرض التي لا يجف ثراها، ولا ينبت مرعاها.

(٢) الملك الرحيم، لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي، صاحب الموصل، طالت أيامه بها، وولد سنة ٥٧٠هـ، وتوفي بالموصل سنة ٦٥٧هـ.
ترجمته في: النجوم الزاهرة ٧/ ٧٠. الأعلام ٥/ ٢٤٥.

(٣) الذميل: المشي البطيء.

/ ٢٩أ/ ولا تَدْنُ من ذاكَ الجناب فإنَّهُ ... به نابلٌ هيهاتَ يُوسى جَريحُه
كنانَتُه جَفْنَاهُ والنَّبلُ لَحْظُهُ ... وحاجبُه قوسٌ يُبيدُ قُدوحُه
أغَنُّ غَضيضُ الطَّرف أحوى حَوى على ... مَحَاسنَ مَغنى الحُسن فَهو مَليحُهُ
قَسا قَلْبُهُ في الحُبِّ حتى لقد غَدا ... يُبيحُ دمَ العُشَّاق بَل يَستبيحُهُ
يَموتُ بداء الصَّدِّ منهُ قَريبُهُ ... ويَهْلكُ شوقًا في هَواهُ نَزيحهُ
هو الرَّوحُ لا روحٌ سواه لعاشق ... كما أنَّ بدرَ الدِّين للدَّهر رُوحهُ
سما رفعةً حتى تطأطأ دُونَهُ ... سماكُ سَمَا المجد الرفيعة يُوحهُ[1]
فلا مُنْكرٌ ما قلتُه من صفَاته ... وَجُودُ أمير المؤمنينَ يُميحُه
على أنَّه كالمسك فاحَ وإنَّما ... خَليفةُ ربِّ العَالمين مُفيحُه
أقولُ ولا أخشى ولو خَفْتُ لم أقلْ ... وأحسنُ قول صَحَّ فيه صَحيحُه
حَوَى حيِّزُ المجد الملوكَ ومجدَها ... وضاقَ لَعمْرُ الله عنكَ فَسيحُه
ملأتَ قلوبَ الناس خوفًا ورحمةً ... كذا البرقُ يخشى ثم يَهمي دَلوحُه[2]
وأحييتَ بالإحْسانَ مَن قد أماته ... سواكَ فهذا العَصرُ أنتَ مَسيحُه
فإن فار تنُّور الضغَان وطاف بال‍ ... ‍خلائق ماءٌ لا يَغيضُ سُحُوحُه
فَمَوصلُكَ الفيحاء خيرُ سفينة ... بها اللهُ نَجَّى الناسَ إذ أنتَ نُوحُه
/ ٢٩ب/ لكَ اللهُ والمختارُ والصَّفْوُ عُدَّةٌ ... وفاطمُ والمسمومُ ثم ذَبيحُه[3]
هُمْ أهْلُ بيت لا يخافُ وَليُّهُم ... إذا شُقَّ عنهُ في المعاد ضَريحُهُ
هنيئًا لكَ الزُّلْفى بحُبِّك حَيدراً ... امامٌ أتى في كُلِّ نَصٍّ مديحُهُ
ويَهنيكَ نَيروزٌ ألَمَّ غَبُوقُهُ ... يُهَنّي بكَ الدُّنيا معًا وصَبُوحُهُ
أتى وجيوشُ السَّعد تَسري أمامَه ... حثيثًا فمن ذا عن عُلاكَ يُزيحهُ
فلا زلتَ تَسْتَجْلي القَريضَ وساعيًا ... إليكَ به من كلِّ فجٍّ فصيحهُ

وأنشدني أيضًا لنفسه من قصيدة: [من الخفيف]

---

(١) اليوح: من أسماء الشمس.
(٢) الدلوح: السحاب الكثير الماء.
(٣) المختار: النبي محمد (ص)، والصفو: علي بن أبي طالب عليه السلام. والمسموم: الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. والذبيح: الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

دقَّ عظمي وخَصْرُ مَنْ أهواهُ ... مثْل ما دَقَّ في الهوى معناهُ
دَقَّ عَنْ كُلِّ ناظرٍ رامَ رُؤيا ... هُ بتكييفٍ وَصْفِهِ أن يَراه
وَتعالىٰ عَنْ خاطِرٍ خامَرَتْهُ ... شُبُهاتٌ وَجَلَّ عنه ثَناهُ
لا تَقِسْهُ بالبدر جَهْلاً فأنى ... لسَنى البدر في السماء سَناهُ؟
ذاكَ يَنْبُو عن الرَّواء وهذا ... لَيسَ يَنْبُو جَمالُهُ ورواهُ
هو أهدىٰ مِنْ أَنْ يُهَدّى فما يُو ... جَدُ هادٍ إلا هَداهُ هُداهُ
لَوْ رأى وَجهَهُ الكَليمُ وقد أل ... قى عَصاهُ [وَلّىٰ يجُرُّ عَصاهُ](١)
يا لَهُ عالِمًا بما في فؤادي ... مِنْ جَوًى والَّذي بَراهُ يَراهُ
/ ٣٠أ/ حالَ حَالي لَمّا حَوى القلبُ مِنّي ... حُبَّهُ فاحتَوىٰ على ما حَواهُ
صِرْتُ عبداً لَهُ وقد يَشْغَلُ العبـ ... ـدُ إذا كان عادلاً مَولاهُ

وأنشدني لنفسه من قصيدة يقول فيها: [من الخفيف]

أنا ضَيفُ الكرام جئتُ لأُقرى ... فَاقْرِني من لَدُنكَ مَولايَ حُسْنا
لا تكلْني إلى سِواكَ فكُلٌّ ... إنْ تَعاطَ الإحسانَ يتبعْهُ مَنّا
أنا سَلْمانُ والذي بعثَ الله ... نبيًا يقولُ: سلمانُ منّا(٢)

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

تأمَّلَ يومَ البَيْنِ تَركي وداعَهُ ... وضَمّي لَهُ مِنْ بَعد حُسْنِ تَوَدُّدِ
فأنكَرَ صَبْري ثُمَّ قالَ سَلَوْتَني ... فقلتُ لَهُ لا تُنْكِرَنَّ تَجَلُّدي
مددتُ يد التوديع من قبل نظرة الرْ ... رقيب فكففت إذ بصرتُ به يدي
وثانيةً في القلب نارَ صَبابَةٍ ... تَوَقَّدُ مِنْ حُبِّكَ أيَّ تَوَقُّدِ
خَشيتُ على ذاكَ القَوامِ تُحيلُهُ ... وتَذهَبُ أنفاسي بما وجهِه النَّدي

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الكامل]

إنّي لأصرفُ عنكَ طَرفي هَيبَةً ... وأُجِلُّ وَجْهَكَ عن مطامح ناظري
/ ٣٠ب/ وأغارُ من فكرٍ عليكَ إذا غدا ... منكَ الخَيالُ مُخيّمًا في خاطري

---

(١) ما بين المعقوفتين مطموس في الأصل، وما أثبتناه من اجتهاد د. القيسي والدليمي.

(٢) إشارة إلى الحديث الشريف: «سلمان منّا أهل البيت». انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، ط الكتب العلمية ٣/ ٦٩١.

ذكر من اسمه سليمان

[١٨٩]

سليمانُ بنُ النجيبِ بن المُعلَّى بن النجيب بنِ سليمانَ، أبو الربيع الرقي المؤدبُ:

كان يعرف بذقينات، سكن حرَّان[١] إلى أن مات بها، وكان شيخًا مسنًا، عُمِّر إلى أن جاوز المائة، وكان معلم صبية.

وأخبرني أبو الفضل عمر بن علي بن هبيرة قال: ترددت إليه للتعليم مدة بحران، ومدح والدي بعدة قصائد، ووقع إليّ مجلد من أشعاره مقصورة على مدح الوزير ولي الدين أبي الثناء محمود بن محمد بن مقدار بن فارس الحراني، وهو إذاك وزير الملك المعظم مظفر [الدين] كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ بحران، وهي غثّة وفيها ركاكة، لم تصدر عن فهم ومعرفة، وتنبىء عن خفة ورقاعة، ومن قرأ شعره وتدّبره علم أنه كان معلمًا حقيقة، إذ هو ممتزج بحماقة المعلمين.

ومن شعره يمدح الوزير ولي الدين محمود بن محمد / ١٣١أ/ الحراني، وكان متشكيًا من مرض: [من الكامل]

عافاكَ [يا] مَنْ تَشْتكي الرَّحمنُ ... يا مَن لهُ المعروفُ والإحسانُ

وعَلَتْ عداكَ كآبةٌ فندامةٌ ... وشقاوةٌ وشكايةٌ وهَوان

يا مَن تألَّمَ جسمُه فتألَّمتْ ... منَّا لهُ الأرواحُ والأبدان

عوفيتَ من مَرَضٍ ودُمْتَ بنعمةٍ ... وَحدَتْ بوصفِ ثنائك الرُّكبان

الله يُوليكَ السَّعادةَ والْبقا ... ما دامت الجوزاء والسَّرطان

ورأيتُ مَنْ يَشْنا عُلاكَ مجدَّلاً ... تنتاشُهُ العُقْبانُ والغربان

ببقاء مَولانا الأمير مظفَّر الدْ ... دين الذي خَضعَتْ لَه الشُّجعان

اللهُ ينصُرهُ على أعدائهِ ... فعلى المُهَيْمِنِ ربِّنا التُّكلان

---

(١) حرَّان: قصبة ديار مضر، على طريق الموصل والشام والروم. انظر: معجم البلدان/ مادة (حرَّان).

وأنشدني أبو الفضل عمر بن هبيرة قال: مدح أبو الربيع سليمان بن النجيب والدي بهذه القصيدة: [من الكامل]

سُبحانَ ذي الملكوت والسُّلطانِ ... رَبّ العبادِ الواحدِ الرَّحمنِ

أنشأ الأنامَ من البَرا وبَراهُمُ ... والكلُّ يجمعُ بينهم أبَوانِ

وتَشتَّتوا من بَعْدُ ثم تفرقوا ... فرقاً مع الأحوال والأديانِ

/ ٣١ب/ ثم اجتمعنَ المرشدونَ إلى الهدى ... منْهم على الاسلامِ والإيمانِ

وتَفاضَلوا في سَعْيِهم ومَعاشِهم ... وعُلُوِّهم في رُتْبَةٍ ومكانِ

وتَباينوا منْ بعد ذلكَ في الدُّنى ... في العَيْشِ والمَعروف والإسكانِ

هذا فقيرٌ بائسٌ مُسْتَعْطي ... يُمسي ويُصبحُ ما لَهُ فَلْسانِ

ولذاكَ مالٌ وافرٌ ورَجاؤُهُ ... فيه الزِّيادَةُ وَهْوَ في رُجْحانِ

والكلُّ في تَعَبٍ وليست راحةٌ ... فيها لذي بَصَرٍ وذي تبْيانِ

يَتكامَشونَ على الدَّنيَّة وهْيَ لا ... تُجْدي لَهُمْ فيها سوى الخُسرانِ

فعَليكَ بالإحسان ما انْبَعَثَتْ به ... فيها لكَ القَدَمانِ والكَفانِ

وإذا رأيتَ أخاكَ وَهْوَ بكُرْبةٍ ... فَعليكَ نُصْرَتَهُ بلا خُذْلانِ

وأبذُل جَميلاً ما استَطَعْتَ ولا تكُنْ ... ممَّنْ لهُ بينَ الوَرى وَجْهانِ

مولايَ شَمْسَ الدِّين دعوةَ صادقٍ ... يا خَيرَ مَنْ يُعْزى إلى الإحْسانِ

إنّي رَدَدْتُ عليكَ حُسْنَ وَصيَّةٍ ... [بيضاء] في حق الأديب العاني[1]

تالله ما نَفَعَتْ ولم يعبأ بها ... فكَأنَّما أوْصَيْتَه هجْراني

إنْ لمْ تكُنْ نَفَعَتْ فكُنْ أنتَ الذي ... بالنَّذْر موف غيرِ ذي نسيانِ[2]

والحَمدُ لله المُهَيْمن ذي العَطا ... ءِ الجَمِّ والإحسانِ والغُفْرانِ

/ ٣٢أ/ ثُمَّ الصَلاةُ على النبيِّ محمد الـ ... ـمَبعُوث منْ مُضَرٍ ومن عَدنانِ

فاشْرَحْ بما أبغيه صَدْري إنَّهُ ... فَرْضٌ عليكَ تُعينُ ذا العرفانِ

واسلَمْ ودُمْ في نعمَةٍ ومَسَرَّةٍ ... يا خيرَ منْ قد حلَّ في حَرّانِ

---

(١) ما بين المعقوفتين مطموس في الأصل، وما أثبتناه حسب اجتهاد د. القيسي والدليمي.

(٢) الصواب: «موفيًا» ولا يستقيم به الوزن.

أنــا مُنْــذُ بِنْــتَ بِلَــوْعــة وكـآبــة ... وبنــور وَجْهــكَ صــرتُ فــي لَهَشــان
أنــتَ الــوزيــرُ المُستَنيــرُ ومَــنْ لَــهُ ... لَفْــظٌ يَفــوقُ بــه علــى سَحْبــان
هَيْــنٌ وليــسَ إهــانــة فــي فعْلــه ... لَيْــنٌ ببَسْــط يَــد ونُطْــق لســان
عَجَــزَتْ تَفُــوهُ بــوَصْــف شُكــر صَنيعــه ... فيمــا تُحــاوِل وصفَــهُ الثَّقَــلان
إنِّــي أُعيــذُكَ بــالإلــٰـه مــنَ الــرَّدَى ... ومــنْ الأذى وطَــوارق الشَّيطــان
لازالَ جَــدُّكَ ثــابتــاً حتــى إلــى ... مــأواكَ عنــدَ الحُــور والــولْــدان
أنــا لَــمْ أزَلْ لــكَ داعيــاً مــا ٱمتَــدَّ بــي ... عُمــري وطــابَ لمــا أفــوهُ جَنــانــي
وذَكــرْتَ أنَّــكَ جئْــتَ تَعْبــانــاً فــوا ... شَــوْقــي لــرُؤيــا القــادم التَّعبــان
ذَهَــبَ ٱلعَنــاءُ وَفُــزْتُ فيــه بــرُؤْيَــة الــ ... أصحــاب والإخــوان والسُّلطــان
اللهُ يُــوليــكَ السَّــلامــةَ مــا دَجَــا ... لَيْــلٌ ولاحَ بــأُفْقــه قَمَــران
فــٱسلَــمْ ودُمْ لازالَ جَــدُّكَ صــاعِــداً ... يَعْلــو بتَــوفيــقِ علــى كَيْــوان

[١٩٠]

سليمـانُ بـنُ عبـد الله بـن الحسـن بـن علـي بـن عبـد السـلام بـن محـ[ـمد بن] المبارك بن راشد بن عقال، أبو الربيع التميمي الدارمي الحلي، المعروف بابن الريحانيّ :

كانت ولادته بمكة ـ حرسها الله تعالىٰ ـ في السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وسبعين وخمسمائة، نزل مصر / ١٣٣أ/ وأقام بها.

وهو شاعر حسن المعاني جيد الألفاظ، له عناية بالأدب والعربية، وحفظ الأشعار وروايتها، وسماع الأحاديث.

أجازني جميع رواياته ومقولاته، أنبأني لنفسه ما نقلته من خط يده قال: كنا في مركب متفرجين بثغر دمياط في بركة بتشنين كالسماء، وفيها البتشنين. كالنجوم، فقلت: [من مخلّع البسيط]

للهِ يــومٌ بــهِ نَعِمْنَــا ... لــو أنَّ نَعْمــاءَهُ تَــدومُ

كــأنمــا مــاؤنــا سمــاءٌ فيهــا بتَشْنيْنُــهُ نُجــومُ

وقال أيضًا: [من المنسرح]

وأسمَــر القَــدِّ ذي ٱعتــدال يَعْجــزُ عَــن وَصفــه اللِّســانُ
كــأنَّمَــا قَــدُّه قنــاة وطــرْفُــه الأزرقُ السِّنــانُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

طــالَ الثَّــواءُ بــأرض لا تَخــالُ بهــا مَــوْلًــى يُجيــرُ مــن الإعسـار وٱلعَـدَمِ
إلا حُثــالَــةَ قَــوْمٍ لَا خَــلاقَ لَهُــمْ سَادُوا مـن اللُّـؤمِ مـا سَادوا مِـنَ الكَـرَمِ

[١٩١]

سليمان بن داود بن يوسف /٣٣ب/ بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب، الملك الأجود، أبو سعيد بن الملك الزاهر(١):

من أبناء الملوك والسلاطين، وأبوه صاحب إلبيرَة، وهي بلدة بقرب سميساط على الفرات(٢).

شاهدته بمدينة حلب، سابع جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وستمائة، شابًا جميلاً مقرون الحاجبين، أسمر اللون، وسألته عن ولادته فقال: ولدت بقلعة حلب المحروسة في سنة تسعين وخمسمائة(٣).

وهو من الشعراء الظرفاء، فيه ذكاء وفطنة، وله عناية بصناعة النظم، وشغف بالطرب وأساليبه، يقول شعراً حسنًا، ويفهم معانيه فهمًا جيداً، ويتكلم في الطب، والنجوم، والعربية، والأدب كلامًا يستحسنه من له بهذا الشأن اعتناء، إلا أن في عقله تشوشًا وضعفًا فـي تـدبيـر أحـوالـه، ولـم يكـن عنـده ممـا عنـد أهلـه وأبنـاء عمـومتـه مـن الحشمـة

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٥/ ٣٧٧-٣٧٩.

(٢) في هامش الأصل: «ومرعش من بلاد الروم. والملك الأجود من الشعراء الظرفاء، صاحب غزل رقيق، وألفاظ عذاب، وأدب حسن، مشغوف بالطرب، كثير الاعتناء به».
وحول إلبيرة، انظر: معجم البلدان/ مادة (إلبيرة).

(٣) في هامش الأصل: «توفي بحلب عاشر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة».

والتصاون، وإقامة ناموس الأسرة على عادة أبناء الملوك، وزي أهلها، بل يصنع من نفسه ما يحط من قدره ويزري بنسبه، مما لا يفعله رعاع الناس /١٣٤أ/ والأراذل من التبذل في الأسواق، ووقوفه راجلاً فيها، واطّراحه للتكلف، ومحادثته للعامة، ومعاشرته للسفلة، وأرباب الحرف الدنيئة، شديد الطيش، بادي الخرق، عنده تهور ونقصان.

وكان قد جرت له وهلة مع أبيه، فأخذه وسجنه، وبقي مدة في السجن، ثم أطلق، ولم يكن في إخوته ممن له معرفة وفضل سواه، وهو منطلق اللسان، مغرى بهجاء أسرته، وذوي الأقدار من الأمراء والصدور، وينشد شعره في الهجاء لمن يلقى من معارفه، ولا يستنكف من ذلك، ولا يتحاشى، ولا يؤاخذ فيما يفعله، لقربه من السلطنة.

فمن شعره ما أنشدني لنفسه: [من الكامل]

لو كان كأسُكَ مِنْ مَراشِفِ فيه ... لصَحَا فُؤادُكَ مِنْ غرامٍ فيه
بل إنَّهُ المَحْمِيُّ منه بلَحْظِه ... كيفَ الوُرودُ وصَارمٌ يَحميه
ووراءَ عقربِ صُدْغِه مِن خَلْفِه ... ثُعبانُ شَعْرِ عَذْوُهُ يَلْويه
وعلى أقاحي نَبْتِ فيه شَقيقَةٌ ... شَقَّتْ فُؤادَ مُتَيَّمٍ يَجْنيه
مِنْ وجهِهِ الوضّاحِ يوماً أهتدي ... إذْ لي بطُرَّتِه ضَلالُ التِّيه
كالغُصْنِ مُنْثَنِياً بدا لَوْ أنَّهُ ... عَنّي يَدٌ للعَذْلِ لا تَثْنيه
إنّي أُشَبِّهُهُ وأعْلَمُ أنَّهُ ... جلَّتْ شَمائلُهُ عَنِ التَّشْبيه
سَكْرانُ غادَرَني بِهِ مُتَشَبِّهاً ... سُكْري هَوىً إذْ سُكْرُهُ مِنْ فيه
وَهُوَ الَّذي ما إنْ يَزالُ مُقاطعاً ... حتّى الكَئيبُ لنَحْبِهِ يَقْضيه
إنْ يَحْتَرِقْ بالهَجْرِ جسْمي مُمْكِنٌ ... فالعُودُ يُسرِعُ حَرْقَهُ ذاويه

وأنشدني في النارنج لنفسه: [من الكامل]

لله نبتُ عَذارِ بَدْرِ دُجًى ... يَسْعى بِهِ غُصْنٌ على دِعْصِ
لمّا اسْتَدارَ بوَجْنَتَيْهِ كما ... دارَ الخسوفُ بحافَةِ القُرْصِ
كَمُلَتْ مَحاسِنُه ومِنْ عَجَبٍ ... بَدْرٌ يَتِمُّ بحالةِ النَّقْصِ

[أنشدني لنفسه . . . . من قصيدة :

كَـمْ ذا تُشـوِّقُنـي الحِمَـى وأصائـلا ... حيثُ الحبيبُ بهنَّ كانَ مُواصلا
قـدْ انثنى سـاقي الشَّمُول مُهَفْهَف ... . معاطفًا وشمائلا
. . . . العذار لهنَّ لاحَ حَمَائلا ... وغَدا لمُخْضَرِّ الرِّياض حمائلا
. . . . سقى مـنْ ريقه ... درياق أفعى الشَّعْر صبًّا باطَلا
والـرُّوضةُ الغنّاءُ تجمعُ شَمْلَنَا ... . أنْ تـراهُ زائلا
حلو المراشف والمعاطف لم يزلْ ... . لكَ المعسول منهُ . . . .
ولقدْ رأيتُ . . . . غُصنًا منَ الرمان أضحى حاملا
وتكاد . . . . عقاربُ صُدْغه ... منْ حيثُ تلبسني الحياة قواتلا
بحرٌ به السلسالُ أزرقُ صافيًا ... تُرى على الحَصْباء منهُ سَلاسَلا
ما إنْ يسيلُ منَ الجُفُون مَنَاصلاً ... حتَّى تراهُ بهديهنَّ مناصَلا
وبخدِّه الوَرْدُ الجنيُّ مُضاعَفًا ... وبثغره الوردُ الجنيُّ مَناهلا
ولكَمْ وَقفتُ ببابه ذا حاجة ... لما رأيتُ الدَّمْعَ منِّي سائلا
ولكم رأيت . . . .
كالمُغْزِل الأدماء إلاّ أنَّه ... أدْمَى قلوبَ العاشقين مُغازلا][1]

وكتب إلى أخيه الملك الصالح، يتقاضاه دينًا له عليه ويتشوق : [من البسيط]

أسْتغفرُ اللهَ لا إثْمٌ ولا سَفَهٌ ... إذا تأوَّهَ للأسْقام مفؤودُ
وللشُّجون حَديثٌ في روايته ... عَن الغَريب غَريبٌ منْهُ مَسْنُودُ
ولَفْظَةٌ لاَ تَلُمْني إذ أبُوحُ بهَا ... فَرُبَّما بَاحَ بالأسْرار مَفؤودُ
ولا بها وَحْشَةٌ كَلاّ ولا حَرَجٌ ... لكنَّ مؤنسَها من دُونه البيدُ
ولاَ بصالحها مولايَ شائنةٌ ... تَسُرُّ شانئَهُ إذْ طبعُه الجودُ
/ ١٣٥أ/ لكنَّما الزُّهْدُ منْهُ لا يُنْجِزه ... ففي مواعيده مَطلٌ وتَفْنيدُ
فَقُلْ لهُ عن أخيه غيرَ مُحْرجه ... أسيرُ وَعْدكَ في الأغلال مصْفُودُ
وكَيْفَ وَهْوَ سُلَيمانٌ تُماطلَه ... أمَا عَلمْتَ شَفيعٌ فيه داودُ ؟

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

وَقَـد دَعـاهُ إلـى أوطـانـه زَمَـنٌ بجـود كَفِّـكَ فيـه أورقَ العُـودُ
حيثُ النَّسيمُ علـى ضَعْـف يُجاذبُـه والطَّيـرُ فيـه لـدى الأشجار غـرِّيـدُ
والـرَّوضُ قـد رَاضَـت الأنـواءُ شـامسَـه ففـي خَمـائلـه فَـرْشٌ وتَمهيـدُ
وللفُـرات وَقَـد أمـدَدْتَـه كَـرَمـاً فَيْـضٌ بـه كـلُّ عـام منْـكَ مَـوعـودُ
أعطتْـهُ نَشْـوَتَهـا الأغصـانُ نـائلَـةً فَمـاؤُهُ صَخـبُ الآذيِّ عـربيـدُ
كـأنَّمـا سُفْنُـه الأحـداقُ جـائلَـةً لهـالـك الثَّغْـر تَصـويـبٌ وتَصعيـدُ
تُجْلـى اللـدائـنُ فـي التيـار مُقْلَعـةً فكـلُّ لَـدْن عَلَيـه النـدُّ معقـودُ
والطَّـرفُ والطِّـرفُ فـي مَيـدانـه أبـداً كـلٌّ إلـى سَبْـق الغـايـات مَطـرودُ
فـاْستَغْنـم الأجـرَ فمـن لا يُبلِّغـهُ إلـى الأحبَّـة إلا الضُّمَّـر القُـودُ

[١٩٢]

سُلَيمانُ بنُ عَبْد الله بن عبْد المؤمن بن عليٍّ، الأميرُ السَّيِّدُ الفاضلُ، أبو الرَّبيع[(١)]، وجَده / ٣٥ب/ المستولي على بلاد المغـرب[(٢)].

حدثني شيخ الشيوخ ابن حمويه[(٣)] بمدينة دمشق سنة أربعين وستمائة قال: لما وردت إلى مراكش، كان الأمير أبو الربيع في تلك المدة على مدينة سِجلْماسة[(٤)]

(١) كان فصيحًا بالعربية والبربرية، له شعر بالعربية في «ديوان ـ خ» صغير بخزانة الرباط برقم ١٩/٢، جمعه بأمره كاتبه محمد بن عبد الحق الغساني وسمّاه «نظم العقود ورقم الحلل والبرود» وطبع مؤخراً في تطوان، وصنّف «مختصر الأغاني ـ خ» الجزء الأول منه في القرويين بفاس، ويُعَدّ في أدبه من مفاخر بني عبد المؤمن.
ترجمته في: الوافي بالوفيات ٣٩٦/١٥ رقم ٥٤٤ وفيه: «توفي سنة عشر وستمائة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠هـ) ص٣٩٧ ـ ٣٩٨ رقم ٥٥٧. الغصون اليانعة ١٣١. نفح الطيب ٢/ ٧٤٠ ـ ٧٤٢. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٢٩٩، ٣٤٦، ٣٧٥، ٣٧٨. اللسان العربي ١٠/ ٣: ٣٠٧. ذكرات مشاهير المغرب/ الرسالة العاشرة. الأعلام ١٢٨/٣.
(٢) في هامش الأصل: «توفي سنة تسع وستمائة».
(٣) هو عبد الله بن عمر بن علي بن محمد السرخسي (٥٧٢ ـ ٦٤٢هـ)، مؤرخ، باحث، خراساني الأصل.
ترجمته في: نفح الطيب ٢/ ٧٣٧. مرآة الزمان ٨/ ٧٤٨. الأعلام ٤/ ١١٠.
(٤) سجلماسة: مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان.
انظر: معجم البلدان/ مادة (سجلماسة).

وأعمالها واجتمعت به حين قدم إلى مراكش بعد وفاة السيد أبي يوسف، يعقوب بن يوسف[١]، لمبايعة ولده محمد[٢]، وزرته في داره لعلمه وفضله، فرأيت شيخًا بهيّ المنظر، حسن المخبر، فصيح العبارة باللغتين، متمكنًا من البراعة والبلاغتين، بلغني أنه كان يملي على كاتبه الرسائل الصَّنيعة بغير توقف، وإذا عرض له أمر يحتاج إلى الخطابة اخترعه بلا تكلف، وكذلك يفعل في اللغة البربرية، إلا أنني لم أسمعه يتكلم إلا بالعربية.

فمن كلامه قوله في جواب رسالة إلى ملك السودان بغانة وأعمالها، ينكر عليه تعويق تجار، وردوا عليه من المغرب. قال لكاتبه: أجبه عن كتابه، واكتب إليه في أثنائه:

«نحن نتجاوز بالإحسان، وإن تخالفنا في / ١٣٦أ/ الأديان، ونتفق على السيرة المرضية، ونتألف على الرفق بالرعيَة، ومعلوم أن العدل من لوازم الملوك، في حكم السياسة الفاضلة، والجور لا يعانيه إلا النفوس الشريرة الجاهلة.

وقد بلغنا احتباس مساكين التجار، ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده، وتردد الجلابة إلى البلاد مفيد لسكانها، ومعين على التمكن من استيطانها، ولو شئنا لاحتبسنا [من] في جهاتنا من أهل تلك الناحية، ولكننا نستصعب فعله، ولا ينبغي لنا أن ننهىٰ عن خلق ونأتي مثله. والسلام».

ووقع إلى عامل له، كثرت الشكاوى منه:

«قد كثرت فيك الأقوال وإغضائي عنك رجاء في أن تنصلح، فتنصلح الحال،

---

(١) المنصور المؤمني (٥٥٤ ـ ٥٩٥هـ) من ملوك الدولة المؤمنية في المغرب الأقصى، ومن أعظمهم آثاراً.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٣٢٥. نفح الطيب ٢/ ٧٣٨، ١١٨٨. تأريخ طرابلس الغرب ٨٨. الأعلام ٨/ ٢٠٣. وفيه قائمة بمصادره.

(٢) محمد بن يعقوب بن يوسف الناصر لدين الله (ت ٦١٠هـ) من خلفاء دولة الموحدين، كان له المغرب الأقصى وإفريقية والأندلس.
ترجمته في: الاستقصا ١/ ١٨٩ ـ ١٩٤. الحلل الموشية ١٢٢. دول الإسلام للذهبي ٢/ ٨٥. الأعلام ٧/ ١٤٥.

وفي مبادرتي إلى ظهور الإنكار عليك [ينسيني] إلى سوء الاختيار، فاحذر فإنك على جرف هارٍ».

ومن شعره المشهور، قصيدة يمدح فيها السيد يعقوب بن يوسف، وهو ابن عمه، وولي نعمته[1]: [من الكامل]

هَبَّتْ بنَصركُمُ الرِّياحُ الأربَعُ ... وَجَرَتْ بسَعْدكُمُ النُّجومُ الطلَّعُ
فأمَدَّكَ الرحمنُ بالفَتْحِ الذي ... مَلأَ البَسيطةَ نورهُ المتَشعْشعُ
/٣٦ب/ لِمَ لا وأنتَ بَذَلْتَ في مَرْضاته ... نفساً تُفَدِّيها الخلائقُ أجمَعُ
وَمَضَيْتَ في نَصْرِ الإلهِ مُصَمِّماً ... بعَزيمةٍ كالسّيفِ بلْ هي أقطعُ
لله جَيْشُكَ والصَّوارمُ تُنْتَضَى ... والخَيلُ تجري والأسنَّةُ تَلمَعُ
مِنْ كُلِّ مَنْ تقوى الإلهِ سلاحُهُ ... ما إنْ لَهُ غَيْرُ التوكُّلِ مَفْزَعُ
لا يُسْلِمونَ إلى النَّوازِلِ جارَهُمْ ... يوماً إذا أضحى الجِوارُ يُضَيَّعُ

يقول فيها ويصف انهزام العدو:

إنْ ظَنَّ أنَّ فرارَهُ مُنْجٍ لهُ ... فبجَهْلِهِ قدْ ظَنَّ ما لا يَنْفَعُ
أينَ المَفَرُّ ولا فرارَ لهاربٍ ... والأرضُ تُنْشَرُ في يَدَيْكَ وَتُجْمَعُ
أخليفَةَ الله الرَّضِيَّ هَنِيَتَهُ ... فَتْحٌ يُمَدُّ بما سِواهُ ويُشْفَعُ
فَلَقَدْ كسَوتَ الدِّينَ عزّاً شامخاً ... ولَبِسْتَ منه أنتَ ما لا يُخْلَعُ
هَيهاتَ سِرٌّ الله أودَعَ فيكُمُ ... والله يُعطي مَنْ يشاءُ ويَمنَعُ
لكُمُ الهُدَى لا يدَّعيهِ سِواكُمُ ... ومَنِ ادَّعاهُ يقولُ ما لا يُسْمَعُ
إن قيلَ مَنْ خيرُ الخلائقِ كُلِّها؟ ... فإليكَ يا يعقوبُ تُومي الأصبعُ
إنْ كنتَ تَتْلُو السَّابقينَ فإنَّما ... أنْتَ المُقَدَّمُ والخَلائقُ تَتْبَعُ
/٣٧أ/ خُذْها أميرَ المؤمنينَ مَديحةً ... مِنْ قَلْبِ صِدْقٍ لمْ يَشُبْهُ تَصنُّعُ
فالمدحُ منِّيَ في عُلاكَ طبيعةٌ ... والمدحُ مِنْ غيري إليكَ تَطَبُّعُ
واسلَمْ أميرَ المؤمنينَ لأمةٍ ... أنتَ المَلاذُ لها وأنتَ المَفْزَعُ
وعَليكَ يا علَمَ الهُداةِ تحيةٌ ... يفنى الزمانُ وعَرفها يَتَضوَّعُ

---

(١) بعض أبياتها في تاريخ الإسلام ص٣٩٧ ـ ٣٩٨.

وأنشدني ابو محمد عبد الله بن أحمد بن يوسف الغرباني قال: أنشدني عبد الرحمن بن محمد الجزولي قال: أنشدني السيد أبو الربيع لنفسه: [من الوافر]

لقــاؤُكَ صيَّــرَ الأيــامَ عيــدا ... وأنشــأ حُسْنَهــا خَلقــاً جــديــدا
وَقَــدَّ مــنَ الأديــمِ لهــا خَــلاءً ... تَمــايَسَــت المُنَــى فيهــا قُــدُودا
وراءَ مــنَ الظَّــلام عــروسَ زنْــجٍ ... تَحلَّــتْ مــن كَــواكبــه عُقُــودا
فَقــالَ العــاقلــونَ: ألــمَّ مــوسَــى ... وقــال الجــاهــلُ: العيــدُ ٱستُعيــدا
وكلُّهــم أثــارَ قُضــاةَ صــدْقٍ ... يُقيــمُ بهــا لــدَعــواهُ شُهــودا
تَعطَّــر قُــرْبَ مَســراهُ فــداســت ... بــه الفُــرســانُ مسْكــاً لا صَعيــدا
وهَمَّــت أن تَخــرَّ لــهُ الــدَّراري ... فتلقــاهُ رُكــوعــاً أو سُجــودا
/ ٣٧ب/ ولــو حُــذيَــتْ مَطــايــاهُ خُــدوداً ... وأرضــاه حَــذَونــاهُ الخُــدودا
نُحيِّــي مــن أبــي عمــران بَــدراً ... نُلَقَّــى فــي مَطــالعــه السُّعــودا
تــأنَّقــت الفَضــائــلُ فيــه لَمَّــا ... أتــاحَ الله منــه لهــا الــوُجُــودا
ورامَــت أن تَــزَيَّــد فيــه حُسْنــاً ... فَلَــم يَــدَعِ الكَمــالُ لهــا مَــزيــدا
يُفنَّــدُ مَــنْ يَــرومُ لــهُ لَحــاقــاً ... ويُعْــذَرُ مَــنْ يَبيــتُ بــه مَسُــودا
ومــا عَــدمَــتْ بــه الأيــامُ شيئــاً ... يُسَــرُّ بــه ســوى ألَّا يَبيــدا
لعــلَّ مُصَيِّــر الــدُّنيــا جنــانــاً ... بــه يَقضــي لــهُ فيهــا ٱلخُلــودا

وله: [من الكامل]

يــا ســائلــي مــالــي أراكَ ضَئيــلا ... إنــي أظُنُّــك بــالهَــوى مَشْغُــولا
وأرى فُــؤادَكَ مثــلَ بَــرْق خــافــقٍ ... وأرى دُمــوعَــك قَــدْ جَــريْــنَ سُيــولا
هــذي شَمــائــلُ مَــنْ جَفَّــاهُ حَبيبُــهُ ... أتــريــد أن أمضــي إليــه رَسُــولا ؟
إي وٱلعليــم بمَــا تُكِــنُّ جَــوانحــي ... فــٱذهــبْ هُــديــتَ إلــى الــرَّشَــاد سَبيــلا
وَزُر الــدِّيــارَ إذا وَصَلــتَ مُسلِّمــاً ... وانــدبْ بهــا قَلبــي الصَّــديــعَ طَــويــلا
واقــرَ الــسَّــلامَ علــى ٱلــوفَ وقُــلْ لهــا ... بتَلطُّــف إحْيــي فُــديــت قَتيــلا
قَتَلتــهُ أسهــمُ لَحظــك الجــانــي فمــا ... أبقيــنَ فيــه ســوى السَّقــام دخيــلا
/ ٣٨أ/ قالت فَسِرْ نحوَ الحبيبِ وقُل لهُ ... بــي مثــلُ مــا بَــكَ فــاطَّــرِحْ مــا قيــلا

[١٩٣]

سُليمانُ بنُ داودَ بنِ نخلةَ المَوصليُّ السلميُّ، المعروف بابن الكيمائية:

كان ذا شعر رقيق.

ومات في سنة سبع وستمائة.

أنشدني محمد بن العباس الموصلي قال: أنشدني سليمان بن داود لنفسه:

[من الطويل]

أَلمَّتْ صَبا نَجْدٍ بنا فَنَما ٱلوجدُ ... تُخَبِّرُنا ما قالَهُ البانُ والرَّنْدُ

أتتْ سَحَراً والليلُ مُرخٍ سُتورَهُ ... عَنِ الصُّبْحِ والجوزاءُ فُضَّ لها عقْدُ

عَليلَةَ أنفاسٍ تُداوي بقُربِها ... عليلاً أذاقَتْهُ تَباعُدها هنْدُ

تَنمُّ على هِنْدٍ كأنَّ نَسيمَها ... يُنَشَّرُ فيهِ من مَلابِسِها بُرْدُ

وعَهْدي بها تُدنيَ الخَيالَ وبيننا ... فَدافِدُ قَفْرٍ يَقْطَعُ الإبِلَ الوَخْدُ

فَما بالُها ضنَّتْ بطَيْفِ خَيالِها ... وما ذاكَ إلاّ أنَّهُ نُقِضَ العَهْدُ؟

خليلَيَّ مَهْلاً كُلُّ أرضٍ لَها هوًى ... نَعَمْ والهوى العُذْرِيُّ مَعْدِنُهُ نَجْدُ

أُكرِّرُ ذِكرَ الأجرَعِ الفَرْدِ كُلَّما ... شَدا طائلاً والعلَّةُ الأجرَعُ الفَرْدُ

سَقَى المَوْصِلَ الحَدْباءَ كُلُّ مُجلجِلٍ ... سَحائِبُهُ يَحدو بها البَرْقُ والرَّعْدُ

/٣٨ب/ ليُفعَمَ واديها ويخْضَرَّ عُودُها ... ويَزْكُو على أجراعِها البَقْلُ والجَعْدُ[1]

[١٩٤]

سليمانُ بنُ إبراهيمَ بن الخَضر بن محمد بن الحسينِ، أبو الربيعِ المَوْصِليُّ، المعروفُ بابنِ الشَّيرَجيِّ المؤدِّب:

من بيت علم وفضل، كان له مكتب يعلم فيه الصبيان، وكان من أهل الدين والصلاح، عفيفًا، ثقة، يرغب الناس فيه لسداده وخبرته، وكان خبيراً بالحساب

---

(١) الجعد: نبت على شاطىء الأنهار، وقيل: نبت في الجبال.

والفرائض، مع معرفة بعلم الأدب والعربية، وقول الشعر السهل، ينظم المقطعات، ويمدح بها الأكابر.

أنشدني أبو العزّ يوسف بن محمود بن سلطان الموصلي قال: أنشدني مؤدبي سليمان بن إبراهيم لنفسه: [من الرمل]

جُمعَتْ فيكَ خِلالٌ جَمَّةٌ الوَفا والجودُ ثمَّ الكرمُ
وعَفافٌ وحَياءٌ وتُقًى وسَماحٌ وعُلاً مُنْتظِمُ

وأنشدنا عماد الدين قال: أنشدنا الشيخ أبو الربيع سليمان بن إبراهيم ابن الشيرجي لنفسه: [من المتقارب]

/ ٣٩أ/ ألا ما تَرَىٰ فعلَ هذا ٱلمَطَرْ ؟ أثارَ النَّباتَ وأنمىٰ الشَّجر
وأغنىٰ العِبادَ وأحيا البِلادَ وَجَدَّدَ للمُمْلقِينَ الوَطَرْ

وأنشدني أيضًا قال: أنشدنا لنفسه، وألقاها على صبيان المكتب، فأنشدوها في الحذَاق: [من الرجز]

صُبِّحْتُم بالسَّعدِ يا آلَ سَعْدِ ما هَطَلَ الغَيْثُ بِزَجْرِ الرَّعدِ
وقَرَّ عَيْناً يا زكيَّ الدِّينِ بالوَلَدِ المبارَكِ الأمينِ
الكَاتبِ الحَاسِبِ ذي الفُنونِ ونُزْهَةِ الأَبصارِ والعُيونِ

[١٩٥]

سُليمانُ بنُ الفَضلِ بنِ سُليمانَ بنِ الحسينِ بنِ إبراهيمَ، أبو المحاسنِ الدمشقيُّ المَعروفُ بابنِ البانياسيِّ.

أخو القاضي نبأ قاضي حلب.

حدثني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أبي الحسن الحنفي ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال: قدم علينا أبو المحاسن حلَب، رسولاً من الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ إلى الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف / ٣٩ب/ ـ رحمه الله ـ واجتمعت فيها به، بدار والدي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ ولم يتفق لي سماع شيء منه، واجتمعت به مراراً بدمشق بعد ذلك.

وكانت ولادته سنة خمس وخمسمائة، توفي بدمشق في السنة التي مات فيها الملك العادل ـ رحمه الله ـ وكانت وفاته سنة أربع عشرة وستمائة.

أنشدني النجيب نصر الله بن أبي العزّ بن أبي طالب الشيباني الدمشقي الصفار بمحروسة دمشق بمسجدها الجامع، يوم الأحد سابع ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة قال: أنشدني أبو المحاسن لنفسه في جزار رآه وفي يديه مدية: [من السريع]

يا جَازراً في يَده مُدْيَةٌ مَنْ لي بأنْ أطمعَ في وَعْدكْ؟
مكِّنْ فَمِي من قُبْلَةٍ مرَّةً في الخَدِّ واذْبحْني على زَنْدِكْ

[١٩٦]

سليمان بن بُلَيمانَ بن أبي الجَيش بنِ عَبْد الجبار بن بُلَيمانَ الصَّائِغُ، أبو الربيعِ الإِربلي(١):

أخبرني أنه ولد سنة تسعين وخمسمائة برَعْبان(٢)، من نواحي حلب.

من [كتّاب] إنشاء الأربليين وهو أحد من / ١٤٠أ/ لقيت بها من المتأدبين.

شاب قصير لطيف الخلق، خفيف اللحية والعارضين، ذو حركات موزونة، ونوادر بالدعابة والمجون معجونة، صاحب أهاج ومدح، ومحاضرات وملح، ولم يزل يترامى إليّ القريض بصحة فهمه، حتى صار له طبع في إنشائه ونظمه، واستظهر من

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٥/ ٣٥٦ ـ ٣٥٨ رقم ٥٠٥، وفيه: «سليمان بن بُنَيمان بن أبي الجيش بن عبد الجبار بن بنيمان، الأديب، شرف الدين، أبو الربيع الهمداني ثم الإربلي..». فوات الوفيات ١/ ٣٥٠ ـ ٣٥٢. النجوم الزاهرة ٧/ ٦٨٦. شذرات الذهب ٥/ ٣٩٥. البداية والنهاية ١٣/ ٣١٠ وفيه: «سليمان بن عثمان». تذكرة النبيه ١/ ١١١. السلوك ج١ق٣/ ٧٣٨ ـ ٧٣٩. ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٢١ ـ ٣٢٧. تالي كتاب وفيات الأعيان للصقاعي ٨٠ ـ ٨٢ رقم ١٢١. مستدرك العبر ٣. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٨١ ـ ٦٩٠هـ) ص٢٦٣ ـ ٢٦٤ رقم ٣٨١. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٨٦، ٢٨٧. المختار من تأريخ ابن الجزري ٣٢١. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٧٦. المنهل الصافي ٦/ ٢٤ ـ ٢٦ رقم ١٠٨١. الدليل الشافي ١/ ٣١٧ رقم ١٠٧٨. عيون التواريخ ٢١/ ٤٠٣ ـ ٤٠٦. عقد الجمان ٢/ ٣٦٦.

(٢) رعبان: مدينة بالثغور، بين حلب وسميساط قرب الفرات.
انظر: معجم البلدان/ مادة (رعبان).

الأشعار أحسنها وأفصحها، ومن غرائب الحكايات ألطفها وأملحها، جاري اللسان في الحديث، وإذا حضر مجلسًا لم يرض أحداً فوقه في الكلام إلا وهو مستمع قوله، فتراه إذا أنشد يتشدق في إنشاده، ويحترز من اللحن في إيراده، ويستغرق في الثناء ويأتي به من المنظوم والمنثور، ويستحسنه غاية الاستحسان والظهور، فتارة يشير بيده، ومرّة يحرك رأسه، وطوراً يهزّ منكبيه، ثم لا يرىٰ السكوت عن نادرة تقع له في محفل ناس ولو أن فيها إراقة دمه[١].

فمن شعره ما كتبه إلى المولى الأمير الكبير الأصفهسلار عماد الدنيا والدين أبي المحاسن يوسف بن الأمير الكبير علاء الدين طاي بغا، متولي حلب أعلى الله قدره:

[من الطويل]

/٤٠ب/ ألا يا عمادَ الدِّين والمالكُ الذي ... له راحةٌ تُربي على صيِّب القطرِ
وأروعُ طلّاعُ الثَّنايا مَحلُّهُ ... وهمَّتُه أعلى من الأنْجُم الزُّهرِ
وبحرُ نوالٍ لا يَغيضُ قَرارُهُ ... وليثُ وغًى يُعْدي على نُوَب الدَّهرِ
لَئن غبتُ يومًا عن فناكَ فإنَّ لي ... ثَناءً يفوقُ الدُّرَّ بالنَّظْم والنَّثرِ
فلا زلتَ محمودَ العوارفِ ما شَدَتْ ... مُطوَّقةٌ ورقاءُ في الوَرَق الخُضْرِ

أنشدني يمدح الوزير الصاحب شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ:

[من الكامل]

هل عند سُكان اللِّوىٰ والأجرَعِ ... علمٌ بما تُطوىٰ عَلَيْه أضلُعي ؟
أمْ هَلْ دَرَىٰ ذاكَ الغَزالُ بأنَّني ... بَاكٍ على آثار تلكَ الأرْبُعِ ؟
سَكَنَ، اللِّوىٰ وله فُؤادي مَنْزلٌ ... ورَعَىٰ النَّقا ومياهُهُ من أدمُعي
نـاء يُمثِّلُه الضَّميرُ وإنْ غَدا ... يُحمىٰ بأطراف الرماح الشُّرَّعِ
إنْ يُمس مَمْنوعَ الجَناب فإنَّني ... فيه أخو خَوفٍ وقَلبٍ مُوجَعِ
يَا سَعْدُ قِفْ بِلوَى المحصّب ناشداً ... قَلْبًا يَسيرُ مَعَ الخَليطِ المُزمِعِ

---

(١) في هامش الأصل: «وقف الشيخ الأديب الأوحد العالم الفاضل شرف الدين أبو الربيع سليمان بن بنيمان على ترجمته هذه وقرأها وأنا أسمع واعترف بما نُسب إليه، ثم قرأت عليه ما ذكر له من الشعر واعترف به، وذلك بالمط. . . . من دمشق في يوم الأربعاء منتصف صفر سنة إحدى وسبعين وستمائة، وكتب علي بن عبد الكافي ابن عبد الملك الربعي عفى عنه».

ومُسائلاً هل أقْفَرتْ من بَعدنا ... أرضُ الحمَى من أهل ذات البُرْقُع ؟
إني لَيُطربُني الحَمامُ إذا شدا ... سَحَراً وأهفُو للبُروق اللُّمَّعِ
/ ٤١أ/ ويشوقُني مرُّ النَّسيم إذا سَرى ... منهُم وتَتبعُه سَحائبُ مَدْمَعي
هَل مُسْعدٌ لي في البُكاء عليهمُ ... أمْ هل يُفيدُ تلهُّفي وتَوجعي ؟
كيف السَّبيلُ ولي رُقادٌ نافرٌ ... من بَعدهم وَسُهادُ جَفْنٍ طَيِّعِ ؟
أتراكَ ما تُجدي عَلَيْكَ شكايةٌ ... من بَعدهم لِرُسوم رَبْع لَا تعي ؟
خَفِّضْ وَدَعْ عَنْكَ التَّعلُّل بالمُنى ... واعدل إلى ربِّ الجناب الممرع
نَجْل ابن مَوْهوب الوَزير وماجد ... شادَ الفَخار وذي المَحَلِّ الأرفَعِ
جُبلَتْ على حُسْنَ الفعال طباعُه ... فأتَتْ خلائقُه بغَير تَطَبُّع
فإذا أتيتَ حماهُ فاسجُدْ واقْترب ... فَهناك آمالُ البَرايا تَرْتَعي[(١)]
فإلَى أبي البَركات تَخْترقُ الفَلا ... هوْجاءَ تطوي كل قفر بلقع
تبغي [تحجُّ بنا] لأروعَ ماجد ... وأعزّ مُنتَجَع وأعذب مَشْرَع[(٢)]
[مَولى تَفَرَّدَ بالمَكارم والعُلاً ... وسَما بقَوم كالنُّجوم الطُّلَّع][(٣)]
زُهْر [الوجوه] عَريقةٌ أنسابُهُمْ ... شَادوا الفَخارَ بكُلِّ لَيْث أروَع[(٤)]
تُغنيكَ سَطْوةُ عَزْمه يَوْمَ الوَغى ... عن كلِّ مَسنُون السِّنانٌ مُدرَّعِ
شَرَفٌ لَه بُرْجُ السعادة مَنْزلٌ ... نَاهيكَ من مَرْأى لَديه وَمَسْمَع
فبه أصولُ على الخُطوب وأجتلي ... وَجْهَ الزَّمان وفيه يَصْدُقُ مَطْمَعي
وَبذكره يَسمو القَريضُ فَمَدْحُهُ ... أمسى يَشوقُك لَا ظباءُ الأجرَعِ

/ ٤١ب/ وأنشدني لنفسه في البهاء ابن صامح، ويذكر أنَّ أصله كان يهوديًا، وأنه لا يفي بعهد مسلم: [من الكامل]

لا تَطلُبنَّ من البَهاءِ مودَّةً ... فَلَقَد ثَنَتْه عن الجميلِ جُدودُ

---

(١) اقتباس من سورة العلق: الآية ١٩.
(٢) ما بين المعقوفتين مطموس في الأصل، وما أثبتناه حسب قراءة د. القيسي والدليمي.
(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٤) ما بين المعقوفتين مطموس في الأصل، وما أثبتناه حسب قراءة د. القيسي والدليمي.

واعْذِرْهُ إنْ خانَ الودادَ وضُيِّعتْ يوماً لديه مواثقٌ وعُهودُ
فَشِعارُهُ أنْ لا يَفي لخليلهِ ومتى وَفَتْ للمُسلمين يَهودُ؟

وأنشدني أيضًا يمدح الصاحب شرف الدين أبا البركات: [من الطويل]

ألا قُلْ لمنْ يَبغي الغنى مُتَطَلِّباً وتعنَقُ في نَيْلِ الأماني رَكائبُه[1]
رِد المنهلَ العذبَ الذي طابَ وِردُهُ وراقتْ على كُلِّ [المياه مشارِبُه]
متى شِمْتَ برقاً للوزيرِ تَدَفَّقَتْ عليكَ غوادي جُوده وسَحائِبُه
وإنْ أنتَ وافيتَ المُباركَ طالباً لرِفْدٍ تلقَّاكَ الذي أنتَ طالِبُه
جَوادٌ جَرى في حَلْبَةِ السَّبْقِ والنَّدى وَفاضَتْ على كُلِّ الأنام مواهِبُه
هُوَ الغَيْثُ يَروي كُلَّ صادٍ على الثَّرى هُوَ البَحْرُ حَدِّثْ ما أرَتْكَ عَجائبُه
تَرَقَّعَ عَنْ حَدِّ القياسِ مَديحُهُ كما ارتَفَعَتْ فوقَ السِّماكِ مَراتِبُه
/٤٢أ/ وكُلُّ لِسانُ الشُّكْرِ في وَصفِ ماجدٍ تَفَرَّدَ حتَّى ما تُعَدُّ مَناقِبُه
يُنيلُكَ مِنْ قَبْلِ السُّؤالِ تكَرُّماً ويُعطيكَ أضعافَ الذي أنْتَ طالِبُه
ولمَّا رأيتُ الدَّهْرَ يَعنو لأمرِه وما في بَنيهِ رَبُّ فَضْلٍ يُناسِبُه
خَطَبْتُ لَهُ أبكارَ نَظْمي لأنَّهُ يحقُّ لَهُ مِن كُلِّ مَدْحٍ غرائِبُه

وأنشدني أيضًا فيه ـ رحمه الله ـ: [من الكامل]

يا أيُّها المَولى الوَزيرُ وماجدٌ في كَفِّه البيضاءِ خَمسةُ أبحُرِ
وَرَضيعُ دَرِّ المكرُماتِ وَمَن لهُ جُودٌ كمُنهَلِّ السَحابِ المُمْطِرِ
فاقَ الأنامَ بهِمَّةٍ مَشكورةٍ وعَزيمَةٍ قُرِنَتْ بسَعْدِ المُشْتَري
وَخَلاقُهُ كالرَّوضِ باكَرَهُ الحَيا فَزَهَتْ خَمائِلُهُ بأحسَنِ مَنْظَرِ
مَولايَ [قد جاءَتكَ] مِدْحَةُ شاكرٍ مُثْنٍ على عَلْيَاكَ غيرِ مُقَصِّرِ
أخْنَتْ عليه صروفُ دَهْرٍ جائرٍ أبداً يَجوزُ على اللَّبيبِ ويَجتري
فلقدْ بعثتُ بها وفي ألفاظِها عَتْبٌ ويَقْنَعُ عَن لقاكَ تأخُّري
إذْ لي ولاءٌ لا يَشوبُ صَفاءَهُ كَدَرٌ وعَهْدُ مَوَدَّةٍ لم تُخْفَرِ
هَبْ أنَّني لا أقْتَضيكَ بنائلٍ أفما تَرى دُرَرَ الثَّناءِ فَتَشْتَري!؟

---

(١) العنق: ضرب من سير الإبل.

فـاقبـضْ شَـواردَ فكـرة ألفـاظُهـا ... تُغْنيـك حُسْنـًا عـن ظبـاء مُحَجَّـر
/ ٤٢ب/ واَسْتُـرْ محاسـنَ وَجْههـا عـن باخـل ... بَـرَزَتْ لـهُ مـنْ بعـد طـول تَخَـدُّر
فـإليـكَ أشكُـو صَـرْفَ دَهـر إنَّنـي ... بـكَ أستَعيـنُ علـى العَـدُو المُفْتَـري
واسلَـمْ ودُمْ فـي خَفْـضِ عَيـش مـا جـلا ... جُنْـحَ الـدُّجـى فَلَـقُ الصّبـاحِ المُسْفِـرِ

وأنشدني لنفسه: [من الخفيف]

قيـلَ لـي لـمْ تَـركـتَ دارَ بهـاء الـدْ ... ديـن ذي الجـود والنّجـار العَـريـق؟[1]
وتَبـدَّلْـتَ صـاحبـًا غيـرَ ذاكَ الـ ... ـمـاجـد السَّمْـح والـوَدود الشَّفيـق
قلـتُ مـا إنْ تَـركتُـهُ عـن كـلال ... بـل تحقَّقْـتُ غـايـةَ التَّحقيـق
إنَّـهُ لا يفـي لخـلٍّ ولا يَـرْ ... غَـب إلا فـي فـاسـق زنـديـق
قـلَّ مـن يَحْفـظُ الـذِّمـامَ ومَـنْ تَلْـ ... ـقـاهُ عَـونـًا فـي كـلِّ أمـرٍ مَضيـق

وأنشدني أيضًا يمدح الصاحب شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ:

[من الوافر]

ألا يـا خـائـضَ اللّيـل البَهيـم ... مُجـدّاً فـي الـذَّميـل وفـي الـرَّسيـم
وَمُفْنـي العُمـرَ فـي خـدَعِ الأمـانـي ... ومَغـروراً بتَسـآل الـرُّسُـوم
إذا جـارَ الـزَّمـانُ عَلَيْـكَ يـومـًا ... وأعْـرَضَ عَنـكَ كُـلُّ أخ حَميـم
ولَـم تَظْفَـرْ بسَمْـح أرْيحـيٍّ ... ولا مَـنْ وجْهُـهُ حُـرُّ الأديـم
/ ٤٣أ/ وأسلَمَـكَ الـرجـاءُ إلـى أُنـاس ... تَـرَفَّـعَ عنـدَهُـم قَـدْرُ اللّئيـم
فَلُـذْ بحمـى ابـن مـوهُـوبَ المُـرَجَّـى ... أبـي البَـركـات ذي الطَّـوْل العَميـم
حمـى يُنْجيـكَ مـنْ صَـرْف اللَّيـالـي ... ويَـدْفَـعُ حـادثَ الخَطْـبَ الجَسيـم
جَـوادٌ لا يَمَـلُّ مـنَ العَطـايـا ... سَحـاب نَـداهُ مُـرْتَجَـزُ الغُيـوم
لَـهُ شَـرَفٌ علـى كُـلِّ البَـرايـا ... وَمَجْـدٌ فـوقَ مَـرْتبَـة النُّجـوم
تَـزيـد بمَـدحـه الأشعـارُ حُسنـًا ... كَحُسْـن الـدُّرِّ فـي العقْـد النَّظيـم
فَغَـنِّ بَـذكْـره وانْشُـرْ ثَنـاهُ ... وَدَعْنـي مـنْ حَـديـث ظَبـا الصَّـريـم
فقـد قَـدمَـتْ بطَلْعَتـه سُعُـودي ... وقـد ذَهَبَـتْ بـرُؤْيَتـه هُمُـومـي

(١) بهاء الدين ابن صامح المذكور آنفًا.

فلا برح الزمان له مطيع آلـ ... أوامر ما سرى وفد النسيم

وأنشدني أيضًا لنفسه فيه يمدحه: [من الكامل]

يا أيها [المولى] الوزير وماجد ... شاد العلاء بجوده وبفضله
ومن الذي بمقاله وفعاله ... أضحى يصول على الزمان وأهله
قد أصبحت أيامنا بك غبطة ... وارتد كل ذوي عمى عن جهله
فلتفخر الدنيا بمجدك ولتطب ... نفسًا فقد سمح الزمان بوصله
مولاي كيف يروم شأوك باخل ... أمسى يضن على العفاة ببذله ؟
/ ٤٣ب/ ويبيح في طلب المآثم ماله ... ويصون حسناه لطالب ظله
يكفيك منه إن حضرت بمجلس ... يثني عليك على ضغائن ذحله
وكفاك حبك للنبي وآله ... من أن تضام وقد علقت بحبله
[لا زال هذا الدهر طوعك دائمًا ... يسعى لديك بخيله وبرجله](١)

وأنشدني أيضًا لنفسه(٢): [من الوافر]

رويدك إن عذلك غير مجدي ... فلا تضرم بعذلك نار وجدي
ففي أذني وقر عن سماع الـ ... ـملام وفي الهوى عي كرشدي
عذولي لا تزد بلواي بلوى ... فسقمي قد تجاوز كل حد
فليس من المروءة عذل صب ... تطير بلبه نفحات نجد
أسير لا يفك له قياد ... بنرجس مقلة وبورد خد
يعيد غرامه ذكر الليال التي سلفت بنعمان ويبدي
ألا يا صاحبي إن كنت ترعى ... مواثيقي الألى وقديم عهدي
علام إذا تألق برق نجد ... يؤرقني خلاف الركب وحدي! ؟
وأسكب عند ملمعه دموعًا ... تفوق السحب إن هطلت برعد
وإن نسمت نسيم الغور تهدي ... إلي أريج حوذان ورند(٣)

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٢) القصيدة كاملة في ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٢١ ـ ٣٢٣ نقلها عن تأريخ إربل في القسم المفقود.
(٣) الحوذان: جمع حوذانة، بقلة من بقول الرياض لها نور أصفر رائحته طيبة.

/ ٤٤أ/ أو ٱرتفعت بأعلى الغور نارٌ   تؤرقني على قُرب وبُعد
أرحني صاحِ من ذكر ٱلبوادي   وخَلِّ عن القباب قباب سعد
فَقَد مَلكَتْ بنو الأتراك رقي   بهَزْل من تَجنّبهم وَجدّ
ظبًا صرعت أُسودَ الغاب فاعجبْ   لآرامٍ لأُسْد الغاب تُردي
بدور دجًى أقلّتها غصونٌ   غنوا عن كل خطّي بقَدّ
يحل عزيمتي أنّى تصدّوا   بحلّ من بنودهمُ وشدٍّ
كَلفْتُ بهم ولا كلَفي بمولًى   أسيرُ إليه في حَلٍّ وعَقْد
خَدين المكرمات أبي العطايا   إلى طُرُق الندى مَن ظلّ يهدي
فكم سيَرٍ لغرس الدين سارت   عن العافين من شُكر وحَمد
له [أيدٍ على كل] البرايا   ولا سيّمَا خلافَ الناس عندي[1]
[سَخا في المكر] مات جدود صدق   صناديد الوغى وبُناة مجد[2]
لهم في المنتدى حلم الرواسي   ويوم الرّوع سطوة كلِّ وَرْد[3]
أداود الذي لولاه ضاقت   لديَّ مذاهبي وأُسيغَ وِردي
ومن بمديحه ذهبَت نُحوسي   وأقبلَ حيثما يمَّمت سعدي
أتاكَ العيد يأذن بالبقاء الطُويل وكلّ إقبال وجد
/ ٤٤ب/ تهَنَّ به ودُمْ مادامَ رَضوى   على رَغم الحَسود وكلّ ضدّ

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلى بعض الرؤساء: [من الوافر]

أيا مولى زكا أصلاً وفرعا   وجاد فما له في الجود ثاني
ومن في راحتيه للمعادي   وللراجي ٱلمنايا والأماني
لقد عمَّت مكارمُك ٱلبرايا   ولكن قد تخطّت عن مكاني
وما خابت قداحي فيك لكنْ   أرى الحرْمانَ من ذَنب الزَّمان
وما أشكو سوى حظّي وإنّي   أُعيذَ علاك بالسَّبع ٱلمثاني

---

(١) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وما أثبتناه من ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٢٣.
(٢) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل وما أثبتناه من ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٢٣.
(٣) الوَرْد: الأسد.

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الوافر]

ألا يا أيُّها المولى المرجَّى ... وَمَنْ حازَ المكارمَ والمعالي
وبحرٌ للوَرَىٰ في راحَتَيْه ... سَحابُ الجُود مُنْهَلُّ العَزالي
إذا ما يَمَّم العافي حِماهُ ... كَفَاهُ نَداهُ عن ذُلِّ السُّؤال
وإن بَلَغتْ إليه بنا المطايا ... فإنَّا بعد ذلك لا نُبالي
لقد حَسُنَتْ به الأيامُ حتى ... ليالِيها أضاءتْ كاللآلي
له القلم الذي أنَّى انتضاهُ ... تَدينُ لبأسه سُمْرُ العَوالي
وعَزمٌ يملأُ الآفاقَ رُعْبًا ... تُقَصِّرُ دونَه بِيْضُ النِّصال
/ ١٤٥أ/ سَما نحو العُلا مُذْ كانَ طفلاً ... فأصبحَ فيه جِيدُ الشِّعر حالي
ومُذْ حَلَّتْ بِمَرْبَعه ركابي ... أمنتُ بذاكَ حادثةَ الليالي
أيا مولايَ تاجَ الدِّين إنِّي ... أُعيذُ عُلاكَ من عَيْنِ الكَمال
أمانًا لي من التَّقصير إنِّي ... أُجِلُّكَ عن شَبيْهٍ أو مثال
وعفوًا عن تَجاهُلِ وَصْف مَدْحي ... لأنَّ العَفْوَ من شِيَمِ المَوالي
ولا زالتْ نُجُومُكَ في سُعُودٍ ... وأمرُكَ نافذ الأحكامِ عالي

وأنشدني لنفسه في إنسان يعرف بالمريض[1]: [من المتقارب]

وقالوا: المريضُ به خِلْقَةٌ ... وقد كادَ يَتْلَفُ مِنْ فِعْلِها
فَقُلتُ لهم قولَ ذي فِطْنَةٍ: ... تَعُودُ الطِّباعُ إلى أصْلِها

وأنشدني لنفسه: [من الخفيف]

قُمْ بنا يا أخا المكارم نَسْعىٰ ... لارتشاف الطِّلا وعضّ الخُدود[2]
واغتنم غَفْلةَ الزمان وحاذرْ ... أنْ تبيعَ الموجودَ بالمفقود

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

مولايَ تاجَ الدِّينِ عبدُكَ لم يزلْ ... يُثْني عليكَ بنَظمِهِ وبِنَثْرِه

(١) البيتان في ذيل مرآة الزمان ٤/ ٣٢٣ نقلهما عن تأريخ إربل/ القسم المفقود.
(٢) علّق الناسخ عبارة «لثم» على كلمة «عضّ».

/ ٤٥ب/ قد أضحت الدُّنيا بكُمْ مَسرورَةً وصَحا الزَّمانُ وأهلُهُ من سُكْرِهْ
وغَدتْ لجودكَ في الزَّمان سحائبٌ تُربي على فَيْضِ السَّحاب وقَطْرِه
لا فارقَ الاقبالُ طلعتَكَ التي تزهو على حُلَلِ الرَّبيعِ وزَهْرِه
يا جَوهَرِيَّ الشِّعرِ مِدحَةُ مادحٍ وافى بمُخْشلبِ القَريضِ وَشَذْرِه
فاْعجبْ لِقصَّةِ تاجرٍ من جَهْلِهِ جاءتْ إلى هَجَرٍ تجارةُ تمرِه[(١)]

وأنشدني لنفسه من قصيدة في شرف الدين المستوفي: [من الكامل]

شَرَفُ المناصب أن يَحُلَّ صُدُورَها الشَّرفُ المُبارَكُ ذو النَّدى والْجود
مَولًى إذا ذُكرتْ مناقبُ مَجْدِهِ أغْنتكَ عن ذِكْرِ استماعِ العُودِ[(٢)]

ومنها:

مولايَ كم لي فيكَ من مِدَحٍ غَدَتْ أبهى وأحسَنَ من نظامِ فَريد
تُربى على المسكِ السَّحيقِ بنَشرِها وتَفوقُ شعْرَيْ جَرْوَلٍ ولَبيد[(٣)]
لو شام بارِقَها الوليدُ لما انبرى في ذِكْرِ رَمْلَي عالجٍ وَزَرُودِ[(٤)]

---

(١) إشارة إلى المثل القائل: «كناقل التمر إلى هجر». وهجر: اسم لجميع أرض البحرين.
(٢) في هامش الأصل: أورد «حب الحسان الغيد» بدل «ذكر استماع العود».
(٣) جرول: ابن أوس بن مالك العبسي، وهو الحطيئة (ت نحو ٤٥هـ) شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام.
ترجمته في: الشعر والشعراء ١١٠. فوات الوفيات ١/ ٩٩. الأغاني ٢/ ١٥٧. الأعلام ٢/ ١١٨.
لبيد: ابن ربيعة بن مالك العامري (ت ٤١هـ) أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية.
ترجمته في: الشعر والشعراء ٢٣١ ـ ٢٤٣. خزانة الأدب للبغدادي ١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٩. الأعلام ٥/ ٢٤٠.
(٤) الوليد: ابن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري (٢٠٦ ـ ٢٨٤هـ)، شاعر كبير يقال لشعره «سلاسل الذهب» وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، والبحتري.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ١٧٥. معاهد التنصيص ١/ ٢٣٤. تاريخ بغداد ٣/ ٤٤٦. المنتظم ٦/ ١١. الأعلام ٨/ ١٢١.
عالج: رمال بين فَيْد والقُريَّات ينزلها بعض طيء، متصلة بالثعلبية.
انظر: معجم البلدان/ مادة (عالج).
زرود: موضع بطريق مكة بعد الرمل فيه قصر وبركة وآبار.
انظر: معجم البلدان/ مادة (زرود).

أو لـو تـأمَّلها ابـن أوسٍ لـم يَقُـلْ: (أرأيـت أيَّ سَـوالِـفٍ وخـدود)[١]

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من السريع]

/ ١٤٦أ/ قُـلْ لفُلان الـدِّيـن يـا مَـنْ لَـهُ رَشْـح نـدًى يُـربـي علـى ٱلقَطْـرِ
ومَـن لـهُ مَـرْتَبَـةٌ قـد سَمَـتْ فَـوْقَ مَحـلِّ الأنجـم الـزُّهْـرِ
ومَـنْ إذا قَصَّـرْتُ فـي وَصْفِـه فحلمُـهُ يبسُـطُ لـيَ عُـذري
يـا أيُّهـا الصَّـدْرُ الكَبيـرُ الـذي فـاقَ الـوَرَىٰ بـالنَّظْـم والنَّثْـرِ
لقـد تفـرَّدتَ ببكْـرٍ غَـدَتْ عَـذراءَ لـم تُفْـرعْ مَـدَىٰ الـدَّهْـرِ
بـدُرَّة القصّـار لكنَّهـا تَفـوقُ فـي الحسْـن علـى الـدُّرِّ
لَهـا معـانٍ أُودعَـتْ لفْظَهـا تَقْصُـرُ عنهـا دُمْيَـةُ القَصْـرِ[٢]
فـلا تُملِّكهـا لَغيـر امـرىءٍ يَبْـذُلُ فيهـا أوفَـرَ ٱلمَهْـرِ
لأنَّهـا شـادَتْ لأهـل النّهـى مـآثـراً تَبقـى إلـى الحَشْـرِ
وليـس [مَـنْ] يَعـرفُ مقْـدارَهـا إلاّ المَلِيـكُ الأشـرَفُ القَـدْرِ
لا [مثلـه بيـن] الـورى رفعـةً وأعـرفُ العـالـم بـالشِّعْـرِ
لازالَ فـي هـامِ العِـدَا سَيْفُـهُ مـؤيـداً بـٱلعِـزِّ والنَّصْـرِ

[١٩٧]

سليمانُ بنُ جبرائيل بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد بن سعد بن سعيد بن عاصم / ٤٦ب/ بن عائذ بن كعب بن قيس، أبو حامد ابن أبي القاسم العُقَيْليُّ الإربليُّ الفقيه الشافعيُّ، المدرِّس، المُلقَّب بالجُعَل.

ولقب بذلك؛ لأنه كان شديد سمرة اللون.

وقد ذكرتُ والده في كتابي المتقدم المترجم بتحفة الوزراء، المذيل على معجم الشعراء، لأبي عبد الله المرزباني.

---

(١) ابن أوس: أبو تمّام، حبيب بن أوس الطائي. وما بين القوسين صدر بيت تكملته:
«عنت لنا بين اللوى فزرود»

(٢) إشارة لكتاب «دمية القصر وعصرة أهل العصر» لأبي الحسن الباخرزي (ت ٤٦٧هـ).

من أكبر بيت بإربل في الفقه والعلم، سافر إلى البلاد الخراسانية، في طلب العلم، ووصل بخارى وسمرقند، فأقام زمانًا، ثم انكفأ إلى بلده، وصار مدرس الشافعية وفقيهها.

وأُنْفِذَ رسولاً عدة مرات إلى مدينة السلام، من قبل الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه.

وتولع بقول الشعر، ولا طائل له فيه، ويقول منه اليسير. أنشدني لنفسه:

[من الرمل]

لا تَسَلْ عن ذلكَ الربعِ وَسَلْ ... أينَ أربابُ قُدودٍ كالأَسَلْ

لَعِبَ البَيْنُ بِهِمْ فافْتَرَقوا ... آهِ مِن جَورِ زمانٍ ما عَدَلْ

وأنشدني أيضًا لنفسه يرثي صديقًا له: [من الكامل]

/١٤٧أ/ في كلِّ بيتٍ مأتمٌ من فَقْدِه ... فكأنَّهُ للعالَمينَ نَسيبُ

يا أوْحداً فُجِعَتْ بِهِ مُهَجُ الورى ... فبكَتْ عليهِ نَواظِرٌ وقُلوبُ

رَوَّى ثَراكَ وآنسَتْكَ تَحيَّةٌ ... تَغْدو على طُولِ المَدى وتَؤوبُ

[١٩٨]

سليمانُ بنُ أبي طالب بن عيسى بن حامدِ الخيَّاطُ، أبو الرَّبيعِ البلديُّ، المعروف بابنِ بُصَيْلة[1].

رأيته شابًا أشقر طويلاً أبيض، يخضب بالحناء، وكان شاعراً ذا طبع صالح في الشعر، ويصنع الحكايات، وينشىء الأسمار، ويوشحها بالأبيات الحسنة من قوله، وربما ظهر في ذلك تعسف، وكان شيعيًا مغاليًا في ولائه، يتكسب بشعره، وله في أهل البيت ـ صلوات الله عليهم ـ مديح كثير.

وبلغني أنه توفي ببلده في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وستمائة، لقيته بالموصل سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وأنشدني لنفسه في الوزير الصاحب شرف

---

(١) كتب عنه د. مصطفى جواد في مجلة البلاغ الكاظمية، السنة الأولى، العدد الثاني ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ص١٣ ـ ١٤. وفيه: «... ابن بطيلة».

الدين أبي البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ وقد قدم من غيبة، ويقتضيه / ٤٧ب/ رسمًا له عليه: [من الكامل]

أهلاً بمَقْدمك السَّعيد ومَرْحَبا ... يا مَنْ يَرى طَلَب المَعالي مَطْلَبا
فارَقْتَنا فتفرَّقتْ أرواحُنا ... شوقًا إليكَ وَحَنَّةً وتلَهُّبا
فإذا خلَتْ منكَ البلادُ فلا خلَتْ ... أبداً ولا وَجدتْ مَحَلاً مُخْصبا
طُلْتَ الأنامَ فَصاحةً وسَماحةً ... وَرياسةً وَنَفاسَةً وتهذُّبا
وعَلا محلَّهُمُ مَحَلُّك إذْ غَدا ... فَوقَ السِّماك مُخَيِّمًا ومُطنِّبا
مالَ الزَّمانُ إليكَ مَيْلَ مُساعِد ... لمّا رآكَ تُحبُّ أصحابَ العَبا
ألهمتَ نفسكَ نيلَ شأوٍ مُتْعَبٍ ... فَنَزلتَ للسَّاعينَ شأواً مُتْعبا
رامَ العُلا قومٌ فَخَيَّبَ ظَنَّهُمْ ... فيه وأشقاهُمْ لذاكَ وأتعَبا
وأتى إليكَ مع السّؤال قَبولُهُ ... مُتقَرِّبًا ومُناهُ أن يَتقرّبا
مَولايَ إني قد مُلئْتُ تَشتتًا ... وتَفرُّقًا عَن مَوْطني وَتَغربا
فاجمَعْ بجُودكَ لا عَدِمْتُكَ جائداً ... شَمْلي فَقَلْبي نَحو ذلكَ قد صَبا
رَسْمٌ عليكَ مُبَيَّنٌ فانعَمْ بهِ ... لأرى بذاكَ مِنَ الحَبيبِ تَقرُّبا
فإذا رأى يُسْرِي تيسَّرَ أمرُهُ ... ويقولُ أهلاً بالمحبِّ ومَرْحَبا

وأنشدني لنفسه من قصيدة / ١٤٨/ يصف الممدوح: [من الخفيف]

أذنَ اللهُ للمَلائكَةِ الأرْ ... بَعِ ألا يُوفونَ فيما يقولُ
فانثَنَوا طائعينَهُ خيفَةَ اللَّـ ... ـهِ وكلٌّ بكُلِّ وَجْهِ كفيلُ
فإذا كانَ ساخِطًا أمَّ بالسُّخْـ ... ـطِ إلى ما يشاءُ عِزرائيلُ
وإذا كانَ راضيًا يَتَولَّى ... نَصْرَ مَنْ رامَ نَصْرَه جبريلُ
وإذا ما أرادَ مُجْتَمَعَ الخَلْـ ... ـقِ كَفاهُ المُرادَ إسرافيلُ
وإذا ما اجتدى سحابًا مِنَ الجُو ... دِ أحلَّ السَّحابَ ميكائيلُ

وأنشدني لنفسه: [من الكامل]

ومُهَفْهَفٍ غَنجِ اللِّحاظ تَخالُ في ... أجفَانهِ كُحْلاً بلا تكحيلِ
سَلَبَ [النّفوسَ] وقد تَبَدَّى وَجْهُهُ ... كالشَّمْسِ مُشْرِقَةً بغيرِ أُفولِ
بِسَوادِ شَعْرٍ كالدُّجَى مُتَسَلْسِلٍ ... ورياضِ خَدٍّ كالصَّباحِ أسيلِ

قـد طـرَّزَ الشَّعرُ المُنَمْنَمُ خَدَّهُ مِسْكـاً فَقُلْتُ مَقالَةَ المتبُول
تَمَّتْ عِذاراهُ فحاوَلَتُ المُنَى فـي ثَغْـرِه فَهَمَمْتُ بالتَّقْبيل
فَبَدَرْنَ آسادُ اللحاظ مُغيرَةً تَسطو بكـلِّ مُهَنَّدٍ مَصْقُول
فَتَلَبَّسَتْ وجَناتُه لمَّا انجلى نَقْعُ الوَغَى بنَجيعِ كُلِّ قَتيل

/ ٤٨ب/ وأنشدني لنفسه: [من البسيط]

سَعْيًا على الرأس لا سَعْيًا على القَدَمِ مِنْ فَرْط شَوق إلى ريم يُريقُ دَمي
أحنو عليه وَقَلْبي منه في أَلَمٍ يُعْيي الدَّواءَ وجسمي منه في سَقَمِ
لي علَّةٌ منكَ سدَّاها ملاَلُكَ لي وبُرؤها نَهْلَةٌ من ريقكَ الشَّبِمِ
كُن كيفَ شئتَ فإنِّي كيفَ شئتَ وإن نَقَمْتَ منِّي فإنِّي غيرُ مُنْتَقِمِ
أحبابَنا لا تظنُّوني لبُعْدكُمُ أضْمَرتُ غدراً فليس الغَدْرُ من شيَمي
عندي قَديمُ غَرام ما تُغيرهُ يَدُ التّناسُخِ بالأحداث والقِدم
ما لي أحَنُّ إذا لاحتْ خيامُكُمُ وأستلذُّ بنشرِ الضَّالِ والسَّلَمِ ؟
وما الخيامُ بوادي المنحنى غَرَضي وإنما غَرَضي في ساكنِ الخِيَمِ

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الطويل]

تحنُّ إلى قُرْب المزار وبُعده وتَصبو إلى شيحِ العُذَيْب ورنْدِه[1]
ويُطربُها الحادي فَتَهْفُو إلى الحمَى لطيبةِ مَرْعاهُ ولَذَّةِ ورْدِه
ويُلهمُها ذكرُ المُحَصَّبِ وَجْدَها بِهِ وكذاكَ الصَّبُّ يُغْرى بوَجْدِه
ولولا الهوى ما كان في الأرض مَنْزِلٌ يَطيبُ ولا خِلٌّ يُسَرُّ بوِرْدِه
ألا أيُّها البرقُ اليمانيُّ لامعًا أَماءُ حيًا يَهْمي انْسكابًا برَعْدِه
/ ٤٩أ/ تعرَّض بآرام العَقيق فإنَّ لي لَدَيْهِنَّ ريمًا قَدَّ قَلْبي بقَدِّهِ
تَملّكْتُهُ عَبْداً فلمَّا هَوِيتُهُ ثَناني الهوَىٰ عَبْداً حَقيراً لعَبْدِه
على أنني راضٍ ومَنْ لِيَ أن أرى رِضاهُ بِذُلِّي في جَلالَةِ مَجْدِه

وأنشدني لنفسه: [من الخفيف]

---

(١) العذيب: ماء بين القادسية والمغيثة، من منازل حاج الكوفة. انظر: معجم البلدان/ مادة (العذيب).

عَجِبُوا بابتهاج لَوْني وألْوا ... ن المُحبّينَ من أذى الوجْد صُفْرُ
قُلْتُ لا غَرْوَ إن تمثّل في وَجْـ ... ـهِي نُورٌ ففي فُؤادي بَدْرُ

وأنشدني قوله: [من الكامل]

قد قُلْتُ يوماً للحَبيب وَعَيشنا ... صافٍ ومَنْهَلُ قُربنا لم يُطْرَقِ
أُهْجُرْ وَصُدَّ وكانَ أصلُ مقالَتي ... مَزحاً وباغي المَزْحِ غيرُ مُوفَّقِ
فَجَفا وصَدَّ بجهده فَتَصرَّمَتْ ... كَبدي وشابَ منَ اتّجافي مَفْرِقي
فَعلمْتُ حقّاً بَعدَها وتَيَقُّناً: ... أنَّ البلاءَ موكّلٌ بالمنْطِقِ

وأنشدني أيضاً من شعره: [من البسيط]

وقهوةٍ تُنْعِشُ الأرواحَ صافيةٍ ... تُسابقُ الرِّيقَ من مَشْروبها السَّلسِ
صَفراءَ حَمْراءَ بيضاءُ المزاجِ لها ... طعمٌ ألذُّ وأحلى لي من اللَّعَسِ
نَظَرتُها وظَلامُ اللَّيْلِ مُعْتَكِرٌ ... والعينُ حاسرةٌ من ظُلْمةِ الغلسِ
/٤٩ب/ فَقُلْتُ جَذْوةُ نارٍ غيرُ كاذبةٍ ... بَدَتْ كما قالَ موسى ليلةَ القَبَسِ[1]
فجئْتُها وإذا راحٌ مُشَعْشَعَةٌ ... تَزيدُ قُوَّتها في النَّفْسِ والنَّفَسِ
فَشاقَني نَهْلةٌ منها فَصِرتُ بها ... ما بَيْنَ مُنْتَهِلٍ ريّاً ومُقْتَبِسِ

وأنشدني أيضاً لنفسه: [من الخفيف]

فاشْرَب الكاسَ وانهل الطّاسَ واستثـ ... ـنِ على اللّهْو بالأواني الكبارِ
من مُدام إذا بَدَتْ في دُجى اللَّيْـ ... ـلِ أعارتْهُ مستضاءَ النَّهارِ
أرسَلُوها في الكأس سرّاً فما ... مكّنَها من تَحجُّبٍ واستتارِ
فاختفى كأسُها فَلَيس لَنا علْـ ... ـمٌ بما فيه جامدٌ أم جاري
فكأنَّ الحَبابَ في الكأس ما بيـ ... ـنَ كبارٍ مَنْظُومَةٍ وصغارِ
وهْي في راحةِ المدير وقد طا ... فَ بها مُسْرعاً على السُّمّارِ
حُقُّ دُرٍّ إلى التِّجارِ تَهادَى ... لازديادٍ في راحةِ السِّمْسارِ[2]

---

(١) إشارة إلى الآية ٧ من سورة النحل.

(٢) الحق: وعاء يوضع فيه الطيب.

[١٩٩]
سليمانُ بنُ المظفَّر بن موسى بنِ منصورِ بن عيسى بنِ نَصْرٍ، أبو الربيع الإِربليُّ، المعلِّمُ:

ذكر لي أنه ولد بقلعة إربل سنة ست وستين وخمسمائة / ٥٠أ/ وهو أستاذي الذي علمني الخط، وله عليَّ حق الوالد على ولده.

انتقل من الموصل إلى إربل، وفتح مكتبًا يُؤدب فيه الصبيان، وانثال عليه خلق كثير، وأتوه من كل مكان، ورغب الناس فيه لعفته وديانته، وكان ذا هيبة على المتعلمين، وأكثر أبناء الرؤساء والمعتبرين بالموصل عليه تأدب، وبه تخرج، وبقي مدة طويلة في التعليم والتأديب، وصار له ثروة، ثم ترك ذلك، وسافر إلى البلاد تاجراً، ثم أملق، ونفد ما اكتسب، وساءت حاله، فرتب وكيلاً بين يدي القاضي أبي الحسن علي بن عبد القاهر الشهرزوري بالموصل.

وكان يقول أشعاراً، يخلطها بالهزل، ويظهر فيها الإحماض[١]، أنشدني لنفسه ما كتب إلى سعد [الدين]. منوجهر بن محمود بن محمد الأصفهاني الكاتب:

[من الطويل]

ألا قُلْ لسَعْدِ الدِّينِ أسْعَدَهُ اللهُ ... وحَيَّاهُ من بين الأنام وأحياهُ
وَسَلَّمَهُ من كُلِّ خَطْبٍ يَسوؤهُ ... وأعطاهُ من دُنْياهُ ما يتمنَّاهُ
عُبَيْدُك يا مَولايَ قد جَدَّ جدُّهُ ... وقد عَضَّهُ الدَّهْرُ الخؤونُ وعاداهُ
فَجُدْ بالذي يَرجوهُ منكَ ولا تُرِقْ ... بِردِّكَ يا مولاي ماءَ مُحيَّاهُ

/ ٥٠ب/ وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

قالوا المشيبُ نَذيرُ الموت قُلتُ لهم ... كم من صَغير قضَى نحبًا وما شابا
وكم رأينا فَتِيَّ السِّنِّ قَد علقت ... بِهِ شَعوبُ وشيخًا عاشَ أحقابا[٢]

وأنشدني أيضًا قوله: [من المقتضب]

---

(١) الإحماض: الانتقال من الجدّ إلى الهزل.
(٢) الشَّعوب: المنية.

بِـــالْمُهَيْمِـــنِ الصَّمَـــدِ مِـــنْ هَـــوَاكَ خُـــذْ بِيَـــدِي
وَاكْشِـــفِ الثِّيَـــابَ تَـــرَىٰ نَـــاحِـــلاً مِـــنَ الْكَمَـــدِ
صِـــلْ وَلَا تَصِـــدَّ فَقَـــدْ أَنْحَـــلَ الْهَـــوَى جَسَـــدِي
صَـــاحِ قَـــدْ أُرِيـــقَ دَمِـــي أَيْـــنَ طَـــالِـــبٌ قَـــوَدِي ؟
يَـــا عَـــذُولُ دَعْ عَـــذَلِـــي كَـــمْ تَلَـــجُّ فِـــي فَنَـــدِي
لَـــوْ نَظَـــرْتَ طَلْعَـــةَ مَـــنْ قَـــدْ هَـــوِيْـــتُ مِـــنْ بُعُـــدِ
كُنْـــتَ آمِنـــاً أَبَـــداً مِـــنْ نَـــوَازِلِ الـــرَّمَـــدِ

وأنشدني قوله: [من الوافر]

أَهُـــمُّ وَدُونَ هِمَّتِـــيَ الثُّـــرَيَّـــا وَحَظِّـــي فِـــي الْحَضِيـــضِ لَـــهُ قَـــرَارُ
وَلَـــوْ قَمَـــرُ السَّمَـــاءِ جَـــرَى بِسَعْـــدِي لَسَتَّـــرَهُ لِشِقْـــوَتِـــيَ السِّـــرَارُ
وَلِـــي شِيَـــمٌ حِسَـــانٌ وَطَـــابَ خِيمِـــي وَخُلْقِـــي لَا يُغَـــادِرُهُ وَقَـــارُ
/ ٥١ أ/ فَلَـــوْ أَنِّـــي بُعِثْـــتُ إِلَـــى ثَمُـــودٍ لَصَـــالِـــحِ صَـــالِحـــاً فِيهَـــا قُـــدَارُ[١]

[٢٠٠]

سليمانُ بنُ أبي البدرِ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بن سَلامةَ، أبو الرَّبيعِ البغداديُّ.

شاب قصير، يتزيا بزي المتصوفة، يعرف بالمقاماتي، زعم أنه عمل خمسين مقامة على نهج المقامات الحريرية.

عار من الفضل، لم يكن عنده من العربية ما يُقَوِّمُ به لسانه، يلحن كثيراً إذا أنشد شعراً، ويُخطىء إن أورد نثراً، ويظهر في نثره ونظمه تكلف رديء، ولزوم يأخذ نفسه به من التعسف، ولم يحسن شيئًا من العلوم البتة.

وذكر لي أنه صنّف عدّة مصنفات، فشاهدته عدّة مرات يتناول كتابًا ذا خط معرب صحيح، فإذا ابتدأ بقراءته يُصحفُ ويَلحن، ويتلعثم في القراءة، ثم ينتمي إلى الكتابة وفن الإنشاء والرسائل، وله في ذلك مصنفات، ذكر لي أسماءها منها كتاب: «ملتمس

---

(١) قُدار بن سالف: الذي يقال له أحمر ثمود، عاقر ناقة صالح.

الجوانح»، يتضمن صنعة الإنشاء، وكتاب «إنهاء المصالح بالوزير الصالح» /٥١ب/ وكتاب «مستنبط التسليك في معرفة المليك»، يشتمل على حكم وآداب وبلاغة وفقر، وكتاب «أنوار المسامرة وأزهار المحاضرة»، يحتوي على طرف من الإنشاء، واستدعاآت، وغير ذلك، وكتاب «المقامات»، انتهج فيها منهج الحريري في فنونها ومقاصدها، وكتاب «بلوغ الأمنية في التهاني الأمينية»، صنفه برسم أمين الدين أبي المكارم لؤلؤ بن عبد الله البدري، وهو مما كتبه إليه في المواسم والتهاني، وقال أشعاراً كثيرة.

أنشدني لنفسه يمدح مولانا المالك الملك الرحيم بدر الدنيا والدين عضد الإسلام والمسلمين، شرف الملوك والسلاطين، أبا الفضائل نصير أمير المؤمنين ـ خلد الله دولته وكبت أعداءه وحسدته ـ ويهنيه بالنيروز: [من الكامل]

أبشِرْ فطَوْعُ مَرامِكَ الأقدارُ ... يا ابنَ الملوك وحبَّذا الأنصارُ

والدَّهْرُ يَحكُمُ بالذي تختارُهُ ... فاسألْهُ يا ابنَ الصِّيْدِ ما تَختارُ

ورُمِ التملُّكَ للبلادِ فإنَّها ... سَتَجيءُ مُذْعنَةً لكَ الأنصارُ

وإذا عَفَوْتَ عن البلادِ وأهلِها ... فالعفوُ عن زُعَمائِها إيثارُ

/٥٢أ/ فاقْدَحْ زنادَ القَصْدِ منكَ بعَزْمةٍ ... فالنُّجْحُ إضْرامٌ لهُ وأوارُ

للقاكَ أبعَدُ ما تُحاوِلُ مثْلَما ... في الوَهْمِ بتَّتْهُ لكَ الأفكارُ

فاسْتَجْلِ نَصْرَكَ مِنْ وُجوهِ سَعادَةٍ ... فَحُسامُها بتَأيُّدٍ بَتّارُ

يا خيرَةَ اللهِ العزيزِ وحبَّذا ... المَلكُ الرحيمِ ومُلْكُهُ المُخْتارُ

لَنْ يَسْتحقَّ الأمرَ إلا ضَيغَمٌ ... سامي السَّماحَةِ مُقْدِمٌ كرّارُ

ولكَ الشَّجاعَةُ والمَراحِمُ والنَّدى ... وبمثلِ ذلكَ تُمْلَكُ الأحْرارُ

وبَنُو الفَضائلِ والفَواضِلِ والنُّهى ... والمُلْكُ في غَيْرِ التَّليدِ مُعارُ

فالملكُ إسْماعيلُ صالحُ دَوْلَةٍ ... أمسى لهُ ولها بكَ استنْصارُ

مَلكٌ فَدَتْكَ وقد فَدَتْهُ نُفُوسُنا ... وفَداكُما الأملاكُ والإكثارُ

فَسَميُّهُ لمَّا تعظَّمَ قَدْرُهُ ... أضحى فداهُ الكَبْشُ لا الأعمارُ

فَسُلالَةُ الملكِ الرَّحيمِ قَساوِرٌ ... آجامُها الآراءُ والأوطارُ

فالمُلْكُ أصبحَ والتمكُّنُ والنَّدى ... فَلَكاً وأنتَ بَدرُهُ السَّيّارُ

يا ابنَ العُلا ولقد ظَلَمتُكَ مادحًا ... وإليكَ يُومَى بالعُلا ويُشارُ
حلْمٌ وجُودٌ والتزامُ مروءةٍ ... ولَدى الصَّريخ فعصْمَةٌ وقَرارُ
فَجميعُ ما في الخَلْق من مُسْتَحْسَنٍ ... فرَّقتمُوهُ فأَنتمُ الأخيارُ
/ ٥٢ب/ فَمَديحُ غيركُمُ يعودُ عليكُمُ ... إذ ليس تخلو منكُمُ الأشعارُ
أعمى عُيونَ المَدْحِ شحٌّ سواكُمُ ... فَتَوارت الأضواءُ والأنوارُ
وكَحَلتُموها بالسَّماحِ فأبصَرَتْ ... فكأنَّها الزَّرقاءُ والأطيارُ[(١)]
فلكَ الهناءُ بيَومِ نَيروزٍ أتى ... في طيِّه التأييدُ والإيثارُ
أُعطيتَ آخرَهُ ثلاثةَ أحرفٍ ... بالمُلْكِ أمضَتْه لكَ الأقدارُ
وعليه علّمتَ السعادةَ والعُلا ... ومن الإلَه بحُكْمه الإقرارُ
فاسلَمْ لَدَى ظلِّ السعادة إنَّها ... عَشَّاقةٌ لكَ والهَوى قَهَّارُ
فلقد صَبَتْ لَكَ إذْ رأتْكَ لحُبِّها ... أهلاً فَحُقَّ لقَلْبها التَّذكارُ
فاحسِنْ بحبِّ السَّعْدِ ظنَّك آمنًا ... ففؤادُه بعدَاكُم غدّارُ

وقال فيه أيضًا حين أجرى قناة بمدينة الموصل: [من الوافر]

أمَولانا عَلامَ على قَناةٍ ... خُروجُ الماء مَعْ تَعَبِ الولاةِ
ألا فالمسْ بكَفِّ نَداكَ منها ... تُرابًا أو فَدُسْ أرضَ القَناةِ
وقد أضحَتْ وحَقِّ نَداكَ حقًا ... تُضاهي ماءَ دجلةَ والفُراتَ
فَيَحمدُك الورى خصْبًا ويُثني ... عليك الطَّيرُ مَعْ وحشِ الفَلاةِ

/ ٥٣أ/ وأنشدني لنفسه يهنيه بإبلاله من المرض: [من المجتث]

تَباشَري بالفَلاحِ ... يا أنفُسَ المدَّاحِ
قد لاحَ بَدرُ الأماني ... في أوْجِ بُرْجِ النَّجاحِ
مُهَنِّيًا للقَوافي ... بحفْظ نَفْس السَّماحِ
وأرسِلِ السَّعْدَ فينا ... علَى لسَانِ الصَّلاحِ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الخفيف]

---

(١) الزرقاء: هي زرقاء اليمامة التي اشتهرت بحدّة البصر وقوّته، توفيت بنحو ٦٠هـ.
ترجمتها في: ثمار القلوب ٢٤٠. خزانة البغدادي ٢٩٩ ـ ٣٠٣. الأعلام ٣/ ٤٤.

واقتنـــاء الثَّنـــاء أحلـــى لَـــدَيْـــه ... مـــن مَـــرام يَنـــالُـــهُ بـــالنَّجـــاح
فـــرَّ مـــن بَيْـــتِ مـــالـــه بنَـــداهُ ... مُصْفِـــراً مـــن تَـــزاحـــمِ المُـــدَّاحِ

وأنشدني لنفسه قوله: [من الخفيف]

وانقـــراضُ القَـــريـــض مـــن قلَّـــة الـــرا ... غـــب فيـــه وفـــي العُـــلا والسَّنـــاء[1]
واللَّبِيـــبُ الأريـــبُ حَـــرَّضَـــهُ معْـــ ... ـــرُوفُـــهُ والكَســـادُ فـــي الحسنـــاء

وأنشدني لنفسه في قوس: [من الكامل]

وتَليـــنُ للـــرَّامـــي ويَقْسُـــو قَلْبُهـــا ... فَتُحَـــبُّ فـــي بُغْـــضِ العـــدوِّ الكـــاشـــحِ
ومتَـــى تقيَّـــدُ تَسْـــعَ أسهُمُهـــا ردًى ... فَفَســـادُ مَطْلَبِهـــا بِـــرَمْـــيِ صـــالـــحِ

/ ٥٣ب/ وله من رسالة في المقامة الخيفاء، كلمة منقطة وكلمة عارية:

[من الوافر]

ومـــا حُـــبُّ المحـــامـــدِ بَـــثَّ حَمْـــد ... فَخُـــذْ حَمْـــداً يُحـــبُّ ولا يُحَـــدُّ
ومـــا بَـــذُّ الحُـــلاحِـــلِ فـــي سَمـــاحٍ ... يَشيـــنُ ولا يخيـــف ولا يُعَـــدُّ

وله في مثل ذلك: [من السريع]

وهـــا فتًـــى أمَّـــك فـــي عُسْـــره ... فَـــذٌّ ولـــم تُغْـــن عـــداه فَقُـــزْ
ولـــمْ يَفُـــزْ إلا فتًـــى مـــالُـــهُ ... يُنْبِـــتُ حَمْـــداً فـــي سَمـــاحٍ نَشَـــز

وقال في الأمير أمين الدين حين قدم من بغداد: [من السريع]

قَـــدِمْـــتَ مَـــولانـــا بمـــا تَجْتَنـــي ... مـــنْ غُصْنـــه عصْمَـــةَ داعيكـــا
غُصْـــنٌ لـــهُ الآراءُ جُـــرثـــومَـــةٌ ... وَشُـــرْبُـــهُ نُجْـــحُ مَسَـــاعيكـــا

وأنشدني لنفسه في الملوكي المالك، الملك الرحيم بدر الدين نصير أمير المؤمنين ـ ثبت الله دولته: [من البسيط]

وقـــائـــلٍ إنَّ مَـــولـــى النَّـــاس قَـــاطبـــةً ... أُمِّـــيٌّ مُلْـــك وهـــذا العَـــدْلُ مـــن نعَمـــه
/ ٥٤أ/ فَقُلْـــتُ إنْ كـــانَ أُمِّيّـــاً فـــلا عَجَـــبٌ ... هـــذا النبـــيُّ بهـــا قـــد خُـــصَّ مَـــعْ عِظَمِـــه

وله، وأنشدنيها بديهة، وقد حضر القاضي محيي الدين بن مهاجر، بالمدرسة

---

(١) السَّناء: الشرف.

البدرية، وشيخها كمال الدين موسى بن يونس[١]، وهو في درسه: [من الخفيف]

جـاءَ قـاضـي القُضـاة أيّـدكَ اللهُ ... وقَـد أعْـوزَ الحُلـومَـة فَهْـمُ

فـاستفـادَ الإفصـاحَ منْـكَ وبـاليقـ ... ـظَـة تَسمُـو عُلُـومُـهُ والحُكْـمُ

وتَـولَّـى مُقبِّـلُ الفَهْـمِ كسبـا ... حَيْـثُ وافـاكَ يَسْتَفيـدُ ويَسمـو

وله، وقد عزل جمال الدين أحمد بن علي المستوفي عن الديوان البدري، ورتب مكانه غيره، وأنشد ذلك بديهة: [من البسيط]

يـا ابـنَ العُـلا مـا لـديـوان حَكَمْـتَ بـه ... يَـدٌ تُطـاوِلُ فيـه مَـوْضـعَ النِّعـمِ

هَـبْ أنَّهـم جَلَسـوا فيـه ومـا عَـرَفُـوا ... طَعْـمَ الإصَـابَـة فَـي رأي ولا حكَـمِ

فـالغَيْـثُ مـا يُخْصـبُ المعـزاءَ سـاكِبـهُ ... لكِـن يَـزِلُّ عَـنِ الصَّفـوانِ والـرُّضَـمِ[٢]

[٢٠١]

/ ٥٤ب/ سليمانُ بنُ يحيى بن حَسن بن حرب بن يوسفَ بن حرب بن زائدةَ بن منصور بن لَديد بن المسيبَ بن رافع بن المقلَّد بن جُمَح[٣] بن عَمْرو بن المهيا بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن حوثة بن طهفة بن ربيعة بن حَزْن بن عبادة بن عقيل العُقَيليُّ المسيبي، أبو الربيع:

شاب أسمر اللون، يخدم جنديًا ببغداد مع الأمير ركن الدين أبي شجاع، أحمد بن قرطايا[٤] ـ أسعده الله تعالىٰ ـ.

---

(١) موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك العقيلي، كمال الدين، أبو الفتح الموصلي، الفيلسوف، العلامة بالرياضيات والحكمة والأصول، العارف بالموسيقى والأدب والسير، ولد بالموصل وتوفي بها (٥٥١ ـ ٦٣٩هـ).

ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي ٥/ ١٥٨ ـ ١٦٢. وفيات الأعيان ٢/ ١٣٢. مفتاح السعادة ٢/ ٢١٤. مرآة الجنان ٤/ ١٠١. البداية والنهاية ١٣/ ١٥٨. الأعلام ٧/ ٣٣٢.

(٢) المعزاء: الأرض المنبسطة الخصبة.

الصفوان: حجر أملس.

الرضم: صخور عظام يرخم بعضها فوق بعض في الأبنية.

(٣) كذا ورد في الأصل «جُمح»، وفي ترجمته (سنجر بن المقلّد العقيلي) برقم ٢٠٦: «جعفر».

(٤) ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ١٠٢.

بدوي، إنسان يجعل القاف كافًا في جميع كلامه، وفيه عشرةٌ وتَوَدُّدٌ، وكانت تربيته بالبادية، وبها ولَادته، وله طبع صحيح في عمل الشعر، وربما أتَى في أثناء شعره لحن؛ لأنه ما قرأ شيئًا من النحو.

أنشدني لنفسه ببلد البطائح[1] في سنة تسع وثلاثين وستمائة: [من الطويل]

ألا مـا لليَالـي لا يَقـرّ قَـرارُه ... ولا تَنْطفـي مـن لاعـج الشَّـوق نـارُه
ولا يَستطيـعُ الصَّبـر عمَّـن يُحبُّـه ... وأنَّـى وَقـد شَطَّـتْ عَـن الشَّـام دارُه ؟
ذَروهُ يُعـانـي وَجْـدَهُ وغَـرامَـهُ ... وتُـودي بـه أشـواقُـهُ وادِّكـارُه
/ ٥٥أ/ يَهيـمُ إذا نـاحَ الحمـامُ مُغَـرِّداً ... إلـى مَنْـزل بـالشَّـامِ نـاء مـزارُه
ويُـذكـرُنـي مـن ذُكـركـم طيـبُ نَشـوة ... وَددْتُ لسُكْـري لـو يَـدومُ خُمـارُه
أأحبَـابَنـا لله عيـشٌ بقُـربكُـم ... تَقَضَّـى لَـذيـذاً ليلُـهُ ونَهـارُه
وأضحـت قَطُفْتَـا بَعْـدكُـم دارَ غُـربـة ... لصـبٍّ نـأى بَعْـدَ البعـاد اصطبـارُه[2]
فـلا جُمْلـهُ يـومـاً تُجـامـلُ صُحْبتـي ... ولا نَـوَّرَتْ رَوْضـاتُ لَهْـوي نَـوارُه
أقمـتُ غَـريبـاً بينَهُـمْ بعـدَ بُعْـدكُـم ... يَـرُونـي بطَـرْفٍ طـالَ نَحْـوي ازورارُه

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

إذا مـا سَقـى بغـدادَ غَيْـثٌ فـلا سَقَـى ... قَطُفْتَـا مُلـثٌّ مـن سَحَـابـة عـارضِ
مَحَلَّـةُ سُـوءٍ مـا بهـا غيـرُ قـاعـدٍ ... عـنِ الخيرِ ساعٍ في المخازي ونـاهضِ

[٢٠٢]

سُليمانُ بنُ عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن طاهر بن محمدَ بن الحَسَن بن علي بن زيدٍ، أبو المظفر بن أبي القاسم، ابن العجمي[3]:

---

(١) البطائح: جميع البُطيحة، وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة. انظر: معجم البلدان/ مادة (البطيحة).
(٢) قطفتا: محلة كبيرة ذات أسواق، بالجانب الغربي من بغداد، مجاورة لمقبرة الدير التي بها قبر معروف الكرخي. انظر: معجم البلدان/ مادة (قطفتا).
(٣) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٥/ ٣٩٩ رقم ٥٤٩. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠)=

من بيت مشهور بحلب، شاب كيّس جميل لطيف، يجمع فصاحة في منطقه، وظرفًا في ملبسه، وهو أمير أسرته نبلاً، وفضلاً، وقدراً ومعرفة.

أخبرني أنه ولد في أواخر / ٥٥ب/ ذي الحجة من سنة ست وستمائة، وحفظ القرآن الكريم، وسمع حديثًا كثيراً على جماعة من أعيان الحلبيين، منهم: عبد الرحمن بن الأستاذ، والقاضي بهاء الدين بن شداد[1] وغيرهما، وقرأ كتاب التنبيه لأبي إسحاق[2] على القاضي بهاء الدين من حفظه، وأتقنه إتقانًا جيداً، بحثًا وفهمًا ورواية، وقرأ على الشيخ أبي البقاء يعيش بن علي النحوي[3] جملة من علم العربية والنحو، حتى تمهر في هذا الشأن.

رأيته بحلب متوليًا وقوف المسجد الجامع، والنظر في البيمارستان النوري، وكان ينشدني من أشعاره كل رائق، هو نعْمَ الرجل تواضعًا وبشراً وبشاشة، وهو مع الصدور الكبراء، يجمع ظرف الكتاب إلى أبهةَ الوزراء.

أنشدني لنفسه: [من الطويل]

حَنَنْتَ إِلى رَبْعِ الحَبيبِ تَشوُّقا ... وذَكَّرَكَ الأحبابَ بَرقٌ تألَّقا

فَبُحْتَ بأسرارِ الهَوَى بَعْدَ سَتْرِها ... وأفصحتَ بالشَّكوىٰ وذُبْتَ تحرُّقا

وتُقْتَ إِلى مَنْ كَمَّلَ اللهُ حُسْنَهُ ... لهُ قامَةٌ تزهو على بانَةِ النَّقا

= ص٢٥٥ ـ ٢٥٦ رقم ٢٦٤. وفيهما: «سليمان بن عبد المجيد بن الحسن بن أبي غالب عبد الله بن الحسن بن عبد الرحمن، الأديب، البارع، عون الدين، ابن العجمي الحلبي الكاتب...، توفي سنة ست وخمسين وستمائة بدمشق». فوات الوفيات ١/ ٣٥٨ ـ ٣٦٠ رقم ١٤٧. المنهل الصافي ٦/ ٣٦ ـ ٣٧ رقم ١٠٨٩. الدليل الشافي ١/ ٣١٨ رقم ١٠٨٦. ذيل الروضتين ١٩٩. المختار من تاريخ ابن الجزري ٢٤٩. عيون التواريخ ٢٠/ ١٧٦ ـ ١٧٧. إعلام النبلاء بتأريخ حلب الشهباء ٤/ ٤١٥ رقم ٢٢٩. السلوك ق٢/ ٤١٦. فوات الوفيات ٢/ ٦٦ رقم ١٧٥، ١٠٨٦. ذيل مرآة الزمان ١/ ٢٤٠ ـ ٢٤٣.

(١) وهو يوسف بن رافع الأسدي. ترجم له المؤلف في الجزء العاشر برقم ٩٦٨.

(٢) أبو إسحاق: إبراهيم بن علي علي الشيرازي (٣٩٣ ـ ٤٧٦هـ)، وكتابه في فروع الشافعية.
ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٨٨. وفيات الأعيان ١/ ٤. اللباب ٢/ ٢٣٢. كشف الظنون ١/ ٤٨٩. الأعلام ١/ ٥١.

(٣) ترجم له المؤلف في الجزء العاشر برقم ٩٥٧.

رَشيقُ التَّثني مائسُ العطْفِ إنْ بدا ... أَراكَ سَوادَ اللَّيلِ أبيضَ مُشرِقا
/ ٥٦أ/ وطَرفًا يُريكَ السِّحرَ في غَيرِ بابلٍ ... ورَوْضَ جَمالٍ بالمَلاحَةِ مُحدَقا
ورِدْفًا لدِعْصِ الرَّمْلِ من تحتِ بانَةٍ ... تميسُ وخَصْراً بالسَّقامِ مُمَنْطَقا
خَلَوْتَ بهِ والليلُ مُرْخٍ سُتورَهُ ... وقُمْتَ ولم تَخْفُرْ بهِ ذمَّةَ التُّقى
خَشيتَ وأغصانُ التَّداني رَطيبَةٌ ... على شَملِكَ المجموعِ أَنْ يَتَفَرَّقا
فكانَ الذي أضمَرْتَ وهمًا فلم تَزَلْ ... صُروفُ اللَّيالي فيهِ حتى تَحَقَّقا
أأحبَابَنا ما عشْتُ والله بَعْدَكُم ... سُلُوّاً ولا صَبْراً ولا لَذَّ لي البَقا
ولا قلْبيَ العاني سَلا عَنْ ودادِكُم ... ولا جَفْنيَ المقروحُ من بَعْدِكُم رَقا
ولا جَنَحَ القَلْبُ المعذَّبُ في الهَوى ... إلى غَيْرِكُمْ لكنَّهُ يَرْتَجي اللِّقا

وأنشدني لنفسه ـ أيده الله تعالى ـ: [من الطويل]

وأَغْيَدَ مَمْشوقِ القَوامِ لحُسْنِهِ ... فُتُونٌ وللعشَّاقِ فيهِ فُنونُ
لهُ فوقَ وَرْدِ الخَدِّ عندَ عتابِهِ ... منَ الرَّشْحِ دُرٌّ لا يُسَامُ ثَمينُ
غَزالٌ يُريكَ السِّحرَ من غنْجِ طَرْفِهِ ... لهُ اللَّيلُ فرعٌ والصَّباحُ جَبينُ
نَظَرتُ إليهِ نَظْرةً فتهتَّكَتْ ... سُتورُ اصطباري فيهِ وَهْوَ مَصونُ
تبدَّى منَ الحمَّامِ والوجهُ مُشْرِقٌ ... كبدرٍ تجلَّتْ عَنْ سَناهُ دُجُونُ
فَغابَ دُجى صُدغَيْهِ في صُبْحِ وَجْهِهِ ... ولَيلٌ بصُبْحٍ لا يكادُ يَبِينُ

/ ٥٦ب/ وأنشدني أيضًا من شعره: [من الكامل]

أيحنُّ نحوَ المُنْحَنى مَنْ قد غَدا ... فوقَ السِّماكِ محلُّهُ ومكانُهُ؟
لولا تأرُّجُ نَفْحَةٍ من حُبِّهِ ... مَرَّتْ على الوادي بها أشجانُهُ
ما غرَّدَتْ فوقَ الأَراكِ حَمامةٌ ... طَرَبًا ولا ماسَتْ بهِ أغصانُهُ
يا مَنْ تَشرَّفَ بالحبيبِ وحُبِّهِ ... وبهِ تَجمَّلَ كَونُهُ وزَمانُهُ
صُنْ سِرَّهُ عَنْ غَيرِ أهْلِ ودادِهِ ... حَذَراً عَلَيهِ فصَوْنُهُ كُتْمانُهُ

وأنشدني أيضًا قوله: [من مجزوء الكامل]

لا تُغْرِ بي يا لَيْلَ نَجدِ ... وَدَعِ المَلامَ فليسَ يُجْدِي
إنِّي امْرؤٌ شَغَلَتْني الـ ... أيَّامُ عن لَيْلَى وهِنْدِ

وأبـانَ خـلاَّنـي الـزَّمـا نُ فَصـرْتُ مثـلَ السَّيْـفِ وَحْـدي
إنْ جُـرْتَ يـا دَهْـري عَلَيْـ يَ وزَدْتَ ظُلْمـاً فـي التَّعـدِّي
فَـلأَصبـرَنَّ عَلَيْـكَ صَبْـ ـرَ فتًـى كـريـم الأصـل جَلْـد
وَرِثَ الأُبُـوَّةَ مـن أبٍ والمَجْـدَ عـن جـدٍّ لِجَـدِّ

وأنشدني أيضًا لنفسه /٥٧أ/ ما كتبه إلى صديق له: [من الطويل]

إذا غبْـتَ عـن عَيني ولـم أكُ راعيـاً لعَهْـدكَ بَعْـدَ البُعْـد جـمَّ التَّـوَدُّد
فَـلا جُـرِّدتْ لـي فـي اللِّقـاء مَنَـاصـلٌ وَلا مُتِّعَـتْ يـومـاً بـأعمـالهـا يَـدي
ولا داسَ طِـرفـي والـوغَـى مُـدْلهِمَّـةٌ حيـاة العـدا بيـنَ الـوَشيـج المقصَّـدِ[1]

وأنشدني أيضًا قوله: [من البسيط]

أحِـنُّ شـوقـاً إلـى رَبْـعٍ بخفَّـان سَقَـاهُ مُنْهمـلٌ مـن سُحْـب أجفـانـي[2]
مَعَـاهِـدٌ بـانَ عنِّـي مَـن عَهِـدْتُ بهـا قِـدْمـاً فَـروحـي فـداءُ النَّـازحِ الـدَّانـي
يـا جيـرةَ الجَـزْع مـن وادي العقيـق ومَـنْ كـانـوا الغَـداةَ أُصَيْحـابـي بنَعمـان
هَـلْ تـذكـرون لُيَيْـلات لنـا سَلَفَـتْ وأنتـمُ بـذُرى الجـرعـاء جيـرانـي
جَـرَعـتُ مـاءَ جُفـونـي بَعْـدَكُـم جَـزَعـاً فـانهـلَّ سَحّـاً بيـاقـوتٍ وَمَـرْجَـانِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

ألا مُبْلـغٌ مَـنْ حـلَّ بـالعَلَـم الفَـرْدِ غَـرامـي ومـا ألقـاهُ مـن ألَـم الـوَجْـد
يَهيـجُ فُـؤادي كُلَّمـا هَبَّـت الصَّبـا ويَصْبُـو إذا مـا أومَـضَ البـارقُ النَّجْـديَ
أيـا راكبـاً مـنْ فَـوق وَجْنـاءَ جَسْـرة يَجـوبُ الفَيـافـي لا يَمَـلُّ مـن الـوَخْـد
إذا مـا أتَيْـتَ المُنْحَنَـى فَـأنِـخْ بـه وحَيِّـي بـه مَـنْ لا يَحـولُ عَـن العَهْـدَ
/٥٧ب/ وحَـقِّ الهوى العُـذْريِّ حلْفَـةَ صـادقَ ومـا نلتُـهُ فـي الحـبِّ دونَ الـوَرَى وَحـدي
لَقَـدْ فُقْـتُ كُـلَّ النـاس عشْقـاً وعفَّـةً فمجنـونُ ليلـى فـي المحبَّـة مـن جُنْـدي
أيـا عـاذلـي كُـفَّ المَـلامَ وخَلِّنـي فَلَـومـيَ فـي تَـرْك الأحبَّـة لا يُجـدي
أيحسُـنُ لَـومـي فـي محبّـة مـن أرى مَحَبَّتَـهُ ذُخْـري إذا ضَمَّنـي لَحْـدي ؟

(١) الوشيج: جمع وشيجة، وهو ما نبت من القنا والقضب ملتفًا. المقصد: المقطع.
(٢) خَفَّان: موضع قرب الكوفة فوق القادسية، يسلكه الحاج أحيانًا. انظر: معجم البلدان/ مادة (خفان).

أُوَرِّي بغـزلان الصَّـريـم وحَـاجـر ... وقَصْـديَ مـن دون البـريّـة كيكَلْـدي
رشـًا يَصْـرعُ الآسـادَ فـاتـرُ لَحْظِـهِ ... فيـا عَجَبـًا ظَبْـيٌ يَصـولُ علـى الأُسْـدِ

[وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الوافر]
لَهيـبُ الخَـدِّ حيـنَ بَـدا لعَيْنـي ... هَـوَى قَلْبـي عليـه كـالفَـراش
فـأحْـرَقَـهُ فصَـارَ عليـه خـالاً ... وهـا أَثَـرُ الـدُّخـانِ علـى الحَـواشـي][1]

وأنشدني لنفسه وعملها بديهًا: [مجزوء الخفيف]
قُـلْ لظَبـي هَـوَيْتُـهُ ... راقـب الله فـي دَمـي
أنـا صَـبٌّ سَبَيْتَـهُ ... بـالعِـذار المُنَمْنَـمِ
أنـا عبـدٌ لمـاجـد ... بـالمعَـالـي مُتَيَّـمِ
كيـفَ أخشـى مـن الـرَّدى ... وهْـو درْعـي ومخْـذمـي

وحدثني ـ أيده الله ـ قال: كان للأمير جمال الدولة إقبال بن عبد الله، السلطان الملكي الناصري، نائب المملكة الناصرية الصلاحية، والحاكم بها يومئذ بحلب المحروسة، بازي، واتفق أن كان بحضرته ذات يوم على / ٥٨أ/ يد بعض البازدارية، وهو على عادته الجارية، إذ أخذ البازي اضطراب، واعتراه قلق، ونفر نفوراً شديداً، فعجب منه البازداري، وأنكر حالَته، ولم يعرف سبب ذلك، وجعل يقصد الأمير جمال الدولة، ويهفو إليه، والبازداري يسكنه ويثبِّته، وهو يطلبه، وكلما رام تسكينه، زاد اضطرابه ونفوره، ولم يبرح كذلك على هذه الصورة عدة مرات، والأمير جمال الدولة يشاهد البازي بفعله وفعل البازداري به، ويلحظ ذلك منهما، ثم إن الأمير جمال الدولة استدعى البازي وتناوله من يده، فحين استقر على كفه سكن ذلك الاضطراب والنفور، فأنشأ هذين البيتين ارتجالاً: [من البسيط]
لا تَعْجَبُـوا إذ أتـى البـازيُّ مُجْتَـديـًا ... كـفَّ الأميـر الـذي قـد خُـصَّ بـالكَـرَمِ
لقـد أتـى نَحْـوَ كـفٍّ كـلُّ أنمُلَـةٍ ... منهـا تَجـودُ بـأنـواعٍ مـن النِّعَـمِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل. والبيتان في الوافي ١٥/ ٣٩٩، والفوات ١/ ٣٥٨. المنهل الصافي ٦/ ٣٧.

لقد تملَّكَ رِقِّي أهيَفٌ غَنِجٌ بلَحْظِه في الهوى يا صاحِ طُلَّ دَمِي

/٥٨ب/ ظَبيٌ منَ التُّركِ في قلبي مَراتِعُهُ وما مَراتِعُه بالضَّالِ والسَّلَمِ

ألِفتُ في حبِّه رَعْيَ النُّجومِ ولم أشْكُ السُّهادَ لأنِّي قَطُّ لم أنَمِ

أبدَيتُ ما كنتُ أُخفي مِنْ مَحبَّتِه فعادَ أشْهَرَ مِنْ نارٍ على عَلَمِ

لَئِنْ غَدَوتُ أسيراً في حَبائلِه فالتُّركُ من دأبِها الغاراتُ في العَجَمِ

لله ليلةَ وافاني وغُرَّتُه تُبْدي لنا الصُّبحَ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ

فبتُّ مِنْهُ أرَى الأيَّامَ طَوعَ يَدي فيما أُحاوِلُهُ والدَّهرَ مِن خَدَمِي

[وحدثني قال: في سنة أربعين حضرت سماعًا عمله بعض الأمراء الحلبيين، فغنى المغني بهذه المقطوعة: [من الطويل]

وحَقِّ الهَوى إنِّي لِغَيرِكَ لا أهوى ولولاكَ ما أصبحتُ وقْفًا على البَلْوى

ولا قلتُ يا بَرْقَ الحِمَى قِفْ بِرامةٍ سُحَيراً وحَيِّ النَّازلينَ على حَزْوَى

قال: فاستطاب الحاضرون هذا الشعر والوزن، وطربوا له، وأخذ منهم كلّ مأخذ، وأعجبتهم معانيه، فقلت ارتجالاً: [من الطويل]

أقولُ لِعُذّالي . . . . ولَومِيَ لا يُجْدي على الرَّشأ الأحوى

ذَروا اللَّومَ عنِّي فالغرامُ سَجيّتي ومَوتي على ذِكر الهوى بُغْيتي القُصْوى

وأينَ استماعُ العَذْلِ مِن أُذنِ والِهٍ له نَشْوةٌ أغرَتْه بالقَامَةِ النَّشْوى

فألقيت ذلك على المغني، فعجب القوم من ذلك، وغنى بها المغني، وتكرر في مسامعهم، واستمر الشرب، ولم يزل القوم يرمون به، إلى أن انقضى المجلس، وقصدت منزلي . . . . .][1].

---

(١) ما بين المعقوفتين بعض ما في هامش الأصل، والباقي غير مقروء.

[ذكر من اسمه السموأل]

[٢٠٣]

السَّموأل بنُ أبي كامل المصريُّ البليقيُّ:

[كان] يعاني عمل البليقات، وهي جنس من موشحات المصريين، وله معرفة بضرب الرمل جيدة، ويفهم طرفًا من علم النجوم، كانت ولادته سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، و[كان] يقول شعراً مقاربًا، فمن شعره قصيدة يمدح بها الأمير الكبير الأصفهسلار عماد الدين أبا المحاسن يوسف بن الأمير علاء الدين طاي بغا، متولي حلب ـ أعلى الله محله ـ:

[من البسيط]

أمـا السُّلـوُّ فعهـدٌ لسـتُ أعْهَـدهُ … وغيـرُ عـادة قلبـي لا أعـوِّده

/ ١٥٩أ/ وكلَّمـا خلَـقَ الشَّوقُ المُبرِّحُ بـي … عـادَ التفكُّـرُ بـالـذِّكـرى يُـردِّدُه

ومـنْ عجـائـبِ سـرِّ الحـبِّ قـاتلُـه … بسـرِّ محجُـوبـه منـه تعمُّـدُه

وذا دلال يُـريـنـي حُسْـنُ صُـورتِـه … أدلَّـةً أنَّ لـي ربًّـا فـأعبُـدُه

ومـا يُجـرِّدُ سَيفًـا مـن لـواحظِـه … إلاَّ وفـي كبـد المُشتـاق يُغمـده

كـم ليلـة بـتُّ أُسقَـى خَمْـرَ ريقتـه … فَـلاحَ مـن لَحْـظ عَيْـن الصُّبـح أرمَـدُه

أعـدُّ أحـاديـثَ نَجـد والمقيـم بهـا … عسـاكَ يـومًـا علـى الأشـواق تُسْعـدُه

وكَيْـف أستُـر مـا بـي مـنْ فـراقهـمُ … قـالـوا تَسلَّـى فَقُلْـتُ الحشـرُ مَـوْعـدُه

تبًّـا لـدهـر رَمـاهُ بـالفـراق فكَـمْ … أضْحـى علـى ذَنـب دَهْـر منـه يَقْصُـدُه

لئـن ذمَمْـتُ زمـانـي فـي تقلُّبـه … فبـالأميـر عمـاد الـدِّيـن أحمَـدُه

وذا الأميـرُ الـذي طـابـتْ مَغـارسُـه … وكـلُّ مَـنْ طَـابَ أصـلاً طـابَ مـوردُه

هـو العمـادُ يهنَّـا بـالسُّعـود ومَـنْ … رَبُّ السَّمـاوات بـالأمـلاك يَعْضُـدُه

لا يَصْلُـحُ الحُكـمُ إلاَّ مـنْ تَصَـرُّفهـمْ … جَيْشًـا يُجهِّـزُ أو مـالاً يُبـدِّدُه

يـا بـاسطَ العَـدْل فـي الـدُّنيـا ونَـاشـرَه … وقـاصـيَ الجـوْر يمحـوهُ ويَقْصـدُه

مـا جـادت النـاسَ إلاّ جُـدْتَ عـن كَـرم … إلاَّ وعَنْـكَ إلـى العَلْيـاء يُسنَـدُه

وحَسْبُـه شَـرَفًـا أنَّ العـدوَّ لـه … يُقـرُّ بـالمجـد لا يسطيـع يَجحَـدُه

/ ٥٩ب/ إذا لَحاهُ عَذولٌ في تكرُّمه ... يَظَلُّ يُغريه مَنْ عَنْهُ يُفَنِّدُه

أضحى سَدادَ ثُغور المسلمين فهل ... يَسُدُّ إلا ثُغُورَ الثَّغرِ سؤدَدُه

لازِلْت تَرقى وتَبقى دائمًا أبداً ... تُحِلُّ سَيْفَ القَضا فينا وتُغْمِدُهُ

وقال أيضًا: [من المجتث]

وَعَدْتني بقَميص ... والمطلُ أقبَحُ خَلَّه

لاشكَّ يا نورَ عيني ... كتَّانُه في المَبَلَّه[1]

وقال أيضًا: [من الطويل]

إلى الله أشكُو ما بقلبي من الوَجْد ... لظَبيٍ غَدا في الحُسْن فَرداً بلا نِدِّ

تأمَّلْتُ في كَفَّيْه وَرْداً فشاقَني ... على لَثْمِ خدَّيه فأنعَمَ بالوَرد

فقلتُ له تَفديكَ نَفْسي وإنَّما ... أردتُ جَنَى خدَّيك يا جنَّة الخُلد

فقال أخافُ الآنَ جَوْرَ رقيبِنا ... ولابُدَّ للإنسانِ من سطوةِ الضِّدِّ

وأنشدني لنفسه: [من البسيط]

أينَ الصديقُ الذي تَبْقى مَودَّتُه ... على اختلافِ الليالي ليسَ يَنتَقِضُ

ومن يُسَرُّ إذا ما راءَني فَرِحًا ... وإن أكُنْ ذا انقباضٍ فهو يَنقبِضُ

ومن يُواسي إذا ما كنتُ مفتقِراً ... بمالِه ونفيسِ مالَهُ عِوَضُ

/ ٦٠أ/ دَهري أُفتِّش عنه وَهْوَ في عَدَمٍ ... وقد أموتُ ولم يَحصلْ ليَ الغَرَضُ

وأنشدني لنفسه يهجو إنسانًا يعرف بكريم الدين: [من الطويل]

مَدحْتُ كَريمًا ثُم عُدْتُ هَجَوْتُه ... وقايَسْتُ بين المعنيين وما دَرَىٰ

وأيقنتُ أنَّ الهَجْوَ يُؤلِمُ قَلْبَهُ ... ولَمْ أدرِ أنِّي قد خَرِيتُ على الخرا

---

(١) المبله: الموضع الذي يوضع فيه الصوف وغيره ليبتل.

ذكر من اسمه سهل

[٢٠٤]

سَهْلُ بنُ محمدِ بنِ رافعِ بن المُحَيَّى الهلاليُّ، أبو المحامد الشاعرُ[١]:

من بني هلال، من رامة الشعر ببلدة حوران، مولده ومنشؤه ومقامه بها، كان من الشعراء المجيدين في دهره.

حدثني القاضي أبو القاسم عمر بن أحمد الحنفي[٢] ـ أيده الله ـ من لفظه قال: قدم أبو المحامد حلب مراراً كثيرة، مسترفداً من ملوكها وأمرائها، واجتمعت به، وكان حلو المنطق، فصيح العبارة، حسن الشعر، وكتبت عنه شيئًا من شعره، وتوفي في رجب أو شعبان سنة/ ٦٠ب/ ثلاث وعشرين وستمائة ببعلبك:

ومما أنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب، ويتشوق فيها أهله ووطنه: [من البسيط]

لي نَحْوَ رامةَ قَلْبٌ شأنُه الطَّرَبُ ... وعَبْرةٌ بَعْدَ يومِ البَيْنِ تَنْسَكِبُ
وأنَّةٌ كلَّما ناحَتْ مُطَوَّقةٌ ... تكادُ مِنْ حَرِّها الأحشاءُ تَلتهِبُ
كم رُمْتُ كتْمانَ ما أُبديه من كَمَدٍ ... وباعثُ الشَّوق يَعصيني فأنْتَحِبُ
يا حاديَ العِيس بالجرعاء هل نَظَرتْ ... عَيْناكَ مثْلي مُعنًّى شفَّهُ الوصَبُ؟
أحشاؤُهُ مِنْ جَوى التَّذْكارِ في حُرَقٍ ... وقَلبُهُ لفراق الحيِّ مُكْتَئِبُ
لا كانَ يَوْمُ وداعٍ كنتُ أحْذَرُهُ ... والبدرُ يُسْفِرُ أحياناً ويَنْتَقِبُ
وطَلْعةُ الشَّمسِ تبدو غيرَ آفِلَةٍ ... مِنَ المَعاجِرِ طوراً ثم تَحْتَجِبُ

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٦/ ١٧ ـ ١٨.

(٢) عمر بن أحمد ابن أبي جرادة المعروف بابن العديم، المؤرخ، صاحب كتاب «بغية الطلب في تأريخ حلب» وغيره (٥٨٨ ـ ٦٦٠هـ).
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ١٠١. معجم الأدباء ٦/ ١٨. إعلام النبلاء ٢/ ٣١٣. الأعلام ٥/ ٤٠. وفيه قائمة بمصادره.

وَدَّعتُ لذَّةَ عَيشي يَومَ فُرقَتِها ... ودمعُ عينيَ من هَولِ النَّوى سَرِبُ
فاستَعبرتْ ومطايا الحيِّ مُزمعةٌ ... سَيراً يُسايرُهُ التَّقريبُ والخَبَبُ
فَخِلتُ حُمرةَ خَدَّيها وأدمُعَها ... راحاً تجُولُ على ناجُودها الحَبَبُ
لَمياءُ يُخبرُ عن شَهْدٍ مُقبَّلُها ... ويُخجلُ الدُّرَّ منها ثَغرُها الشَّنِبُ
تُريكَ وجهاً يُريكَ الشَّمسَ طالعةً ... سَبْطَ المَحاسنِ لا خالٌ ولا نَدَبُ
/٦١أ/ خَوْدٌ هلاليةُ الآباءِ لا أمَمٌ ... يَقضي المودَّةَ لي منها ولا صَقَبُ[1]
من دون رَشْفِ حُميا شَهْدِ ريقتها ... بيضُ الصَّوارمِ والعسَّالةُ السلبُ
قالتْ وقد أزمعَتْ بي عن مَواطنها ... مَيساءُ مُضمَرةٌ مَهريَّةٌ نُجُبُ
ماذا الرَّحيلُ وقد غادرتَ منزلَنا ... صفرَ الجوانبِ لا وَرِقٌ ولا ذَهَبُ
فقلتُ خلِّي سبيلَ الهَمِّ مُنصرِفاً ... غَازي بن يُوسفَ ذُخْري والمدى حَلَبُ

وأنشدني أيضًا قال: أنشدني سهل لنفسه من قصيدة يمدح بها سنقر الحلبي:

[من الكامل]

مَلِكٌ يَسُرُّ المعتفينَ لقاؤهُ ... وَتَخافُ شدَّةَ بأسهِ أُسْدُ الشَّرى
مُتألِّقُ الأضواءِ يُحمدُ وَفْدُهُ ... عندَ الصَّباحِ بوجههِ غِبَّ السُّرى
قَهَرَ الفوارسَ قبلَ شَدِّ نطاقِهِ ... وأتى المكارمَ يافعاً وحَزَوَّرا
وَحَوتْ مناقبُهُ مآثرَ مَعْشَرٍ ... ما كان ذكرُهُمُ حَديثاً يُفتَرى
ماضي ظُبا العَزَماتِ لا يَعتادُهُ ... زَمَعٌ إذا صُبْحُ الأسنَّةِ أسفرا
يَلقى الكتيبةَ غيرَ مُكترثٍ بها ... ويكُرُّ والأرواحُ واهيةُ العُرَى
متقلِّدٌ عضباً كأنَّ مَضاءَهُ ... قَدَرٌ لكلِّ مُلمَّةٍ قد قُدِّرا
ما شِيمَ بَرْقٌ من مَضاربِ حَدِّهِ ... إلا كَسا الآفاقَ مَرْطاً أحمَرا
/٦١ب/ يَغشى غمارَ الموتِ عَضْباً فاتِكاً ... ويَلُوحُ في رَهَجِ العَجاجِ غَضَنْفَرا

أخبرني القاضي أبو القاسم ـ أيده الله ـ قال: قال أبو البقاء يعيش بن علي النحوي قال: رأيت الهلالي ينشد السلطان غياث الدين قصيدة من حفظه لنفسه، يمدحه بها، فجعل يتوقف فيها، ويعيد أبياتها، فلما فرغ منها قال للسلطان الملك الظاهر معتذراً من

---

(١) صقب: القريب.

تغلطه فيها: يا مولانا، الجواد يكبو من قلة العلف، فقال السلطان في الحال مجاوبًا له: وقد يكون من حمير.

[٢٠٥]

سَهْلُ بنُ محمد بن أيوبَ بنِ مالك، أبو الحسن الأزديُّ الغَرناطيُّ الأندلُسيُّ(١):

كان من العلماء الأفاضل المتفنّين في عصره، إمامًا في البلاغة / ٦٢أ/ ، والخطابة، والشعر، والكتابة، قادراً على إنشاء الكلام نظمًا ونثراً، فقيهًا مالكي المذهب، عارفًا بأصول الدين، وأصول الفقه، مقدمًا في علم الأدب والعربية، مبرزاً في علم المنطق والجدل.

أنشدني أبو الوليد إسماعيل بن عبد الله بن إسماعيل بن أحمد البلوي القضاعي البيّاسي في العشرة الأخيرة من جمادى الأولى بحلَب سنة اربع وثلاثين وستمائة قال: أنشدني أبو الحسن سهل بن مالك الغرناطي لنفسه في سنة تسع وستمائة، وقد فارق وطنه، ونزل مدينة سبتة: [من الكامل]

لمّـا حَطَطْـتُ بِسَبْتَـةٍ قَتَـبَ النَّـوى ... والْقلـبُ يـرجـو أنْ تُحـوِّل حـالُـه
أبصَـرتُ مِـنْ بَلَـدِ الْجـزيـرة مكْنسًـا ... والبحـرُ يمنـعُ أنْ يُصـادَ غَـزالُـهُ
كـالشَّخْـصِ والمِـرآةُ تُبْصِـرهُ وقـد ... قَـرُبَـتْ مسـافَتُـهُ وعَـزّ مَنـالُـهُ

وحدثني أبو محمد عبد الله بن أحمد بن يوسف اللخمي الفراتي قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن مسعود السبتي قال: كان للفقيه الإمام العلامة أبي الحسن

---

(١) ترجمته في: تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠هـ) ص٤٣٥ رقم ٦٥٥ وفيه نسبه: «سهل بن محمد بن سهل بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن مالك»، أديب، من الكتّاب الشعراء، من أهل غرناطة، ولد سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م، وامتحن أيام ابن هود. توفي في غرناطة سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م.
ترجمته في: الإحاطة ٤/ ٢٧٧ ـ ٢٩٥. تكملة الصلة لابن الأبار (ط مدريد) رقم ٢٠٠٧. اختصار القدح المعلى ٦٠، المغرب في حلى المغرب ٢/ ١٠٥. الوافي بالوفيات ١٩/ ٢٣ رقم ٢٨. بغية الوعاة ١/ ٦٠٥ قم ١٢٨٧. برنامج شيوخ الرعيني ٥٩. الذيل والتكملة ٤/ ١٠١ ـ ١٢٤ رقم ٢٢٩. مسالك الأبصار ١١/ ورقة ٤٨٢. الديباج المذهب ١٢٥. زاد المسافر رقم ٢٣. نفح الطيب/ مواضع متفرقة. الأعلام ط٤/ ٣/ ١٤٣.

سهل بن مالك خطيب / ٦٢ب/ غرناطة ـ كلأها الله ـ ابنٌ مدمن على شرب الخمر، وتعشق جارية، كان أبوه كثيراً ما ينهاه عنها، وعن الشرب معها، وهو مع ذلك [لا يزداد] إلاّ غرامًا [بها]، فلما لم يجبه إلى ترك ما علق به من ذلك، حبسه، وقيده، وبقي على تلك الحَال مدة طويلة، ثم سرّحه بعد ذلك لموشحة صنعها. وصنع طعامًا، وأراد أن يحضر أصحابه، فيأكلون ذلك الطعام في منزل ابنه، ليطيب قلبه، فتقدم أبوه إلى منزله، فوجد الباب مفتوحًا، فدخل عليه، فوجده يشرب مع تلك الجارية، وهي تسقيه بفيها خمراً، فرجع من غير أن يراه ابنه، وكتب إليه وهو لا يعرف اسم الجارية:

[من مخلّع البسيط]

يَا مَنْ أُراعيه مِلءَ عيْني ... خَفْ وَصْلَةً أعْقَبَتْ ببَيْنِ

إذا تمكَّنْتَ مِنْ فُلانَهْ ... فَمَرَّةً واتْرُكِ اثنَتَيْنِ

فَما سَقَتْ خَمْرَةً بفيها ... إلاّ لِتَشْقى بسَكْرَتَيْنِ

/ ٦٣أ/ فكتب إليه ابنه: [من مخلّع البسيط]

يا واحِدَ الدَّهْرِ دونَ مَيْنِ ... ومَنْ تَحَلَّى بكُلِّ زَيْنِ

مثْلُكَ يَنْهَى أخَا غَرامٍ ... عنْ وصلة أعْقَبَتْ ببَيْنِ

وَقدْ نَهَيْتُ الفُؤادَ لكنْ ... يَرْجِعُ قلبي لحُكْمِ عيني

قال: فسكت عنه، ووصله، ولم يعرض بذكر الجارية أبداً.

ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف

[٢٠٦]

سَنْجَر بنُ المقلّد بن سليمان بن مَهارش بن المُجلي بن سكّيت بن قيان بنَ شَغَب بن المقلَد بن جَعفر[1] بن عمرو بن المهيا بن يزيَد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن حوثة بن طهفة بن ربيعة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر / ٦٣ب/ بن نزار بن معد بن عدنان، الأمير أبو الحارث العُقيليُّ:

ملكُ العرب، وشجاعها المقدم، وفارسها المعظم، وله البيت الأصيل، والمجد الأثيل، في اصطناع المعروف، وقرى الضيوف، وكان أميراً كبيراً، سيد أسرته، ومتقدمًا على عشيرته.

ومن شعره يفتخر. أنشدني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد الأزري قال: أنشدني محمد بن أبي الفضل العراقي قال: أنشدني الأمير سنجر لنفسه من قصيدة يفتخر فيها: [من الوافر]

أمـا أنـا سَنْجَـرُ وأبـي مَليـكٌ   شُعـاعُ الشَّمـس نـورُ العـالمينـا
أنيسـي مَضْـرَبـي وزفيـرُ خَيْلـي   ورَدِّي عـن كُـرَيعـانَ الكَمينـا

كُريعان: تصغير كرعان، وهي قبيلة مشهورة من عبادة.

[٢٠٧]

سعدُ الله بنُ أبي الفتحِ بن مَعالي بن الحُسَين، أبو نصر المَنْبجي[2].

شيخ فَاضل من أهل الأدب والعلم، عارف في فن الأدب، كثير الشعر، وديوان

---

(١) كذا ورد في الأصل «جعفر»، وفي ترجمة (سليمان بن يحيى العقيلي) برقم ٢٠١: «جمح».

(٢) في هامش الأصل: «وفاته [في] السادس والعشرين من ذي الحجة سنة إحدى وخمسين».
ترجمته في: بغية الطلب في تأريخ حلب لابن العديم ٩/ ٤٢٣٩ ـ ٤٢٤٠. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠هـ) ص٩٥ رقم ١٨.

أشعاره / ٦٤أ/ يدخل في مجلدين، سافر إلى بلاد خراسان، وتوغل فيها، ورزق حظوة من ملوكها، وأقام بها زمنًا طويلاً، ثم عاد قافلاً إلى بلاد الشام، فنزل دمشق، وسكن مسجدها الجامع، وهو مقيم به، ينتمي إلى التصوف، وطريقة الفقر. لقيته به وسألته عن مولده فقال: لي الآن سبعون سنة، وكان سؤالي له في أوائل شهر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة، وأنشدني كثيراً من شعره، وأجازني جميع رواياته وأشعاره، ومما أنشدني لنفسه وهو مما كتبه بخطه: [من الطويل]

لكلِّ امرىءِ في كلِّ حادثَةٍ تَطْرا ... عليه منَ الدُّنيا وأحوالها ذُكْرى
وما المرءُ في شيءٍ إذا ضاعَ عمره ... ومَنْ طَلَبَ الدُّنيا فقد ضَيَّعَ العُمْرا

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

يا ربِّ خُذْ بيدي ها قد مَدَدتُ بها ... إليكَ إنَّكَ نِعْمَ الجارُ للجارِ
يا ربِّ قد قلَّ فيما أنتَ تعلَمُه ... صَبْري وقَلَّ إلهي فيكَ أنصاري
تَبارَكَ الله لا أهلٌ ولا وطنٌ ... ولا حبيبٌ تَراهُ العينُ في الدَّارِ
لو تقذفوني إلى نارٍ لتُحْرِقَني ... لأحرقَ النَّارَ ما عندي من النّارِ

/ ٦٤ب/ وأنشدني أيضًا لنفسه: [من البسيط]

لستُ الحَريصَ على الدُّنيا يُجاذبُها ... كما يجاذبُ في الدهدوَّةِ الجُعَلُ
يا رَبِّ رزقًا كرزقِ الطَّيرِ القُطُهُ ... لا كالوحوشِ على الأرزاقِ تَقْتتِلُ

وأنشدني الشيخ أبو نصر سعد الله لنفسه: [من الخفيف]

أوضَحَ الخمرُ في الخَلاعةِ عُذْري ... مذْ رآني في حَانةِ الخمرِ أجري
بينَ قومٍ لا يَعْرفونَ سوَى الرَّا ... حِ عَروسًا تُجلى بطَبْلٍ وزَمرِ
ورَياحينَ قامَ فيها رَياحيـ ... ـنُ قُدودٍ تأوَّدت كالسُّمْرِ
ونَدامى غُرِّ الوجُوهِ كرامٍ ... يُنْشدوني أطرافَ أغزالِ شعْري
إسْقيانِي إذا ارتدَتْ ظُلمَةُ الليـ ... ـلِ رداءً منَ النُّجومِ الزُّهرِ
وإذا الجوُّ صَفَّقَتْهُ رياحٌ ... قد تكيَّفنَ من أفاويحِ زَهْرِ
بنتَ كَرْمٍ تَغلي الحَبابَ كجَمْرٍ ... يَتلظَّى وما عَلَتْ فوقَ جَمْرِ
كم أتتْنا بكفِّ ظَبْيٍ غَريرٍ ... عَلَّها إذْ أقلَّها خَمْرُ سحْرِ
فانتَشَتْ من جُفونِ عَيْنَيْهِ سُكراً ... غيرَ عَهْدي وعهدُها من سُكرِ

فَسَمَتْ في عُروقنا ليس ندري حينَ تسري منْ سُكرها أين تسري

/ ٦٥أ/ وأنشدني لنفسه أيضًا في التاريخ المذكور: [من مخلّع البسيط]

لا خَيْرَ يا سَعْدُ في كثير ممَّنْ رأينا ولا قليل
النَّاسُ وَحْلٌ وأنتَ تدري مَشَقَّةَ المشي في الوُحُول
إن صَدَقوكَ الودادَ ملُّوا وغيرُ مجدٍ وُدُّ ٱلملُول
وإن سَعَوا كالصِّلال دُبُّوا إليك في الوَعْرِ والسُّهول
هذا تُداري وذا تُماري وذا تُجاري إلى الفُضُول
بينَ ثَقيلٍ ومُسْتَقيلٍ ومُسْتَحيلٍ ومُسْتَميل
مُصَدَّعَ الرأسِ بين قالٍ تَسمعُهُ منهمُ وقيل
وأنتَ منهم على كثيبٍ إن عَرَضَت حاجَةٌ مَهيل
وإنَّهُمْ إن سَخَوا بفَلْسٍ دَقُّوا على الفَلْسِ بالطُّبول
لا أبتغي منهُمُ خليلاً وإنَّما درْهَمي خليلي
رَئيسُهُم ويحَهُم ضَعيفٌ يُجَذَبُ في مَحمَلٍ ثقيل
أجراسُه والطُّبولُ ثقْلٌ مَعْ ثقَلِ ٱلمَشْي وٱلخُمُول
ما أحْسَنَ ٱلمرءَ ذا كَفافٍ يُغنيه عن رؤيةِ ٱلبَخيل
فإن في وجهه عذابًا يُقْطَعُ بالشَّدِ وٱلرَّحيل

/ ٦٥ب/ وأنشدني أيضًا لنفسه من لفظه وحفظه في التاريخ: [من الخفيف]

أحرَقَ ٱلبينُ مُهْجَتي فتأنَّى بوقوف على الكئيب المُعَنَّى
قفْ لَعَلِّي أقولُ والدَّمْعُ يَجري بوَشيكَ ٱلفراقِ منْكَ وَمنَّا
آه ما أقتَلَ الفراقَ مع ٱلحُبِّ وقول ٱلمُحَبِّ كَانوا وكُنَّا
كَان ذَيَّاكَ مَلْء عَيْني زَمانًا فٱفترقْنا ولَيْتَنا ما ٱفترَقْنا
والَّذي أضحَكَ ٱلمُحبَّ وأبكَاهُ وأبقاهُ في هَواهُ وأفنى
ما تَمنيتُ في حُضُورك شيئًا أنتَ كلُّ ٱلمنى فما أتمنى ؟
عجبًا يا حَبيبُ تَزدادُ حُسنًا يَملأ العَيْنَ كلَّما ٱزددتَ سنّا
وإذا قوَّمَ ٱلحقيقةَ جُزْءٌ لَزمَ الذّاتَ أيَّ وقت فَرَضْنا
والَّذي الجُزءُ منه والكلُّ منِّي مُستَحيلٌ زوالُهُ إنْ أسنَّا

كُلَّمـا مـاسَ قـدُّه ٱلأهيـفُ اللَّـدْ نُ بكـأسٍ مـن المُـدامِ عَلمنـا :
أنَّ لله فـي الشَّمـائِـلِ سِـراً مـا عَلمنـا أقـلُّ مما جَهِلنـا

وأنشدني أيضًا لنفسه من قصيدة يقول فيها : [من الكامل]

/ ٦٦أ/ أنـا عبـدُه أشكـو إليـه حُبَّـهُ مـا لـي إلـى أحـد سـواهُ شَكـاةُ
مـا ملَّـهُ قلبـي بـأيـةِ حـالـة وَهُـوَ الحيـاةُ وهـل تُمـلُّ حيـاةُ!
لله ليلـةُ هَـبَّ حيـنَ تَـواتـرتْ بـٱلـدِّيـك بعـدَ مُـؤذن صَيْحـاتُ
يَـدْعـو بـأسمـاءِ النِّـدام تنبَّهـوا مـن نَـوْمكـم مـا هـذه ٱلغَفَـلاتُ ؟
هُبُّـوا إلـى اللَّـذَّات فـي أوقـاتها فَسُقـاتُهـا قسمـًا لهـم أوقـاتُ
وتَغنَّمـوا شَـرْخَ الشَّبـاب وطيبَـهُ قبـلَ الشَّتـات فللشَّتـات شَتـاتُ
يـا ضيعـةَ العُمْـر المُنـام وَمـا لمـنْ هُـوَ نـائـمٌ عقـلٌ ولا لـذَّاتُ
فـأتـى النَّـديـمُ إلـى النَّـديـم وقبَّلَـتْ فـاه النَّـديـم مـن الكُـرُوم فَتَـاةُ
أرْبَـتْ علـى تِسْـعٍ وقـاربَ سِنُّهـا عَشْـراً ففيهَـا الشُّـؤمُ والبَـركـاتُ

[٢٠٨]

الساطعُ بن عبد الباقي بن المحسن بن أبي حُصَين عبد الله بن المحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر بن سعيد بن محمد بن داود بن المطهر بن زياد بن الحارث بن ربيعة بن أرقم بن أنور بن أسحم بن النعمان ـ ويقال له التالع ـ بن عديّ بن عبد غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن / ٦٦ب/ أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ـ وقضاعة لقب واسمه عمرو ـ بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، القاضي الأديب الشاعر، أبو البيان المعريّ التنوخيّ[1] :

(١) ترجمته في: بغية الطلب ٢/ ٨٩٤ وفيه: «ساطع بن عبد الرزاق بن المحسن. . . . الخ». تأريخ معرّة النعمان للجندي ١/ ٣٥، ٢/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧.

من شعراء معرة النعمان[١]، وأبناء أفاضلها ومقدميها في كل نوع من العلم، وأماثلها، وكان شاعراً مجيداً مداحًا للملوك من بني أيوب، حسن الشعر، لطيف التغزل.

حدثني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة الحنفي الحلبي ـ أدام الله تأييده ـ من لفظه في شهر ربيع الآخر بمنزله المعمور، في سنة أربع وثلاثين وستمائة قال: اقام الساطع بحلب، ومرض بها، وحمل إلى معرة النعمان، فمات في الطريق بين المعرة وحلب، وذلك سنة إحدى وعشرين وستمائة[٢]، سمعت منه هذه القصيدة التائية، ينشدها الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ بالقلعة المحروسة في بعض ليالي شهر رمضان / ٦٧أ/ من سنة اثنتي عشرة وستمائة، ويهنيه بولد جاءه، لقبه بالملك الناصر، فاستحسنها الملك الظاهر، و[لا سيّما] البيت الذي يذكر فيه: جدوده أم أبوه أم عمومته، وكان ذلك بحضرة البهنسي[٣] رسول الملك الأشرف موسى بن أبي بكر بن أيوب[٤] ـ أدام الله سلطانه ـ ثم أنشدني القصيدة وهي: [من البسيط]

أَمَــا لِحــجٍّ تــلاقــي الحــيِّ مِيقــاتُ ... ولا لِــرَمْــيِ جمــارِ الهَجْــرِ أوقــاتُ ؟

لعــلَّ فــي عَــرَفــاتٍ مــن عَــوارفِكُــمْ ... وَصْــلاً لصــبٍّ لــه بــالخَبْــتِ إخْبــاتُ

فَلَيْــتَ يَجْمعُنــا جَمْــعٌ ويُشْعِــرنــا ... سَعْيــاً بِمَشْعــرِ تلــك الــدَّارِ ســاعــاتُ

كَيْمــا أَقُــومُ مَقــامــاً لا أَخــافُ بــه ... نَــوىً فَتُشْــرَحُ مِــنْ حــالــي مَقــامــاتُ

يــا راحليــن وقَلْبِــي فــي رِحــالِهِــمُ ... يَحْــدُوهُ إن غَفَــلَ الحــادُونَ رَوْعــاتُ

---

(١) انظر: معجم البلدان / مادة (معرّة النعمان).

(٢) انظر: بغية الطلب ٩/ ٤٠٩٩.

(٣) البهنسي: الحارث بن مهلب بن حسن بن بركات، أبو الأشبال، مجد الدين، وزير من الكتّاب الشعراء، مصري، توفي بدمشق سنة ٦٢٨هـ.
ترجمته في: الأعلام ٢/ ١٦١.

(٤) الملك الأشرف: موسى بن محمد بن أبي بكر محمد بن أيوب، مظفر الدين، أبو الفتح، من ملوك الدولة الأيوبية بمصر والشام، كانت له وقائع مع الروم، ولد بدمشق وتوفي فيها (٥٧٨ ـ ٦٣٥هـ).
ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ١٣٨. ذيل الروضتين ١٦٥. السلوك ١/ ٢٥٦. تأريخ الصالحية ١/ ٩٥. الأعلام ٧/ ٣٢٧ وفيه قائمة بمصادره.

عُـودوا وإلاَّ عــدُوا وَصْــلاً بقُــربكُـم فَللْجَميــل ولــلإحسـان عَــوْداتُ

عَهْـدي بنـا قبـلَ وَشْـك البَيْـن يجمَعُنـا ظـلٌّ ظَليـلٌ ورَوْضـاتٌ أريضـاتُ

فـي جنَّـة سُـرحَـتْ أنهـارُهـا وَزَهَـتْ أزهـارُهـا فَلَهـا بـاللَّهْـو لـذّاتُ

تُـديـرُ فينـا شُموسَ الـراحِ فـي فَلَـك مـن الـزُّجـاجـة أقمـارٌ مُنيـراتُ

كَـرْميـةٌ كـرُمَـتْ صَـوْنـاً متـىٰ فَقَـدَتْ حَشـا الأبـاريـق صـانَتْهـا الحُشَـاشـاتُ

/ ٦٧ب/ لـو أنَّهـا كُنيـتْ مـنْ حَيْثُمـا اعتصـرت أمَّ العنـاصـر لـم تُخْـط الكنـايـاتُ

هـواً ومـاءٌ ونـارٌ والإنـاء لهـا مـن جَوْهَـر التُّـرْب فَهْيَ الاَسَتَقَصَّاتُ(١)

ونحـن فـي جنَّـة مـا فـاتَ سـاكنَهـا فيهـا نعيـمٌ ولا واتَتْـهُ آفـاتُ

سمـاؤُهـا الـدَّوْحُ يبْـدو الـزَّهْـرُ مـن زَهَـر وأرضُهـا كيـفَ سـارَ الطَّـرْفُ رَوْضـاتُ

قَـدْ أبـدعَ اللهُ فيهـا كـلَّ رائقَـة فـأُوحيَـتْ فَنـواحيهـا بَـديعـاتُ

مـا أعـرَبَـتْ قَيْنَـةٌ إلاّ شَـدَتْ طَـربـاً مـن أعجـم الـوُرْق فـي الأغصـانَ قَيْنـاتُ

نَمـارقٌ وَزَرابـيٌّ مُلَفَّقَـةٌ نَسْـجُ الـرَّبيـعِ لـرابيهـا أنيقـاتُ

كـأنَّهـا دَوْلـةُ الغَـازي التـي كَمُلَـت وَصْفـاً فَعَمَّـت رَعـايـاهـا الـرَّعـايـاتُ

الظَّـاهـرُ الظَّـاهـرُ المخلُـوقُ مـن مَلَـك ومـن أيـاديـه أنـواءٌ مَطيـرَاتُ

تخـافُـه الأُسـدُ فـي الأخيـاس مُشْبلـةً وتَسْتَحـي مـن حيـاهُ المستهـلاَّتُ

يـا أيُّهـا المَلـكُ السُّلطـانُ لا بَـرحَـت تُهـدَىٰ إليـك التَّهـانـي والمسَّـراتُ

هُنِّيـتَ بـالنـاصـر الثَّـانـي وَدُمْـتَ لَـهُ مـادامَـت الأرضُ تَعْلُـوهـا السَّمـاواتُ

مَلْـكٌ أبـى اللهُ إلا أنْ يكـونَ لـهُ جَـدٌّ كَجَـديـه تَتْلُـوهُ السَّعـاداتُ

مـاذا يقـولُ الـذي مـا إثـره [. . .] فـي مَشْهَـد الحمـد لـو تُغْنـي المَقـالاتُ

جُـدودُهُ أم أبـوهُ أم عُمُـومَتُـه أَم الخَـؤولَـةُ حَسْبـي والتَّحيـاتُ ؟

/ ٦٨أ/ وأنشدني القاضي أبو القاسم بن أبي جرادة قال: أنشدني ساطع لنفسه(٢): [من الطويل]

دَعـاهـا فَبَـرْق الأبـرَقَيْـنِ دعـاهـا أيـا حـاديَيْهـا والغَـرامُ دَعـاهـا

---

(١) الاستقصات: أو الأستقسات، كلمة يونانية قديمة بمعنى؛ الأصل، انظر: التعريفات للجرجاني ص١٥.

(٢) بغية الطلب ٩/ ٤٠٩٩.

ذَراهــا تُبــاري الــرِّيــحَ نَحْــوَ مــرامِها فَجَــذْبُ البُــرى عمّــا تــرومُ بَــراهــا
ولا تَلْــويــاهــا أنْ تُحــاوِلَ بــاللِّــوى دُيــونــاً لهــا بُعْــدُ ٱلمَــزارِ لَــواهــا
ألَــم تَــرَيــاهــا كــالحنايــا وفــي السُّــرى سِهــامــاً ورامٍ بــالحَنيــنِ رَمــاهــا ؟

أنشدني القاضي أبو الفتح منصور بن معالي بن منصور التدمري الشافعي قال: أنشدني ساطع المعري ـ رحمه الله ـ هذه الأبيات، وذكر أنه عملها لما دخل حلب بعد موت السلطان الملك الظاهر ـ قدس الله روحه ـ وقد تغيرت الأحوال عن ما كان يعهد:

[من الوافر]

قِفَــا بــي صــاحِبَــيَّ علــى الــرُّبــوعِ لِتَــرويهــا سَحــائِــبُ مِــن دُمــوعــي
مَنــازِلُ طــالَ مــا كــانَــتْ لعَيْنــي لَيــاليهــا كــأيَّــامِ ٱلــرَّبيــعِ
تَصَــدَّعَ شَعْبُهــا وَغَــدَتْ خَــلاءً مِــنَ القَــوْمِ الأُلــىٰ شَعَبــوا صُدوعــي
/ ٦٨ب/ فــوا لَهْفــي عليهــا مِــن بُــدورٍ تَعَــوَّضَــتِ الأُفــولَ مِــنَ الطُّلــوعِ

[وله في ابنة توفيت: [من الطويل]

جــزى الله عنــي . . . مــن فقــدتُهــا وإن وَجــدت وجــداً علــى فَقْــدها نفســي
. . . غيــــــر كفــــــوٍ . . . . عــــروقــــي وعــــن نكــسِ
. . . . إليــه ولاذت بــالكــريهــة والــرمــس

وقال القاضي ساطع بن أبي حصين: [من الطويل]

تَــذَكُّــرُ أيــام التَّصــابــي وطيبهــا دَعــانــي إلــى حُــبِّ البيــاضِ وَلُبسِــه
وبِيْــضٍ أعــدنَ البيــضَ عنّــي شَــوامســاً وشيــبٍ رَمَــت لَيْــلَ الشَّبــابِ بشَمْسَــه
ورائعــةِ العَيْنَيــنِ راعَــتْ بــأحْــرُفٍ . . . يمحــو النَّفــس كــاتــبُ طِــرْسَــه
أعَــدَّتْ لَعَيْنــي مَغْنَــمَ العَيْــشِ مَغْــرَمــاً وأيُّ نفيــس لا يُصــابُ بعَنْسَــه ؟
وَمــن يــومــه أمســى إلــى المــوتِ مُسلَمــاً فَمــن حقِّــه يَبْكــي علــى فَقْــدِ نَفْسِــه][١]

وقال أيضاً ابتداء قصيدة أولها: [من الكامل]

طَــرَقَتْــكَ داعيــةُ الصَّبــابَــةِ تَهْتِــفُ وَهْنــاً تُنَظِّــمُ سَجْعَهــا وتــؤَلِّــفُ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

يُشْجي الخَليَّ حَنينُها بَلْهَ الَّذي ... في صَدْره ريحُ الكَآبة تَعصِفُ
يا بَرْقُ أهدِ إلى جَزيرة قُبْرس ... غَيْثًا يَبيتُ بها يَجودُ ويَغرِفُ
حتى يَرى التَّيارَ في بَطْمونها ... ولهُ به زَجَلٌ يَهُدُّ ويَرْجُفُ
تلك الرُّبوعُ ظباؤها مَحروسَةٌ ... بظُبا الصَّوارم والْقَنا يتَقَصَّفُ
وَبَديعةُ اللَّحظات زُرْقةُ طَرْفها ... من دونها زُرْقُ الأسنَّة تَرْعُفُ
خَطَرَتْ فقلتُ السَّمَهريُّ قَوامها ... وَرَنَتْ فقلتُ اللحظُ سَيْفٌ مُرْهَفُ
وتَبَسَّمَتْ عَنْ واضحٍ لعُقودها ... رَتْلٌ عليه من الرُّضاب القَرْقَفُ
وثنَت بجيد جَدايةٍ لحظاتها ... عنِّي ومالَ بها القَوامُ الأهيَفُ(١)
نَظَرَت مُخالَسةً إليَّ كأنَّها ... وَسْنى الجُفون أو السَّقيمُ المُدْنَفُ
يَقْظى تجورُ بصَدِّها ولَدى الكَرى ... تحنُو على الدَّنَف الكئيب وتَعْطفُ
عجبًا لزائر طَيْفها أنَّى اهتَدىٰ ... نَحوي ودُوني لُجَّةٌ أَو نَفْنَفُ
/ ٦٩أ/ آيَ ابنِ مَريَمَ أُوتيت أمْ نَفْثَةٌ ... من طَرفها وعُبابُها يَتَخطَّفُ ؟
لله أشواقي وما تَرَكَ الهَوىٰ ... بحُشاشَتي من لَوعةٍ تَتَردَّفُ

ووجدت من شعره ما كتبه إلى القاضي بهاء الدين أبي محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن يحيى ـ أدام الله إقباله ـ : [من البسيط]

أبا محمد المُوْلَي تفضُّلَه ... وليَّهُ من وليِّ الفضل والكرمِ
وَمَن حَوى خُلُقًا كالرَّوض باكَرهُ ... صَوْبُ الغَمام وحلمُ الشَّيْب في الحُكُمِ
كم منَّةٍ لكَ عندي لستُ أكفُرُها ... ونعْمَةٍ قد أنافَتْ لي على النِّعَمِ

وكتب إليه أيضًا ـ أيده الله تعالىٰ ـ : [من البسيط]

وما ذَكَرْتُكَ إلاَّ صحتُ من حَرَقٍ ... يا مُقْلَتيّ على أحبابنا جُودي
ولا ذَكَرْتُ ليالينا التي سَلَفَتْ ... إلاَّ وَقُلْتُ : ليالي وَصْلنا عُودي
ولا تَلَهَّبَت الأحشاءُ من كَمَدٍ ... إلاَّ وَقُلْتُ لها يا لَوعَتي زيدي

وكتب إليه أيضًا يمدحه ـ أدام الله إقباله ـ من معرة النعمان : [من الطويل]

(١) الجداية : الذكر والأنثى من أولاد الظباء.

إليكَ بهاءَ الدِّين تَعثيرَ واحد ... على الدَّهر لمّا أنْ نأتْ عنكَ دارُه
/٦٩ب/ عظيمُ الأسىٰ قد مَلَّ منهُ أُساتُه ... مراراً قريبُ الودِّ ناء مَزارُه
متى أسلَمتْ ريحُ الشّمال بنَشْرِكم ... طَوَتْ نَشْرَ صَبْرٍ ما استَقَرَّ قرارُه
فللّه عَيشٌ قد تقضّىٰ بأرضِكم ... هو العُمْرُ إذْ عَصْرُ الشَّباب اعتصارُه
حَيَاهُ وحيَّاه حيَاً عمَّ ضالُه ... وأخلَتْ به الأقطارُ عفْواً قطارُه
سَقَىٰ عَهْدَه صَوْبُ العهاد ومَعْهَداً ... عَهِدْناهُ لا يَخْشىٰ من الجَوْرِ جارُه
بباب مليكٍ قد أبىٰ اللهُ أن يُرَىٰ ... لبابٍ سواهُ مُلكُه واقتدارُه
له شَرَفٌ لو شَرَّفَ البدرَ تمُّهُ ... لما غالَه عندَ التَّمام سِرارُه
وبَهْرامُ جورٍ لو يُجارُ بظلّه ... لَخافَ وبَهرامُ النُّجوم وجَارُه
وكسرى أنوشِرْوانَ لو عَدْلَ مُلكه ... رأى قالَ هذا العدلُ هَذْيٌ شعارُه
أو الفَلَكُ الدَّوارُ حُمِّلَ هَمَّه ... وهمَّتَه أعيا بذَيْن مَدارُه
تَحمَّلَ أعباءَ المَمالك كافلاً ... لها وأقامَ الحَقَّ يَعلو مَنارُه
وقَصَّرَ عنْها طولَ كلِّ مُطاول ... ونَفَّرَهُ والرُّعْبُ منْهُ نفارُه
وأسْهرَ في حفْظ الممالك طرْفَه ... على طَرْف عَزْمٍ لا يُرَجَّىٰ عثارُه
وخَطَّ بسُمْرِ الخَطِّ نَهْرَ مَخافَة ... وأمْنٍ تَساوَىٰ ليلُهُ ونَهارُه
وكم خامَرَتْ أسيافُه من مُخامرٍ ... صَريعاً إلى يَوْم المَعاد خُمارُه
/٧٠أ/ وكم أسْكَرَتْ من مارقٍ ودَمُ الطُّلىٰ ... طِلاهُ ومن عَصْر الوَريد عُقارُه
فَمَن تُبَّعٌ أو عَمْرو هندٍ وقَيْصَرٌ ... وَقَد قَصُرا عمّا اقتَضاهُ اقتِصارُه
فلا زالَ في مُلْكٍ تُنيرُ شُموسُهُ ... بسَعْدٍ ولا تَخْبو مَعَ الدَّهْرِ نارُه

وقال يمدح الملك المنصور صاحب حماه: [من الطويل]

دَعاهُ الهوىٰ نَحْوَ الخَليط المُودِّعِ ... وَحَنَّ إلىٰ حيٍّ بأكناف لَعْلَعِ
ديارٌ عَهِدتُ الشَّمْلَ فيها مُجَمَّعاً ... سَقَتْها الغَوادي من طلولٍ وأرْبعِ
مَنازلُ من قَوْمٍ على غَيْر ريبة ... بسُمْر القَنا يُحْمَىٰ لثامٌ لبُرْقُعِ
فَمن غادَةٍ كالشَّمْس أو أغيدٍ حَكَىٰ ... سَنَى البَدْرِ يبدو بَعْدَ عَشْرٍ وأرْبعِ
أسُكّانَها عَطفاً عَليَّ بزورَةٍ ... عَسىٰ موردٌ يَصْفُو بشَملٍ مُجَمَّعِ
هَجَرْتُ الكَرىٰ هِجرانكُم لِمَودَّتي ... فماذا يُفيدُ الطَّيفُ لو زارَ مَضْجعي

وكيفَ يَزورُ الطَّيفُ طرفاً مُسَهَّداً يُعَوِّضُ عَن طيفِ الرُّقادِ بأدْمُعِ
إذا قُلتُ إنَّ القلبَ يَشفى من الجوى غَدا وَهْوَ من ذِكْرِ الأحبَّةِ مُوجَعِ
يُراجِعُهُ شَوْقٌ ليشتاقَ كُلَّما تَرَجَّعَ تغريدُ الحَمامِ المرجَّعِ

ومنها في المدح:

/ ٧٠ب/ هُوَ الملكُ المَنصورُ والنَّاصرُ الَّذي لهُ عادَ ذئباً عاوياً كلُّ مُسْبِعِ
وَمُرسِلُها مثلَ السَّعالي عَوابساً فَوارسُها من كلِّ ليثٍ مُدَرَّعِ
يجودُ بآمالِ النُّفوسِ فَجودُهُ لِراجيهِ طَبْعٌ لَمْ يكُنْ بتَطَبُّعِ
أبٌ للمعالي وَهْيَ وَقْفٌ حَبيسَةٌ عليهِ بجِدٍّ صادقٍ غَيْرِ مُبْدَعِ

[٢٠٩]

أبو السُّعود بن الحسن بن أبي منصور بن مردويه الواسطيُّ:

خبرت أنه شيخ كبير قد أربى على المائة، وذهبت إحدى عينيه، وكان يعلّم الصبيان بواسط[1] بُدُوَّ أمره، فلما أسن تصرف في الأعمال الديوانية، ومال إلى قول الشعر، وامتدح به الرؤسا المقدمين، وأرباب الولايات، واستكثر من نظمه، وديوان شعره في نحو أربعة أجلاد.

وهو شاعر هجاء سفيه اللسان، ممن يتقى شره، ويخاف من هجوه، وذكر لي في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة أنه حي يرزق، ولما توجهت إلى مدينة السلام سنة تسع وثلاثين وستمائة، واتفق انحدار الأمير / ٧١أ/ ركن [الدين] أبي شجاع أحمد بن قرطايا ـ أبقاه الله ـ إلى واسط، ثم إلى البطائح، وهي الأقطاع التي أقطعه إياها الخليفة المستنصر بالله ـ خلد الله دولته ـ فاستصحبني معه، فلما نزلنا واسط، وسألت عن من بها من الشعراء، فذكر لي بأن أبا السعود هذا لحق باللطيف الخبير في العشر الأول من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وستمائة.

أنشد[ني] أحمد بن محمد بن سعيد بن البلاسي الواسطي بمدينة إربل قال:

---

(١) واسط: مدينة بين البصرة والكوفة، وإلى كل منهما خمسين فرسخًا. وهي اليوم بين بغداد والبصرة حسب تخطيط العراق الحديث.

أنشدني أبو السعود لنفسه من قصيدة: [من الكامل]

وَخَطَ المشيبُ فأنكرتني زينبُ ... وتنمَّرت مني وقالت: أشيبُ
ثمّ انثنت شبهَ القَضيب إذا انثَنى ... دَلاّ لأذيال الملال تُسَحِّب
وتحجَّبت فالنَّومُ في جُنح الدُّجى ... بحجابها عن مُقلتي يتحجَّب
ونأت فلا منها خيالٌ زائرٌ ... كلاَّ ولا منها مزارٌ يقرب
والسّقمُ في جسدي يدبّ لبينَها ... يوم الرّحيل كما تدبُّ العقرب
كم قلت للُّوّام لما أسرَفوا ... وأتوا بلوم لا يفيد وأطنبوا
لوموا عليها والحيا ما شئتمُ ... أو فنِّدوا في حبها أو أنّبوا
/ ٧١ب/ فأخو الملامة للذي لا يرعوي ... يشقى على طول الزّمان ويتعبَ
وأبْعدَ ما أهواه شبت على الصبا ... واستنفرت مني الرَّداح الخرعبُ
وبقيت مذ نزل القتير بعارضي ... كرهاً كما بقي البعير الأجرب

وله في بعض الرؤساء: [من البسيط]

لئن بَخلتَ فلا بدْعٌ ولا عَجَبُ ... فالبُخْلُ عندك إرثٌ عن أب فأب
المرتجي منك نيلاً أو يرومُ ندى ... كالمرتجي ثَمراً من يابس الخشَب
دعِ الفخارَ ولا تعرضْ له ابداً ... فكيفَ يَفخَرُ كلبٌ أبترُ الذَّنب ؟

وأنشدني قال: أنشدني أبو السعود لنفسه: [من المديد]

ماتَ أيري آه والهَفي ... لَيْتَ شعْري من يُكفِّنُه
فاندبوا حُزناً عليه معي ... وارشُدوني أينَ أدفُنُهُ ؟

وأنشدني محمد بن حيدر بن الدُّنْبُدار[1] الشاعر الواسطي قال: أنشدني أبو السعود لنفسه من قصيدة، وكان محمد بن حيدر بإربل، وأبو السعود بالبصرة، يخاطب بهاء الدين أرغش زعيم البصرة: [من الوافر]

/ ٧٢أ/ أنا الدُّنْبُداري اقْتَسَمنا ... بأرباب الركائبِ في البلادَ
فأضحى باتكينَ لهُ مُعيناً ... وأنتَ حَصَلْتَ قسمي يا عتادي

(١) ترجم له المؤلف في الجزء السابع برقم ٧٥٦.

وأنشدني أبو منصور بن أبي عبد الله بن أبي منصور الواسطي قال: أنشدني أبو السعود لنفسه من قصيدة أولها: [من الطويل]

مَـريـضُ هَـواكُـم بعـدكُـم مـن يَعـودُهُ ... وعصـرُ تـدانـي وصْلكُـم مـن يُعيـدهُ؟

نـأيتُـم فما حَظّـي مـن النَّوم فـي الدجـىٰ ... إذا رَقَـدَ السُّمـارُ إلاّ شَـريـدهُ

وثـوبُ اصطبـاري مـزّقتـه يـدُ النَّـوى ... وَرَثَّ علـى بُعْـد المَـزار جَـديـدُهُ

فـإنْ عـدتُـمُ عـادَ السُّـرورُ بـأسـرِهِ ... وعـادَ مِـن العَيْـشِ الهنـيِّ رَغيـدُهُ

وله وقد رتب في بلد الكاس[1] وهي قرايا من أعمال واسط، كتبها إلى ناظر واسط، وهو ابن المصطنع: [من البسيط]

ونـائـبُ الحَضْـرَةِ العَلْيـاء حَيْـثُ رأىٰ ... فـي الكـاسِ زُهـديَ أرْمـانـي إلـى الكـاسِ

فَعِنْـدَ بَـدْوِ شَبـابـي مـا وَلِعْـت بـه ... فكيـفَ عنـد بيـاضِ الفَـوْدِ والـراسِ

فكتب إليه ابن المصطنع مجاوبًا: [من البسيط]

/٧٢ب/ أبا السُّعودِ زَهدتَ الكأسَ مِن قِصَرٍ ... في الإرتفاعِ وليس الزُّهْدُ في الكاسِ

[٢١٠]

أبو سَرايا بن خزرج بن ضحاك بن أحمد بن خزرج بن ضحاك، الكاتب الأنصاري الدمشقيُّ[2]:

هكذا أملى علي هذا النسب، وكتبه لي بخط يده، وسألته عن اسمه فقال: لا أعرف لي اسمًا، اسمي كنيتي، وأخبرني أنه ولد في تاسع عشر ذي الحجة سنة تسع وثمانين وخمسمائة بدمشق، وكان اجتماعي به في ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وستمائة بدمشق المحروسة، وخبرت أن والده كان من المياسير المحمولين وذوي النعمة والثروة الوافرة، بالغ أبوه في تهذيبه وتأديبه، وأنفق عليه أموالاً، ونشأ أبو السرايا هذا محبًا للأدب والفضل، استظهر الكتاب العزيز، وسمع قطعة من الحديث

---

(١) لعلها تلفظ محليًا هكذا وصوابها: «الكاكس». انظر: معجم البلدان/ مادة (كاكس).

(٢) هكذا في الأصل، ولكن المؤلف أو الناسخ استدرك فأضاف اسم (الطلايع) بعد كلمة (أبو) فصار الإسم (أبو الطلايع سرايا) ولم نجد ما يؤيد الإستدراك في المراجع الأخرى، فأثبتنا كما في الأصل المكتوب.

النبوي، وعني بسماع الآداب، فلازم الإمام أبا اليمن زيد بن الحسن الكندي[١]، فقرأ عليه جملة من الأشعار، وضروب الأدب، وحفظ كتبًا من الكتب الشعرية، منها: الحماسة لأبي تمام، وديوان أبي / ٧٣أ/ الطيب المتنبي، وأدب الكاتب[٢]، حفظًا جيداً، وغير ذلك.

وعانى نوع المنثور، وفن الكتابة، وترامى إليها، فأول من خدم من الملوك الملك الفائز، سابق الدين، إبراهيم بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، فكتب له الإنشاء، ثم قلده وزارته، فلما توفي الملك الفائز، جذبه الملك المعظم عيسى بن الملك العادل إليه، وقدمه وعظم قدره، وقربه، وأضافه الملك الناصر داود ابنه إليه، وأقره على ما كان، وسافر معه إلى مدينة إربل، فبقي في خدمته مدة متطاولة، ثم سخط عليه الملك الناصر صلاح الدين داود، وصرفه عن خدمته، ففارقه، ونزل دمشق، فكتب ناصحًا، فتقبله الملك الصالح عماد الدين أبو الفدا إسماعيل، وجعله مُنشئًا في ديوانه، و[كان] مع ذلك ينسخ الكتب للملك الأشرف موسى شاه أرمن بالجراية والجامكية الدَّارَّة[٣]، وهو اليوم أقوم أهل زمانه بصناعة الكتابة الإنشائية، وأعرفهم بإنشاء الرسائل والتقليدات، والتقييدات، وأحسنهم خطًا وعبارة، وأسرعهم قلمًا ولسانًا لائق الكتابة، كأن الله قد خلق يده لها، وربما كتب في يوم واحد / ٧٣ب/ عدة من الكتب الإنشائية، في أصناف مختلفة متفرقة، مما يعجز عن ذلك غيره من الكتاب المترسلين، ومع ذلك فله الباع الطويل في حل التراجم، وفتح مشكلاتها، وقدرة شديدة في استخراجها.

أنشدني لنفسه يمدح الملك الصالح أبا الفدا إسماعيل بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، مهنئًا له بقدوم أخيه الملك الأشرف شاه أرمن من مصر، وقد استدعاه ليلاً، ولم يكن عنده أحد على مجلس الشراب، فأجلسه إلى جنبه، فأنشده هذه القصيدة فأعجبته: [من الطويل]

---

(١) زيد بن الحسن الكندي، من ذي رعين، أديب من الكتّاب الشعراء العلماء، ولد ونشأ في بغداد وسافر إلى حلب سنة ٥٦٣هـ وسكن دمشق حتى وفاته فيها (٥٢٠ ـ ٦١٣هـ). وله عدة مصنفات.

(٢) لابن قتيبة.

(٣) الجراية والجامكية: الأجرة والعطاء والراتب.
انظر: تكملة المعاجم العربية لدوزي مادة/ (الجامكية).

أهاجك ترحال الحبيب المودِّع ... وشاقك إيماء البنان المقمّع ؟
فرحت وراء الظّاعنين بعبرة ... تصوب وقلبٌ من جوى البين موجع
لحا الله دَهْراً لا يزال يروعني ... لحادث دهر أو ببين مروّع
أهيم أسى إن عنَّ في الجوّ بارق ... ويطربني نوح الحمام المسجَّع
وَدَوِّية كم سرت في بطن خبتها ... على متن طرف لاحق الإطْل مسرع(١)
/ ٧٤أ/ كميت كأن الصبح في قسماته ... وأرساغه نهد ـ إذا كَلَّ ـ أفرع
وليل دجوجيّ كأنَّ نجومه ... فرادىٰ حباب فوق كأس مدعدع
سريت به حتى الصّباح وبان لي ... دوارس بانت من جنَّاب وأربُع
دوارس بانت غير نؤي مهدَّم ... وموقد نار أقتم اللون أسفع
وغير ثلاث من أثاف كأنّها ... ثلاث حمامات على الأرض وُقّع
إلامَ يروع البين قلبي صبابة ... وحتّىٰ مَ يستمري التفرق مدمعي؟
وحتّى مَ لا أنفك في ظهر شامخ ... من الشُّمّ أو في بطن مكّاء بلقع ؟
لقد كلَّ من حمل المهنّد عاتقي ... وكلَّ سفاري كلُّ هوجاء مَيْلَع(٢)
أمون إذا ناجىٰ شواها عثارها ... بجاويَّة الإبقاء منها بدعدع(٣)
لقد ملَّت البيداء تكرار وخدها ... وما ملت الوجناء رحلي وأنسُعي
سعيت بها يعيي الرياح لحاقها ... تقيس ملاء البيد منها بأذرع
تلاعب إنشاء الزّمام إلى فتى ... يلاعب أطراف الوشيج المزعزع
إلى الأشرف السُّلطان شاه أرمن الذي ... يسير إلى أبوابه كل مَهْيَع(٤)
إلى الملك المُحيي النَّدى بهباته ... إلى الواهب البَرِّ الرؤوف السَّميدع
وركب كأمثال الحنيَّة شمَّروا ... على مثْلها للسير في كلِّ مَدْفَع
/ ٧٤ب/ تباروا بأجواز الفلا وتذاكروا ... حديثَ النَّدى ما بين ماض ومُوضع
فقلت لهم والصِّدقُ ليس بصاحب ... يُصاحبُه الإنسانُ في كلِّ مَوْضع
إلى الصَّالح السُّلطان حثُّوا مطيَّكم ... تَفوزوا ويا طوبىٰ لمَن قالها مَعي
إلى الملكِ المُعطي الأُلوفَ عُفاتَه ... إذا الغَيرُ أعطى من ثلاثٍ وأربعِ

(١) الإطْل : الخاصرة.
(٢) الميلع : الناقة والفرس السريعتان.
(٣) الدعدع : الأرض الجرداء.
(٤) المهيع من الطرق : البيّن الواضح.

فَمُذْ سَمعوا قولي وَعَتْهُ قلوبُهُمْ ... وما كلُّ من حَدَّثْتَهُ مُسْمعاً يَعي

فَسِرْتُ أَؤُمُّ القومَ لم أرْضَ منزلاً ... من الأرض حتى جئت بالركب أَجْمَع

إلى ملك في السِّلم والحرب حِلْمُه ... وَصَوْلَتُه ريحا رخَاء وَزَعْزَع

إلى خَيْرِ غَيْث في أياديه مَقْنَعٌ ... لعاف وليث بالحديد مُقَنَّع

إلى خير من أعطى وأشرف مَن وفى ... وأكرم مَنْ لَبَّى العُفاةَ وما دُعي

تَقولُ العُلا لما حَلَلْنا جَنَابَهُ ... ألا خَيْرُ ذَوْد حلَّ في خَيْرِ مَرْتَع

تَبيتُ النُّجومُ النَّيِّراتُ كليلةً ... نواظِرُها عن مَجْده المترفِّع

تمنَّعُ في يوم النِّزال ببأسه ... ومَا هُو في يوم النَّدى بمُمَنَّع

يجود إذا ما الحيُّ أكْدَتْ لبونُه ... وأجْدَبَ من أرجائها كلُّ مُمْرع

فَزِعْتُ إليه من زماني فَرُعْتُه ... ومن قَبْله كان الزَّمان مُروِّعي

فَيا حادثات الدَّهْر ما شئت فافعَلي ... ويا نُوَبَ الأيّام ما شئت فاصنَعي

/ ٧٥أ/ فلستُ أخافُ الحادثات ومانعي ... حمىٰ ملك حامي الحقيقة أَرْوَع

إذا افترَّ باهى حُسْنُه كلَّ نَيِّر ... وإن جادَ عَنّىٰ جودُه كلَّ مُدْقِع

وإن صالَ أغنىٰ بأسُه كلَّ باسل ... وإن قال أعيا شأوُه كلَّ مصْقَع

ليَهْنِكَ يا هارونَ موسى قدومُه ... كبَدْر الدُّجى في نوره المتشعشع

يُطالعُه التَّأييدُ من كلِّ وجهَة ... ويَلحَظُه الإقبالُ من كلِّ مَطْلَع

لقد باهَتِ الأيامُ عند لقائه ... وضاعَ نَسيمُ النَّصْر أيَّ تَضوُّع!

مليك يَسُحُّ الجودَ فينا تبرُّعاً ... إذا غيْرُهُ أعطاكَ غَيْرَ تبرُّع

تَدرَّع بالصَّبر الجميل وبالحجىٰ ... وبالحلْم والإحسان أيَّ تَدرُّع!

أيا ملكاً نحو المعالي استماعُه ... إذا كلَّ عن ذكر العُلا كلُّ مُسمع

لقد صُنْتَ وجهي عن سواكَ تكرُّماً ... وأنجَحْتَ آمالي وصدَّقتَ مطمعي

ولكنَّني في أمة قالَ حاسدي ... أوارثُ كسرىٰ أم خليفةُ تبَّع ؟

فَلا زِلتَ منصورَ اللواء مظَفَّراً ... سعيداً على رَغْمِ العدوِّ المفجَّعِ (١)

---

(١) ترك الناسخ ورقة بيضاء، بين نهاية حرف س وبداية حرف ش. ٧٥ب و٧٦أ.

/ ٧٦ب/

حرف الشين

[٢١١]

شُعيبُ بنُ أبي طاهر بن كُليب بن مُقْبِل، الضَّرير، أبو الغَيْث البصريُّ[١]:

دخل بغداد وأقام بها إلى أن توفي في يوم الجمعة مستهل المحرم سنة ثمان عشرة وستمائة.

تفقه على أبي طالب صاحب ابن الخل[٢]، وقرأ كتاب الخلاصة في الفقه لأبي حامد الغزالي على الشيخ أبي جعفر بن البوقي، وأخذ علم العربية عن أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي، وأبي محمد بن عبيدة المقرىء البغدادي، وكان أحد القراء النحويين، عالمًا فاضلاً، يحب الخمول لنفسه، ويكره الصيت والرئاسة، وله شعر ورسائل، وصنف كتابًا سماه «الحتم المفروض في علم العروض»، وكتاب: «الأهم في الأهم».

أنشدني الإمام زين الدين بن [أبي] ألبة بن أبي جعفر بن ناصر الشيرازي الشافعي[٣]، قال: أنشدني أبو الغيث شعيب الضرير لنفسه. [من الطويل]

ألا إنَّ أشـواقـي إلـى مـا عَهـدْتُـه ... مـن الحَضْـرة العَليـاء ذاتُ شَبـوب

/ ٧٧أ/ تـأجَّـجُ وَجْـداً كـلَّ يـومٍ وليلـة ... وَتَـزدادُ وقْـداً عنـدَ هَـبِّ جَنـوبَ

ولـو حَمَلَتْنـي شمـأَلٌ فـي هُبـوبهـا ... لَطِـرْتُ إليكـم عِنـدَ كُـلِّ هُبُـوبَ

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٦/ ١٦٣ ـ ١٦٤. طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ١٥١، ٥/ ٥٧. نكت الهميان ١٦٧، ١٦٨. البداية والنهاية ١٣/ ٩٧. المختصر المحتاج إليه ٢/ ١٠٢ رقم ٧١٧. مجمع الآداب ١/ ١٩٤ رقم ٢٠٥.

(٢) وهو أبو طالب الكَرْخيّ، المبارك بن المبارك بن المبارك صاحب أبي الحسن ابن الخل.
وابن الخل: هو محمد بن المبارك بن محمد، أبو الحسن بن أبي البقاء، فقيه شافعي بغدادي، له شعر، كان يدرس ويفتي، توفي ببغداد سنة ٥٢٢هـ ودفن بالكوفة.
ترجمته في: طبقات الشافعية ٤/ ٩٦. وفيات الأعيان ١/ ٤٦٧. الأعلام ٧/ ١٧.

(٣) وهو صدقة بن أبي ألبة، ترجم له المؤلف في هذا الجزء برقم ٢١٨.

ولكنَّهــا تَســري إليكــم وَوَقْــرُهــا سَــلامــي وأشــواقــي ودَمْــعُ غُــروبِ

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

ألا ليــتَ شعــري هــل أفــوزَنَّ مــرةً بنَظْــرة مَحبــوبــي وحُســن مــآلــي
وهــل يَجْمَعــنَّ الله مــنْ بَعْــدِ بُعــدنــا وقــد فَنِيَــت أعمــارُنــا بتَقــالــي
وقــد بَــرِحَــتْ أيــدي المَــدى بجُمُــوعَنــا وولَّــىٰ نَضيــرُ العَيــش غيــرَ مُبــالــي
وَعُــدنــاَ نَسُــحُّ الــدَّمْــعَ حُــزْنــاً وحَسْــرةً علــى طِيــبِ أيــامٍ مَضَــت وليــالــي

وقال أيضًا: [من الطويل]

كتــابــي بــأشــواقــي إلــى مــن أُحِبُّــهُ يُنــاجيــه عنّــي بــالغــرامِ المحــرِّقِ
ويشكــو إليــه عــن لِســانــي تــألُّمــي بطــولِ النَّــوى عَنْــه وطُــولِ التَّفــرُّقِ

وقال أيضًا: [من البسيط]

إليــكَ يــا ربِّ أشكــو مــا أُكــابــدُهُ مــن التّنــائــي وأُنهــي مــا أُلاقيــه
قَــد مسَّنــي الضــرُّ فــارحــمْ مُــدنفًــا قلقــاً يفنــى الــزَّمــانُ بفيــض مــن مــآقيــه
يَــرعــىٰ نجــومَ السَّمــا مــن وَقْــد لَــوعَتــه تَــرُدُّه النَّفْــسُ منــه فــي تَــراقيــه
/ ٧٧ب/ لــو لــمْ يكُــنْ منْك يــرجــو أنَ سَيجمعُــه يــومٌ بِمَــنْ يبْتَغــي مَــا عــاشَ بــاقيــه

[٢١٢]
شَمْعلَةُ بنُ أبي النَّما، أبو محمد الواسطيُّ:

هو من قرية من أعمال واسط، تدعى نهفة وقيل: من مركوري، وكلاهما من الأعمال الواسطية.

كان رئيس قريته وشيخها، شاعراً متأدبًا، جيد الروية، مطبوع الشعر، حسن النظم، سمح اليد، واسع النفس، تام المروءة، متعصبًا لمن يقصده.

أنشدني أبو الحسن علي بن أبي الفرج بن محمود الخراجي النحوي الواسطي قال: أنشدني شمعلة لنفسه ما كتبه على سيفه، وكان يومئذ عاملاً بنهر جعفر[1] في أيام

(١) نهر جعفر: نهر بين واسط ونهر دقلة عليه قرى، وهو أحد ذنائب دجلة.
انظر: معجم البلدان/ مادة (نهر جعفر).

الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله ـ رضي الله عنهما ـ:

[من مخلّع البسيط]

شَمْعَلَـةٌ قـد أعـدَّ هـذا ... لنُصْـرة الحُجَّـة الإمـام
فَقُـل لأهـلِ العِنـادِ صَبْـراً ... سَينجلـي غَيْهَـبُ الظَّـلامِ

/ ٧٨أ/ وأنشدني قال: أنشدني لنفسه في ابن الأمير السيد هاشم بن علي العلوي، وكان ناظراً بواسط. [من الخفيف]

إنَّ عنـدي لهـاشـم بـن علـيٍّ ... منَنـاً كـالنُّضـار لا تَسْتَحيـلُ
وثنـاءً كـأنَّـه قطَـعُ الـرَّو ... ضِ أريـضٌ غـضٌّ عـريـضٌ طـويـلُ
جَـدُّه أحمـدُ وحسْبُـك بـالآ ... بـاءِ مـنْ بَعْـدُ حَيْـدرٌ والبَتُـول

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

ألا إنَّ لـي نفسـاً أبـتْ أن أسـومَهـا ... لخَسْـف وأن تَـرْضَـىٰ بـذمٍّ طبـاعُهـا
أُكلِّفُهـا سـرَّ الهَـوىٰ فَتَصـونُـه ... مَخـافَـةَ أن يَبْـدو لسـرٍّ قنـاعهـا
حكـت نَفَثَـات الـدارمـيِّ وقـولَـه ... ونـاهيـكَ أبيـاتٌ يـروُقُ سمَـاعُهـا[١]
(وفتيـان صـدقٍ ليـس يَطْلُـعُ بعضُهـم ... علـى سِـرِّ بَعْـضٍ غَيْـرَ أنـي جمـاعُهـا)

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

أمُحَمِّلـي عـبءَ الغـرام وتـاركـي ... غَـرَضَ السِّهـام متـىٰ غليلـي يُنْقَـعُ؟
وإلـى مَ مـا تَنفـكُّ نيـرانُ الأسـىٰ ... والـوجـدُ مـا بيـنَ الجَـوانـح يَسْفَـعُ؟
ولأيِّمـا حـال أُذادُ عـن العُـلا ... والصَّـاب كـاسـات الـرَّدىٰ أتجـرعُ؟
وتَلـذُّ عَيْنُـك بـالـرُّقـاد ومـا كـذا ... فعْـلُ الكـرام ومُقْلَتـي لا تَهْجَـعُ
/ ٧٨ب/ مـا كنـتُ أحسـبُ يـا مُحمـد خلَّتـي ... تُثْنـىٰ ولا تلْـكَ العُهـودَ تُضَيَّـعُ
فَلئـن أضَـرَّ بـيَ الغـرامُ ونـال مـن ... جسـدي السقـامُ وهـامَ قلبـي المـوجَـعُ
فَلَقـد كتَمْـتُ الـوجـدَ وهْـوَ مُبـرِّحٌ ... ولأمْـتُ شَمْـلَ الجَمْـعِ وَهْـوَ مُصَـدَّعُ
وَظَلِلْـتُ أُظهِـرُ للـوُشَـاةِ تجلُّـداً ... وبِبعْـضِ قـولِ أبـي ذؤيـبٍ مَقْنـعُ

---

(١) يعني مسكينًا الدارمي، ربيعة بن عامر بن أنيف (ت ٨٩هـ)، شاعر عراقي شجاع، من أشراف تميم. والبيت المضمن الآتي له، انظر ديوانه ص٥٢.

(وتَجلُّدي للشَّامتين أُريهم ... أني لريْب الدهر لا أتضعضعُ)(١)
ولسانُ حَالِ أخي الرِّواية مُنْشد ... بيتاً عَلَيْه بَنو الهِداية أجمَعوا:
(وإذا المنيَّةُ أنشَبَتْ أظفارَها ... ألفَيتَ كلَّ تميمةٍ لا تَنْفَعُ)(٢)

وأنشدني قال: أنشدني شمعلة لنفسه في وجع عينه، ويصف شخصاً يعرف بابن ريان الطبيب: [من البسيط]

ما مات بقُراطُ إذ أضحى له خَلَفٌ ... من آل ريانَ رياناً من الحكم
يَقْضي على الداء فالأقدارُ جاريةٌ ... مما يُحاولُ من بُرْء ومن سَقَم
[هَذا وأيسرُ شيءٍ من مَحاسنه ... إنشادُهُ عنْدَ حَسْم الدَّاء والألم
(لا يحمدُ الدَّهرُ فيَّ ما شاءَ يكْنَفُها ... فَلَو أرَدْتَ دوامَ البؤسِ لم يَدم)](٣)

وأنشدني موفق الدين أبو الحسن علي بن مهذب بن أبي محمد بن بكران بن العاصماني الواسطي، بأرض البطائح يوم الجمعة / ١٧٩أ/ خامس شعبان سنة تسع وثلاثين وستمائة، قال: أنشدني شمعلة بن أبي النما لنفسه ما كتبه إلى ابن أخيه:

[من الطويل]

عليُّ افترقْ فينا وما شئْتَ جازني ... مجازاةَ مَنْ لم يرعَ حقاً لوالد
وعَدِّ عن الصُّنْع الجَميل وخلِّني ... أُكابدُ من بَلْواكَ ما لم أُكابد
فقد خُيِّبت فيك الظُّنونُ وصُدِّقَتْ ... مَقالَة من آسَى اللَّهى بالمحامدَ
(بنونا بنو أبنائنا وبَناتنا ... بَنوهُنَّ أبناءُ الرِّجال الأباعَد)
فيا حُسْنَ إحساني إليكَ وقُبْحَ ما ... أسأتَ فَدُمْ ما بينَ مُثْنٍ وجاحد

[٢١٣]

شجاعُ بن عليّ بن إبراهيم بن محمد بن أبي زَهْران، أبو محمد الموصلي(٤).

كانت ولادته تقديراً سنة أربعين وخمسمائة، وتوفي مستهل رجب سنة عشرين

---

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، انظر: ديوان الهذليين ص٢.
(٢) البيت أيضاً لأبي ذؤيب. انظر: ن. م ص٣.
(٣) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.
(٤) ترجم المؤلف لولده (يعقوب بن شجاع بن علي) في الجزء العاشر برقم ٩٤٨.

وستمائة بالموصل.

كان صاحب فضل، ومحاضرات، وفكاهة، وحكايات، ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم، وله أشعار كثيرة، ورحل إلى البلاد الشامية، وامتدح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ رضي الله عنه ـ وولديه / ٧٩ب/ الظاهر والأفضل وغيرهم.

أنشدني ولده أبو شجاع يعقوب قال: أنشدني [أبي] لنفسه يمدح صلاح الدين يوسف بن أيوب بدمشق سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، ويذكر فتحه بيت المقدس ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من الطويل]

دُمُوعٌ جَرَتْ يَومَ الفراق سجامُ ... وقلبٌ لنار الشَّوق فيه ضرامُ
لحيَ اللهُ يوم البَيْن إنَّ مَذاقَهُ ... لكلِّ نُفُوسَ العاشَقين حَمامُ
وكلُّ محبٍّ لم يَمُتْ يومَ فُرْقَة ... فَذاكَ لَه عَنْدَ المَنون ذمامُ
لئنْ دَرَسَتْ بالأنْعَمين معاهدٌ ... وعزَّ بأعلى الجَلْهتين مَقَامُ[1]
وأمسَتْ عراصُ الأبرقَيْن مواثلاً ... فمنِّي على تلك الديار سَلامُ
وإنْ جلَّ خطبٌ أو عَرتني مُلمَّةٌ ... فَلَيس عَجيبٌ أنْ يُفَلَّ حُسَامُ
سَأَدَّرعُ الليلَ البَهيمَ لعلَّني ... أجوبُ الموامي والعيون نيامُ
إلى مَن حَباهُ اللهُ بالمُلْك إذ رأى ... حمولَ الهُدىٰ والكُفْرُ فيه عُرامُ
وَزيَّنه بالحلْم والعلْم وَالتُّقى ... فما حَسَنٌ إلا لديه يُرام
أقامَ قَنا الدِّين الحَنيفي راغباً ... إلى الله لما آض وهو ثُمامُ
إلى مَلك الدُّنيا الذي لو تفرَّقتْ ... كَتائبُه والمُشركون نيام
/ ٨٠أ/ لقَامَ مقامَ الجَيْش حتَّىٰ تزورهم ... بأيدي الفَيافي أنسر وهَوام
إذا الحربُ أعيت كلَّ قَرْم وباسل ... وخامَ شجاعٌ واستُسرَّ هُمامُ
وَجاشَتْ نفوسُ المُسلمينَ بأسرهم ... وعزَّ على المُستَسلمينَ كلامُ
كشَفْتَ قِناعَ الرَّوعِ عَنْهُم بمُهجَة ... تُميتُ وتُحيي والصفوفُ قيامُ

---

(١) الأنعمان: واديان، قيل: هما الأنعم وعاقل، أو موضع بنجد، أو جبل لعبس. انظر: معجم البلدان/ مادة (الأنعمان).
والجلهتان: مكانان بحمى ضرية، وأصل الجهلتين ناحيتا الوادي وحرفاه. انظر: معجم البلدان/ مادة (الجهلتان).

عَليها من الرحمن في الروع جُنَّةٌ ... ومن غَيَر الدهر الخؤون زمامُ
وحين لقيتَ المشركين وظنُّهم ... بأنَّهم في الحرب ليس يُضاموا
أدرْتَ عليهم بالصَّوارم والقنا ... كؤوساً لها مَزْجُ الدِّماء مُدامُ
وغادرتَ فَتْحَ القُدْس للنَّاس آيةً ... ولم يكُ حتى الحَشْر قَطَ يُرام
تَهنَّى به الإسلامُ شرقاً ومَغْرباً ... وصلَّى لديه العابدونَ وصاموا
ضَمنْتَ لربِّ العَرْش ملءَ جهنَّم ... من النَّاس فاقتُلْ ما عليكَ أثام
وحين عَفَتْ سُبل المَكارم والنَّدى ... وأصبح حلُّ الجُود وهْو حرام
وقال ذوو الآمال عُطِّلَ ذَا الوَرى ... من الجود أم غالَ الكرام لئامُ ؟
شَرَعْتَ لهم سُبْلاً شواهدُها النَّدى ... وأوردتَهمُ بَحْرَ السَّماحِ فعاموا
لقد جُدْتَ حتى لم تجد قطُّ سائلاً ... وحاربتَ حتى ما يُسَل حسام
وأرهبتَ أهلَ الظُّلم حتى كأنَّما ... عليهم رقيبٌ منكَ حيثُ أقاموا
/ ٨٠ب/ كأنَّك في الملْك ابن داودَ طاعةً ... وفي العَزْم ذو القرنين ليس يُرام[١]
لك الفَتْحُ لمّا كانَ للسُّدِّ قسْمَةٌ ... من الله إذ لا سَبْسَبٌ وأكامُ
لك الرزق فاقسم حيث شئت على الورى ... لك الأرض إمّا اخترْتَ فهْيَ مقامُ
تكادُ الحصونُ الشُّمُ تَسعى محبَّةً ... إليكَ وأربابُ الحصون قيام
نهضتَ بأعباء الكتاب وإنَّهُ ... لَيَعْجزُ عَنْهُ يَذْبُلُ وشَمَامُ[٢]
سهرتَ لئلاَّ يَسْهَرَ النَّاسُ إنَّهُ ... متى سَهرَ الملْك المُعَظَّمُ ناموا
لَطافَ بنو سام وحام ويافث ... بأرْوعَ فيَّاض نَداهُ غمام
من النَّفر الغُلْب البَهاليل في الوغى ... وفي السِّلم إن ضَنَّ الغمامُ كرامُ
مطاعيمُ في اللأواء والعامُ أشهبٌ ... مطاعينُ والجَيشُ الخميس لَهامُ

ومنها :

ولمَّا رأيتُ الخَطْبَ قد جَدَّ جدُّه ... وقد مرَّ عامٌ بالهموم وعامُ
وذلك لما انتاشَني الدَّهرُ ما حَوَتْ ... يَميني وقلَّ الأقربُونَ ولاموا

---

(١) ابن داود : يعني النبي سليمان بن داود عليهما السلام .
(٢) يذبل وشَمَام : جبلان لباهلة في نجد .

سلكتُ فجاج الأرض أسعى بهمَّة لها ذروة فوق السُّها وسنام
إلى مَلِك لو أنَّ نورَ جبينه على الدهر ما اجتاحَ الضياءَ ظَلامُ
فَعاينتُ بحراً يُغْرِقُ البَحْرَ جُودُهُ وَبدراً يشينُ البدرَ وهْو تَمامُ
/ ١٨١/ بقيت على الإِسلام ما ذرَّ شارقٌ وغرَّد قُمْرِيٌّ وسحَّ غَمام

وأنشدني قال: أنشدني والدي لنفسه من قصيدة يتذكر بها أيامه بالموصل، ويتشوق إليها، ويمدح الملك الأفضل نور الدين علي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ رضي الله عنهما ـ: [من الخفيف]

خَليّياني وَلَوْعَتي خلِّياني ما عليكُم يا عاذلَيَّ ضماني
إنَّ طيفَ الخيال شرَّد نومي وعَراني لزروة ما عَراني
طَارقٌ بالشّام مِن سَرْحةِ المو صل يا حبَّذا البَعيدُ الدَّاني

ومنها يقول:

وبباب العراق من سكّة اللَّيْـ ـث مغان أكْرِمْ بها من مَغاني
سكَّةٌ تُطْلعُ البُدورَ فمَا تَفْـ ـتأُ تَلقى بَدْراً على غُصْنِ بان
كَم خَلَعْتُ العذارَ بالشرف الأعـ ـلى وأطلقتُ في السُّرور عنَاني
روضةٌ تُخْجِلُ الرِّياض بزهر مثل وَشْي البُرد القَشيب اليماني
حيث تَلقَى بها من الطير ما نَغْـ ـنَى به عَنْ مَثَالث ومثاني
/ ٨١ب/ يتناغى بها الهزار على الشَّحـ ـرُور فالحَيقُطان فالوَرَشان[١]
وتطرَّبت مُسْتهامًا إلى ديـ ـرِ سعيد بالرَّاح والرَّيحان[٢]
وزمان مضى بدجلة فَالخو صَر فالحوض بالوجوه الحسان
ولكم بالغروب أصبحتُ مُعْتا ضًا دواليبَهَا عن العَيدانَ
فمتى ما سمعتُ يومًا بباب الـ ـجسْر بلّتْ مدامعي أرداني
وكذا إنْ ذكرتُ ساحةَ شَطِّ النْـ ـهَر لَج الفؤادُ بالخفقان

(١) الحيقطان: الدرّاج، أو الذكر منه.
الورشان: طائر، وهو ساق حرّ، لحمه أخف من الحمام.
(٢) دير سعيد: بغربي الموصل، قريب من دجلة، منسوب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان، وكان يتقلّد إمارة الموصل في أيام أبيه. معجم البلدان/ مادة (دير سعيد).

غـادر البـاصلـونَ قلبـي قـريحـًا لفـراق الخُـلاّن والنُّـدمـان
وغـزال مُقَـرطـق يخلـبُ الألـ ـبـاب منّـا بطـرفـه الفَتّـان
تلـك أشهـى إلـيَّ مـن رقَّـة القُفْـ ـصِ فقُطْـربُّـل مـع البُـرْدان[1]
يـا خليلـي إنْ كنـتُ أمسيـتُ نـاء عـن بـلادي وغِبْـتُ عـن أوطـانـي
فـإلـى الأفضـل المعظّـم نـور الـد ديـن رُكـن الهـدى ثَنيـتُ عنـانـي
ملـك صيـغَ مـن نَـوال ومـن بـأ سٍ ومـن عفَّـة ومـن إحسـان
حـلَّ فـي شـامـخٍ مـن المجـدِ فـي بيـ ـتٍ ثَـراه سـام علـى كَيْـوانِ

[٢١٤]

/ ١٨٢أ/ شيبانُ بن تَغلب بن حيدرة[2] بن سيف بن طرَّاد بن عَقيل بن وثّاب بن شيبَان، أبو عبد الله الشيباني[3]:

من أهل دمشق، كان شيخًا فقيهًا، أديبًا شاعراً، رقيق الشعر، طيب الغزل. أنشدني القاضي الإمام ابو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة الفقيه الحنفي ـ أدام الله سعادته ـ بحلب المحروسة، قال: أنشدني شيبان بن تغلب لنفسه بدمشق سنة ثلاث وستمائة: [من البسيط]

مـن ذا يُخلِّصنـي مـن شـادن غَنـجٍ يُميـتُ قلبـيَ أحيـانـًا ويُحييـه؟
حُلـوُ الشَّمـائـلِ لا أبغـي بـه بَـدَلاً ولا أُطيـعُ عـذولاً لامنـي فيـه

---

(١) القفص: قرية مشهورة بين بغداد وعكبرا، كانت من مناطق اللهو، ومعاهد التنزه ومجالس الفرح. معجم البلدان/ مادة (القفص).
قطربل: قرية بين بغداد وعكبرا أيضًا. معجم البلدان/ مادة (قطربل).
البردان: مواضع كثيرة تُسمى بهذا الاسم. انظر: معجم البلدان/ مادة (البردان).

(٢) في الأصل «حيدر» وما صوبناه من المراجع.

(٣) المقدسي الصالحي الجبلي، المؤدب الحنبلي المُعَلِّم، ولد بدمشق سنة ٥٥٣ أو ٥٥٤هـ، سمع من أبي الفرج يحيى بن محمود الثقفي، وحدّث عنه. وحدّث بشيء من شعره، وكان كثير التلاوة للقرآن، للمنذري إجازة منه كتب بها إليه من دمشق في شهر ربيع الأول سنة ٦١٧هـ. توفي في ٨ رجب سنة ٦٢٠هـ بجبل قاسيون، ودفن من يومه بالجبل.
ترجمته في: تاريخ الإسلام، (السنوات ٦١١ ـ ٦٢٠). التكملة لوفيات النقلة للمنذري ٣/ ١٠٢ رقم ١٩٣٤.

مــن كــان مقتبسـًا نــاراً فَــوجْنَتُــهُ أو كــان مُلتمسـًا درّاً فمــن فيــه
دعــا فُــؤادي فلبَّــاه لشقْــوَتــه لأنَّــه مــا رأى شيئـًا يضــاهيــه
فَحُسْــنُ صَبْــريَ فــان مَــن تــذَكُّــره وَحُسْنُــهُ دائــمٌ لا شَــيء يُفْنيــه
أمــوتُ ممــا تُــلاقــي مُهْجَتــي كَمــداً لا أستطيــعُ مــن الــواشيــن أُبـديــه

وأنشدني أبو الحجاج يوسف بن الخليل الدمشقي قال: أنشدني أبو عبد الله شيبان لنفسه: [من المجتث]

كُفِّــي عــن الصــد كُفِّــي ففــي صــدودك حَتْفــي
وواصلــي أو فَجُــودي بنَظْــرة منــك تَكْفــي
/ ٨٢ب/ يــا مَــن سَبَتْنــي بقــدٍّ قــد قَــدَّ قلبــي وطَــرْفــي
وتيَّمتنــي بجيــد ومعْصَــم وبكــفٍّ
قــد زدت فــي الحســن حتــى جَلَلْــت عــن كــلِّ وصــف
بــالله رِقِّــي لِــذلّــي وســوء حــالــي وَضَعْفــي

وأنشدني قال: أنشدني أيضًا لنفسه: [من مجزوء الرجز]

أحْبَبْــتُ ظَبْيــًا حَسَنــا شــردَّ عنِّــي الــوسنــا
حُلْــوٌ إذا مَــرَّ علــى أيْــك يُحــاكــي الغُصُنــا
مَــر مَــرَّ عَيْــشَ عــاشــق بــه المُعَنَّــى افْتَتَنــا
دُمــوعُــه مُنْهَلَّــةٌ وجِسْمُــه حِلْــفُ الضَّنــا

وأنشدني أبو الحجاج قال: أنشدني شيبان لنفسه: [من مجزوء الكامل]

لامَ العــذولُ ولــو دَرى مَــن قَــدْ عَشقْــتُ لأعــذرا
ظبيــًا غَــريــراً شــادنــًا صَقِــلَ العــوارضِ أحــورا

وأنشدني أيضًا قال: أنشدني أبو عبد الله قوله: [من الطويل]

بَلَــوْتُهُــمُ مُــذ كُنــتُ طفــلاً فلــم أجــد كمــا أشتهــي فيهــم صــديقــًا وصــاحبــا
ولا ســاتــراً عَيْبــًا إذا كُنــتُ حــاضــراً ولا قــائــلاً خيــراً إذا كُنــتُ غــائبــا
فصــوَّبْــتُ رأيــي فــي فــراريَ مِنْهُــمُ وشمَّــرت أذيــالــي وأمْعَنْــتُ هــاربــا

حرف الصاد

ذكر من اسمه صالح

[٢١٥]

صالح بن محمد [بن] القويصي الأسعرديُّ:

من أهل إسعرد، له أشعار لابأس بنظمها، أنشدني الحسن بن حمزة بن حمدون الموصلي قال: أنشدني صالح بن محمد بن القويصي لنفسه: [من الطويل]

بعهدكَ إنِّي يا مُنى النَّفْس واثقُ ... وحتَّى اللِّقا قَلْبُ المتيَّم شائقُ
مقيمٌ على حفْظ المودَّة مُوقنٌ ... بأنَّك لي نعْمَ الحبيب الموافقُ
وإنَّ الوَفا بين الأصاحب خلَّةٌ ... مُحبَّبة فيما تَراه الأصادقُ
وإنِّي لمحزونُ الفؤادِ ووالِهٌ ... وراضٍ بما تَرْضى ومَيْتٌ وعاشِقُ

ومنها:

صَبورٌ قَنُوعٌ مُسْتَهامٌ مُتَيَّمٌ ... عليكَ ولي قَلْبٌ من الشوق خافقُ
بديعُ جمالٍ واعتدالٍ كأنَّما ... لشمْسِ الضُّحى من وَجْنَتَيكَ المشارِقُ

ومنها:

تفرَّدتَ بالحُسْنِ الذي ما استحقَّهُ ... سِواك وحقَّت بالصِّفاتِ الحقائِقُ

[٢١٦]

صالح بن مكارم بن صالح / ٨٣ب/ بن داود، أبو محمد الإربلي:

رجل سوقي من العامة، رأيته مناديًا في سوق البز بمدينة إربل، لم يكن عنده شيء من علم ما، له طبع في عمل الشعر حسن.

أنشدني لنفسه في الصاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي ـ أيده الله تعالىٰ ـ: [من الخفيف]

يـا ابـن مَـن كفُّـهُ أمـدُّ مـن البَحْـ ـر وأعلـى مـن السِّمـاك ارتفـاعـا
عبـدُكَ الأصغَـرُ المُحـبُّ يُنـاديـ ـك وقـد هـزَّهُ الحيـاءُ ارتيـاعـا
وهـو يَـرْجُـو منـك الإحـالـةَ يـا أطـ ـول مـن مـدَّ فـي البـريَّـة بـاعـا
مـن سـوى عُصْبَـةِ اللُّصـوصِ فقـد تَعْـ ـلـمُ فـي المُلْـكِ مَـعْ بقـاك اتِّسـاعـا

ذكر من اسمه صدقة

[٢١٧]

صدقَةُ بن محمد بن القاسم بن محمد بن علي ٱلمُلَحِّنُ، أبو البرِّ الإِربليُّ[(١)]:

كان يصنع الألحان ويخترعها، ويصنف أقوالاً يأخذها عنه أهل الطرب، ويغنى بها، وكان جيد المعرفة بالغناء والأصوات، وله شعر يجيد نظمه، وكان منقطعًا إلى يوسف بن بكتمر /١٨٤أ/ بإِربل، وتوفي صبيحة يوم الجمعة، الثاني والعشرين من رجب سنة ثماني وستمائة بإِربل.

أنشدني الوزير الصاحب أبو البركات المستوفي ـ حرس الله مهجته ـ قال: أنشدني صدقة بن محمد الملحن لنفسه: [من مخلع البسيط]

مَا لجُنوني عليكَ راقي ... قد بَلَغَتْ رُوحيَ التراقي

وَعيلَ صَبْري لطُول هَجْري ... فَلَيْتَ شعْري متى التَّلاقي؟

يا مُمْرضي بالصُّدود مَهْلاً ... فليسَ لي طاقَةُ الفراق

أما تَرَى زَفْرَتي ونَاري ... عَلَيكَ في الحُبِّ واحْتراقي؟

فاطْف لَهيبي برَشْف فيكَ الـ ... ـعَذْب اللَّمَى البارِد المَذاق

حَسْبُكَ أَنَّي أَفْنَيْتُ كُلِّي ... وأنَّ وَجْدي عَلَيكَ باقي

وأنشدني أبو الحسن بن شيبوص الإِربليُّ قال: أنشدني صدقة لنفسه:

[من مجزوء الكامل]

يا نجلَ بكتمرَ الذي ... حازَ العُلا كنزاً وصانَهْ

ومَن اتَخذتُ ولاءَهُ ... دونَ البريةِ ليْ ديانه

إنْ كانَ خنتُكَ قطُّ أو ... حدّثتُ نفسي بالخيانه

---

(١) ورد ذكره في تاريخ إربل ١/ ٧٦، مجلة المجمع العلمي العراقي ٦/ ٤٩٤.

/ ٨٤ب/ فبرئتُ من حُبِّ النبيِّ وآلِهِ   وجَحَدتُ شانَهْ
ورفضتهُ وأخذتُ مو   لاي .... مكانَهْ

وأنشدني أيضًا قال: أنشدني صدقة بن محمد لنفسه ما كتبه إلى الأمير ضياء الدين يوسف بن بكتمر: [من مجزوء الرمل]

لأُذيقَنَّكَ فَقْدي   راغبًا عَنْكَ بجُهْدي
عُدْ إلى غَيْري فإنِّي   رَجُلٌ لَسْتُ بجُنْدي
كعْتُ من خَبْزِ شَعِيرٍ   أكلُهُ حَرَّقَ كَبْدي
طالَ مُكْثي ومَقامي   بينَ فلَّاحٍ وكُرْدي
يا ضياءَ الدِّين هيها   تَ ترى مثلي بَعْدي
في تَصَاريفي وأعْما   لي وفي حَلِّي وعَقْدي
قلَّ أنْ تَلْقَى غُلامًا   ناهضًا سَدَّ مسدّي
ذا احتياطٍ واحتفاظٍ   للأماناتِ يُؤدِّي
آه لولا سوءُ ظنٍّ   فيَّ قد أوْجَبَ طَرْدي
/ ١٨٥أ/ لَمْ أصعِّرْ لسوى فَضْـ   ـلِ ندى كفِّك خَدِّي
أنا إنْ خُنْتُكَ في شي   ءٍ ولم أوفِ بعهدي
كافرٌ أشْنا عليًا   وأُوالي لابنِ هِنْد
فلما أحتَملُ الضَّيـ   ـمَ لأهلي أم لِوُلْدي ؟
عَيلتي بطني وإنِّي   جُمْلةُ التَّكميلِ وَحْدي
برغيفٍ وقميصٍ   مُتَعَشٍّ مُتَرَدٍّ
فبذا أُشبِعُ بَطْني   وبذا أستُرُ جلدي
هكذا طُول زماني   حالَتي حَرٌّ وبَرْدْ
وإذا متُّ فما يُعْـ   ـوِزُ مَن يَحْفِرُ لَحْدي
لي نَفْسٌ جُبلَتْ طيـ   ـنتُها بالماءِ وَرْد
بَعْدَ ما شيبَتْ بمسْكٍ   وبكافورٍ ونَدٍّ
أنا سيفٌ غَرْبُه أمْـ   ـضى شبًا مِن غَرْبِ هِنْدي

نـــــوَب الأيَّـــــــامِ والأز مـــــــانَ لا تَثْلُـــــم حـــدِّي
لا ولا أصبحـــــتُ فـــي ضُـــرٍّ مِـــــنَ الفَقْـــرِ أُكـــدِّي

[٢١٨]

صدقة بن أبي ألبة بن أبي جعفر /٨٥ب/ بن ناصر بن أبي غالب بن حمزة بن أبي محمد، أبو الفضل الشيرازي.

شاب طويل مائل إلى السمرة.

أخبرني أنه ولد بشيراز سنة ستّ وثمانين وخمسمائة، وخرج عن بلده، وقدم مدينة السلام سنة عشر وستمائة، وأقام بالمدرسة النظامية، وصرف همته في طلب العلم، فتفقه على كمال الدين عبد الودود بن محمود بن المبارك البغدادي، والقاضي أبي المناقب محمود بن أحمد بن بختيار الزنجاني، وقرأ على سراج الدين عمر بن مكي بن علي الخوزي علم الحكمة والأصولين، وسمع الحديث على أبي المكارم محمد بن عائد بن محمد الكرماني، وشهاب الدين أبي عبد الله عمر بن محمد السهروردي، وسمع عليه شيئًا من تصانيفه، ثم رحل عن بغداد، وورد الموصل بعد أن حجّ إلى بيت الله الحرام، وذلك في ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وستمائة، فنزل بالمدرسة المولوية البدرية، ومدرسها يومئذ الشيخ العلامة كمال الدين أبو المعالي موسى بن يونس بن محمد بن منعة الموصلي، فأخذ عنه علمًا كثيراً، وقرأ عليه علومًا شتى، [واستوطنها مدة طويلة، ثم سافر إلى بلاد الروم، فسكن قونيا، فتوفي بها في جمادى الآخرة سنة][1] . . . . .

/٨٦أ/ وهو إمام فاضل، عالم، كامل، مناظر أصولي، مباحث، جدليّ، متفنن في كل علم، مقل من قول الشعر، لم يتعرض لنظمه إلاّ لغرض، ولم ينشدني من أشعاره شيئًا سوى هذه الأبيات: [من الكامل]

إن كُنْــتَ تَطْلُــبُ للنجــاة طَــريقــةً فتــذَكّــرنْ قَــوْلَ الحكيــم الفــاضــلِ
خبــرُ الــرَّذيلــة بــالفضيلــة مُخْلــصُ أبــداً لجــوْهَــرِكَ الشــريــفِ الكــامــلِ

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل، وما بعده بياض في الأصل.

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

إلى الله أشكو من جناية ناظري ... ومن عُظْمِ ما يَلْقى الفُؤادُ وخَاطري

فَلولا طُموحُ العَينِ مَا شَفَّنَي الهوى ... ولولا الهوى ما كان طَرْفي بساهرِ

[٢١٩]

صدقَةُ بن سَعيد بن أبي السُّعودِ بن سعيد بن عَطيَّةَ، أبو المعروف التاجر[1]:

كان من أبناء التجار المموّلين بمدينة السلام، كثير التنقل في البلدان، ذا ثروة ويسار ونعمة واسعة، وقرأ قدراً كبيراً من الأدب، وله طبع مؤات في الشعر، وينظم مقطعات لابأس بها.

/٨٦ب/ وتوفي بدمشق يوم عاشوراء من سنة سبع وعشرين وستمائة، كذلك أخبرني بوفاته الشيخ الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن [الحسن] بن النجار.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي ببغداد في سنة تسع وثلاثين وستمائة قال: أنشدني صدقة بن سعيد لنفسه في وصف غلام تزوج:

[من المتقارب]

أنا مَنْ هَواي عَليه حَبيسُ ... وإنْ شَفَّني حبُّه والرَّسيسُ

فَدَتْكَ نفوسٌ براها هَواكَ ... وقلَّتْ لمثْلكَ تلكَ النُّفوس

ألسْتَ الذي إن عددْنا الملاحَ ... فأنتَ الأمَيرُ وأنت الرئيسُ ؟

على طالع السَّعد هذا الزَّفافُ ... ولا قَرُبَتْ من ذَراكَ النُّحوس

فوالله ما نظَرَ النَّاظرون ... عَروسًا يُزَفُّ عليها عَروسُ

وكتب إلى شرف الملك أبي المعالي بن الحسين وزير خوارزمشاه، يستعين به في ردِّ مملوك باعه: [من المنسرح]

قُلْ للوَزير الذي بسيرته ... يَرتَحلُ الجَورُ ثُمَّ يَغْتربُ

يا مَلِكًا لم تَزل منَاقِبُه ... يُعْزى إليها الحِجَى ويَنْتَسبُ

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٦/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

/ ١٨٧أ/ أبا المعالي نَجْلَ الحُسين ومن ... يَدنو نَداه منّا ويَقْتَرِبُ
لو أنَّ غيركَ يُرْجى إذن عَدلَتْ ... إليه عَنْكَ الخلائقُ النُّجُبُ[1]
إسمع حديثَ امرئٍ يَرقّ لَهُ ... عَدوُّه رحمةً ويَنْتحِبُ
كان له مُؤنس يصُولُ به ... على زمان صروفُه غُلُبُ
ظبيٌ رشيقُ القوامِ مُعْتدِلٌ ... تَحْسُنُ في مِثْل حُسْنه الرِّيَبُ
له من التُّرك هَيبةٌ ومن الزوراءِ ... لُطْفٌ فَشأنُه عَجَبُ
فَلاحَظَتْهُ العيونُ واستبقَ النْـ ... ـناسُ إليه وأُحْضِرَ الذَّهبُ
وكنتُ في سُكْرِ حُبِّه فَجَرى الْـ ... ـبَيعَ وَبَيْعُ السَّكرانِ لا يَجبُ
فانظرْ إلى قِصَّةِ الغَريبِ تَفُزْ ... منه بشكرٍ تزهو به الكُتُبُ

وقوله: [من الطويل]

سقى الله دَهراً بالعراق قَطَعْتُه ... بذي هَيَفٍ حُلْو الشَمائل والشَّكْلِ
تزيَّا بزيِّ الترك تيهًا فأصبحَتْ ... قُلوب مُحبِّيه عَن العَذْل في شُغْلِ
لعمري لقد حاربْتُ فيه عَواذلي ... وباتَ خَليّا عن ملامٍ وعن عَذْلِ

[٢٢٠]

صدقة بن عبد الله / ٨٧ب/ بن أبي بكر بن فتوح بن الأغلب، أبو المعروف بن أبي محمد اللخمي الحسيني[2].

ينتسب إلى بطن من لخم يقال له: حسين، من أهل الإسكندرية، من أفاضلها وعدولها.

كان متأدبًا فاضلاً، من أهل الحديث، روى عن أبي طاهر السِّلفي.

---

(١) في الأصل:

لو أن يحيى يحيى إذن عدلت ... إليك عنه الخلائف النجب

وبما أن فيه تحريف كبير، فقد أثبتنا ما صححه د. القيسي والدليمي.

(٢) ترجمته في: التكملة للمنذري ٣/ ١٩٨ ـ ١٩٩ رقم ٢١٤٥ وفيه: «توفي في سلخ المحرم سنة أربع وعشرين وستمائة، والحسيني نسبة إلى بني حسين من بني جرير اللخميين». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠هـ) ص١٨٩ رقم ٢٣٤.

أنشدني الشيخ الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن النجار قال: أنشدني صدقة لنفسه بالإسكندرية في ثقيل: [من المتقارب]

ثَقيلٌ تَراهُ إذا ما مَشَى تَئنُّ له الحوتُ مهمَا وَطي

فلو أُدخِل النّارَ من ثِقْلِه لقَالَتْ جهنمُّ مِنْه قَطِ

ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف

[٢٢١]

صاعدُ بنُ عليٍّ بنِ عُمَرَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عليٍّ، أبو المَعالي الواسطيُّ الواعظُ[١].

وشاهدت في أجزاء من الحديث النبوي اسمه، وهو محمد، ثمّ غيّره بعد ذلك، وتسمىٰ بصاعد، موافقًا لكنيته، واستمر على كتابة ذلك.

كانت ولادته /٨٨أ/ ببغداد في درب سجْزة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، وكان أبوه حنبليًا قاضيًا في ولايات الغراف، وانتقل مع أبيه إلى واسط، فلذلك سمّي الواسطي.

لقي ابا الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السِّجزي[٢]، وأبا الفتح محمد بن عبد الباقي بن البطي[٣] وغيرهما من مشايخ بغداد، وسمع الحديث الكثير، وتفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ثم صار شافعيًا.

وكان إمامًا فاضلاً، صالحًا، لطيفًا، من ظرفاء العلماء في وقته، متفننًا في صيغة الوعظ، له حركات على المنبر، لم يسبق إليها، وإيقاعات موزونة، لم يغالب عليها.

سكن إربل إلى أن توفي بها يوم الثلاثاء لسبع خلون من ربيع الأول، سنة خمس

---

(١) ترجمته في: التكملة للمنذري ٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢١ رقم ٢١٩٠. مجمع الآداب ٥/ ٢٧٦ رقم ٥٠٧٨، وفيه: «مظفر الدين، أبو المعالي، صاعد بن علي بن محمد بن عمر البغدادي»، «توفي في رجب سنة إحدى وعشرين وستمائة» وهو وهم. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠هـ) ص٢٢٨ ـ ٢٢٩ رقم ٣٠٢. المختصر المحتاج إليه ٧٣٣. تاريخ إربل ١/ ٣٣.

(٢) عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم، أبو الوقت الهروي المنشأ، السجزي الأصل، ولد سنة ٤٥٨هـ، محدث سمع منه خلق كثير، ودفن بالشونيزية عن نيف وتسعين سنة.
ترجمته في: النجوم الزاهرة ٥/ ٣٢٨.

(٣) محمد عبد الباقي بن بطي، أبو الفتح، فقيه محدّث (٤٧٧ ـ ٥٦٤هـ) شيخ ثقة، وهو من ساكني دار الخلافة.
ترجمته في: المختصر المحتاج إليه ١/ ٧٧. المنتظم ١٠/ ٢٢٩. تاريخ ابن كثير ٢٦٠.

وعشرين وستمائة، ودفن بمنزله، ووعظ الناس مدة حياته، وأسمع بها الحديث، وله أشعار غثّة، وقفت على شيء منها غير مَرضيٍّ، ولم أرَ الإخلال بذكره، فأوردت له هذه الأبيات، وهي أصلح ما وجدت له من النظم.

أنشدني ولده عبد الباسط قال: أنشدني /٨٨ب/ والدي لنفسه في الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين - رضي الله عنه - وقد خرج إلى الصيد:

[من الخفيف]

أنــتَ لمّــا رحلــتَ أظلمَــت الــدُّنـ ـيــا وحــالَــتْ لبُعــدكَ الأيّــامُ

خَــلِّ صَيــدَ الــوحــوش كــم صــدْتَ قلبًــا مُــذْ تَــرحَّلــتَ نَــالَــهُ الإعــدامُ

فــأرانــا الإلــهُ مــا نَتمنَّــى فــي مَليــك وجــودُه الإسـلامُ

شــرَّف اللهُ نفسَــه بــالعطــايــا والسَّجــايــا فجــودُهُ لا يُــرامُ

فـاسْمَعُـوا مـا أقـولُ ثـمَّ اكتبُـوهُ فَهْـوَ سحـرٌ مُحَلَّـلٌ لا حـرامُ

وأنشدني قال: أنشدني أيضًا والدي لنفسه حين أُنفذ رسولاً إلى بغداد من إربل، ما كتبه إلى عزّ الدين أبي اليمن نجاح الشرابي الناصري - رضي الله عنه -: [من الكامل]

مــولايَ عــزَّ الــدّيــن جــودُكَ شــائــعٌ بيــن الأنــام وأنــتَ بحــرٌ زاخــرُ

لازلــتَ فــي مُلْــك وعــزٍّ دائــم مــادامَ يُسعــدُكَ الإمــامُ النّــاصــرُ

مَــنْ شــأنُــهُ التَّغليــسُ فَــي طلب العُــلاَ ولــهُ مــنَ التَّقــديــر حَــظٌّ وافــرُ

مــنْ بيتــه ظهــرَ الهُــدى فتــأثَّلَــتْ آثــارهُ فغــدَتْ وَهُــنَّ ظــواهــرُ

/٨٩أ/ وهـو السَّمـاءُ لنـا ونَحـن فـأرضهـا والأرضُ يُحييهــا السَّحــابُ المــاطــرُ

فــازرَع يــداً عنــدي لتَحصــدَ شكــرَهــا إنَّ الــذي تُــولــي جميــلاً شــاكــرُ

أيجــوزُ أن أُلغــى وتُهمَــل حــالَتــي ولــيَ الثَّنــاءُ بجــودكُــم متــواتــرُ؟

كــم قــد عقــدْتُ ببَلْــدَتــي مــنْ مجلــس أدعــو ويــدعــو كــلُّ مَــنْ هــو حــاضــرُ

ببقــاءِ مُلكِــكَ إنَّــه شــرَفُ الــوَرى ووسيلتــي السَّجّــادُ ثــمَّ البــاقــرُ[١]

---

(١) السجاد: هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو الحسين (٣٨-٩٤هـ)، رابع الأئمة الاثني عشر، وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع، مولده ووفاته بالمدينة، أُحصى عدد من كان يقوتهم سراً، فكانوا نحو مئة بيت، قال بعض أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السرّ إلاّ بعد موت زين العابدين. وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين=

يـا نـائـبَ الحَـقّ الإمـام المُـرتجـىٰ　　أيليـقُ أنْ أُجفـىٰ وأنـتَ القـادرُ ؟
آن الـرَّحيـلُ وكَسْـرَتـي معلـومـةٌ　　فـاْجْبُـرْ بمـا تُـولـي فـأنـت الجـابـرُ

وأنشدني أيضًا قال: أنشدني والدي لنفسه يناقض قول عمران بن حطان في قوله[1]: [من البسيط]

يـا ضـربـةً مـن تقـيٍّ مـا أرادَ بهـا　　إلا ليبلُـغَ مـن ذي العَـرشِ رضـوانـا
إنِّـي لأذكُـرهُ يـومـًا فـأحسبـهُ　　أوفـىٰ البَـريَّـةِ عنـد الله ميـزانـا

فناقضه أبو المعالي بقوله: [من البسيط]

يـا ضـربـةً مـنْ شَقـيٍّ مـا أرادَ بهـا　　إلا ليُصليـه رَبُّ العـرشِ نيـرانـا
فَهْـو اللَّعيـنُ بـلا شـكٍّ يُـرَدِّدُهُ　　ويَلْعَـنُ اللهُ عِمـرانَ بـنَ حِطَّـانـا

[٢٢٢]

صبَّاحُ بنُ عُقبةَ الحِلِّيُّ:

/ ٨٩ب/ من أهل الحلة المزيدية، شاعر هجاء، متشيّع، كان يفد إلى الموصل، ويمدح النقباء، بيت عبيد الله العلويين، هاجىٰ شعراء وقته.

أنشدني محمد بن سليمان الموصلي قال: أنشدني صبّاح بن عقبة لنفسه يهجو أبا الطليق الشاعر الخزاعي: [من الوافر]

= معايشهم ومآكلهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتونه به ليلاً إلى منازلهم، وليس للحسين السبط عقب إلاّ منه.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٢٠. تأريخ اليعقوبي ٣/ ٤٥. صفة الصفوة ٢/ ٥٢. حلية الأولياء ٣/ ١٣٣. منهاج السنة ٢/ ١١٣ و١١٤. الأعلام ٤/ ٢٧٧.

الباقر: هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو جعفر، خامس الأئمة الاثنى عشر، كان ناسكًا عابداً، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال، ولد بالمدينة سنة ٥٧هـ وتوفي بالحميمة سنة ١١٤هـ ودفن بالمدينة.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤٥٠. تأريخ اليعقوبي ٣/ ٦٠. صفة الصفوة ٢/ ٦٠. منهاج السنة ٢/ ١١٤. الأعلام ٦/ ٢٧١.

(١) عمران بن حطّان السدوسي الشيباني الوائلي، من شعراء الخوارج ودعاتهم. والبيتان من قطعة له في مدح ابن ملجم لقتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. انظر: شعر الخوارج ص٢٦. ديوان الخوارج ص١٣١ ـ ١٣٢.

مَــررْتُ بــدرب عثمــان نهــاراً فــأُلفَيــتُ الأكــابــرَ والصِّغــارا
بهــمْ داءُ الملــوكِ فَحــنٌّ دُبْــري إلــى أيــر ولــم أرَ ذاكَ عــارا
فهــذا إنْ مــررتَ بــهِ فــويــلٌ لِمَــن أضحــىٰ لأهــلِ الــدَّرب جــارا

ودرب عثمان هذا من دروب الموصل، بشاطىء النهر، وأهله يُرْمون بالأُبنة، وأبو الطليق كان ساكنًا بهذا الدرب.

وأنشدني عبد الرحمن بن عبد الله الصيقل(١) الشاعر قال: أنشدني صبّاح بن عقبة لنفسه في الربعي الشاعر، يهجوه، وقد غيّر اسمه، وسمّى نفسه خطابًا، وأنّه ادّعىٰ أنه من ربيعة الفرس: [من الكامل]

/١٩٠أ/ خَطَّابُ يا ابنَ مُحَمَّد المنقوشي مــا تُــدْرَكُ الأحســابُ بــالتَّجميــش
لقــد اعتــزيــتَ إلــى رَبيعــةَ كــاذبــاً مَــنْ منهُــمُ فــي لَيلــه المــأشُــوش
وافــاكُــمُ حتَّــى اعتَــزَيــتَ إليهِــم وأبــوكَ أكّــار لَعَبْــدِ عَميــشِ

[٢٢٣]

صفوانُ بنُ إدريسَ، أبو البحرِ المُرسيُّ الأندلسيُّ(٢):

كان شاعراً مجيداً، متقنًا، كثير الشعر، أديبًا مقتدراً على النظم والنثر، وافر المحفوظات، حسن المعرفة، له رسائل وخطب، وديوان شعر مشتمل على كلّ نوع من القريض، وكان ذا تمكن من العلوم الأدبية، وأفرد من شعره مجلدة في أهل البيت ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ، وكان قريب العهد من سنة خمس وستمائة فيما خُبِّرت.

---

(١) ترجم له المؤلف في هذا الجزء برقم ٢٨٧.

(٢) ترجمته في: معجم الأدباء ـ ط الغرب ٤/ ١١٤٨ وفيه نسبه: «صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى التجيبي المرسي». الوافي بالوفيات ١٦/ ٣٢١ ـ ٣٢٤ رقم ٣٥٥. فوات الوفيات ١/ ٣٩٢ ـ ٣٩٥. نفح الطيب، تحقيق محيي الدين ٦/ ٣٦٥ ـ ٣٧٦. زاد المسافر ١١٩ ـ ١٥١. مطالع البدور ١/ ١١٨، ١٢/ ٢٩٨. أعيان الشيعة ٣٦/ ٢٩١ ـ ٢٩٣. أدب الطف ٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥٦. الطليعة ١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٤. الأعلام ط٤/ ٣/ ٢٠٥. الذيل والتكملة ٤/ ١٤٠. المقتضب من تحفة القادم ٨٢. المغرب ٢/ ٢٦٠. رايات المبرزين ص٧٩. تكملة الصلة لابن الأبار ٧٦٨. الإحاطة في أخبار غرناطة ٣/ ٣٤٩. تأريخ الإسلام (السنوات ٥٩١ ـ ٦٠٠هـ) ص٣٤٩ ـ ٣٥٠ رقم ٤٣٩، وفيه وفاته في شوال سنة ٥٩٨هـ. سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٨٦. عقود الجمان للزركشي ١/ ٣٧أ. شرح مقصورة حازم ١/ ٥٧. مقدمة كتاب صفوان «زاد المسافر» بيروت ١٩٧٠. له ديوان شعر حققه أحمد حاجم الربيعي.

أنشدني من شعره أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن أبي العافية البلنسي، وذكر لي أنّه أدرك آخر أيامه، ولم يأخذ عنه شيئًا. وهو القائل[١]: [من الكامل]

يـا حُسْنَـهُ والحسـنُ بعـضُ صفـاتـه ... والحسـنُ مـوقـوفٌ علـى حـركـاتـه
بَـدْرٌ لـوَ أنَّ البـدرَ قيـلَ لـه اقتَـرِحْ ... أبـداً لقـال أكـونُ مـن هـالاتـه
/ ٩٠ب/ يُعطـي ارتيـاحَ الحُسْـنِ غُصْنـاً أملـداً ... حمـلَ الصَّبـاحَ فكـنَ مـن زهـراتـه
والخـالُ تَنَقُّـطُ مـن صحيفَـةِ خـدِّه ... مـا خَـطَّ حبـرُ الصُّـدْغِ مـن نُـونـاتـه
وإذا هـلالُ الأُفْـقِ قـابـلَ وجهَـهُ ... عـايَنتَـهُ كـالشَّمْـسِ فـي مـرآتـه
مـازلـتُ أخطـبُ للـزَّمـان وصـالَـهُ ... حَتَّـى دنـا والبخـلُ مـن عـاداتـه
غَفَـلَ الـرَّقيـبُ فَنلـتُ منْـهُ نظـرةً ... يـا ليتَـه لـو دامَ فـي غفـلاتـه
بتنـا نُشعشـعُ والعفـافُ نـديمُنـا ... خَمْـرَيْـنِ مِـنْ غَـزَلـي ومـن كلمـاتـه
وضَممتُـهُ ضَـمَّ البخيـلِ لمـالـه ... أحنـو عليـه مـن جَميـعِ جهـاتـه
حتّـى إذا اعتلَـقَ الكَـرى بجفُـونـه ... واشتَـدَّ فـي عَضُـدَيَّ طـوعُ سنـاتـه
عـزمَ الغـرامُ علـيَّ فـي تقبيلـه ... فَنَفَضْـتُ أيـدي الطَّـوْعِ مـن عَـزَمـاتـه
وأبـى عَفَـافـي أن يُقَبِّـلَ ثغـرَهُ ... والقلـبُ مَطْـويٌّ علـى جَمَـراتـه
فـاعجـبْ لملتهـبِ الجـوانـحِ غُلَّـةً ... يَشكـو الظَّمـا والمـاءُ فـي لَهَـواتـه

وأنشدني الوزير الصاحب أبو البركات المستوفي ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني أبو الروح عيسىٰ بن محمد بن موسىٰ الحميري التاكرني القرطبي[٢] قال: / ٩١أ/ أنشدني أبو بكر يزيد بن صقلاب المرّي الأندلسي[٣] قال: أنشدني صفوان بن إدريس لنفسه: [من السريع]

سَلَّـمَ إذْ مَـرَّ بنـا شـادنٌ ... يـا ليتَـهُ مـن لَحظـه سلَّمـا
وَقبَّـلَ الإِصْبَـعَ مـن نَحْـوه ... كـأنَّـهُ يَستُـرُ عنَّـا الفَمـا[٤]

---

(١) هذه الأبيات بعض من قصيدة في الوافي ١٦/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣ قوامها ١٩ بيتًا. وفي الفوات ١/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣ قوامها ١٧ بيتًا.
(٢) ترجم له المؤلف في الجزء الخامس برقم ٥٦١.
(٣) ترجم له المؤلف في الجزء العاشر برقم ١٠٠٣.
(٤) ترك الناسخ صفحة بيضاء / ٩١ب/ بين نهاية حرف (ص) وبداية حرف (ط).

/ ١٩٢أ/

حرف الطاء

ولم يرد في حرف الضاد شيء.

ذكر من اسمه طاهر

[٢٢٤]

طاهرُ بنُ محمد، أبو الفوائد الفاريابيُّ:

شاعر عالم، وكان مقامه بأذربيجان، واشتهر ذكره هنالك، كان يشعر باللسانين، عربيًا وفارسيًا، والغالب عليه اللسان الفارسي، امتدح جماعة من ملوك تلك البلاد، وسلاطينها، ورؤسائها، وأشرافها.

وأخبرني من أثق به أنه كان حيًا بعد الستمائة، صار إليّ مجموع أشعاره، وفيه شعر بالعربية يسير، فاخترت قوله يمدح بعض الرؤساء، وهو ربيب الدين أبو القاسم: [من الطويل]

دَعَاني وما أُضمرتُ من لوعة الهَوىٰ ... ففي القلب منّي ما حَييتُ بلابلُ

أأشفي سَقامي بعدَ ما قد مضىٰ الصِّبا ... ورنَّح أغصَانٌ وحنَّ بلابلَ؟

وإنَّ شفائي في كؤوس رَويَّة ... يُساعدني فيها حبيبٌ مُجامل

فَبُدِّدَ للدَّمعِ المصون قَلائدٌ ... وحُرِّكَ للقلبِ المشوقِ سَلاسل

/ ٩٢ب/ ومنها:

ورقَّ كمامُ الوَرْد عنه كأنَّهُ ... كواعبُ بيْضٌ شَفَّ عنها غلائل

أقلَّا مَلامي إنَّ ذَنبي لديكُما ... كثيرٌ وأيَامُ الرَّبيعِ قلائل

هَل العيشُ إلا أن تُنَوِّرَ روضةٌ ... عليها لنَوْء المُرْزمَيْن مخايلُ؟

يَفيءُ إلىٰ أطلالهنَّ هواجراً ... وقد طَلَّقَتْ أسحارُها والأصائل

ألثَّ رَبابُ المُزْنَ فيها كأنَّهُ ... بنُعمىٰ ربيب الدِّين هامٍ وهاطلُ

أبو القاسم المقسومِ في الناس عُرْفُه ... فإنْ جادَ وفراً جاذَبَتْه الوَسائل

أقامَ عِمادَ المجدِ والمجدُ ساقطٌ ... ونَوَّهَ باسم الفضلِ والفضلُ خامل

وصبَّ على الآفاقِ سَجْلاً من النَّدى ... ففاضَتْ به غُدرانُها والمسايل

وقال من قصيدة: [من الرمل]

أقبلَ السَّاقي بريحانٍ وراح ... هاتها تفتَّر عن ثَغْر الملاَح

أنبِهَنْ في السُّكْرِ أغصانَ الرُّبى ... ما لِصَحْبي بين سَكْران وصَاح؟[1]

ومنها في المديح:

قامَ في نَصْرِ الهدى مُسْتَنْصِراً ... أحْرزَ المُلْكَ بأطرافِ الرِّماح

/ ١٩٣أ/ يَنتحي أرضَ العدا في جَحفلٍ ... ضَلَّ في لألائه ضوءُ الصَّباح

ثابتُ الإقبالِ منصورُ اللِّوا ... مُستقيمُ الأمرِ مأمولُ النَّجاح

[٢٢٥]

طاهرُ بنُ مُحَمَّد بن قُريش بن أحمدَ بنِ عبْدِ المَلِك بنِ قريشٍ، أبو مُحَمَّد العَتّابيُّ البغداديُّ:[2]

من أهل العتابيين، وهي محلة مشهورة غربي بغداد، كان يتفقه على مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وكان له طبع يطاوعه فيما يرومه من صناعة الشعر، وقول سهل متسق، يشبه بعضه بعضًا في رقة الألفاظ ولينها.

وكان فيه خفة روح ودعابة ودماثة، ورأيت له من جمعه كتابًا مطبوعًا سماه: غنية النديم، في وصف الخمر والغناء، وأخبار المغنين، وطرف من أخبار الطفيلية، مما يستحسن في ذلك من الأشعار والنوادر والحكايات.

ونظم قصيدة مزدوجة في أهل مصر، وأودعها نكتًا طريفة، وسبب إنشائها أنَّ بعض المصريّة عمل رسالة هجا / ٩٣ب/ بها بغداد، فأنشأ أبو الطيب هذه الأرجوزة، ورسمها بالأرجوزة البغدادية المنتقمة من الرسالة المصرية، هجا بها المصريين.

وسكن بآخره سنجار[3]، وبها توفي في رجب سنة تسع وستمائة. أنشدني

(١) أنبهن: أيقظن.

(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٦/ ٤٠٩ ـ ٤١٠.

(٣) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. وهي اليوم قضاء يتبع =

أبو الحسن علي بن الحسن بن علي الأواني الموصلي[(١)] قال: أنشدني طاهر بن محمد العتابي لنفسه، وأنشدنيها الصاحب شرف الدين قال: أنشدني طاهر لنفسه:

[من الخفيف]

درسَتْ معهد النَّعيم الدُّروسُ ... فالامَ الوقارُ والنَّاموسُ ؟
فاعمُروه في العُمْر عمراً فقدْ رَقْـ ... ـقَتْ وراقَتْ في كأسها الخَنْدَريسُ
وليال بالدَّير دَيْر سَعيد ... حبَّذا ذلكَ الزَّمانُ الأنيس
وسَقَّى فيه غُرفةً لأبي جا ... بر غيثٌ فَرَبْعُها مأنوس
قَهوة عيسَويَّةٌ طالَ ما صَلْـ ... ـلَتْ عليها وسبَّحتْها القُسوسُ
بُزِلَتْ وهْي بالشَّام فدانتْ ... بسناها بأرض كسْرى المجوس
وغناءٌ يكادُ ينبعثُ الشَّا ... هدُ منْهُ حَيّاً ويبدو الحَبيس
والرَّوابي بالزَّهْر تَزْهو كما يَزْ ... هُو بألوان ريشه الطَّاووس
/ ١٩٤أ/ ونَديم لَه مُعينٌ على اللَّهْـ ... و ثلاثٌ كأسٌ وكُسٌّ وكيس
يُخلص الود للجَليس وما للـ ... ـراح طيبٌ حتى يَطيبَ الجليسُ
كلَّما رَتَّل المثانيَ والزِّيـ ... ـرَ أذاناً أجابَهُ ناقُوس
قسماً بالّذي تُزَفُّ إليه ... طلبَ الأجْر والثَّواب العيس
ما لليلِ الهُموم إلاَّ شُموسٌ ... دائراتٌ أفلاكُهُنَّ شُموس

وأنشدني قال أنشدني أيضاً لنفسه: [من مخلّع البسيط]

هذي شَيْبَتي شبه شخص ... منافق معلن مُصرٍّ
بظاهرٍ فيه كلُّ خيرٍ ... وباطنٍ فيه كلُّ شرٍّ

وأنشدني أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله الصيقل الشاعر الموصلي[(٢)] قال: أنشدني طاهر بن محمد لنفسه: [من الكامل]

شِمْ سيفَ لَحْظكَ عَن فُؤاد التَّائه ... فمثالُ شخصكَ منه في سودائِه

= محافظة الموصل. انظر: معجم البلدان/ مادة (سنجار).
(١) ترجم له المؤلف في الجزء الخامس برقم ٤٨٧.
(٢) ترجم له المؤلف في هذا الجزء برقم ٢٨٧.

عجبًا لوجهكَ وهْو بدرٌ كيف لا يُخْفي شعاعَ الشَّمس نورُ بَهائه
ولحُسْنِ قَدِّكَ وهْو لَدْنٌ كيف لا يلويه من تَرَفٍ هُبوبُ هوائه
/٩٤ب/ ولخَالِ خَدِّكَ كيفَ يَنْبُتُ مسكُهُ في ناره ويَخوضُ لجَّةَ مائه

وأنشدني أبو الربيع سليمان بن الحسن بن علي البصري الموصلي قال: أنشدني طاهر لنفسه: [من البسيط]

مررتُ في بعضِ أحياني بمَعْصَرَةٍ وللمُدامةِ في أرجائها لهبُ
وكلَّما أُخمدتْ نارُ العَصيرِ بها أذكى سَناها مَجاري دمعها العنَب
وللسُّقاةِ اضطرابٌ في قَرارتها تَخُبُّ أرجلُهم طَوراً وتَضطَرب
فقلتُ والعينُ ما تَقضي بهم عجبًا والخمرُ مازالَ في حالاتها عَجَبُ
أيرقصونَ ولمَّا يَشربوا قَدَحًا منها فكيفَ بهم لو أنَّهم شَرِبُوا؟

وقال أيضًا: [من السريع]

قَوِّض خيامَ الشُّكْرِ عن مَعْشَرٍ بَرقُ الأماني عندهُم خُلَّبُ
لا بأسُهُمْ يُخشى ولا برُّهم يُرْجى ولا ذكرهُمُ طيِّب
يَصدقُ مَنْ يثلم أعراضَهُمْ بقَدْرِ ما مادحهُم يكذب
أموالُهُمْ باللوْمِ مَحروسةٌ نَعَم وأعراضُهُم تُنهَبُ
إن صُفِعُوا بالكَفِّ لم يَغضبوا أو سُئلوا خَرْدَلةً قَطَّبُوا
/٩٥أ/ يُهْدَونَ في طُرْقِ المخازي فإنْ ضَلُّوا إلى مكرمةٍ نكَّبوا
تَقَاسَمَ النَّاسُ النَّدى كلَّه وأُوسِقُوا منْه وَهُم غُيَّب
فَحينَ جاءُوا وَجَدوا اللؤمَ في مَوْضعه قَد حَلَّ فاستَحْقبوا
لَو مُثِّل الجودُ سَفينًا وقد أُلقُوا بقعرِ البحرِ لم يَركبوا

وقال: وقد طلب من بعضهم حماضًا، فماطله به ولم يعطه شيئًا: [من الخفيف]

قَصُرَتْ في المكارمِ الأغراضُ ما لخَلْقٍ إلى ذُراها انتهاضُ
كرم مُخْلفُ السَّحائب لا يَصـ ـدقُ فيه بَرقٌ ولؤمٌ مُفَاضُ
فدعِ المَدحَ والهجاءَ ولا تَلْـ ـمُمْ بشعرٍ فللقريض انقراض
ما بَقي في الأعراضِ موضعُ ظُفْرٍ يَتمشّى في قطعِه المقْراض

كم تَحَمَّضْتَ وامتَقَعْتَ فلا كنـ ـتَ ولا كانَ ذلكَ الحُمَّاض

وقال أيضًا: [من السريع]

يا ذَا الذي درهَمُه ربُّه وعِرْضُه من لؤمه عَبْدُهُ
يَسجدُ للدِّرْهَم حبًّا له وعِرضه أتعَبه كدُّه
سألتُ عنه بعضَ جيرانه والضدُّ قَدْ يُظهِرُهُ ضدُّه
/٩٥ب/ فقالَ لي هذا الّذي وَجهُهُ ثكلْتَه من حَجَرٍ جِلْدُهُ
هذا يَشمّ الخُبْزَ غلاًّ به كأنَّما كثْرتُه نَدُّه
وَجودُه أعمى عيونَ الورى فليتَها يكْحَلُها فَقْدُهُ
هذا الّذي قد ماتَ مِنْ بُخْلِه وهذِه أثوابُهُ لَحْدُهُ

وقال يهجو: [من السريع]

وليلةٍ بتُّ على طولها أُفكِرُ في عِرْضِ ابنِ عمَّار
لعلَّ أنْ أفتحَ من هَجْوِه بيتَ خلاً في بيتِ أشعار
فلَمْ أَجِدْ فيه سوَى رُقعةٍ قد خلُقَتْ من كثرةِ العَار

وقال أيضًا: [من البسيط]

لو كان عِرْضُكَ مُبْيَضًا رقمْتُ له منَ الهجاءِ طرازًا غيرَ مُنْدَرِس
لكنَّه بالخَنا واللُّؤم مُذْ وُضعتْ عَنكَ التَّمائمُ مَشحونٌ منَ الدَّنَس
بَخُلْتَ حتّى لو أنَّ النَّار طوعُكَ في الـ ـجحيم ما نالها مصباحُ مقتبِس
فاصبر فسوفَ يُفيقُ الدَّهر عَن كَثَبٍ فالدَّهرُ لو لم يكن قد جُنَّ لَم تَرسِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

وَذي ثَروة لا يَطرقُ الضَّيْفُ بابَه سمينُ إهابِ الذَّمِّ نِضْوُ المَحامِدِ
/٩٦أ/ فَكَعْبَتُهُ في ماردينَ ودارُه دُنَيْسِرُ لا بَلْ وَجهُهُ سُورُ آمَدِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

عَذيريَ من قَومٍ وَرَدْتُ بمدحهم على أيِّما وادٍ من اللؤم مُتْرَعِ
(مَدحتُهُمُ وَحْدي فَلمَّا هجوتُهُمْ هجوتُهُمُ والنَّاسُ كُلُّهُمُ مَعي)

وقال أيضًا: [من السريع]

وباخلٍ قُلْتُ لهُ مرَّةً ... خُبْزُ فَهَزَّتْ جسْمهُ البارِدَه
رأيتُ في منزلِهِ مُصْحَفًا ... وليس فيه سورةُ المائِدَه

وقال أيضًا: [من الطويل]

ومَا بذَلَ القومُ القليلَ لأنَّهُم ... كرامٌ ولا عادوا عن اللُّؤم والبُخْلِ
ولكنَّهُم صاروا نصارىٰ جَهَالةً ... وهذا الذي يُعطونَه جِزْيَةُ الجَهْلِ

وله في أبي غالب بن الماوردي الطبيب النصراني: [من السريع]

لا تَسْتَطِبَّنَّ أبا غالبٍ ... فإنَّما تَدبيرُه قاتِلُ
يَحكُمُ بالتَّخمينِ في غيرِهِ ... وهْو بما في نَفْسِه جاهِلُ
يَمشي إلى المَرْضىٰ فَيَمْشي علىٰ ... آثارِه الحفَّارُ والغاسِلُ

/ ٩٦ب/ وقال أيضًا: [من الطويل]

وقالوا فُلانٌ ذو يَسارٍ وثروةٍ ... ولكن بخيلٌ ما يُنيلُ ولا يَقْري
فَقُلْ فيهِ شعرًا يَعْرِف النَّاسُ لُؤمَهُ ... فما يكشفُ اللؤمَ المستَّرَ كالشِّعرِ
فَقلتُ اعذِروني ذاكَ بالبُخْلِ ميِّتٌ ... وقد قيلَ قِدْمًا عَدِّ عن صاحبِ القَبْرِ

وقال أيضًا: [مجزوء الرجز]

يا إخوَتي تفهَّموا ... وكُلكُمْ تَعَلَّمُوا
نصيحةً يَحظىٰ بها ... سامعُها ويغْنَمُ
هذا الزَّمانُ فُرَصٌ ... أوقاتُه تُغْتَنَمُ
وذا الرَّبيعُ مُقبِلٌ ... ووشيُهُ المنمنَمُ
والماءُ في مروجِهِ ... بقسطِهِ مقسَّمُ
والطَّيرُ قَد أفصَحَ منْـ ... ـهُنَّ اللسانَ الأعجمُ
والراحُ تَجلُوها على الشْـ ... ـشَرْبِ الزُّجاجُ المُحكمُ
كأنَّما شُعاعُها ... في الكأسِ نارٌ تُضْرَمُ
أو ذَوْبُ تِبْرٍ قَدْ علا ... هُ لُؤلُؤٌ مُنَظَّمُ
يُكسىٰ بها كفُّ المديـ ... ـرِ صبْغَةً والمِعْصَمُ
/ ١٩٧/ أنحلها الدَّهرُ فَما ... يُدركُها التَّوهُّمُ

فهْـــي مــــنَ الـــدَّهـــر وإن طـــال مَــــداهُ أَقْـــدَمُ
آنـــسَ مُـــوســـىٰ نــورَهـــا واللَّيــــلُ داجٍ مُظْلـــمُ
فقـــالَ آنســـتُ لكُـــمْ نـــاراً وأنتُــمْ نُـــوَّمُ
وَهْـــي التـــي كـــانَـتْ تُسَقِّيهـــا لعيســـىٰ مَـــرْيَـــمُ
حَـــرَّمَهـــا النَّـــصُّ وكـــم يُـــرتكـــبُ المحـــرَّمُ
يَسعــىٰ بهـــا ظَبْـــيٌ علـــىٰ عُشَّـــاقـــه مُحْتكـــمُ
حُلَّـــةُ حُسْـــنٍ وجهُـــهُ لَـــه العَـــذارُ عَلَـــمُ
وقـــدُّه مـــن القضيـــ ـــبِ الخَيْـــزُران أقـــومُ
فلـــو رآهُ صنـــمٌ دانَ لَـــدَيْـــه الصَّنَـــمُ
يَقْتُلُنـــي إذا أنتشـــىٰ كـــلامُـــه المَجمجـــمُ
لبَّـــى مـــنَ الفقْـــه فَمـــا حـــقَّ الفقيـــه يَـــرحَـــمُ
يَمـــوتُ بـــالجُـــوعِ وَفـــي دمـــاغـــه التَبَـــرْطُـــمُ
وهْـــو علـــىٰ حُـــرْقَتـــه مَقمَّـــص مُعَمَّـــمُ

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

/ ٩٧ب/ يـا عـاذلـي هـات المُـدامـه ودع التَبَـرْطُـمَ والمـلامَـه
فَـأنـا الشَّقـيُّ بشُـربهـا لا أنْـتَ فـي يـومِ القيـامَـه
أنـا مـذهبـي مُـذْ كنـتُ طفـ ـلٌ رَشْـفُ كـاسـاتِ المُـدامـه
أتعجَّـلُ العيـشَ اللَّـذيـ ـذَ وأسـألُ اللهَ السَّـلامَـه
لـو كنـت شَـاهَـدْنـا وبَـدْ رُ التِّـمِّ قَـدْ أرخَـىٰ لثـامَـه
مثـلُ القَضيـبِ اللَّـدْن قَـدْ زَانَتْـهُ أعطـافٌ وقَـامَـه
يَسعَـىٰ بشَمـسِ مُـدامَـة واللَّيـلُ مُـدَّرِعٌ ظَـلامَـه
فتخـالُـهُ صُبحـاً إذاً أبصَـرْتَ طَلْعَتَـهُ وجـامَـه
وسَمـاعُ مُطـرِبَـة لهـا مـع حُسْـنِ صـورتها وسـامَـه
أخـلاقهـا مثـلُ النسيـ ـمِ أرقّ مِـن مـاء الغمـامـه
ألفـاظُهـا كـالـدُّرِّ أتْـ ـقَنَ حِـذْقُ نـاظمـه نظَـامَـه
حـوتِ الفصـاحَـةَ والمَـلا حَـةَ فهْـي بيـنَ النَّـاسِ شَـامَـه

تَشْـــدو فَتَطْـــرَبُ ثــــمَّ تُطْـــرِبُ وهْـــي للقَفَـص الحمـامَـة
فَيُجيبُهـــا مثــــلَ ٱلْمُحِبْـــبِ يَبُـثُّ محبـوبـاً غَـرامَـه
إنْ أَذَّنَ الـــوَتَـــرُ الفصيــحُ بمجلـس فهـي الإمـامَـه
/ ١٩٨/ تَقضـي صَـلاةَ سُـرورنـا فـي الحـال مِـنْ قَبْـل الإقـامَـه
قُـم نَطَّـرِحْ قَـوْلَ النَّصـوحِ فـلا تُطْعـهُ ولاَ كَـرامَـه
فـٱشْـرَبْ إذا طـافَ الغُـلامُ بهـا وَطَـرَّبَـتِ الغُـلامَـه

وكتب إلى نقيب العلويين بالموصل، وكان قد مدحه فأبطأ في جائزته:

[من السريع]

يـا سيِّـدي يـا طَلْعَـةَ البَـدْر ويـا سَليـلَ الأنجُـم الـزُّهْـر
ألسـتَ مِـنْ قـومٍ أتـىٰ مَـدحُهُـمْ في ﴿هل أتىٰ﴾ في محكم الذكر ؟[1]
ألسـتَ مِـن قـومٍ أنـاخـوا حمَـى أمـوالهـم فـي الحمـد والشُّكْـر ؟
ألسـتَ مِـنْ قـوم إذا فـاخـروا بَـذُّوا جميـعَ الخَلْـق بـالفخـر ؟
ألسـتَ مِـن قَـوْمٍ إذا استُمطـرَتْ أكفُّهُـم أربَـتْ عَلـىٰ القَطْـر ؟
قَـدْ عِشْـتُ شيعيـاً إلـى أنْ مَضـىٰ فـي حبِّكُـم سبعـون مِـنْ عُمْـري
فكيـفَ تَـرضَـىٰ لـي وَحُـوشيـتَ أنْ أُبـدِّلَ الإيمـانَ بـالكُفْـر ؟
وأنْ أرىٰ مَـدْحَـكَ كـلاًّ علـىٰ لَفظـي وأَنْ أمحـوهُ مِـن شِعْـري
ومـا احتيـالـي فـي غـد إن خلَـتْ صحيفتـي عنـه ومـا عُـذْري ؟
إنْ قلـتُ: قـد أعـرضَ عنِّـي وقـد أضـرَبَ عَـن حَمْـدي وعـن شكـري
/ ٩٨ب/ كَـذَّبنـي الخَلْـقُ جميعـاً فَـوا فضيحتـي فـي مَـوقِـفِ الحشـرِ

وقال أيضًا: [من البسيط]

شَحُّـوا فلـو مَـرضُـوا دهـراً وقيـلَ لهُـمْ هَبُـوا لَنـا ألَـمَ الحُمَّـىٰ لمـا وهبـوا
ولـو رأوا فـي زُلال المـاء مكـرمَـةً وهُـمْ عِطـاشٌ لَعـافُـوهُ ومـا شَـرِبُـوا

وقال أيضًا: [من البسيط]

---

(١) إشارة إلى سورة الدهر: الآية ١.

اليومَ ما اجتَرَحَ الندمانُ مغفورُ ... ومجلسُ الراحِ في النيروزِ مأثورُ
فبادرِ الرَّاحَ واْشرَبْها معتَّقَةً ... فَقَدْ دَعاكَ إليها البَمُّ والزِّيرُ
كأنَّما نُثرت من نورِ جوهرِها ... على ثيابِ نَداماها دنانيرُ
صفراءُ روميَّةٌ قد طالَ ما بُزِلَتْ ... فأمَّها في ظلامِ اللَّيلِ مَقْرُورُ
ناريَّةُ اللَّونِ عند النَّوحِ عظَّمَها ... كسْرَىٰ وصَلَّى لَها في البيتِ سابورُ
إذا تحلَّتْ عُقَودَ الدرِّ دائرةً ... دارَتْ علىٰ أذْرُعِ السَّاقي أسَاويرُ
تَكسو الزُّجاجةَ لوناً لا بقاءَ لَهُ ... فالكأسُ من كسْيِها عارٍ ومَستورُ
كأنَّها فضَّةٌ في وسطِها ذهبٌ ... منْ حولِها حَبَبٌ كالدُّرِّ منثورُ
سَواذجٌ فإذا طافَ السُّقاةُ بها ... تَشَكَّلتْ في تَلاليها تَصاويرُ
يا حبَّذا أرضُ سنجارٍ إذا لَبِسَتْ ... نورَ الرَّبيعِ وزَانَتْها الأزاهيرُ
/ ٩٩ب/ وحَبَّذا المَرْجُ حيثُ الزَّهرُ منتظمٌ ... في سلكِ أغصانِهِ والماءُ مذعورُ
والوردُ وهو أميرُ الزَّهْرِ يَقْدُمُهُ ... فرسانُهُ ولها [في الأرض] تَشْهيرُ
والأقحوانُ كمُبْيَضِّ الثُّغورِ لهُ ... أزرارُ تبْرٍ وحولَ التِّبرِ كافورُ
والسَّوسنُ الغضُّ بينَ الرَّوضِ تَحسبُهُ ... أعلامَ جَيْشٍ فمطويٌّ ومنشورُ
أرضٌ كأجنحةِ الطاووسِ مُختلفٌ ... ألوانُها والنَّدامَىٰ حولَها سُورُ
والطَّيرُ إنْ أعجَمَتْ لحناً بلابلُها ... غنَّت به أعربَتْ عنها الشَّحاريرُ
فبادرُوا غَفَلاتِ الدَّهْرِ واغتنموا ... أوقاتَهُ فزمانُ العُمْرِ محضورُ

ولهُ وقد صعد مع صديق له إلى كُرْسي، قرية من قرىٰ سنجار، فتركه في البستان يومه أجمع، ولم يطعمه شيئًا، ومضىٰ في بعض أشغاله، فقال فيه ارتجالاً:

[من الخفيف]

يا أبا طالبٍ رُويدكَ ما عنـ ... ـدكَ لا كُلْفَةٌ ولا تقصيرُ
قد تناهيْتَ في الضِّيافةِ هَذي ... روضةٌ غَضَّةٌ وَهذا غَديرُ
يترجَّىٰ بها إذا عَدِمَ الزَّا ... دَ ويُعطىٰ خيرَ الجزاءِ الصَّبُورُ
كحمارِ القَصَّارِ يَقنعُ بالما ... ءِ ويَعدو وإنْ عَداهُ الشَّعيرُ

/ ٩٩ب/ وله وهو مريض، وقد سأله صديق له عن حاله فقال: [من الكامل]

يا عائدي لا تسألَنْ عن حالةٍ ... جَلَّتْ عنِ الآلامِ والتَّبْريحِ

فلقد ضنى جسمي فلو كشّفته لعلمت منه صنعة التّشريح

وقال أيضًا في مرضه: [من مجزوء الكامل]

ألف السّقام جوارحي حتّى خفيت عن الضمير
فكأنّني في مضجعي من بعض طاقات الحصير

وقال من ربيعية: [من الوافر]

ألا هُبّا فقد صفت الخمورُ لشاربها وغرّدت الطّيورُ
وهبّ نسيمُ أنفاس الخزامى ولاح الصّبح وانشقّ الغديرُ
وأزهارُ الرّبيع مفتّحاتُ الـ ـجفون كأنّها حدقٌ تدورُ
فصوصٌ قد نُثرن على حرير فأظهر حُسن رونقها الحريرُ
إذا ما اخضرّ وجهُ الأرض فابكرْ إلى حمراء حُقّ لها البكورُ
ومطربة متى ما شئت غنّتْ مكانك أيُّها القلبُ الأسيرُ

وقال أيضًا: [من المنسرح]

/ ١٠٠أ/ واحسرتا ضاعت الدّراهمُ منْ كيسي وأصبحتُ أشتكي عدمي
وقام إنْ قام من هويتُ إلى جنبي وقد قام وهْو لم يقُمِ

وقال أيضًا: [من المنسرح]

الحمدُ لله قد رجعتُ إلى الـ ـحقِّ وزالتْ عن قلبي الرِّيبُ
وتبتُ إلا عن شُرب صافية صفراء يجْلو كاساتها الحبَبُ
إذا بدا كرمُها يقدّحُ بالأوْ راق يبْدو في نفسي الطّربُ
وأنثني كلما مررت به لا سيّما أنْ يلوّن العنبُ

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

ذكر الصّبا وزمانه فصبا وتمايلتْ أعطافُه طربا
شيخٌ يكادُ يطيرُ من فرح بين الكرام إذا رأى العنبا
ويعودُ ريعانُ الشّباب له غضًّا إذا ما خمسةً شربا
لا يصطلي في القُرِّ غير سنى لهب الكؤُوس ويربحُ الحطبا

وقال أيضًا: [من الخفيف]

عُــجْ عَلــىٰ حــانــة الــدِّنــان ففيهــا ... كســرَويٌّ غَطّـــىٰ عَلَيــه الغُبــارُ
نَســجَ العنكبــوتُ فيهــا بيــوتــاً ... عــاونَتْــهُ فــي نسجهــا الأعصــارُ
/١٠٠ب/ قفْ يَميناً علىٰ البُزال وحاذرْ ... رُبَّمــا طــارَ مــنْ سَنــاهــا الشَّــرارُ
إنَّ شيخــاً مــنَ النَّصــارى كبيــراً ... عــايــنَ الــدُّرَّ أُفــرغَــتْ فيــه نــارُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

وعــاذل لَــجَّ فــي عــذلــي وعَنَّفَنــي ... علــىٰ المُــدام وعَيشــي دونَهــا نغــصُ
إنِّــي لبيــبٌ ومــا شُــربــي لهــا رَفَــثٌ ... ولا فُســوقٌ كمَــا جــاءَتْ بــه القَصَــصُ
لَكــن غَصَصْــتُ بــزادِ الهــمِّ أُطعَمُــه ... والخَمْــرُ حــلٌّ إلــى أن يــذهــبَ الغَصَــصُ

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

بــادرْ صَــلاتَــكَ فــي الغَلَــسْ ... والْــقِ الــدُّروسَ لمــن دَرَسْ
وذَرِ الخَليـــعَ وقَهــوةً ... حَمْــراءَ تَلْمَــعُ كــالقَبَــسْ
واغفَــلْ إذا غفَــلَ الــزَّمــا ... نُ فَلَــذَّةُ الــدُّنيــا خَلَــسْ

وقال أيضًا: [من الطويل]

ولَيْلَــةِ قَــرَّيــتُ أهْــزَمُ بَــرْدَهــا ... بجيْشَيْــن مــن خَمْــرٍ عَتيــقٍ ومــنْ جَمْــرِ
فَطَــوراً أظُــنُّ الخَمْــرَ ذائــبَ جَمْــرِهــا ... وطَــوْراً أظُــنُ الجَمْــرَ مــنْ جيِّــدِ الخَمْــرِ

وقال أيضًا: [من الكامل]

بــادرْ صَبُــوحَــكَ مَطْلَــعَ النَّجــم ... إنَّ البِــدارَ قَضيَّـــةُ الحَــزْمِ
/١٠١أ/ أوَمَــا تَــرَى جَيْــشَ الصَّبــاحِ وقــدْ ... غــارَتْ أشــاهبُــه علــىٰ الــدُّهْــمِ؟
ولَخَيْــرُ مــا زَوَّجْــتَ مُبْتكــراً ... مــاءَ الغَمــامِ كــريمَــةَ الكَــرْمِ
وَمُــدامــةٍ لَطُفَــتْ فليْــسَ لنــا ... منْهــا ســوى الإدراك بــالــوَهْــمِ
لــم يَبْــقَ إلاَّ رَسْــمُ صُــورَتهــا ... فَكَــأنَّهــا رُوحٌ بــلا جسْــمِ
تُغْــري السَّفيــهَ علــىٰ سفــاهَتِــه ... وتَمُــدُّ رَبَّ الحلْــم بــالحِلْــمِ
وتُثيــرُ حَــرْبــاً للعُقــول علــىٰ ... خُــدَعٍ لهــا فــي صُــورَةِ السِّلْــمِ
وتعلِّــمُ الكَــرَمَ البَخيــلَ فَــلا ... يَخْشَــىٰ إذا دَارتْ مــنَ العُــدْمِ
تَبــدو طَــلائعهــا مُلَبَّسَــةً ... زَرَداً فَتَهْــزِمُ عَسْكَــرَ الهَــمِّ

وقال أيضًا: [من السريع]

لا تُخْلِيَنْ بَيْتَكَ مِنْ خابِيَه ورُواقِن تَجْري إلىٰ باطِيَه
وصاحِبٍ يَسْتُرُ في حالَةِ السْـ ـسُكْرِ علىٰ عَوْرَتِكَ البادِيَه

يعني كتابًا.

وسَلِّمِ الدُّنيا إلىٰ أهْلِها فإنَّما مُدَّتُها فانِيَه
مَنْ عَرَفَ النَّاسَ أنْزَوىٰ عَنْهُمُ وضَمَّهُ في بَيْتِهِ زاوِيَه

وقال أيضًا: [من الخفيف]

/ ١٠١ب/ خَلِّني حِلْسَ مَنْزِلي فَنَداما يَ كُؤوسٌ مَمْلوءَةٌ وقَناني
فَظُروفُ المُدامِ خَيْرٌ لِمَنْ قَدْ خَبَرَ الخَلْقَ مِن ظِرافِ الزَّمانِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

رُبَّ يوم قابَلْتُ فيه شُعاعَ الشْـ ـشَمسِ بالضَّعفِ من شُعاعِ السُّلافِ
وكأنَّ الراووقَ مَفْصودُ عِرْقٍ سائلاً أو مُمَرَّضٌ بالرُّعافِ

وقال أيضًا: [من الوافر]

وكَمْ لَيْلٍ شَرِبْنا الرَّاحَ حَتَّىٰ وَشَىٰ بحَديثِنا ضَوْءُ النَّهارِ
ولَمْ تَحْفِلْ بنا الأقداحُ حَتَّىٰ شَرِبْناها وعَيْشِكَ بالجِرارِ

وقال في عنقود قد تخمر ارتجالاً في مجلس: [من البسيط]

ما أحسنَ الخَمْرَ في العُنْقودِ كامِنَةً لم يَبْتَذِلْ حُسْنَها كَفٌّ ولا قَدمُ
بِكْرٌ عَروسٌ وقَفْناها وما انفَصَلَتْ ولا تَشَقَّقَ حتى أبرزَتْ رَحِمُ
وَلا أشتكتْ لَفحاتِ الشَّمسِ ضَرَّتَها ولا تَناوَلَها في مَجلِسٍ خَدَمُ

ثم قيل له: ومه، فقال في الحال: [من البسيط]

لا تَشْرَبِ الرَّاحَ إلاَّ في الزُّجاجِ [وقد] تَعَنَّسَتْ وَجْنَتَيْها الأعصُرُ القُدُمُ
/ ١٠٢أ/ وعافَها الدَّنُّ حتّىٰ أُبرزتْ شَبَحًا كأنَّهُ قَبَسٌ يخفي سَناهُ فَمُ
وأسْتَجْلِها وتأَمَّلْ حُسْنَ صبغتها كالشَّمسِ تُشْرِقُ مِن لألائها الظُّلَمُ
بُعداً لَها وَهْيَ في العُنْقودِ يَسْتُرُها كأنَّ أفْواهَها مِن سارِقٍ حُلُمُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

قالوا اطبُخِ الخَمْرَ واشرَبْها مُحَلَّلَةً ... فَقُلْتُ كفّوا فَما للنَّارِ والرَّاحِ ؟
فإنَّني لا أُحِبُّ الخَمْرَ قَدْ عُصِرَتْ ... مِنْ كَرْمَةٍ غَرَسوا فيها بِمِصْباحِ

وكان قد وعده مؤيد الدين أبو المحاسن ابن الصابوني بمطبوخ، فأبطأ عليه، فكتب إليه: [من البسيط]

مُؤيِّدَ الدِّينِ ما المطبوخُ مِن أرَبي ... وكيفَ أصبرُ حتى تَطبُخَ العنَبا ؟
فإنْ مَضَى نَصْفُهُ بالنَّارِ تأكُلُهُ ... فإنَّ أطيبَ نصْفَيْهِ الذي ذَهبا
لكِنْ أخو الوُدِّ مَنْ يَسْقي مُعاقَرَةً ... في شِرْعَةِ الرَّاحِ بالكأسِ الذي شَرِبا
فَإنْ بَعَثْتَ بِهِ نَيْئًا رَضِيتُ بِهِ ... والأمرُ أمْرُكَ فيهِ فارْبَحِ الحَطَبا

وقال أيضًا: [من الطويل]

وقَيِّمِ دَيْرٍ جِئْتُهُ بَعْدَ هَجْعَةٍ ... وقَدْ حانَ من نَجْمِ الثريّا شُروقُها
/١٠٢ب/ فقامَ سَريعًا والنُّعاسُ يردُّهُ ... وقدْ بانَ مِنْ أجفانِ عَيْنَيْهِ مُوقُها
وَمِلْنا إلى كَرْمٍ فعايَنْتُ جَذْوَةً ... فَقُلْتُ لَحاكَ اللهُ مِمَّ حَريقُها ؟
فَقالَ مَعاذَ اللهِ بَلْ هِيَ قَطْرَةٌ ... مِنَ الدَّنِّ حتّى يَسْتَبِينَ طَرِيقُها

وقال يذم مغنيًا: [من السريع]

ومُطْربٍ تَرْجيعُ ألحانِهِ ... مِنْ كُلِّ شيءٍ وَحِشٍ أوْحَشُ
فَلَيْتَهُ يَخْرَسُ أو لَيْتَنا ... إذا تغنَّى بَيْنَنا نَطْرَشُ

وقال أيضًا: [من السريع]

وذي وفاءٍ لَجَّ في تَوْبَتي ... والنُّصْحُ ممّا يبعثُ الوُدُّ
فَقُلْتُ أنظِرْني وَحَسْبي بِهِ ... عُذْرًا إلى أنْ يَنْقَضي الوَرْدُ

وقال أيضًا، وهي الأرجوزة البغدادية، المنتقمة من الرسالة المصرية، التي هجا بها [أحد المصريين] بغداد: [من الرجز]

يا سادَتي هل عائدٌ وراجعُ ... دَهْرٌ مَضى والشَّمْلُ فيهِ جامعُ
وهلْ يَعُودُ عَيْشُنا والدّارُ ... جامعةٌ والحبُّ فيها جَارُ
هذا كتابُ مُدْنَفٍ كئيبِ ... مُبَعَّدٍ عَنْ أهلِهِ غَريبِ

/١٠٣أ/ مُسَهَّد بِاللَّيْلِ ما يَنامُ ... وَدَمْعُهُ لِبَيْنِهِ سجامُ
يَرْتاحُ إنْ أَقْبَلَ رَكْبُ الشَّامِ ... وإنْ أَثَارَ كامِنَ الغَرامِ
لَعَلَّ فيهِ مِنْ دِيارِ المَوْصِلِ ... مُخَبِّراً عنها وإنْ لَمْ يُسْأَلِ
لَعَلَّهُ أَنْ يُبْرِدَ الغليلا ... وأنْ يُداوي جَسَداً عَليلا
كُنْتُ أَظُنُّ العِزَّ في التَرحُّلِ ... وأنَّ طيبَ العَيْشِ في التَّنَقُّلِ
وأنَّ مَنْ يَسْتَوْطِنُ البِلادا ... لا يُحْرِزُ الكَمالَ والسَّدادا
أَدرُسُ ما قَدْ قيلَ في الأسفارِ ... ونفعِها مِنْ مُلَحِ الأشعارِ
فلم أزلْ يَسوقُني القَضاءُ ... والطَّمَعُ الكاذِبُ والرَّجاءُ
حتّى سلكْتُ المَسْلكَ البَعيدا ... واللَّقَمَ المُرتَّقَ المَسدودا
مَفاوِزٌ جَميعُها مَهالِكُ ... مَجْهولَةٌ يَحارُ فيها السَّالِكُ
وقُلْتُ مِصْرُ بَلَدٌ كَبيرُ ... ومَالُهُ وخَيْرُهُ كثيرُ
وما عَلِمْتُ إذ دَخَلْتُ مِصرا ... لِشقْوتي أنِّي دَخلتُ القَبْرا
البُومُ في دُورِهِمُ يَصيحُ ... وبَقُّهُمْ مَنَتُّهُ تَفُوحُ
أزهارُهم تجمعُ في الغَفاري ... وشُربُهُم مِنْ كَدرِ الأمزارِ[1]
وصَرُّهُمْ أَجْوَدُهُ ما دَوَّدا ... وكانَ في ماعونِهِ مُقَدَّدا
/١٠٣ب/ ونُقْلُهُم أَلَذُّهُ المَدلِيَنَسُ ... وبَقْلُهُمْ أَطْيَبُهُ البَقْدونِسُ
والزِّفْرُ الماشي إذا ما احتفلوا ... عليهِ في شُرْبِهِمُ المُعَوَّلُ
هذا وإنْ قُدِّمَتِ القَضامَة ... فَما بَقي عَتْبٌ ولا مَلامَه
يا حَبَّذا رائحَةُ السِّمَّانِ ... مقدَّداً في المِلْحِ في البَراني
فَريحُهُ أَطيَبُ مِنْ أخلاقِهِمْ ... ومَاؤهُ أَطيَبُ مِنْ أَعْراقِهِمْ
والطَّائِرُ البَرِّيُّ وهو الغَارُ ... يَأْكُلُهُ مِنْ أَهْلِهِ التُّجَّارُ
يقولُ يا أَسْوَدُ كَمْ بِدِرْهَمِ ؟ ... يَقُولُ عَشْرٌ فاكْتَسِبْها تَغْنَمِ
وحِزْمَةُ الحَشيشِ في أيلونَ ... فَرْضٌ عليهِمْ ليسَ بالمَسْنونِ
تَرُشُّها المَرأةُ في الحيطانِ ... تَحَرُّزاً مِنْ أَعْيُنِ الجيرانِ

---

(١) الأمزار: جمع مِزر، وهو ضرب من الأشربة، قيل: إنه من الذرة.

رَئيسُهم يَشْرَبُ وَهْوَ نائمُ ... وَعَبْدُه بينَ يَدَيْه قائمُ
في يَده اليُمْنَى وغَيرُ فَخْر ... لُفْتيَّةٌ قد مُلئتْ بمَزْر
وَبطَّةٌ للبَوْل في شماله ... والْعَبْدُ لا يَقْصُرُ في امْتثاله
حتَّى إذَا أرادَ أن يَبُولا ... أشارَ إنْ أشفَقَ أن يَقُولا
وَرَفَعَ اليَسارَ من رجْلَيْه ... وكُلُّ شَخْص ناظرٌ إلَيْه
وَجاءَهُ غُلامُهُ بالبَطَّه ... وغيرُ بِدْع إنْ أتَى بضَرطَه
/ ١٠٤أ/ فَيُدْخلُ البطَّةَ في إحليله ... من غيرِ أنْ يَستُرَ عن خليله
وإنْ تَدَشَّا واحدٌ بنَفْره ... فَهْو اللَّطيفُ بين أهْل الحَضْره
وَهذه تُذْكَرُ في المَناقب ... لَيْسَتْ إذا عُدَّت منَ المثالب
هذا وإنْ عاقَرَهُم غَريبُ ... فَليس شَخْصٌ دونَهُ مَحجوبُ
بَنوهُمُ يَسقُونَ والبناتُ ... وربَّما قَيَّنَت الزَّوجاتُ
وَرُبَّما كاسَرَ رَبُّ الدَّار ... وقال أمضي قاعةَ المَزار
ثُمَّ مَضَى وغَلَّقَ الأبوابا ... يُوهمُ أنِّي أُحْضرُ الشَّرابا
وَرُبَّما غابَ جَميعَ اليَوْم ... وقالَ كُنْتُ عندَ بعض القَوْم
وقَصْدُهُ أن يَخْلُوَ الإنسانُ ... بعرْسه لأنَّه قَرْنانُ
وَهذه شنْشنَةٌ قَدْ وُرثَتْ ... منْ العَزيز سالفًا ودُوِّنَتْ[١]
إذ قالَ يا يُوسفُ أعرض واتْرُكْ ... واستَغْفري يا هذه لذَنْبكْ[٢]
حَديثُهُم جَميعُه خُرافَه ... وجُلُّ حَلْوائهمُ الكُنافَه
وَبيْدة كأنَّها رَجيعُ ... الفَلْسُ في قنطارها يَضيعُ
وَقَوْلُهُم عندَ التَّلاقي شُفْت ... وكيفَ حتَّى كانَ هذا البَخْت
وانقَشَرتْ بوشُّكَ المَيْمُون ... وجاءَني البلَّانُ بالتَّبْلين[٣]
/ ١٠٤ب/ والتُّومُ والتُّوتُ وتُوري وكذا ... ولَهْتني قَرْفانُ من ذاكَ الغَذا[٤]

---

(١) إشارة إلى قصة النبي يوسف عليه السلام.
(٢) إشارة إلى قصة النبي يوسف عليه السلام.
(٣) بوشُّكَ: أي بوجهك بعامية بلاد الشام ومصر.
(٤) لعله من أنواع الخضار في مصر.

وَالعَدْسُ في قاعَتِها وَالفُولُ … فاسْمَعْ مِنَ المرأةِ ما تَقُولُ

وطاجِنُ البُوريِّ واللُّفاتي … وكُلُّ هذا الشَّرِّ مِنْ حَماتي

فَتَبْرُزُ المرأةُ كالشَّرارَه … قد خَرِبَتْ بكفِّها إزارَه

تَقُولُ فَتِّشْ حزبتي يا قازي … هذا غلامُ الله ذو المَخازي

ومُرْهَفٌ يَشْهَدُ والدِّرْغامُ … بأنَّه في فِسْقِهِ مِقْدامُ

وَمُصطَفى وخَيلَجانُ شَهِدا … بأنَّه لمالَه قد بَدَّدا

وابنتي قد عافَها من شَهْر … وَهَا لِخُبْزي وبُقُولي مُزْري

يَحكي بما يَقْشَعُه وشَيْرَجي … فما الذي مِنْ مِثْلِ هذا أَرْتَجي

ومَقْعَدي قد بعتُهُ وَسُفلي … فَهَلْ يَرَى بَعْدَ طَلاقي مِثْلي ؟

وَهْوَ لَحيني رَجُلٌ رَقّاصُ … فَكَيْفَ مِنْ نِكاحِه الخَلاصُ ؟

وَقالَ لي يَوْماً صَديقٌ صادِقُ … لا كاذِبُ الوُدِّ ولا مُماذِقُ

بأنَّني حَضَرْتُ دارَ القاضي … مُلازِماً خَصْمي للتَّقاضي

فَجاءَ شَخْصانِ كما أُنْبيكا … فَوَضَعا بينَ يَدَيْهِ ديكا

ثُمَّ تَبَدَّى واحِدٌ فَعَيَّطا … ونالَ مِنْ صاحِبِه وخَبَّطا

/ ١٠٥أ/ وَقالَ هذا باعَني دَجاجَه … كأنَّها في حُسْنِها دُرّاجَه

وكُنْتُ قَدْ حَسِبْتُها تَقُفُّ … وخَيْرُ مِمّا قَدْ لَقيتُ الحَتْفُ

وأنْتَ قَدْ عَدَدْتَها بَيّاضَه … فَما وَجَدْتُ مِثْلَها غَضاضَه

فَخَرَجَتْ كَما تَراها ديكا … إنَّ العيانَ يُذْهِبُ الشُّكوكا

فَرَدَّها الحاكِمُ بالتَّدلِيس … أَحسَنْ بذاكَ الحكَمِ الخَسيس

وَقيلَ لي: جاءَ إلى الشُّنْباشي … يَوماً فلانٌ راكِباً أوْ ماشي

فقالَ في جارَتِنا سَمّانُ … قد شاعَ عَنْه النَّحْسُ والبُهْتانُ

أَرْسَلْتُ مَعْ جاريَتي مَحبُوبَه … إليهِ رُبعاً طالِعاً خَرُوبَه

فَقالَت: اقنعْ لي بِهِ قطارَه … فَغَرَّها وباعَها عُصارَه

جَرَى إلَيهِ صُحْبَتي رقّاصا … يأخُذُ لي مِنْ خَصْمي القِصاصا

وَسَمْ عَلَيه ساعَةً مِنْ يومِ … فما عليكَ بَعْدَها مِنْ لَوْمِ

خُبْزٌ لهُ في الخَزِّ بَل في العينَه … فإنَّها حَصينَةٌ أَمينَه

غُيُومُهُمْ جَمِيعُهَا جَهَامُ   فما يَبُلُّ تُربُهُمْ غَمامُ

ما للقطاط عِنْدَهُمْ مَقامُ   إذْ لَيْسَ في دُورهم طَعامُ

بَلَ الدُّرُوبُ كُلُّها كِلابُ   لكنَّهم لَيْسَ لَهُمْ أذنابُ

/١٠٥ب/ مَركُوبُهُمْ جَمِيعُهُمْ حَمِيرُ   ولُبْسُ أعيانهم المَقْصُورُ

يَنْقُشُ في عرسهمُ الرِّجالُ   أمارةً بأنَّهم جُهَّالُ

وهذه مِنْ سِمَةِ النِّسوان   لا سِمَةِ الكُهول والشُّبَّان

خَلْقٌ كثيرٌ ما لَهُمْ خَلاقٌ   ودينُهم جميعُه نفاقٌ

لا يقبسونَ الضيفَ فضلَ نار   ولا يَرُدُّونَ يداً عَنْ جار

بل يُضمرونَ الغلَّ والخيانَه   وما لَهُمْ عَهْدٌ ولا أمانَه

المكرُ مِن عادَتهم والخَتْلُ   واللُّؤمُ في طباعهم والبُخْلُ

قَدْ حُزِّبُوا في دينهم أحزابا   وعَبَدُوا مِنْ جهلهم أربابا

ففرقةٌ تقولُ بالتَّشبيه   وظاهر الأخبار والتَّمويه

قَدْ جعلوا أحلامَهم في النَّوْم   دلائلاً يا ضَعْفَ رأي القَوْمِ!

وفرْقَةٌ ينتظرونَ الحاكمْ   وأنَّه في كلِّ وَقْتٍ قادمْ

إذا رأوا عن بُعْدٍ حمارا   قالوا الإمامُ قد أتى جهارا

وفرْقَةٌ قالَتْ تَصيرُ فالا   رأيتُه لذاته مثالا

وأثبتَتْ تناسُخَ الأرواحِ   منقولةً في سائر الأشباحِ

وفرْقَةٌ قالَتْ بأنَّ زَيْدا   إمامُ حقٍّ قد أُكيدَ كَيْدا

/١٠٦أ/ وإنَّنا نَلْقَىٰ إلهَ الحقِّ   بدينه فهوَ إمامُ حقِّ

وفرْقَةٌ تقولُ إسماعيلُ   إمامُ حقٍّ ما لَه عَديلُ

قَدْ شَمَلَتْ آلَ عُبَيْدٍ دعوتَه   وأنَّهم نُوَّابُه وأسْرَتُه

وأنَّ منهم نرتجي الرِّضوانا   والفوزَ والعطاءَ والإحسانا

وآخَرونَ من سَراة القاهره   أفعالُهُمْ بما ادَّعَوه ظاهره

تزعُمُ أنَّ الحقَّ في محمَّد   في حاضرٍ وغائبٍ مُعْتَقَد

وأنَّنا أتباعُه في الأرضِ   في كُلِّ مَسْتُورٍ وكلِّ فَرْضِ

وأنَّه في وقتنا إمامُ   مُحكَّمٌ بعدلِه قَوَّامُ

وَفرقةٌ تُخَلِّقُ الأركانا ... قالوا الإمامُ خَلْفَ هذا كانا
وقد حَكَىٰ لي رَجُلٌ ظَريفُ ... أنَّ وراءَ رُكْنِهِم كنيفُ
وفرْقَةٌ يَرونَ قَوْلَ الزُّور ... شَهادةً من أحْسَنِ الأُمور
وهذه مُعْتَقَداتٌ فاسدَه ... جَميعُها مُنْتَحلاتٌ باردَه
يَجْمَعُها من الضَّلال جامعُ ... والحق ما بين الجميع ضائعُ
هذا وفرعَونُ لَهُم إلَهُ ... قدْماً فكَمْ قد عَمَهُوا وتاهُوا
/١٠٦ب/ وعَبَدُوا بَعْدَ عُبور البَحْر ... عَجْلاً مُصاغاً من حُليّ التِّبْر
وقالَ قُولوا حطَّةٌ ثمَّ ادخُلُوا ... فَصَحَّفُوها حنْطَةً وبَدَّلُوا[1]
وهبطوا من بَعْدَ مُوسىٰ مصْرا ... وَحَمَلوا من النَّكال إصْرَا
وأُلبِسُوا الذِّلَّةَ والصَّغارا ... وَوُرِّثُوا الغَباءَ والزَّيارا
وفرْقَةٌ جَميعُهُمْ سُودانُ ... كأنَّما أشْخاصُهم غيلانُ
قد سَكَنُوا الأريافَ والسَّوادا ... وأضمروا الفتْنَةَ والأحقادا
حتَّىٰ لقد أغراهُم الشَّيطانُ ... وعُصْبَةٌ عَقيدُهُمْ رَيْحانُ
وكانَ رأسَ القَوْمِ لمَّا التأمُوا ... علىٰ اليَمين رَجُلٌ مُنَجِّمُ
حَكَىٰ لَهُمْ من طالع البُروج ... ما حَمَّلَ القَوْمَ علىٰ الخُروج
وقالَ قَدْ آنَ لكُم أنْ تَملكُوا ... وَدَوْلَةُ التُّرك سَريعاً تَهلكُ
واتَّخذوا المُنَجِّمَ الوَزيرا ... ووَقَّرُوا مَنْصبَهُ تَوقيرا
وأخرَجوهُ في رباعِ الفاضل ... يَسْكُنُ منْهَا أحْسَنَ المَنازل
وقالَ يومَ ستَّةٍ وعَشْر ... من شهر شَوّال ظُهورُ الأمْر
فَوَثَبُوا بَعْدَ عشَاءِ الآخرَه ... وَشَهَرُوا السُّيوفَ وَسْطَ القاهرَه
واختَرَقُوا الدُّروبَ والأَسواقا ... وأظهروا الفتْنَةَ والشِّقاقا
/١٠٧أ/ وانتَظروا أحلافَهُم فَخانُوا ... وَنَكَثُوا عُهُودَهُم ومَانُوا
وَوَقَفُوا هُنَيْهَةً وارتَبكُوا ... وقامَ في الحال الأميرُ مَوْسَكُ
واستَيْقَظَتْ عَساكرُ السُّلطان ... وعَرَفَتْ مكائدَ السُّودان

---

(١) إشارة إلى سورة البقرة: الآية ٥٨. وسورة الأعراف: الآية ١٦١.

فأمسكوا مَنْ وَجَدُوهُ إلْبا ... وَصُلبوا على الجُذُوعِ صَلْبا

وأخَذُوا المنجِّم الكَذَّابا ... فَأفرَغُوا من فَوقه ٱلعَذابا

تَبًّا لَهُمْ ٱلْمَليك النَّاصر ... فَوقَ مَديد الأَرْض مَنْ مُجَاهر! ؟

كيفَ وقد أطَاعَهُ الجَمَادُ ... وفُتحَتْ بسَيْفه البلادُ! ؟

وغُمرَتْ بعَدْله العبادُ ... يا بُؤسَ ما تَوهَّمُوا وكادُوا

وفرْقَةٌ للكيميَاء وَظَّفُوا ... قَدْ أحكَمُوا كيزَانَه وَرَصَّفوا

إنَ صَلبَ الزِّئبَقَ منْهم عاملُ ... فَهْوَ على رأي الجَميع واصلُ

وأيّ نَفْع كانَ في تَبْييضه ... وإنّما شَيطانُه يَلْهو به

حتَّى إذا أفْسَدَها المَرواسُ ... عادَ إلى دماغه الوَسْوَاسُ

وإنْ رأى تَبْييضَه في الدَّهْر ... يَقولُ قَدْ فُزْتُ بمُلْك العُمْر

وَمَا دَرَى أنَّ العمى مَآلُه ... وأنَّهُ قد غَرَّهُ مُحَالُه

حتَّى إذا ضاقَتْ عليهمُ الحيَلْ ... مالُوا إلى ضَرْب الزَّبوق والزَّغَلْ

/ ١٠٧ب/ وفرْقَةٌ تَدورُ في المَطَالب ... تَسْلُكُ فيه أصعَبَ المَذاهب

يُضَيِّعونَ العُمْرَ في المُحالَ ... ويُنْفقُونَ حَاصلَ الأموالَ

وأيُّ شَخْص ظَفرَتْ يَدَاهُ ... بمَطْلَب بلّغَهُ مُنَاهُ

وفرْقَةٌ تبخِّرُ الكَواكبا ... تَسْلُكُ في تَبْخيرها عَجائبا

لَهُمْ دُعاءٌ ولَهُمْ بُخُورُ ... وهكذا تُلَبَّسُ الأمورُ

فَيَلْبَسُ السَّواد أصْحابُ زُحَلْ ... مَعَ الخُضُوع والخُشُوعِ وٱلوَجَلْ

يَلْبَثُ طولَ اللَّيْلِ في الوهاد ... مُنْغَمسًا في أُهبَة السَّواد

وآخرُ للمُشْتَري تَبْخيرُهُ ... قد طالَ في تَبْخيره تَخْييرُهُ

هَيأتُهُ البَياضُ والوَقَارُ ... واللُّطْفُ والطِّيبُ لَهُ شعَارُ

وهذه منْ تُرَّهات ٱلقيَلْ ... يُغْنَى بها الغرُّ بلا تَحْصيل

صَنَّفَها إبليسُ للجُهَّالَ ... كَيْ تَنْقَضي الأعمَارُ في المُحالَ

وَهَلْ سَمعْتُم والظُّنونُ تَكْذبُ ... في الدَّهْر مَنْ لَبَّى نداه كَوكَبُ ؟

والسِّيميا وَصَنْعَةُ التَّنْجيم ... وَعَمَلُ الخاتَم والتَّغْريم

هذا وَعندي لَهُمُ دَفاترُ ... مكسورَةٌ يَسْرَحُ فيها الخاطرُ

أكبرُ أفراحهم الخَليجُ ... لَهُمْ إليه أبداً حَجيجُ
/١٠٨أ/ يَنتَظرونَ العامَ ثمَّ يُكْسَرُ ... ومَا الَّذي في ذاكَ لو تَدَبَّروا ؟
وجانبَاهُ كُلّها تُرابُ ... وَقَعْرهُ الزِّحامُ والضِّرابُ
وما الخَليجُ غير نَهر جاري ... يُمدُّه البَولُ منَ المجاري
يَدومُ شَهْراً سَيْلُه ويُنْشَفُ ... وكلَّ عام حافَتاه تُكْشَفُ
حتَّى إذا عادَ لبَعْض الأرض ... في عُمْقه وَطُوله والعَرْض
ثوى بَه الذُّبابُ والنَّاموسُ ... والفَأرُ والجُرذَانُ والعَروسُ
إنْ حَكَّموا عنْدَ التَّداعي قاضي ... في حالة النُّفُور والتَّراضي
يَقولُ شَيْخُ القوم هذي حَوزَتي ... قَد خَزَنتَ كتَابَها وَجَرتي
وعنْدَها القَلْقَاسُ والفُقُوسُ ... والزِّيرُ والوَرْدَةُ والقادُوسُ
والقَدْرُ والحَصيرُ والسَّريرُ ... والقَمْحُ والجُلبانُ والشَّعيرُ(١)
وَقَد أكلتُ بَعْدَهُ أشنانا ... وَذي خَوافي يأكُلُ اللّحمانا
صَنيعةُ المَلْك مَتاعُ العادل ... وَخُذْ قماشي من زمام الفاضل
جَاريَتي خَازنَةٌ أمينَه ... تُنَظِّفُ القاعَةَ بالبلينَه
أبْاعَها مني بَتسْحَتْحَشر ... شيخٌ وكيلٌ لحظايا شاوَر
دُورُهم مَشْحُونَةَ خَنافسُ ... فَمَنْ تُرىٰ في طيبها يُنافسُ ؟
/١٠٨ب/ والحيَّةُ النَّاظرُ في الآبار ... والفأرُ والعَروسُ ملءُ الدَّار
لَو مَسَحَ السُّلطانُ سُوءَ صُور ... لَسُئلوا قَد حلَّ في القُدور
وأرسَلَ الرِّجالَ والأحمالاَ ... والخَيْلَ والبغالَ والجمالاَ
وَجَمعَ النّمْل الذي بمصْر ... وَسَيَّروهُ نَحْوَ ذاكَ الثّغْر
وَقَدْ حَكىٰ لي رَجُلٌ سَفَّارَ ... والصِّدْقُ ما يُحدِّثُ التُّجَّارُ
قالَ سَكنتُ حُجْرَةً في خَان ... مَليحَةَ القسْمَة والبُنْيان
والخانُ في الشَّارع وَسْطَ القاهرَهَ ... طَباقُه مُرتَفعاتٌ عامرَهَ
وكانَ قد جاءَ مَعي غُلامي ... كَالبدر في إنارَة التَّمام
أبيَضُ رُوميٌّ طَويلُ الشعْر ... لحاظُه قَدْ مُلئَتْ بالسِّحْر
وَقَدُّهُ كأنَّهُ القَضيبُ ... وَرِدْفُه كأنَّهُ كثيبُ

---

(١) لعل الصواب (الجُلُبّان) وهو من جني القمح والشعير وخففت اللام ضرورة.

وعـارضـاه كمـدبِّ النَّمْـل — وحـاجبـاه كقسـيِّ النَّبْـل
وَثَغْـرُهُ كـالـدُّرِّ فـي نظـامَ — وَشَعْـرُه كسُـدْفَـة الظَّـلامَ
فَبِـتُّ فـي بعـض اللَّيـالـي وَحْـدي — مُعـانقـاً فـي طـول لَيْلَـي زَنْـدي
ونـامَ مَملـوكـيَ فـي الخـزانَـة — وكُنْـتُ قَـد أَرَيْتُـه الإهـانَـة
/١٠٩أ/ وبتُّ طولَ اللَّيْل في وَسْوَاسي — وَفـي سَبيـل الحُـبِّ مـا أُقـاسـي
حتـى تَبـدَّى الصُّبْـحُ فـي المَشـارَق — واللَّيْـلُ لا يَـرْثـي لـوَجْـد العـاشـق
فقُمْـتُ ولهـانـاً إلـى الغُـلام — أُبـلُّ مـن تقبيلـه أُوامـي
فَحيـنَ أقبلـتُ علـى دُواجـه — مُخـالسـاً أحْـذَرُ مـنْ إزْعـاجـه
وَجَـدْتُ فـي ثَنْـي اللِّحـاف عَبْـدا — قَـدْ مُـدَّ مـنْ فَـوْق الفـراش مَـدّا
أسـودُ فـي سَـواده تَنْقيـطُ — وقـد عَـلا مـنْ نَـوْمـه الغَطيـطُ
فَصحْـتُ لمَّـا عـاينـتْ عَيْنـايَ — تَبَـدُّلَ الأسْـوَد مـنْ مُنـايَ
وكـادَ أنْ يَـذْهَـبَ منِّـي عقْلـي — وقلـتُ هـذا كلُّـه مـن فعْلـي
وانْتَبهـوا مَـنْ كـانَ فـي جـواري — وأقبلـتْ عصـابَـةُ التُّجـار
وأقبَـلَ الحـارسُ بـالسِّـلاَح — قَـدْ مَـلأَ الأقطـارَ بـالصِّيـاحِ
وَقـالَ مـا شـأنُـكَ يـا مَـوْلايَ — لَيْـسَ الـزَّعيـمُ فيهُـم سـوايَ
فَقُلْـتُ قَـدْ أُبـدلَ لـي غُـلامُ — مثْـلُ النَّهـار اغتـالَـهُ الظَّـلامُ
ولَـم يكُـنْ فـي سـالـف الأزمـان — عَـوائـدي أرغَـبُ فـي السُّـوادن
واعجبـاً أيـنَ مَضَـى الـرُّومـيُّ — ونـامَ فـي مكـانـه زنْجـيُّ ؟!
فـأقبَـلَ الحـارسُ كـالضِّـرغـام — مُفكِّـراً فـي قصَّـة الغُـلام
/١٠٩ب/ ثُـمَّ دَنـا ورَفَـعَ الإزارا — وصـاحَ عـاراً يـا تجـارُ عـارا
هـذي البَـراغيـثُ علـى الغُـلام — لا خَيْـرَ فـي إجـارَة الطَّغـام
وهـذه أرجـوزَةٌ وجيـزَهْ — رائقَـةٌ فـي نَظمهـا عَـزيـزَه
نَظمتُهـا والغَـرَضُ الإحمـاضُ — والعَقْـلُ تَسْتَخفُّـه الأعـراضُ
ولـو تَتَبَّعـتُ الخصـالَ كُلَّهـا — لكـانَ مَـنْ طـالعهـا قـد مَلَّهـا
وإنَّمـا التَّطْـويـلُ والإكثـارُ — حـاصلُـه المَـلالُ والإضجـارُ
والحَمْـدُ للـواهـب جَمْـعَ الشَّمْـلِ — ومُلْحقـي عـن كَثَـبٍ بـأهلـي

عَلَـيَّ للـرَّحمـنِ صَـوْمُ شَهْـرِ إنْ فَـارَقَـتْ عَينَـايَ أرضَ مِصْـرِ

[٢٢٦]

طاهرُ بنُ ثابت بن أبي المعالي بن ثابت بن حَسَّانَ بن ثابت ابن أبي نَصْرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ لُؤلؤ، أبوَ الطَّيِّبِ القاضِي البَوازِيجَي:

ذكر لي ولده أبو عبد الله الحسين، أنهم يرجعون في نسبتهم إلىٰ حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبي ﷺ، وأبو الطيب ولد بالبوازيج[1]، ونشأ بها، وقدم الموصل، وتفقه بها علىٰ الإمام / ١١٠أ/ أبي حامد محمد بن يونس بن محمد بن منعة الفقيه الموصلي[2]، المدرس الشافعي مدة طويلة، وتميز في الفقه، واتصل بخدمة القاضي حجة الدين أبي منصور المظفر بن عبد القاهر بن الحسن الشهرزوري، فسمع شهادته، ولازمه مدة، ثم عاد إلى شيخه أبي حامد محمد بن يونس، وسكن المدرسة الزينية[3]، ثم عاد إلىٰ خدمة القاضي حجة الدين أبي منصور، ولازمه، وكان يصحبه في [حمل] الرسائل إلى ديوان الخلافة وغيره، وفوضَ إليه عقود الأنكحة، والتدريس بالمدرسة الكمالية، فأقام بها برهة من الزمان، يدرس ويفتي، وذكر بها كتاب الشامل، للإمام أبي نصر ابن الصباغ[4] في الدرس، وكان القاضي حجة الدين يأذن له في سماع الشهادة والحكم في بعض القضايا، وبقي علىٰ ذلك مدّة، ثم ولاه نيابة القضاء، واستقل بسماع البيّنات، وقبول الكتب الحكمية، والحكم، والتثبيت، والإشهاد عليه بذلك.

---

(١) البوازيج: بلد قرب تكريت على فم الزاب الأسفل حيث يصب في دجلة، ويقال لها بوازيج الملك، من أعمال الموصل. انظر: معجم البلدان/ مادة (البوازيج).

(٢) إمام وقته في فقه الشافعية، ولد بقلعة إربل سنة ٥٣٥هـ، ونشأ بالموصل.
ترجمته في: التكملة للمنذري ٢/ ١١٩٨. وفيات الأعيان ١/ ٤٧٦. تأريخ ابن الوردي ٢/ ١٣٠. الأعلام ٧/ ١٦٠.

(٣) المدرسة الزينية: نسبة إلى زين الدين أبي الحسن علي بن بكتكين (ت ٥٦٣هـ). انظر: الموصل في العهد الأتابكي ص١٣٧.

(٤) ابن الصبّاغ: عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد، أبو نصر، فقيه شافعي من أهل بغداد، ولد فيها وتوفي (٤٠٠ ـ ٤٧٧هـ).
ترجمته في: طبقات الشافعية ٣/ ٢٣٠. وفيات الأعيان ١/ ٣٠٣. نكت الهميان ١٩٣. الأعلام ٤/ ١٠.

واستمرت أحواله علىٰ الانتظام، ولم يزل كذلك إلىٰ أن توفي يوم الأحد، سادس وعشرين صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة / ١١٠ب/ ، وصُلي عليه من الغد بالموصل بالجامع النوري، ودفن في داره.

وكان حسن السيرة، مسدداً في القضاء، قيِّمًا بمعرفة المذهب، متطرفًا من سائر العلوم الدينية، وكان قد سمع من الحديث شيئًا كثيراً على أبي حفص عمر بن محمد بن معمر بن طَبَرْزَدْ(١)، وقال الشعر. أنشدني الإمام أبو المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش(٢) الموصلي الفقيه الشافعي ـ أدام الله إقباله ـ بمدينة حلب في سنة أربع وثلاثين وستمائة قال: أنشدني القاضي أبو الطيب طاهر بن ثابت البوازيجي من شعره:

[من الطويل]

فَلا تَغْتَرِرْ يوماً بطَيِّبِ عيشَةٍ ... وَقُرْبِ حبيبٍ فالفراقُ قَريبُ

فَإنِي أمِنتُ الدَّهْرَ يَوماً فَخَانَني ... علىٰ عَجَلٍ إنَّ الزَّمانَ عَجِيبُ

---

(١) ابن طبرزد الدارَقَزيّ البغدادي (٥١٦ ـ ٦٠٧هـ) مؤدب، كان شيخ الحديث في عصره، أدَّب الصبيان في محلة دارة القزّ ببغداد فنسب إليها.
ترجمته في: تأريخ إربل ١/١٥٩ ـ ١٦٢. التكملة للمنذري ٢/١١٥٨. مرآة الزمان ٨/٥٣٧. الأعلام ٥/٦١.

(٢) عماد الدين (٥٧٥ ـ ٦٥٥هـ) فقيه شافعي محدّث، من أهل الموصل، له عدة مصنفات منها: طبقات الفقهاء الشافعية.
ترجمته في: شذرات الذهب ٥/٢٦٧. طبقات الشافعية للسبكي ٥/٥١. شذرات الذهب ٥/٢٧٦. كشف الظنون ١١٠١. الأعلام ١/٣٢٨.

ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف

[٢٢٧]

أبو طالب بنُ عليٍّ بن عليٍّ بن عليٍّ العَبْسيُّ الحِلِّيُّ، مِنَ الحلة المَزْيَدِيَّةِ، المعروفُ بابنِ الخيميِّ(١):

كذا وجدت نسبه بخط يده، في غير قصيدة من نظمه، واسمه كنيته، وبذلك يعرف.

كان شاعراً شيعيًا، فاضلاً، عارفًا باللغة والشعر، مكثراً من نظمه، شخص إلى مصر، فسكنها / ١١١أ/ إلى أن توفي بها.

وله مدائح كثيرة جيدة في أهل البيت ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ أنشدني أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الغريب الصيقل الشاعر الموصلي قال: أنشدني أبو طالب بن الخيميّ لنفسه: [من المنسرح]

كَم مِنْ مُرِيقٍ يومَ الفراقِ دَمَه ... وبائحٍ سرَّهُ الذي كَتَمَهْ ؟

وكم حَبيبٍ سرتْ رَكائبُه ... علىٰ محبٍّ مَضَىٰ فَمَا رَحِمَه ؟

دَعا علىٰ ظالميه مُحْتَسِبًا ... وَما دَرَىٰ أنَّه الذي ظَلَمَه

ذو طَلْعَةٍ كالصَّبَاحِ مُشْرِقَةٍ ... مِن تَحْتِ فَرْعٍ كأنَّهُ العَتَمَه

ومُقْلَةٍ بابليَّةٍ شَهِدَتْ ... بصِدْقِ هارُوتَ في الذي اجترَمَه

ظَبْيٌ نَسِيتُ التَّوحِيدَ مِن كَلفي ... بِهِ وأَمسَيْتُ عابداً صَنَمَهْ

---

(١) محمد بن علي بن علي بن علي بن المفضّل بن القامغاز، أبو طالب، مهذب الدين الحلي، المعروف بابن الخيمي، عالم بالأدب، ولد بالحلة المزيدية سنة ٥٤٩هـ، ورحل إلى بغداد وسورية، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٤٢هـ.

من تصانيفه: «أمثال القرآن» و«المؤانسة في المقايسة» و«المخلص الديواني» في الأدب والحساب، و«المطاول» في الرد على المعرّي، و«نزهة الملك في وصف الكلب والمكلّبين ـ خ» في الظاهرية ١٦ أدب ـ و«الرد على الوزير المغربي» و«ديوان شعر» حققه وأضاف إليه الأستاذ هلال ناجي ـ خ.

ترجمته في: بغية الوعاة ٧٨. الوافي بالوفيات ٤/ ١٨١ ـ ١٨٣ رقم ١٧٢٠. فوات الوفيات ط٢/ ٢/ ٤٨٣. الأعلام ٦/ ٢٨٢.

سَـــأَلْتُــهُ قُبْلَـــةً فَـــأَوْرَدَنـــي نــارَ صُــدود بــالهَجْــرِ مُضْطَــرِمَــه
فَقُلْــتُ يــا مــالِكــي أَتُحْــرِقُ مَــنْ بـاتَ قَسِيـمَ النّيـرانِ مُعْتَصِمَــهْ! ؟

ونقلت من خطه قوله، وهو ما كتبه إلى النقيب مجد الدين أبي جعفر أحمد بن زيد بن عبيد الله الحسيني / ١١١ب/ الموصلي ـ رضي الله عنه ـ: [من الخفيف]

زادكَ اللهُ أيُّهـــا المجـــدُ مَجْـــدا فَلَقَـــد رُحـــتَ أغْـزَرَ النّـاس رِفْـــدا
وأجَـــلَّ الـــوَرَىٰ أبـــاً وعُمُـــومـــاً وَخُـــؤولاً زُهْـــراً وأُمّـــاً وَجَـــدّا
مَعْشَـــرٌ مـــا نَظَمـــتُ فيهـــم قَـــريضـــاً مـــنْ مَـــديـــح إلاَّ تَضَـــوَّعَ رَنْـــدا
لا ولا فُهـــتُ بـــاسمهـــم فـــي أُجـــاجِ مـــن شَـــراب إلاَّ تَبَـــدَّلَ شَهْـــدا
يـــا أبـــا جَعْفَـــر أجِـــرْ ذا وَلاءٍ لَكُـــمُ نـــازحـــاً عَـــنِ الأهْـــلِ فَـــرْدا
حَـــلَّ فـــي المَـــوْصِـــلِ الفَسيحـــةِ حتَّـــىٰ خـــالَهـــا لِلهُمـــومِ والضِّيـــقِ لَحْـــدا
وَهْـــوَ لا يَـــرْتَجـــي سِـــواكُـــمْ لِـــدُنيـــا هُ ولا لِلْمَعـــادِ سُـــؤْلاً وَعَضْـــدا
كـــانَ وَعْـــدي لُقيـــا المَجـــاهِـــدِ مُـــذْ أمْـــ ـــسِ فـــلا أفْتَـــا دونَ ذلـــكَ جُهْـــدا
وتَفَشَّـــتْ تلـــكَ الأحـــاديـــثُ عَنِّـــي عـــادَ عِنْـــدي بَيْـــضُ الأمـــانـــيِّ رُبْـــدا
وجُيُـــوشُ الشِّتـــاءِ قـــدْ بـــادَرَتْنـــي يَتَـــوَعَّـــدْنَنـــي خَـــواءً وَبَـــرْدا
وعَطـــايـــاكَ لَـــمْ تَـــزَلْ قَـــطُّ نَقْـــداً وعَطـــايـــا الأيـــامِ وَعْـــداً وفَقْـــدا
فَتَحنَّـــنْ علـــيَّ يـــا ابـــنَ عُبَيْـــدِ الـ ـلَّـــهِ يـــا أوْسَـــعَ البَـــرِيَّـــةِ رِفْـــدا
إنَّنـــي عَبْـــدُكُـــم وَمِثْلُـــكَ فـــي السَّـــا دَةِ مـــا إنْ يَبيـــعُ مِثْلـــيَ عَبْـــدا
فَـــاغْتَنِـــمْ شُكْـــرِيَ المَـــرِيـــعَ الـــذي مـــا زالَ وَقْفـــاً عليـــكَ قُـــرْبـــاً وبُعـــدا
/ ١١٢أ/ مِثْلَما باتَ ناصِبُ اللَّعْنِ والثَّلْـ ـــبِ لِمـــنْ مـــا رَعَـــوا لِجَـــدِّكَ عَهْـــدا

وكتب إليه يهنيه بالشهر: [من الطويل]

لِيَهْـــنَ بِـــكَ الشَّهْـــرُ الجَـــديـــدُ فَـــإنَّمـــا بَقـــاؤكَ فـــي العِـــزِّ الهَنـــاءُ المجـــدَّدُ
وَحَسْبُـــكَ مَـــدْحـــاً أنْ تَبيـــتَ وَحَيْـــدَرٌ أبـــوكَ وأنْ تُضْحـــي وَجَـــدُّكَ أحْمَـــدُ
وأنْ تَغْتَـــدي والعَـــالَمـــونَ مُلـــوكُهُـــمْ وأحـــرارُهُـــمْ رَغْمـــاً لِبيْتِـــكَ أعْبُـــدُ
ولســـتَ بِمُحْتـــاجٍ إلـــى المَـــدْحِ بَعْـــدَ أنْ أتَـــتْ لَكُـــمُ الآيـــاتُ بـــالفَضْـــلِ تَشْهَـــدُ
وَلكنّمـــا يَـــدعـــو الغـــرائِـــزَ فَخْـــرُكُـــمْ إلـــىٰ القَـــوْلِ منّـــا قـــربـــةً فَنُقَصِّـــدُ
ونَعْلَـــمُ أنَّ المَـــدْحَ لَيْـــسَ بِـــزائِـــدٍ مَنـــاقِبَكُـــمْ لكنّنـــا نَتَـــوَدَّدُ

ونَرْعَى عُهوداً للنَّبيِّ أضاعَها طوائفُ في بُغْضِ الوصيِّ وألحدَوا
فيا ابنَ عُبَيْدِ اللهِ يا مَنْ بحُبِّهِمْ نَفُوزُ غداً يومَ المعادِ ونَسْعَدُ
ويا أيُّها المَجْدُ الذي باتَ مُطْلَقاً عَطاهُ وشُكْرُ النَّاسِ فيه مُقَيَّدُ
ويا مَنْ لهُ في كلِّ أنْمُلَةٍ نَدَى يَفيضُ ونارٌ في الوَغَى تَتَوَقَّدُ
ألستَ من القومِ الذين بشرعهم تُحَلُّ أُمورُ العالمين وتعقدُ ؟
فعش ما أقامَ الفرقدان وما بكَى غمامٌ وما ناحَ الحمامُ المغرِّدُ

وقال فيه أيضًا يمدحه : [من الطويل]

/ ١١٢ب/ أفي كلِّ رَبْعٍ دَمْعُ عينيكَ هامعُ وفي كلِّ جَمْعٍ سرٌّ قَلْبُكَ ذائعُ ؟
وفي أيِّما أرضٍ حَلَلْتَ مُعَرِّساً أجَدَّ لكَ الشَّوْقَ الحمامُ السَّواجعُ ؟
هَواتفُ بالأسحارِ شَجْواً كأنَّها نساءٌ تَلَبَّسْنَ الحدادَ فَواجعُ
تُذَكِّرُني بالجامعَيْنِ وَبابِلٍ مَرابعَ عَفَّتْها الرِّياحُ الزَّعازعُ
فأُسْعِدُها بالنَّوْحِ نَوْحاً وتارَةً تُتابِعُني في شدوها وأُتابِعُ
أنا الفَلْقُ إنْ عَيَّ المقالُ فَخاطِبٌ أنا السَّيفُ إنْ فُلَّتْ ظُباهُ فقاطعُ
وإنِّي إذا ما نابَني الهمُّ والأسَى وبتُّ تُجافي جانبيَّ المَضاجعُ
جَعَلْتُ وسادي كُورَ عَنْساءَ جَسْرَةٍ جماليَّةٍ لَمْ يَعْلُها الدَّهْرَ فارعُ
مُحَفَّفَةٍ نَحْوَ السُّرى بِمَناسِمٍ صِلابٍ تَشَكَّى وَقْعَهُنَّ البلاقعُ
ويُثْلِثُنا قاضٍ وقورٌ وإنَّهُ جَهولٌ إذا ما اسْتَعْقَلَتْهُ الوقائعُ
إذا كَذَبَتْ صُحْفُ الخؤولةِ أظْهَرَتْ مَعاطِفُهُ حُكماً به العَمُّ قانعُ
صَفا رَوْنَقاً حتَّى كأنَّ لَمُوعَهُ تَبَسُّمُ مَجْدِ الدِّينِ حينَ يُقارعُ
أبي جَعْفَرٍ نَجْلِ الميامينِ أحمَدَ فتًى حَمْدُهُ في البَرِّ والبَحْرِ شائعُ
سَليلِ رَسُولِ اللهِ وابنِ وَصيِّهِ عليٍّ الَّذي تُثْني عليه الأصابعُ
إمامِ أبانَ الدِّينَ بَعْدَ كُمُونِهِ وأخبَرَ بَعْدَ الكَوْنِ ما اللهُ صانعُ
/ ١١٣أ/ فَهَلْ بالغٌ مَدْحَ امْرِئٍ كُلَّ قَوْمِهِ لَهُ مِنَنٌ ما تَنْقَضي وَصَنائعُ ؟
مَغاوِرُ إنْ شُنَّتْ مِنَ الدَّهْرِ غارَةٌ مَغاوِثُ إنْ لم يَعْدُ في الأرضِ ضارعُ
تَظَلُّ سَراحينُ الفَلا لسُيوفِهِمْ مُصَلِّيَةً حيثُ الرِّماحُ صَوامعُ
فَما ساجِدٌ بالطَّعْنِ باتَ وَفَوْقَهُ مِنَ الطُّلْسِ إلاّ أسْحَمُ اللَّونِ راكعُ

مُجَمِّعُ فَلِّ الحَمْدِ والحمدُ شاردٌ ... وهَازِمُ جَيْشِ اللُّؤْمِ واللؤمُ جامِعُ
حَسيبٌ أديبٌ قادرٌ مُتَعَطِّفٌ ... سَخِيٌّ أبيٌّ مالكٌ مُتَواضِعُ
أعَزُّ مَليكٍ للوَرَىٰ وَخَدَتْ به ... عَلَنْداةُ أسْرٍ هَجَّنَتْها الجَلافِعُ[(١)]
وأكرمُ مَحْمولٍ علىٰ مَتْنِ سابحٍ ... بقَبهَلَةٍ لُطخٍ مِنَ الفَجْرِ لامِعُ[(٢)]
تُزاحِمُني فيه القَوافي كأنَّها ... حَوائمُ خُمْسٌ بالفُراتِ تَدافَعُ
إذا ما انتَضَىٰ في حِنْدِسِ الخَطْبِ عَزْمَهُ ... تَسَرَّىٰ وَوَجْهُ النَّصْرِ أبلجُ ناصعُ
وإنْ لَبَسَتْ أقلامُهُ الطِّرْسَ ساخطًا ... أُبيحتْ حَلالٌ واستُقيدَتْ صَعاصِعُ[(٣)]
وإن جادَ إنعامًا أتتكَ كتابةٌ ... وفي كلِّ سطرٍ جعفرٌ متدافعُ[(٤)]
غَدَتْ سيرَةُ الحَدْباءِ في الأرضِ صورةً ... بعَدْلِكُمُ تُحدَىٰ إليها المطامِعُ
إذا تُليَتْ بينَ اللِّئامِ تَحتَموا ... وأنشَدَ كُلٌّ وَهْوَ في البَذْلِ راتِعُ
/١١٣ب/ سَمابيَ أوسٌ في السَّماحِ وحاتمٌ ... وَزَيْدُ القَنا والأثرمانِ ورافِعُ
فأصْغِ إليَّ السَّمْعَ يا مَجْدُ إنَّني ... لأجدَرُ مَنْ تُصْغي إليهِ المسامِعُ
فما المَدْحُ إلاّ ما أنا اليَوْمَ مُوردٌ ... وما الطَّوْلُ إلاّ ما غَداً أنتَ جامِعُ
ولا الفَضْلُ إلاّ فَضْلُ ما نَطَقَتْ به ... سَوابِقُ كُتْبٍ قَبْلَهُ وشَرائِعُ
مَناقِبُ غُرٌّ ما دَجا شِرْكُ فَتْرَةٍ ... فَأظلَمَ إلاّ وَهْيَ زُهْرٌ طَوالِعُ

[٢٢٨]

طهَ بن إبراهيمَ بنِ أبي بكر بن فَبْرَكَ بن أحْمَدَ بن شَيْرَكَ بن بَختيارَ، أبو مُحَمَّدٍ الإربليُّ المولدَ والمَنشأ، الكُرْديُّ الهَذْبانيُّ[(٥)]:

(١) العلنداة: الشديدة من الإبل. ، الجلافع: الشيخوخة والهرم.
(٢) القبهل: أتان الوحش الغليظة.
(٣) الحلال: الأملاك الخاصة مما يعد حراماً على الآخرين إلاّ بإذن.
(٤) الجعفر: النهر.
(٥) ولد بإربل سنة بضع وتسعين، وقدم مصر شاباً، وسمع محمد بن عمار وغيره، وحمل الناس عنه، وله شعر، وروى عنه الدمياطي والدواداري والمصريون، وقد نيف على الثمانين لما توفي سنة ٦٧٧هـ.
ترجمته في: فوات الوفيات ١/ ٤١٣. الوافي بالوفيات ١٦/ ٤١٣ ـ ٤١٤ رقم ٤٥٣. شذرات الذهب ٥/ ٣٥٧، وفيات سنة ٦٧٧هـ. طبقات الأسنوي ١/ ١٥٣، وفيه: «مات بمصر في جمادى=

حفظ القرآن العزيز، وقرأه بواسط للسبعة والعشرة، وتفقه وتأدب، وله طبع سمح في الشعر، وذهن صالح في النثر، وبديهة حسنة، وفطنة جيدة، يصنع البيتين والثلاثة بلا فكرة.

وكان قد اعتقله السلطان مظفر الدين، صاحب إربل، وأنشأ أربع مقامات في الحبس بألفاظ تشجي سامعها، ضمنها شرح حاله.

جمعتني وإياه حضرة الصاحب أبي البركات المبارك بن أحمد المستوفي ـ رحمه الله ـ / ١١٤أ/ ، فوجدته رجلاً متواضعًا حسن الفضل، وأنشدني لنفسه في الصاحب أبي البركات، وكان السبب في إطلاقه من الاعتقال: [من الكامل]

مَولايَ دَعْوَةُ يائسٍ ذي عيلَةٍ ... أطْفأتَ بالإطلاقِ نارَ عيالِه
قَعَدَ الزَّمانُ بهِ فقامَ بحَمْلِه ... نَحْوَ ابنِ مَوْهوبٍ عُرىٰ آمالِه
أيْ ربِّ أبقِ ليَ المُبارَكَ واستَجِبْ ... منِّي دُعائي للنَّبيِّ وآلِه
أولانِيَ الأفْراحَ أيَّ صَنيعَةٍ ... أولىٰ وأردَفَها بخالِصِ مالِه

وحضرنا ليلة في جماعة مجلس الصاحب أبي البركات ـ رحمه الله ـ ونحن في دكة لبستان داره ـ عمرها الله تعالىٰ ـ فجاء الغيث متواليًا، وقمنا مسرعين، ودخلنا منزله المحروس، وكان طه حاضراً، فارتجل هذين البيتين بديهة، وأنشدهما[1]:

[من الطويل]

دُخولٌ لإقبالِ الشِّتاءِ مُبارَكٌ ... عليكَ ابنَ موهوبٍ إلىٰ آخرِ الدَّهْرِ
/ ١١٤ب/ تَفِرُّ منَ القَطْرِ المُلِمِّ عَشِيَّةً ... ولم نَرَ بَحْراً قَطُّ فَرَّ منَ القَطْرِ

= الأولى وقد نيف على الثمانين». تاريخ الإسلام (السنوات ٦٧١ ـ ٦٨٠) ص٢٦٧. العبر ٥/ ٣١٦. ذيل مرآة الزمان ٣/ ٣٠٣. تاريخ ابن الفرات ٧/ ١٢٠. النجوم الزاهرة ٧/ ٢٨١. عقود الجمان للزركشي ١/ ١٣٩أ. البداية والنهاية ١٣/ ٢٨٢. السلوك ١/ ٦٥١. حسن المحاضرة ١/ ١٩٥. عيون التواريخ ٢١/ ٢٠٢ ـ ٢٠٤. المنهل الصافي ٧/ ٨ ـ ١٠ رقم ١٢٧٣ وفيه: «طه بن إبراهيم بن أبي بكر بن فيرك بن شيرك بن أحمد بن بختيار» جمال الدين الإربلي. الدليل الشافي ١/ ٣٧٠ رقم ١٢٧٠. البداية والنهاية ١٣/ ٢٨٢.

(١) البيتان في الوافي ١٦/ ٤١٤.

وأنشدني لنفسه، وهو ممّا قاله في السجن يذم إربل وأهلها، وعمال الديوان بها:

[من الوافر]

ألا قِفْ بالأُجَيْرِع والكَثيبِ ونادِ نَحْوَهُ هل مِنْ مُجيبِ ؟
وَحَيٍّ أُهَيْلُهُ عَنْ مُسْتَهامٍ أسيرٍ مُوثَقٍ صَبٍّ كَئيبِ
لعلَّ اللهَ يُرْجِعُ لي زَماناً قَضَيْناهُ على رَغْمِ الرَّقيبِ
لِمَمْشوقِ القَوامِ إذا تَثَنّى رَجَعتُ مِنَ المَديحِ إلى النَّسيبِ
يَغيبُ عَنِ النَّواظِرِ خَوْفَ واشٍ وَيَبْرُزُ في سُوَيْداءِ القُلوبِ
لَهُ مِنِّي المُصَرَّعُ والمُقَفَّى ولي مِنْهُ مُعالَجَةُ الكُروبِ
وأَخْشاهُ ولا الأُسْدُ الضَّواري فَيا للهِ مِنْ رَشَأٍ مَهيبِ
وأَهْوَنُ مِنْ صَوارِمِ مُقْلَتَيْهِ مُلاقاةُ الكَتائِبِ والحُروبِ
أُسائِلُ عَنْ سِواهُ وَهْوَ قَصْدي ولا تَخْفَى مُساءَلَةُ المُريبِ
دَعا لي بالتَّسَلِّي عَنْهُ قَوْمي فَلا تَكُ يا إلهُ بِمُسْتَجيبِ
فَقَدْ أَيِسْتُ مِنهُ ومِنْ زَماني بِحَبْسِ المَلْكِ مِنْ فَرَجٍ قَريبِ
/ ١١٥أ/ فَما يَوْمٌ يَمُرُّ ولَسْتُ فيهِ أُعالِجُ لِلرَّدَى داعي النَّقيبِ[1]
لَحاكَ اللهُ مِنْ بَلَدٍ خَبيثٍ فَلَسْتَ تَطيبُ إلّا لِلغَريبِ
أَإرْبِلُ لا سَقاكِ اللهُ غَيْثاً فَقَدْ أَقْفَرْتِ مِنْ رَجُلٍ لَبيبِ
أَرَى الغَرّاءَ قَدْ مُلِئَتْ لِئاماً وقَدْ ضاقَتْ عَلَى النُّصْحِ الوَهوبِ
فَما في مالِكيها مِنْ مُعينٍ عَلَى صَرْفِ الزَّمانِ ولا الخُطوبِ
ولا في قاطِنيها أَرْيَحِيٌّ ولا في ساكِنيها مِنْ طَروبِ
ألا أَخْزَى الإلهُ بُلَيْدَ سُوءٍ تَحَكَّمَ فيهِ عُبّادُ الصَّليبِ

واجتمعنا ليلة أخرى في مجلس الصاحب شرف الدين أبي البركات فأنشدني:

[من السريع]

وناحِلِ الجِسْمِ دَقيقِ الشَّوَى مُعْتَدِلٍ لَمْ يَحْكِ ما فيهِ وَصْفْ
فَهْوَ إذا أَنْتَ تَأَمَّلْتَهُ بِفِكْرَةٍ إسْمٌ وَفِعْلٌ وحَرْفْ

---

(١) في هامش الأصل: «النقيب كان يعاقب المسجونين فينزعج كل من استدعاه».

فما كان في الجماعة من عرفه، فلما كان بعد ساعة قال طه: قد عرفته، وأنشد ارتجالاً: [من السريع]

يا شَرَفَ الدِّينِ الذي لَيْسَ في ... أفضالِهِ وفَضْلِ مَغْناهُ خُلْفْ
/ ١١٥ب/ إنَّ الذي أنْشَدَهُ مُلْغزاً ... الألفُ المكتُوبُ ـ بُقِّيتَ ـ ألِفْ

فعجب الحاضرون من حلِّه اللُّغز وارتجاله البيتين.

ولمّا حُبس الصاحب شرف الدين أبو البركات بن موهوب، أنشد طه المذكور هذين البيتين: [من الوافر]

أقولُ لصاحبي يا صاحِ قَوِّضْ ... خيامَكَ نرتَحِلْ نَحْوَ الشّامِ
فَقَدْ عُزِلَ ابنُ مَوْهوبٍ ووَلَّى ... ومَا بَعْدَ المبارَكِ مِنْ مُقامِ

ثم سافر إلى الشام، وكتب إلى شرف الدين، وهو في الحبس كتابًا صدره بهذه الأبيات: [من الكامل]

أمُذَكِّري الأوطانَ إنَّ لِذِكْرِها ... أرَجاً يَشُوقُ إلى الدِّيارِ نُفُوسا
ذَكَّرْتَنيها فاجْتَلَبْتَ بَلابِلي ... ونَشَرْتَ مِن داءِ الغَرامِ رَسيسا
هيَ ما عَلِمْتَ مَنازلي زَمَنَ الصِّبا ... تَجْلُو البُدورَ بها عَليَّ شُموسا
لَكِن لِرَيْبِ الدَّهْرِ أضْحَتْ مَألَفاً ... وكفى بِرَيْبِ الدَّهْرِ فيها بُوسا
ألأربَلَ الغَرّاءَ تَطْلُبُ أوبتي ... هَيْهاتَ فارَقَتِ الجُسومُ الرُّوسا
/ ١١٦أ/ كيف الرُّجوعُ إلى مَغاني بَلْدَة ... فارَقْتُ ماجِدَها بها مَحْبُوسا
كَبُرتْ عَزائمُ أهلِها مِن برِّهِ ... فَوَشَوا بِهِ للظَّالمينَ رَئيسا
باعُوا بِدُنيا دينَهُمْ وتَخَيَّروا ... جَهْلاً على صَدْرِ الهُدَى قسِّيسا
لا تُقْفِرُ عَنِّي مُوحشَاتُ رُبُوعِهِم ... وأقْرِ التحيَّةَ رَبْعَهُ المأنُوسا
ما قَبَلَ بيْتُ النَّارِ دَهليزٌ لَها ... إلاّ لِكَوْنِ السَّاكنينَ مَجُوسا
عِنْدي أبا البَرَكاتِ كُلُّ عَظيمَة ... مِنْ حَبْسِكُم ما كُلُّ جُرحٍ يُوسى
فَتَوَدُّ نَفْسي لو تكُونُ مَكانَكُمْ ... وأظُنُّها نفساً تَرُومُ نَفيسا
تَشْكُو الذي أشكو الغَداةَ وما لِمَنْ ... أوْدَى بِهِ فِرْعَونُ إلاّ مُوسى

وأنشدني كثيراً من قيله في الدوبيت، وصنف له عروضًا لم يسبق إليه، وسماه

المخترع، وذكر فيه كثيراً من دوبيتاته فمنها :

ذا عَلَمُ الحمَىٰ وَذا واديه — فاْحبِسْ نَفَساً وَقِفْ بنَا نَبْكيه
ما أَطْيَبَ ما كانَ زَماني فيه — والَهْفي والهْفي علىٰ ماضيه

ومنها :

هَذي عَرَصاتُهُم وهَذي الدَّارُ — صارتْ غَرَضَ الدُّموعِ لَمّا ساروا
قَدْ كانَ لَنا بها أحاديثُ هَوًى — طابَتْ فَتَحَدَّثَتْ بها السُّمّارُ

ومنها :

يا واحدٌ فيكَ جَسَدي الفاني — والجَفْنُ عليكَ والبُكاءُ إلفان
والدَّهرُ لَدَيْكَ خاضِعاً ألفاني — واطولَ جَفاكَ عِنْدَ صَبْري الفاني

/ ١١٦ب/

حرف العين المهملة

حرف الظاء المعجمة فارغ لم يرد فيه شيء من الأسماء.

ذكر من اسمه العبّاس

[٢٢٩]

العبَّاسُ بنُ عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد المَلك بن عليٍّ بن مُحَمَّد بن عليٍّ بن العَباسَ بَنَ محاسَن بَنَ عَلَيٍّ بنَ عيَسى بنَ موسىَ بنَ عيسى بَن صالحَ بن عَليٍّ بنَ عبد الله بَن العَباس، أبو اَلبركات ابنُ أبي جعفرٍ الهاشِمي العبَّاسيُّ الحَلَبيُّ، اَلشَّرِيفُ الكاتبُ:

فخرُ البيت، كان يلقب بعضرس.

سمع بدمشق أبا اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي، وبحلب جماعة، وكان يكتب في ديوان الإنشاء بحلب، في دولة السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب.

وكان له خطّ حسن، وكتابة مرضية، وكان بَذيء اللسان، مغرىً بهجاء الرؤساء الأعيان، وجلّ شعره ساقط رديء، ليس بالجيد السنيّ.

حدثني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد الحنفي ـ أدام الله أيامه ـ / ١١٧أ/ من لفظه قال: سار الشريف أبو البركات عن حلب طالبًا الحج سنة ثماني وستمائة، فوصل إلى دمشق، ولم يتفق له الحجّ، وخرج منها إلى بغداد، فوصل إليها، وأقام بها مدة يسيرة، وكان كثير الهجو، فتكلم بشيء لا تحتمله أمزجة أهل بغداد، فوَشىٰ به أصدق الناس إليه، وهو الموفق المعروف بشمس كلي عينه، وكان هذا الشريف كثير الإحسان إليه إذا قدم عليه حلب، فذكر أنَّه دسّ إليه شيئًا سقاه إياه، فمات في أوائل سنة تسع وستمائة.

وأنشدني القاضي الإمام بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن

الخشاب الحلبي ـ أيده الله تعالىٰ ـ بمنزله المعمور بحلب سنة أربع وثلاثين وستمائة قال: أنشدني الشريف أبو البركات العباس بن عبد الله الهاشمي لنفسه، وكتبها إلى السلطان الملك الظاهر، يطلب منه فروة: [من مجزوء الكامل]

يــا أيُّهـا المَلِـكُ الَّـذي ... لأبُـدَّ أنْ يَـرِثَ المَمـالِـكْ
وأرىٰ جَميـعَ الأرض فـي ... يَـده وليـس لـهُ مُشـارِكْ
/١١٧ب/ وأرَىٰ مُلـوكَ الأرض سا ... جِـدَةً لـهُ عنـدَ الحَـوالِـكْ
مَـولايَ إنَّ العَبْـدَ قَـدْ ... أضحـىٰ بُعَيْـدَ نَـداكَ فـاتِـكْ
فَتَـراهُ طُـولَ نَهـاره ... أبـداً علـى الكـانُـون بـارِكْ
فـامنُـنْ عليْـه بفَـرْوَة ... يَحْيـا بهـا يـا خَيْـرَ مـالِـكْ
أوْلا فمـرنـي أن أُقَـرِّ ... رَ مَـوْضِعـاً لـي عِنْـدَ مـالِـكْ

فبعث إليه فروة، فكتب إليه: [من مخلّع البسيط]

تخـاصمـت جُثَّتـي وَراسـي ... خُصُـومَـةً طيَّـرتْ نُعـاسـي
وطـالَ مـا بَيْنَهُـمْ جِـدالٌ ... بـلا مـراء ولا قيـاس
فقـالَ رأسـي عَـلامَ تُكْسَـى ... وأغتَـدي اليـومَ غيـرَ كـاسـي ؟
ولـمْ حَبـاكَ الغيـاثُ دُونـي ... وأنـتَ يـا هـذه أسـاسـي
بفَـرْوَة لـم يَكُـنْ حباهـا ... الـرَّشيـدُ يـومـاً أبـا نُـواس
ولا ابـنُ حَمـدانَ كـان يُعطـي ... لَـو اشْتَهـاهـا أبـو فـراس
عطـاءُ مَلْـك جَـمِّ العَطـايـا ... يَصْفَـعُ بـالنَّعْـل ذا نُـواس[1]
فَنَطَقَـتْ جُثَّتـي وقـالَـتْ ... مَقـالَ طَـبٍّ صَعْـب المِـراس
/١١٨أ/ لـولايَ مـا كُنْـتَ أنْـتَ شيئـاً ... يُـومـي إليـه بَيْنَنـا الأنـاسـي
وكُنـتَ كـالـرَّيـم لَيـس إلاَّ ... ذَقْـنٌ كَبيـرٌ بيِّـنُ المقـاس

الرّيم: يعني به رجلاً من أعيان حلب، كان يجعل الغين راء في كلامه، وكان

(١) ذو نواس الحميري (ت ١٠٢ق هـ)، آخر ملوك حمير في اليمن، وهو صاحب الأُخدود المذكور في القرآن الكريم.
ترجمته في: نهاية الأرب للنويري ١٥/٣٠٣ ـ ٣٠٥. خزانة البغدادي ١/٣٥٧. الكامل في التأريخ ١/١٤٩. الأعلام ٣/٨.

يقول في الغيم: الرَّيم.

وبعدَ هذا فاطلُبْ فإنَّ السُّـ ـلطانَ يُعْطي بلا مكاسِ
أبقاهُ ربُّ السَّما مَليكًا مادامَ رَضْوى ثابتَ الأساسِ

فبعث إليه بعمامة. ومن شعره يهجو بعض رؤساء حلب: [من الكامل]

شَكَتِ ابنَ صَقْرٍ عرسُه وتَظَلَّمَتْ عَدَمَ الجماعِ وقلَّةَ الإنفاقِ
فأجابَها بتَذَلُّلٍ وتَخَضُّعٍ والدَّمْعُ مُنْحَدِرٌ منَ الآماقِ:
(بي مِثْلُ ما بِكِ يا حَمامَةُ فاسألي مَنْ حَلَّ قَيْدَكِ أنْ يَحُلَّ وثاقي)[١]

ومن نثره ما كتبه إلى نظام الدين أبي المؤيد محمد بن الحسين بن محمد بن /١١٨ب/ الحسين الطغرائي الكاتب الوزير بحلب:

«مَمْلوكُ مولانا الصاحب وليِّ النِّعَم، لازالَتْ أيَّامُه أعياداً، وأكنافهُ لمُرتادي الرِّزْق مُراداً، قَدْ أبقىٰ منْ حاله ما عَلمَ الصَّاحبُ دَقيقَه وجَليله، وكَثيرَهُ وقَليلَه، ولا حاجةَ به إلىٰ إعادَة كلام، أو قول، وتَرَقُّب ماليَس بمأمول، لكنَّه يَقْصد الأخَفَّ علىٰ قَلْب الصَّاحب والأسْهَلَ، ويَعْتَمد الألْيَقَ بحاله والأشْكَلَ، وَهُوَ دُستورٌ مُفرغٌ لقَلْبَه من شَوائب الأراجي البَعيدةَ المَرَام، المُفْنية عُمْرَه علىٰ مُرور الأيَّامَ، ليتوجَّه في هذه الأرضِ الواسعَة، ويَقْصدَ المَمالكَ السارحَةَ الشَّاسعةَ، فقد قال الطائي:

(أنْضرَ الروضَ عازِبُهْ)[٢]

وعَسىٰ ما جَمُلَ في هَذه البُقْعَة أن يَتَّفقَ في سواها، وما أطُرحَ بها أن يُشْرقَ إذا باعدَها وقَلاها، ولعلَّ فَرَجًا يَلْقاهُ، فَيَحْمَدَ صُبْحُه مَسْرَاه، فإنَّ رسولَ الله ﷺ لم يَسْتَقم لَهُ بمكَّةَ حالٌ، فاستقام بيَثْربَ، فقد

(١) البيت للشريف الرضي، انظر: الدر الفريد ـ خ ـ ٣/ ٩٦.
(٢) جزء من عجز بيت لأبي تمام، حبيب بن أوس الطائي، والبيت:
«وقلقل نأي من خراسان جأشها فقلت: إطمئني أنضر الروض عازبه»
انظر: ديوانه ص ٩٠ بشرح الحاوي.

سَئِمتْ نَفْسُه التَّقَاضي بما لو عَلِم أنَّ حالَه تَقِفُ عِنْدَهُ، وتَنْتَهي إليه لماتَ هَمًّا، واعتُبِطَ غَيظًا وغمًّا[1]: [مَن الرجز]

/ ١١٩أ/ لَو كانتَ الأحلامُ ناجيَتي بمَا ... ألقَاه يَقْظانًا لأصماني الرَّدى

مَنْزِلَةٌ ما خلْتُها يَرْضَىٰ بها ... لنَفْسِه ذُو أرَب ولا حجَا

والمَمْلوكُ في بعض أحواله يَحْمِلُ أُمورهُ على المقادير، ويَنْتَظِرُ الفَرَجَ بالصَّبْر، ويَتَّخذُ هذا نوعًا منَ العبادَة، فلا يُفيدُه ألاَّ يَقْضي عُمُرَهُ، وُدُنُوَّ أجَله، ويرَى قَومًا لَيْسَ لَهُم مالَهُ منَ الحُقوقِ السَّالفَة والآنفَة، وقَد بلَغُوا منَ الأمانيِّ سَماها، ومنَ الدَّرجات أعلاها، فَيَقْطَعُ نَفْسَهُ أسَفًا وحُزْنًا، ويَموتُ حَرَقًا وغَبْنًا، ولَا تُسامحهُ نَفْسُه بتَجرُّع كاس الصَّبْر، علىٰ مُعانَدَة الدَّهْر، وقَد عوَّل علىٰ الأخْذ ببَيْت [بنْت] عَمْرو بن الشَّريد، أعني الخنساءَ في قولها[2]: [من المتقارب]

سأحْمِلُ نَفْسي علىٰ غايَة ... فإمّا عليْها وَمّا لها

ولقد وَبَّخَتْه نَفْسُهُ مُنْذُ ليال علىٰ الإخلاد إلىٰ الهُوَينا، والرِّضا بهذه الحال الحَقيرة، فأنْشَدَها:

لَو دُرْتَ فَوقَ الفَلَكِ الدَّوَّارِ لَمْ ... تَزْدَدْ نَقيرًا فَوقَ ما اللهُ رَزَقْ

فأجابت بقول الطائي[3]: [من الخفيف]

/ ١١٩ب/ مَنْ أبَنَّ البُيوتَ أصبحَ في ثَوْ ... بٍ منَ العَيْش ليس بالفَضْفاض

والفَتىٰ مَنْ تعَرَّقَتْهُ الفَيافي ... وَاللَّيالي كالحيَّة النَّضْناضِ

فأجابَها بقول الآخر: [من الرجز]

الرِّزْقُ يأتيكَ وَإنْ لم تَطْلُبْه ... ما لَكَ مِنْ رِزْقِكَ إلاَّ تَعَبُه

فأجابَتْهُ بِقَول الطَّائي[4]: [من الطويل]

---

(١) البيتان من مقصورة ابن دريد، انظر: المقصورة بشرح الصاوي ص٢٥.

(٢) انظر: ديوان الخنساء ص١٢٤.

(٣) البيتان لأبي تمام، انظر: ديوانه ٣٤٣ بشرح الحاوي. وفي الديوان تقدمت «الليالي» على «الفيافي».

(٤) البيتان لأبي تمام، انظر: ديوانه ٣٣٦ بشرح الحاوي.

وأُخرىٰ لَحَتْني حينَ لم أُتْبعِ النَّوَى ... قيادي ولم يَنْقُض زماعيَ ناقضُ
أرادتْ بأنْ يَحْوي الرَّغيباتِ وادِعٌ ... وهل يَفْرُسُ اللَّيْثُ الطَّلا وَهْوَ رابِضُ؟

فَلَمّا غَلَبَتْهُ بحُجَّتِها، أَنْشَدَها قولَ أبي الشِّيص الخزاعي[(١)]:

[من الكامل]

لا تُنْكِري وَجْدي ولاَ إعراضي ... ليس المُقِلُّ عَنِ الزَّمانِ براضي
حُلّي عِقالَ مطيَّتي لاَ عَنْ قِلَىٰ ... وأمضي فإنِّي يا أُمَيمَةُ ماضي

وقد بَقِيَ الأَمْرُ مَوْقوفًا علىٰ رأي الصَّاحِب، فإنْ رأىٰ أنْ يُيَسِّرَ الأَمرَ فَعَلَ مُنْعِمًا».

[وكان] الجواب من الوزير أبي المؤيد ـ رحمه الله تعالىٰ: ـ

«وَقَفْتُ على ما شَرَحَهُ، وتَبَيَّنْتُ ما أَوْضَحَهُ، وعَجِبْتُ كُلَّ العَجَب ممَّا أَهمَلَهُ. /١٢٠أ/ منَ الصَّواب واطَّرَحَهُ، وكيف يَقعُ لهُ أنَّ الاغترابَ أجدى عليه، والضَّرْبَ في الأرَضِ أَصونُ لهُ وأَحَبُّ إليه، فلاَ إله إلاَّ اللهُ.

أيُّها السيِّدُ، أنتَ تَعْلَمُ ما أَلتَزِمُه من صَوْنِكَ، وأَتَوَخَّاهُ من مصالحكَ، وما أَحرصُ عليْه من إصلاحِ شَأْنِكَ، وأنتَ مِنَ الضَّجَرِ والقَلَقِ علىٰ مثْلِ حالكَ، فكيفَ إذا نَبَتْ بكَ الدَّارُ، وتقاذفتْ بكَ الأقطار، وأَصْبَحتَ علىٰ أبوابِ غَريبة وعندَ أقوامٍ أجانبَ لا يَعْرفونَ قَديمَكَ، ولاَ يُكْرِمونَ حَديثَكَ، ولاَ يُراعونَ ما يَجبُ لَكَ مِنْ حُرْمَةٍ، ولاَ يَفْهمونَ مَا عندَكَ مِنْ فَضيلة، وتَطيرُ حينَئذ بخَبَركَ عَنْقاءُ مُغْرِبٌ، ويَذْهَبُ بتَجلُّدكَ وبحلمكَ اليَسيرُ ما تَلْقَىٰ به منْ أطِّراحِ جانبِكَ، وتَكونُ قد سَعَيْتَ لتُعزَّ فَتَعَجَّلتَ المَذَلَّةَ، وفي المواعظِ القديمة:

---

(١) البيتان في ديوانه ص٧٦.
وهو: محمد بن علي بن عبد الله بن رَزين بن سليمان بن تميم الخزاعي، أبو الشيص، (ت ١٩٦هـ) شاعر مطبوع، سريع الخاطر، رقيق الألفاظ، منَ أهل الكوفة، وأبو الشيص لقب، وكنيته أبو جعفر.
ترجمته في: الشعر والشعراء ٣٤٦. معاهد التنصيص ٤/ ٨٧. سمط اللآلي ٥٦. تأريخ بغداد ٥/ ٤٠١. الأعلام ٦/ ٢٧١.

النَّاسُ من خَوْف الفَقْر في الفَقْر، وَمنْ خَوْف الذلّ في الذُّلّ، اللَّهُمَّ إلاَّ أن يكونَ غَرضُكَ اَلتَّخلّي والعُزْلَةَ، والرُّجوعَ إلَى ما يَجبُ علىٰ كلّ ذي لُبٍّ، وبَصيرة من اَطّراح الدُّنيا، والسَّعْي في تَرْك عَاجلها الفاني، وذلكَ اَمْرٌ مُيَسَّرٌ لَكَ في وَطَنكَ، ومُمْكنٌ لَكَ بين / ١٢٠ب/ إخوانكَ وخُلاَّنكَ، إلا أن يكُونَ قَد اَشتَعَلَتْ في قَلْبكَ نَارُ المَحبَّة، ورَمَيت شياطينَ شَهَواتكَ لشُهْب الاصطفاء والمُكَاشَفَةَ، فيَحْملُكَ ذلكَ على أنْ تَسْرَحَ في الجبالَ، وَيَسْهُل لَديكَ صَعْبُ المعاش، وما أرىٰ لذلكَ أمارَةً تَدُلّ عليْه، ولاَ حالاً تُشيرُ إليه، والصَّوابُ الَّذي أراهُ لسَيِّدنا فَخْر الدِّين، أنْ يَسْتَقيمَ علىٰ الطَّريق، ولا يتابعُ نَفْسَه لمَا يَخْطُرُ لَهُ منْ هذه الأحاديث اللَّيليَّة التي تَمُرُّ بخَاطَره في وَقْت السَّحَر، فإنَّ سَبَبَها اَهْتياجُ اَخْلاط، واَضطراب بَخارات، واَصطفاقُ اَجْرام، وتَمَوُّجُ رُطُوبات، تُثيرُ ضَبابًا يَرينُ على القَلْب، ويَغْشىٰ نورَ الفكْر، وَهُوَ بسَعَادَته إذا نَظَرَ إلى ما هُوَ حَريصٌ علىٰ طَلَبه، بعَيْن الحَقيقة رآه دُونَ هذه النِّعْمَة التي قَدْ سَهُلَ عليْه [أَنْ] بذْلها بادياً، وَيَعزُّ عليه التَّفْريطُ في اليَسير منْهَا عائداً.

فاللهَ اللهَ منَ العمَل بالرأي البادي، والإجابَة لأوَّل الدَّاعي، وعندي له ما يؤثرُهُ منْ سَعْي أبلُغُ فيه الغَايَةَ التي يَتَّضحُ مَعَهَا العُذْرُ، وَيَقُومُ عنده بها عليَّ بَذْلُ الجَهْد، والدَّليلُ علىٰ ما تُبْعدُ عَنهُ الحُصول علىٰ غَرَضه إنْ شاءَ اللهُ تَعَالىٰ».

ذكر من اسمه عبد الله

[٢٣٠]

عَبْدُ الله بنُ محاسنَ بن عبد الله بنِ مُحَمَّد بنِ عَبْد المَلك بنِ عليٍّ بنِ مُحَمَّدَ، أبُو عليٍّ العباَسيُّ الحَلَبي(١):

أنشدني لنفسه بحلب المحروسة، بمنزله يوم الأحد سنة سبع وثلاثين وستمائة، ما كتبه إلى والده الشريف أبي عليّ، يلتمس منه ثوبًا: [من البسيط]

وقائلٍ قالَ لي يومًا وقد بَصُرَتْ ... عَيْناهُ ثَوبيَ رَثًّا مالَهُ خَطَرُ

أرَىٰ ثيابَكَ قد أودىٰ الزَّمانُ بها ... كأنَّها رَسْمُ دارٍ دارسٌ دَثِرُ

لم يُبْقِ منْهَا ٱلبلىٰ شيئًا فتُدرِكُهُ الأ ... بصَارُ بَلْ دقَّ عن إدراكِها البَصَرُ

فَقُلْتُ وٱلقَلبُ فيه النَّارُ تَسْتَعِرُ ... وٱلدَّمْعُ من فَرْط ما أبكاهُ يَنْحَدِرُ

رَثَاثَةُ الثَّوْب لا تَزري بلابسه ... . . . لا تَزري به الذِّكَرُ

وأنشدني أيضًا لنفسه من نظمه ما كتبه على ظهر تقويم أهداه إلى السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب بن شاذي أعزّ الله نصره: [من مجزوء الرجز]

يا مَلكًا فَرْعَ مَلَكْ ... أعطاكَ ربِّي أمْلَك

وَصَيَّرَ الله مُلُو ... كَ الأرْض جَمْعًا خَوَلَكْ

مَمْلُوكُكَ الداعي الشَّري ... فُ [آملُ أنْ] يَسْألَكْ

قَبولَ ما أهْداهُ من ... لَطيفِ [تقويم الفلك]

وأنشدني أيضًا: [من الكامل]

يا مالكًا تَنْهَلُّ سُحْبُ نَوالِهِ ... فينا إذا ما العَامُ عَمَّ بجَدْبِهِ

أنتَ ٱلذي يُفْني ويُغْني بالنَّدىٰ ... وٱلبأسِ في يَومَيْ عَطاهُ وَحَرْبِهِ

فعلىٰ المُوالي نِعْمَةٌ مِن مالِهِ ... وعلىٰ المُعادي نِقْمَةٌ من عَضْبِهِ

---

(١) هذه الترجمة بكاملها وردت في هامش الأصل.

[قـد جـاءك] الفيـروز . . يـوسـف لازلْـتَ طـول الـدهـر مسعـوداً بـه[(١)]

[٢٣١]

/١٢١أ/ عَبْدُ اللهِ بنُ عَلاَّنَ بن زاهر بن عُمَرَ بنِ أَحْمَدَ بنِ عَلاَّنَ بنِ رُزَيْن، أَبو الفَضْلِ بنُ أَبي الحَسَنِ الواسِطِيُّ الخُزَاعِيُّ:

هكذا قرأتُ نسبه من خط يده، ذكر أبو عبد الله [ابن] الدُّبيثي أنَّه من أولاد رُزَين، ابن أخي دعبل بن علي الخزاعي الشاعر[(٢)].

وكانت ولادته في عاشر ذي الحجة من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، وتوفي سنة ثلاث وعشرين وستماية.

زعم أنه سمع أبا جعفر المبارك بن أحمد بن زريق الحداد الواسطي المقرىء إمام الجامع بواسط العراق، وأبا بكر عبد الله بن منصور بن عمران الباقلاني[(٣)]، وأبا الوقت عبد الأول بن عيسىٰ بن شعيب السجزي الصولي، والشريف نقيب العباسيين أحمد بن محمد بن عبد العزيز الهاشمي[(٤)] ببغداد، وأبا يعلى حيدرة بن بدر الرشيدي الهاشمي الخطيب، وأبا الفضل محمد بن نصر السلامي[(٥)] البغدادي الحافظ، وأبا الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان بن البطي، وأبا عبد الله محمد بن محمد المروزي العجلي، وأبا المظفر يوسف بن عبد الله بن الطريف /١٢١ب/ الشاه بوري،

---

(١) للترجمة والشعر تكملة غير مقروءة.

(٢) دعبل الخزاعي: أبو علي، شاعر هجّاء للخلفاء العباسيين، أصله من الكوفة، أقام ببغداد، له أخبار، وشعره جيد، صنّف كتاباً في «طبقات الشعراء»، وطال عمره، فكان يقول لي خمسون سنة أحمل خشبتي على كتفي أدور على من يصلبني عليها فما أجد من يفعل ذلك. توفي ببلدة الطيب ـ بين واسط وخوزستان ـ.
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ١٧٨. الشعر والشعراء ٣٥٠. لسان الميزان ٢/ ٤٣٠. تاريخ بغداد ٨/ ٣٨٢. الأعلام ٢/ ٣٣٩.

(٣) محدث مقرىء، ولد سنة ٥٠٠هـ، وتوفي بواسط سنة ٥٩٣هـ.
ترجمته في: ذيل الروضتين ص١٢. الكامل لابن الأثير ١٢/ ٥٤.

(٤) نقيب مكة، شيخ صالح، سمع الكثير من الحديث، توفي ببغداد سنة ٥٥٤هـ.
ترجمته في: المختصر المحتاج إليه ١/ ٣. المنتظم ١٠/ ١٩١. العقد الثمين ٣/ ١٨٤.

(٥) من رواة الحديث وتأريخ الرجال (٤٦٧ ـ ٥٥٠هـ).
ترجمته في: وفيات الأعيان ٣/ ٤٢٠، البداية والنهاية ١٠/ ١٦٣. المنتظم ١٠/ ١٦٣.

وأبا المظفر يوسف بن فضل الله بن يحيى وغيرهم.

روى عنه القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة الحلبي الحنفي ـ أدام الله أيامه ـ، والصاحب أبو البركات المبارك [بن] أحمد بن المبارك المستوفي الإربلي، وغيرهما. وكان يلقب بشاشل.

سمع كثيراً من كتب التفسير والحديث، والأخبار والسير والمغازي ورواها، وصنف كتبًا عدة، ومن تصانيفه كتاب: «اللباب في تحرير الكتاب»، وهو ثماني مجلدات، وكتاب «جواهر الحكم وتواريخ الأمم وسير ملوك العرب والعجم»، وهو خمس عشرة مجلدة، وكتاب «حماسة العرب وأيام العرب»، وهو عشرون مجلداً، وكتاب «التبيين في سير الملوك والسلاطين»، وكتاب «الغُرَر والبدَر في سيرة خيرة الخير وصفوة البشر ﷺ»، وهو خمس مجلدات وكتاب «مختصر الغرر والبدر»، مجلد، وكتاب «الممدود / ١٢٢أ/ والمقصور»، مجلدان، وكتاب «المسألة الأتابكية العزّية في الصفات الإلهية»، وكتاب «التنبيه بالرّد على من قال بالتشبيه»، صنفه لأتابك عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكي، وكتاب «الإشارة في تدبير الوزارة»، وكتاب «الجمع بين الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول»، وكتاب «المدح والفصل في سيرة ملوك العدل»، وكتاب «مختصر الحكم» مجلد، وكتاب «الدرّ الثمين في مدائح بدر الدين صاحب الموصل».

وهذه أسماء الكتب التي ذكرتها نقلتها من كراسة هي بخط يده، ولم يقع إليّ شيء منها سوى كتاب «الدرّ الثمين».

حدثني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أحمد العقيلي ـ أسعده الله تعالىٰ ـ من لفظه قال: قدم عبد الله بن علان حلب مراراً، وكان أقام بحماة مدة في خدمة الملك المنصور محمد، وذكر لي أن مولده سنة خمس وثلاثين وخمسمائة إن صدق، وكان كذابًا، يدعي أنه سمع أبا الوقت وغيره، وقفت / ١٢٢ب/ علىٰ طبقات وأثبات زورها بخطه، وآفة كذبه جهله، فإنه خلط في أسانيدها، والشيوخ الذين ادّعى أنه سمعهم، وغرّ جماعة من طلبة الحديث، فسمعوا منه بالموصل وغيرها، ثم قال: أنشدني

لنفسه: [من مجزوء الكامل]

يــا مُشْبِــهَ القَمَــرِ المُنيــرِ هــل مِــنْ صُــدودكَ مــن مُجيــرِ ؟

قَسَمــاً بمــا فــي فيــكَ مــنْ شَنَــبٍ وَدُرٍّ مُسْتَنيــرِ

وبــوَرْدِ خَــدَّيْــكَ اللَّــذيْــنِ يُضــاهيــان الــوَرْدَ جُــوري

وبمــاءِ آسٍ فــي عِــذا رِكَ أخضــرٍ غــضٍّ مَطيــرِ

وبنَفْســجٍ فــي مُقْلَتَيْــكَ وَنَــرْجِــسٍ رَغْــدٍ نَضيــرِ

صِــلْ عــاشقــاً صبّــاً فــذكْــرُكَ يــا مُنَــىٰ قَلْبــي سَميــري

وأنشدني الصاحب أبو البركات المستوفي ـ أبقاه الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني أبو الفضل بن أبي الحسن لنفسه في الثامن عشر من صفر سنة خمس عشرة وستمائة:

[من الكامل]

مَلِــكٌ يُــذمُّ مِــنَ الــزَّمــان وَخَطْبِــه إنْ أخْفَــرَتْ نُــوَبٌ لــهُ وخُطــوبُ

/ ١٢٣أ/ لو تَسْتَجيرُ به الغُصونُ وقُضْبُها مــا راعَهُــنَّ مِــن الــرِّيــاحِ هُبــوبُ

وإذا يُســالِمُــه أمــرؤٌ هُــوَ ســالِــمٌ ومُحــارِبُــوه فكلُّهُــمْ مَحْــروبُ

وإذا نَحــا نَحْــوَ القِتَــال فَسَيْفُــه رَفْــعٌ ورأسُ عَــدُوِّه مَنْصُــوبُ

مــازالَ فَــرَّاجَ الصُّفــوف وفَــارجــاً إذ يَسْتَجيــرُ ببــأســه مكــرُوبُ

نَصَــرَ الإمــامَ بقَــوْلــه وفعــالــه وجيُــوشــه والــرأيُ منْــهُ مُصيــبُ

لكُــمُ تَحَلَّــت بــالمهــابَــة والتُّقَــىٰ ولكــلِّ مــا تَحْــوي يَــداهُ وَهُــوبُ

مَلِــكٌ فَــلا مثْــلٌ ولاَ ضَــرْبٌ لــهُ والنَّــاسُ أمثــالٌ لَهُــمْ وَضُــروبُ

مَلِــكٌ رَحيــمٌ بــالبَــريَّــة عــادلٌ بَــرٌّ رَؤوفٌ عــالِــمٌ يَعســوبُ

الفَــائــتُ الطُّــلابَ عــنْ إدراكــه والمُــدْرِكُ الغــايــاتِ وَهْــوَ طَلُــوبُ

وقَعــاتُــه فيهــا الحَــوائــمُ وُقَّــعُ وعلــىٰ الجَــداول مِــن ظُبــاهُ تَلــوبُ

وكجــامِــدِ الجُلمــودِ قَلْبــاً فــي الــوَغَــىٰ وبكفِّــه مــاءُ النَّــوال يَــذُوبُ

[٢٣٢]

عبدُ الله بنُ عبد الرَّحمَن بن عبد الله بن عُلْوانَ بن عبد الله بن عُلْـوانَ بـن رافِـع، أبـو مُحَمَّـدٍ/ ١٢٣ب/ ابـنُ أبـي مُحَمَّـدٍ الأَسَديُّ[1]:

من أهل حلب، القاضي الإمام الفقيه الشافعي المدرس، كان والده وعمّه أحمد وجدّه من المشايخ الأتقياء العلماء بالحديث والقرآن، وكان كلّ منهم يشار إليه في الصلاح والعبادة، وفعل الخير.

والقاضي أبو محمد هذا سمع الحديث من أبيه وأبي الفرج الثقفي[2]، وأبي اليُمن زيد بن الحسن الكندي، وأبي حفص عمر بن محمد بن طبرزد، والقاضي أبي القاسم عبد الصمد الحرسّتاني[3]، وقاضي دمشق أبي المعالي محمد بن علي القرشي، وحنبل المكبّر[4]، والقـاضـي أبـي المحـاسـن يـوسـف بـن رافـع بـن تميـم، وغيـرهـم، وهـم

(١) في هامش الأصل: «قاضي قضاة حلب، ينعت بزين الدين».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٧/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧، وفيه: «عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن رافع الأسدي، أبو محمد الحلبي...». التكملة للمنذري ٣/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨ رقم ٢٨٢٨. ذيل الروضتين ١٦٦. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص٢٣٩. العبر للذهبي ٥/ ١٤٣. طبقات الأسنوي ١/ ١٤٦ رقم ١٣١. طبقات السبكي ١/ ١٤٦ رقم ١٣١. البداية والنهاية ١٣/ ١٥١. شذرات الذهب ٥/ ١٧٠. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٣٧. المشتبه ١/ ١٩. النجوم الزاهرة ٦/ ٣٠١. المستفاد من ذيل تأريخ بغداد ١٤٢ ـ ١٤٤ رقم ٩٨.

(٢) أبو الفرج، يحيى بن محمود بن سعد الثقفي الإصبهاني (٥١٤ ـ ٥٨٤هـ)، شيخ أصبهان ومقرئها في عصره، سمع الحديث من أبي الفضل حمزة بن محمد بن طاهر بن طباطبا العلوي، وغيره. توفي قريبًا من همذان.
ترجمته في: التكملة للمنذري ١/ ١٠٧. العبر ٤/ ٢٥٤. دول الإسلام ٢/ ٧١. النجوم الزاهرة ٦/ ١٠٩. شذرات الذهب ٤/ ٢٨٢.

(٣) عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل: عالم زاهد، وقاض عادل، سمع الحديث على مشايخ دمشق مع ابن عساكر، توفي سنة ٦١٤هـ.
ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي ٧/ ١٩٦. ذيل الروضتين ١١٦.

(٤) حنبل بن عبد الله بن الفرج الحنبلي (٥١١ ـ ٦٠٤هـ)، كان مكبّراً بجامع المهدي ببغداد، حدّث بمسند أحمد.
ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ١٦٢.

كثيرون.

واستنابه أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم القاضي، في التدريس والحكم، وكان زوج أخته، ولما توفي قاضي القضاة أبو المحاسن، قلّده الملك العزيز غياث الدين أبو المظفر محمد بن غازي بن يوسف ـ رحمه الله ـ القضاء بمدينة حلب في أعمالها، وذلك في يوم الجمعة الرابع عشر من شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.

واستمرَّ في القضاء، وعلت منزلته عنده، واحترمه احترامًا وافراً، /١٢٤أ/ وأُنفذَ رسولاً إلى دمشق ومصر وبغداد، واعتمد عليه في مهماته وأموره.

ولمّا توفي الملك العزيز، أُقرّ علىٰ ما هو عليه، ولم يغير عليه شيء من أمور القضاء، وازداد كلّ يوم يأتي من الوجاهة والتقدم، وصار يشاور في الأمور، يؤخذ برأيه، ويرجع إلى قوله.

وكان رجلاً كامل العقل، وافر الفضل، على غاية ما يكون من الورع والدين، وصحة العقيدة، وصدق النفس.

لقيته بمحروسة حلب، وقرأت عليه جزءاً من الحديث النبوي، وأربعين حديثًا من تأليفه، وسألته عن ولادته، فذكر أنه ولد في سنة ثماني وسبعين وخمسمائة.

وتوفي بحلب المحروسة ليلة السبت، السادسة عشرة من شعبان، صلاة عشاء الآخرة سنة خمس وثلاثين وستمائة، وأخرج يوم السبت ضاحي نهاره، فصلّى عليه بالمسجد الجامع أخوه القاضي أبو البركات محمد بن عبد الرحمن، وحمل إلى مقبرة الجُبَيْل[1] شمالي البلد، فدفن بتربة لهم، وكان قد أصابه قولنج قبل موته بأعوام، وكان يخفيه، وشيَّعَ السلطان الملك الناصر /١٢٤ب/ صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب ـ خلد الله ملكه ـ جنازته، وكذلك أمراء الدولة، وأرباب المناصب، والمتصرفون، والفقهاء،

---

(١) الجبيل: بلد في سواحل دمشق مشهور، في شرقي بيروت على ثمانية فراسخ منها. انظر: معجم البلدان/ مادة (الجبيل).

والصوفية، وعامة البلد، ولم يتخلف يومئذ عن جنازته إلاّ اليسير من الناس، وكان ذلك اليوم يومًا مشهوداً، من كثرة الخلق، وشدّة الزحام، والتمسك بنعشه، والتبرك به، والانعكاف عليه، والغلبة والجمع العظيم، فأوسعه الله رحمة ورضوانًا، وتغمده برحمته وغفرانه إنه سميع مجيب.

حدثني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أبي جرادة الفقيه الحنفي المدرس ـ أيده الله تعالىٰ ـ قال: اجتمعت بالقاضي أبي محمد بحمص، وقد وافاها رسولاً، وأنا مجتاز إلىٰ دمشق، وأقمت معه أيّامًا، ثم ودعته، وسرت إلى دمشق، ورجع بعدي إلى حلب، فكتب إليّ بهذه الأبيات إلى دمشق: [من الطويل]

إلـىٰ الله أشكـو مـا وَجـدتُ مـنَ الأسـىٰ ... بحمـص وَقَـدْ أمسَـى الحبيـبُ مـودِّعـا
وأوْدَعَ فـي العَيـنِ السُّهـادَ وفـي الحَشـا ... اللهيـبَ وفـي القلـب الجَـوىٰ والتَّصـدُّعـا
/ ١٢٥أ/ ولله أيـامٌ تَقَضَّـتْ بقُـرْبـه ... فَيـا طيبَهـا لـو دُمـتُ فيهـا مُمَتَّعـا
ولكنَّهـا عمَّـا قليـل تَصَـرَّمَـتْ ... فـأصبحـتُ مُنْبَـتَّ السُّـرور مُفَجَّعـا
وقـد كـان ظَنِّـي أنَّ عَنْـدَ قُفـولنـا ... إلـىٰ حَلَـب ألْقـى مـنَ الهـمِّ مَفْـزَعـا[1]
فلمّـا رأيـتُ الـدَّارَ هَيَّـجَ مَنْظَـري ... إليهـا حَنينـًا كـامنـًا وَتَـوجُّعـا
فـأنْشَـدْتُ بَيْتَـيْ شـاعـر ذَاقَ طَعْـمَ مـا ... شَـربْـتُ بكـاسـات الفـراق تَجَـرُّعـا:
(فَـلا مَـرْحبـًا بـالـرَّسْـم لَسْتُـم حُلُـولَـهُ ... ولَـو كـانَ مُخْضَـرَّ الجَـوانـب مُمْـرعـا)
(ولا خَيْـرَ فـي الـدُّنيـا ولا فـي نَعيمهـا ... إذا لـم يكُـن شَمْلـي وَشَمْلُكُـمُ مَعَـا)

وأنشدني القاضي أبو القاسم قال: أنشدني القاضي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن من شعره: [من الطويل]

أُنَـزِّهُ نَفْسـي عـن أمـور شَهيَّـة ... وأكبَحُهـا عَـنْ أنْ تنـالَ المطـامعـا
مَخـافَـةَ أنْ تَعْتـادَ نيـلَ مُـرادهـا ... فـأُصبـحَ مـن كـأس المـذلَّـة كـارعـا
وأنَّ مَبيـتَ الحُـرِّ جَيْعـان قَـانعـًا ... أعَـزُّ لَـهُ ممـا إذا بـاتَ خَـانعـا

---

(١) الأبيات الخمسة الأولى في الوافي ١٧/ ٢٤٧.

[٢٣٣]
عَبْدُ الله بنُ عَلِيٍّ، الدُّونيُّ[١] الأَصْلِ / ١٢٥ب/ ، البغداديُّ المولدِ والمنشأَ، أبو مُحَمَّد:

كان شيخًا لطيفًا، كيِّسًا، عنده أدب، وفيه فضل ودعابة وخلاعة، وهزل، يحذو حذو ابن الحجاج[٢] في فنونه.

ومن شعره يمدح المستنصر بالله أبا جعفر المنصور بن محمد ـ خلد [الله] دولته: ـ [من الطويل]

إلـى كـم بِقَلْبـي للْغَـرامِ لمـامُ ... وللعشْـقِ فيـه مَـوْطِـنٌ ومُقَـامُ؟

كـأنّـيَ فـي عَصْـرِ الشَّبيبـة راتـعٌ ... وَلـي مـن قُـواه شِـرَّةٌ وَعُـرامُ

أُدلُّ بـريْعـان مـنَ العُمْـرِ مُقْبـلٍ ... وفـي قَبْضَتـي ممَّـن أُحـبُّ زمـامُ

وأسْحَـبُ مِـرْطَ اللَّهْـو فـي مَرْبَـعِ الصِّبـا ... ولـي بمغـانيـه هـوًى ولـزامُ

أَمِـنْ بعـد مـا لاحَ المَشيـبُ بمَفْـرِقـي ... وأصبَـحَ أحْـوَى الفَـوْدِ وَهْـوَ ثَغـامُ؟

بـدا صُبْـحُ شَيْبـي فـي مَطـالـعِ لمَّتـي ... فعـادَتْ نَهـاراً مِنْـهُ وَهْـيَ ظَـلامُ

وَوَدَّعَنـي عَصْـرُ التَّصـابـي مُفـارِقـاً ... فَخَلَّـفَ داءَ الشَّيْـبِ وَهْـوَ سَقـامُ

علـى عَصْـرِ أيـامِ التَّصـابـي وطيبـه ... ومـا نلْـتُ مـنْ وَصْـلِ الحَبيبِ سَـلامُ

فـلا أُذْنـي تُصْغـي إلـى شَـدْوِ مُطْـرِبٍ ... يَـذُلُّ لَـدَيْـه مَعْبَـدٌ وَيُضـامُ

وكيـفَ أُرجِّـي وَصْـلَ حَسْنـاءَ غـادَةٍ ... وبيـن مَشيبـي والشَّبـاب خصـامُ

ولكنَّنـي أسْتَغفـرُ اللهَ جـاهـداً ... فكـلُّ غضـارات الشَّبـاب أثـامُ

---

(١) وردت هكذا غير منقوطة بالأصل، لعلها: الدويي، أو الدوي. ودُونة: قرية من قرى نهاوند، وأخرى بهمذان، والنسبة إليها دوني. انظر: معجم البلدان/ مادة (دونة).

(٢) حسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجّاج النيلي البغدادي، أبو عبد الله، شاعر فحل، من كتّاب العصر البويهي، غلب عليه الهزل، نسبته إلى قرية النيل ـ على الفرات بين بغداد والكوفة ـ وتوفي فيها سنة ٣٩١هـ.

ترجمته في: تاريخ بغداد ٨/ ١٤. روضات الجنات ص٢٤. مطالع البدور ١/ ٣٩. الأعلام ٢/ ٢٣١.

/١٢٦أ/ وأَمدحُ مولى النَّاسِ شرقًا ومَغربًا ... ومَنْ طَوْرُهُ في الحلْم لَيْسَ يُرامُ
إمامًا حوى شَمْلَ المَناقب واغتدَى ... لكلِّ زَمانٍ في يَدَيْه زمامُ
شُموسٌ هُداةٌ في المَمالك طُلَّعٌ ... وغَيْثٌ نَداهُ للعُفاة سِجامُ
فَلا جُودَ إلاَّ وَهْوَ مِنْ سَيْبِ كَفِّهِ ... يَسُحُّ على الأقطار منْهُ رِهامُ
لكلِّ زَمانٍ أُمَّةٌ وإمامُ ... بهِ حجَّةُ الدِّينِ الحَنيفِ تُقامُ
ومُسْتَنْصِرٌ باللهِ دامَ انتصارُه ... لكلِّ إمامٍ في العُصور إمامُ
رضاهُ حَياةٌ للْوَلِيِّ وَسُخْطُهُ ... لسائرِ مَنْ يَشْنا عُلاهُ حِمامُ
فَلا زِلْتَ للإسلامِ خَيْرَ خليفَةٍ ... لَكَ المُلْكُ عَبْدٌ والزَّمانُ غُلامُ

[٢٣٤]

عَبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ بنِ أبي الفَرَجِ بنِ عَبْد الله، أبو بكر الأروجاني:

شاب فاضل، مليح الخط، صحيح الضبط، ذو عقل وديانة، وتعفف وصيانة، وهو أحد المتفقهين بالمدرسة النظامية بمدينة السلام، له قصيدة بمدح المستنصر ـ خلد الله ملكه ـ أولها: [من البسيط]

بينَ الخَميسَيْنِ والهِنْدِيَّةِ القُضُبِ ... والأعوَجيَّةِ تَردادُ القنا الأشبِ

/١٢٦ب/ ومنها:

وسِرْ بنَا طالبَي مجدٍ وَمَنْزِلَةٍ ... مُسْتَمْطِيَيْنِ ظُهورَ الأيْنُقِ الحُدُبِ
واقصِدْ بنَا وُجْهَةَ الزَّوْراءِ نَحْوَ حِمىً ... المُسْتَنْصِرِ المالكِ المنصورِ ذي الحَسَبِ
مَلْكٌ تَظَلُّ ملوكُ الأرضِ طائعَةً ... لَهُ وذَاكَ لها مِن أفْضَلِ القُرَبِ
مَلْكُ المُلوكِ تَسامَى أنْ يُقارِبَهُ ... مَلْكٌ وأنَّى يُقاسُ النَّبْعُ بالغَرَبِ؟
إنْ يَنْتَسِبْ يومَ فَخْرٍ تُلْفِ نسْبَتَهُ ... مَوْصُولةً بالنَّبيِّ المُصطفى العَربي
وَمَنْ يَكُنْ جَدُّهُ العبَّاسُ مُنْتَسِبًا ... إلى الرَّسولِ يكُنْ من أكرَمِ النَّسَبِ
حازَ المفاخِرَ والمجدَ الأثيلَ وما ... شادَ الخلائفُ قِدْمًا عن أبٍ فأبِ
وَضَمَّ شَمْلَ العُلا مِنْ بَعْدِ ما انصدَعَتْ ... فيما مَضَى فَغَدَتْ مَشْعوبَةَ الشُّعَبِ
يا ابنَ الخلائفِ والقَوْمِ الذينَ سَمَوا ... على السِّماكِ وحازُوا خَيْرَ مُحْتَقَبِ

فَخْراً مَليكَ الوَرَىٰ إذ ليسَ مُفْتَخَرٌ لفَخْرِ آبائكَ الصِّيدِ الأُلَىٰ النُّجُبِ
هُمُ منارُ الهُدَىٰ مَنْ يَعْتَلِقْ بهِمِ فَقَدْ حَوَتْ راحتاهُ أَعْظَمَ السَّبَبِ
بهِمْ تَجلَّىٰ عَنِ الإسلامِ غَيْهَبُهُ وَذَلَّ كُلُّ عَنيدٍ مارِدٍ شَغِبِ
هَلْ في الوَرَىٰ مَنْ يُجازيهِمْ بمَكْرُمَةٍ أَمْ مَنْ يُساجِلُهُمْ في الفَضْلِ والأدبِ ؟
وَحَسْبُهُمْ مَفْخَراً ما شادَهُ لَهُمُ المَنْصُورُ مَنْ كُلِّ مَجْدٍ باذِخِ العَذَبِ
/١٢٧أ/ حَوَى الحِجَىٰ والتُّقَىٰ والفَضْلَ واكْتَسَبَتْ كَفَّاهُ مَنْ كُلِّ بِرٍّ خَيْرَ مُكْتَسَبِ
ما أَعْمَلَ الرأيَ في أمرٍ يُسَدِّدُهُ إلاَّ وأعْمَلَتِ الأعداءُ في الهَرَبِ
ولا امْتَطَىٰ كَفَّهُ يوماً مَطَاً قَلَمٍ عَلَىٰ الكَتائِبِ إلاَّ ارْتَعْنَ للكُتُبِ

[٢٣٥]

عَبْدُ اللهِ بنُ عَليِّ بنِ نَصْرِ بنِ عَقيلِ بنِ أحمدَ بنِ عَليِّ العَبْديُّ، المعروفَ بابنَ القيرَيني :

من أهل واسط .

وهو أخو الشاعر المجيد، أبي علي الحسن بن علي[١]، وقد ذكرته في كتاب «تحفة الوزراء» المذيل علىٰ معجم الشعراء .

وكان عبد الله هذا يلقب بالصّارم، وهو شاعر كثير الشعر، لم يلحق طبقة أخيه في الفضل والأدب، لكنّ شعره لا بأس به .

خرج عن مدينة واسط، وتوجه إلى البلاد الشامية، وامتدح الأمراء والملوك والرؤساء، ثم سكن بالآخرة مدينة حلب، وتوفي بها في سنة ستّ أو سبع وستمائة، هكذا أخبرني بوفاته الوزير أبو نصر إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم القفطي .

ومن شعره يمدح الملك المنصور ناصر الدين أبا المعالي محمد بن عمر بن شهنشاه بن أيوب بن شاذي[٢] صاحب حماة : [من مجزوء الرجز]

---

(١) شاعر مدح طائفة بالشام والعراق، وأقام بدمشق، واتصل بخدمة الملك الأمجد صاحب بعلبك، في شعره رقّة، توفي سنة ٥٩٦هـ .
ترجمته في : فوات الوفيات ١/ ١٢٤ . الأعلام ٢/ ٢٠٣ .

(٢) محمد بن عمر بن المظفر بن شاهنشاه الأيوبي، أبو المعالي، ناصر الدين، الملك المنصور ابن المظفر (ت ٦١٧هـ)، صاحب حماة، وأحد العلماء بالتأريخ والأدب، سمع الحديث في الإسكندرية، له مع =

/ ١٢٧ب/ كـم بـرسُـوم لَعْلَـعِ — مـنَ البُـدور الطُّلَّـعِ
يمْنَعْـنَ أقمـارَ السَّمـا — ءِ فـي الـدُّجَـى عَـنْ مَطْلَـعِ
نَـواعـمٌ رَواتـعٌ — أَكْـرِمْ بهـا مـن رُتَّـعِ
كـلٌّ رَداحٍ كـالقَضيـ — ـبِ سَهْلَـةَ المُقَنَّـعِ
تُصمـي القُلـوبَ بسهـا — مٍ مـن خـلال البُـرْقُـعِ
صَحيحـةٍ لا تَـأْتَلـي — عَـنْ قَلْبـيَ المُصَـدَّعِ
واحَـرَّ قَلْبـي لبَـرْ — دِ ريقهـا المُمَنَّـعِ
وآه مـنْ ذكـر لُبَيْـ — ـلاتِ الحمَـى والأجْـرَعِ
لَهْفَـي عَلـى تَفْـريـقِ طَيْـ — ـبِ شَمْلـيَ المُجَمَّـعِ
ومـا جَـلا بـذَلـكَ الْـ — ـمُصْطـافِ والمُـرْتَبَـعِ
منـازلٌ غَيَّـرَهـا — مَـرُّ الـرِّيـاحِ الأرْبَـعِ
واسْتُبْـدلَـتْ بَعْـدَ الأنيـ — ـسِ بـالغـرابِ الأبقَـعِ
وبـالقيـانِ أنَّـةَ — القُـرْغُـلِ والسَّمْعَمَـعِ
تُعَـدُّ بَعْـدَ أَهْلهـا — مـنَ الـدِّيـارِ البَلْقَـعِ
أنْـدُبُ مـاضـي زَمَـنٍ — بـرَبْعِهـا لـم يَـرْجِـعِ
/ ١٢٨أ/ واسْتَهِـلُّ فـي ذُرَى — تلـكَ الـرسـومِ أدْمُعـي
ولـم أجـدْ للعَـذْلِ فـي — سُلـوِّهِـمْ سَمْعـاً يَعـي
لا والأمـامِ الطَّـاهـرِ الـ — ـمَـولَـى البَطيـنِ الأنْـزَعِ
الطَّـاهـرِ الآبـاءِ والْـ — ـمُغـامـرِ السمَيْـدَعِ
وقـالـعِ البـابِ الَّـذي — بغَيْـرِهِ لـم يُقْلَـعِ
وَمَـنْ لَـهُ فَضـائـلٌ — بمثْلهـا لـم يُسْمَـعِ
وسـالـكِ الـولـيِّ فـي — نَهْـجِ الطَّـريـقِ المَهْيَـعِ
صِنْـوِ النَّبـيِّ العَلَـمِ الـ — ـمكَـرَّمِ المُشَـرِّعِ

= الفرنج وقائع وحروب، له عدة مصنفات.
ترجمته في: ذيل الروضتين ١٢٤. السلوك ١/ ٢٠٥. فوات الوفيات ٢/ ١٦٣. تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٣٩. الأعلام ٦/ ٣١٣.

معـــاشـــرٌ بحُبِّهـــم آمَــنُ يــومَ مَفْــزَعــي
وَمــنْ نَــدَى مُحَمَّــد مَنْــزلَــةُ المُنْتَجــعِ
المَلــك المَنْصــور ذي الـ طَّــوْلَ الجَــزيــل الأَرْفَــعِ
وَطَــوْدِ بَــأس وحجًــى بــالخَطْــبِ لَــم يُــزَعْــزَعِ
جــامــع فَضْــلِ بســوَىٰ عُــلاَهُ لــم يُجَمَّــعِ
بــالبــأس والنَّــوال والـ إحســان والتَّــورُّعِ
ذو مقْــوَلٍ يُخْــرسُ كـ ـلَّ مُفْصــحٍ ومِصْقَــعِ
/ ١٢٨ب/ كَهْــفُ العُفَــاة مَلْجَــأُ الـ خــائــف والمُنْقَطــعِ
مُــرْدي الكُمــاة بــالمَــوا ضــي والــرِّمَــاح الشُّــرَّعِ
سَــلْ عَنْــهُ فــي يــوم النِّــزا ل بــالقَنــا المــزَعْــزعِ
هــل غيــرهُ كــانَ المُجيْـ ـبَ فــي الــوَغَــىٰ إذا دُعــي ؟
أم كَشَفَــتْ غمــامَهــا بــالبَطَــل السَــرعَــرع ؟
مَــنْ رَدَعَــتْ سُيــوفُــه فــي الــرَّوْع مَــنْ لــم يُــرْدَعِ
فــاتــحِ أبــواب الــرَّجَــا ء للــوَرَىٰ والطَّمَــعِ
فمــا لَهُــمْ عَــنْ قَصْــد بــا بِ دارِه مــنْ مَطْمَــعِ

وله أيضًا فيه من قصيدة أولها: [من الطويل]

لكَسْبِ العُلا والمَجْد ما أنا واجدُ وللسَّبْق في نَيْل المُنَىٰ ما أُكابدُ
أَنا ابنُ طراد الخَيْل إنْ أحْجَم الوَرَىٰ وإنْ أقتروا أو ضَنَّت السُّحْبُ جائدُ
تَروعُ بيَ الخَطِّيُّ وَهْيَ شَوارعٌ وتَرْهَبُني الأسيافُ وَهْيَ حَدائدُ
ويَخْضَعُ مِنْ بأسي لدَى الرَّوْعِ مَعْشَرٌ قُلُوبُهُمُ يومَ الجِلادِ الجَلامدُ

ومنها في المديح:

فَحتَّى مَ أَرْضَىٰ مِنْ زَمانِي ببُلْغَة وللَّيْث في بُرْدَيَّ قلبٌ مُجَالدُ ؟
/ ١٢٩أ/ وَللْمَلك المَنصور منِّي مَواهبٌ وَمَدٌّ مَديدٌ زاخرُ الجود زائدُ ؟
مَليكٌ جَوادٌ والمُلوكُ كثيرةٌ ولكنَّه في فعْله اليومَ واحدُ
يَجودُ على قاصي البلاد وَقاصد ليَهْنكَ قاصٍ مَنْ نَداهُ وقاصدُ
وَمَنْ جمعَ الحَمْدَ الجَزيلَ بجُوده وَشَتَّتَ جَمْعَ المَال فالمالُ شاردُ

تُفيـــدُكَ رُؤيــاهُ إذا مــا رأيتَــهُ ... فَــرُوْيَتُــه للْــوافــدِيــنَ فَــوائِــدُ
فقَــد حَقَّــقَ الآمــالَ فيــكَ بــأسْــرِهــا ... فــأرقَــلَ يَبْغَــي الجُــودَ مَــنْ هُــوَ واجِــدُ
يَــدلُّ علــىٰ إنعــامــه بشْــرُ وَجْهِــه ... كَــذا البَــرْقُ قَبْــلَ القَطْــرِ للْقَطْــرِ رائِــدُ
ومــا رَوْضَــةٌ حَــلَّ الــرَّبيــعُ رُبُــوعَهــا ... عَــنِ السَّفْــرِ منْهــا بَــرْزَخٌ مُتَبَــاعِــدُ
سَقَتْهــا جُفُــونُ المُــزْنِ غيــرَ جَــوامِــدِ ... زَمــانًــا فَجَفْــنُ الــزَّهْــرِ سَهْــرانُ جــامِــدُ
تَغَنَّــت بهــا وُرْقُ الحَمَــامِ فسَــاجِــعٌ ... علــىٰ أَثْلِــه أو نــازحُ الــوَكْــرِ فــاقِــدُ
تُــؤرِّجُهَــا ريــحُ الصَّبــا بهُبُــوبهــا ... ومــا نَفَحَــتْ إلاّ لليهْتَــاجَ واجِــدُ
كــأنَّ ثَــراهــا عَنْبَــرٌ وغُصــونَهــا ... لثِقْــلِ ثمــارِ الحَمْــدِ قَــوْمٌ سَــواجِــدُ
بــأطيــبَ عَــرْفًــا مِــن تــأرُّجِ غَــرْسِــهِ ... وَمَــنْ ذِكْــرِهِ تَبْــدو النُّهَــىٰ والمحــامِــدُ

[٢٣٦]

عَبْدُ الله بنُ عيسى[(١)]:

أنشدني الشيخ العالم الأجلّ زين الدين أبو محمَّد، عبد الله بن عيسىٰ بن عبد الله بن محمد بن محمد بن هبة الله بن علي بن أبي عيسىٰ، واسمه الفضل بن إبراهيم. . . . . . لنفسه بمدينة السلام غريبها: [من الخفيف]

كُلَّمــا جــاءَنــي كتــابُــكَ أبْــدَىٰ ... لــيَ فَنّــا مــنَ السُّــرور غَــريبــا
وكــأنِّــي مُــواصِــلُ كــلَّ يــومٍ ... بمُــواتــاتِــه بقَلْبــي حبيبــا
لــم تشغلنـــي . . . .

وأنشدني ما كتبه إلى بعض الفضلاء: [من الكامل]

صَحِبَتْ ركــابَــك حيــثُ سِــرتَ ثــلاثــةٌ ... عــزٌّ وتــأييــدٌ ومجــدٌ مُعْــرِقُ
وغــدت تســايــرُهُ السعــادةُ والعُــلا ... ويــؤمُّــهُ رأيٌ أعــزّ مــوفَّــقُ
يــا مَــن بــه حَسُــنَ الــزمــانُ . . . ... عمــرُو العُــلا يتــألّــقُ
هــا أنــتَ أرأفُ بــالــرعيــة مــن أب ... وأخــيّ منــهُ علــى بنيــه وأشفــقُ
ان شيــد. . . . الأُلــى لكَــم عــلاً ... فلمــا بنيــت شــدت منــه أوثــقُ

---

(١) هذه الترجمة بكاملها من هامش الأصل الورقة ١٢٧أ.

. . . . . مجـدك قـد تضـوّع فـي . . . . وعـــلا بــذلـــك . . . . . ومُعـــرقُ

وأنشدني . . . . ما كتبه إلى مؤيد الدين أستاذ الدار العزيزة، وهو أبو طالب محمد بن أحمد بن علي العلقمي(١): [من الطويل]

وقـدْ قـالـت الآمـالُ لـي قـولَ صـادق شفيـقٍ نصـوحٍ فـي المقـالِ مُسَـدَّدِ
تمسَّـك إذا مـا الـدهـرُ سـاءَكَ فعْلُـهُ . . . . محمـــد
بـأشـرفَ أبنـاء الـزمـان خـلائقـاً وأكـرمَ فـرعٍ فـي العَـلاءِ ومَحْتـدِ
تَـردْ مَنْهـلاً عـذْبـاً نميـراً ونـائـلاً غـزيـراً وجُـوداً غـامـراً كـلَّ مجتـدي
وغيـرُ بـديـعٍ أن. . . . . نجل العلقمي المؤيد
إذا مـا اقتنـى الأقـوامَ قـومٌ فـإنَّـهُ يَـرَى الحمـدَ أبقَـى مِـن لُجَيـنٍ وعَسْجَـدِ

وكتب لي . . . . : [من البسيط]

. . . . عَضْـواً سليمـاً مـن الأوصـاف والألـمِ
ولـم تـدعْ فـي منيـعِ العـزِّ جـارحَـةً جلبتـهُ مـن أذى الأوجـاعِ والسَّقَـمِ
فـلا تعـدَّتْـكَ ألطـافُ الإلـه ولا بـرحـتَ مـنْ حـادث الأيـام فـي حَـرَمِ
ولا وَهَـى لـكَ مجـدٌ لـمْ تـزلْ أبـداً تشيـدُهُ بجميـلِ الصفـحِ والكَـرَمِ
ودُمـتَ يـا خيـرَ مَـنْ يُـرجَـى البقـاءُ لـهُ مـؤيـد . . . . سـائـر الأمـمِ
فـي دولـةٍ جعـلَ اللّـهُ الـزمـانَ لهـا عبـداً وأبنـاؤُهُ مِـن أصغـرِ الخَـدَمِ

[٢٣٧]

عَبْدُ الله بنُ عَليِّ بنِ سعيدِ بنِ المَرْزُبَان، أبو جَعْفَرٍ الواسِطيُّ(٢).

شاب كيّس من أبناء المتصرفين بواسط وكبرائها، شاهدته لما انحدرت صحبة الأمير العادل ركن الدين أبي شجاع أحمد بن قرطايا ـ أدام الله تأييده ـ إلى بلاد البطائح التي أقطعه إياها أمير المؤمنين المستنصر بالله ـ رضوان الله عليه ـ وذلك في سنة تسع

(١) ترجم له المؤلف في الجزء السابع، بعد الترجمة المرقمة ٨١٧.
(٢) هذه الترجمة أيضاً من هامش الأصل، الورقة ١٢٨أ.

وثلاثين وستمائة، اجتزنا بواسط، فورد عليه أبو جعفر بن المرزبان هذا مهنئًا بالقدوم، فاجتمعت به ساعة، وأنشدنا قطعًا من شعره، ولم يكن في الوقت سعة لأعلقها عنه، ورأيته شابًا فصيحًا، وسألته عن ولادته فقال: ولدت في صفر سنة تسع وستمائة، له يد في صناعتي النظم والنثر، وذكر لي أنه قد عمل عدّة كتب ليتقدم بها للديوان المستنصري، وأنه يفد في كلّ عام بتصنيف من تصانيفه إلى مدينة السلام فيخدم به المواقف المقدسة المستنصرية، فيثاب عليه جبّة وعمامة ومائة دينار، وصارت له رسمًا يتناوله في كل سنة، ومن كتبه «كتاب جواهر فصول البان في تفاخر فصول الزمان» يتكلم على الفصول الأربعة فيها على الربيع والأزهار والأطيار وعلى ألسنة بعضها بعض والمفاخرة بينهم، و«كتاب السعادة الفانية» يحتوي على أربع مجلدات، وقسّمه فصولاً أربع منها «كتاب العارف والغارف» وهو كتاب النور وما يتعلق به، و«كتاب اعتقاد . . . .» يفصح عن وصف الهواء وما يتعلق به، و«الكتاب السائح والصالح» و«كتاب الراغب والراهب» و«كتاب معادن الحكم الفكرية في محاسن القيم المستنصرية» و«كتاب . . . . . . إمام العصر» و«كتاب المفاتح الفطرية في المدائح المستنصرية».

ثم شاهدته مرة ثانية بمدينة السلام مطالبًا برسمه في الديوان المستنصري، وعاقني عن ذلك . . . . . قوله: [من الطويل]

. . . . أنيــن ... ولــواعـجٌ مــوصـولــةٌ وحنيــنُ

وإلـى مغـانـي الغـانيـاتِ بـواسـطٍ ... قلـب . . . . شجًـى وشجـون

يــا ســاكنـي بطـنِ العقيـقِ تعطَّفـوا ... فــالقلـبُ فـي أسـرِ الغَمـامِ رَهيــنُ

. . . . تُــزْرِي بــه ... نـزلـتْ ركـائبُكُـمْ . . . .

يُشَنِّــفُ قلبــي حُبُّكُــمْ فكــأنَّــهُ ... لَيْلَــى وحَبَّــةُ قلبــيَ المجنــونُ

[٢٣٨]

عبْدُ الله بنُ مُحَمَّد بن إبراهيمَ بن الحَسَنِ بن عبد الله، أبو مُحَمَّد المَوْصِليُّ المعروفُ بابنِ الكُرْديةِ[١]:

شاب كيّس خطير، اشتغل بشيء من الطبّ وتفقّه، وعنده فضل وسيرة، منحوس الحظّ من زمانه ذو فاقة وفقر.

أخبرني أنَّه ولد بالموصل في سنة سبع وتسعين وخمسمائة، نَبا به وطنه إلى الشام، فنزل بحلب، وأقام ببعض مدارسها مرتزقًا من ذلك من الوراقة، وربّما أنشأ أبياتًا امتدح بها الرؤساء، وفتح له بها مكتبًا يعلم فيه الصبيان، وقد تأكدت بيني وبينه معرفة.

أنشدني لنفسه ما كتبه إلى الوزير مؤيد الدين أبي نصر إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم القفطي ـ أسعده الله تعالىٰ: ـ [من الخفيف]

قُلتُ للدَّهْرِ ما الذي يُصْلِحُ ٱلعا ... لَمَ إنْ حَلَّ حادثٌ يَعْتَريه

قالَ: سَعْدُ السُّعود في فَلَكِ الإقـ ... ـبالِ أعني مؤيَّدَ الدِّينِ فيه

كَيْفَ لا يطرق الزمانَ ارتياحًا ... ولَهُ الأَمْنُ من فَسادَبنيه؟

بعُلى الصَّاحبِ الذي مَلَكَ ٱلفَضْـ ... ـلَ . . . . . . يُوليه

سَلْ بهِ ماجداً فَما خابَ مَنْ . . . . معهُ آملُ يرتجيه

[٢٣٩]

عَبْدُ الله بنُ مُحَمَّد بنِ فتيْانَ / ١٢٩ب/ أبو مُحَمَّدٍ الجَزريُّ[٢].

من أهل الجزيرة العمرية.

قد ذكرت والده في كتاب (تحفة الوزراء) المذيل على معجم الشعراء.

وابنه هذا كان شاعراً مطبوعًا، ذا شعر رقيق، يغنّىٰ بأكثره، وله في معز الدين

---

(١) هذه الترجمة أيضًا من هامش الأصل، الورقة ١٢٨ب.

(٢) ترجمته في: عيون التواريخ ٢٠/ ٦٨.

سنجر شاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر، صاحب الجزيرة عدّة قصائد، ولم يقع إليّ من شعره إلاّ ما أنا ذاكره.

أنشدني الأمير الحاجب أبو المفاخر بدران بن فتوح بن سلطان العقيلي الجزري بحلب المحروسة قال: أنشدني عبد الله بن فتيان لنفسه ابتداء قصيدة:

[من الكامل]

صَدَّ الأَحِبَّةُ وٱستَباحوا جَفْوَتي ونأوْا فَصَدَّ خيالُهُمْ عَنْ مُقْلَتي
وتَعَمَّدوا قَتْلي بغير جِنايَةٍ وأسَحَّ يومَ البَيْنِ صَيِّبُ عَبْرَتي
يا سادَتي وأَعَزَّ خَلْقِ الله في قَلْبي وإنْ عَمْداً أطالُوا جَفْوَتي
إنْ كان لا يُرْضيكُمُ إلاَّ دَمي فاللهُ قد أبْراكُمُ مِن دِيَّتي

[٢٤٠]

عبدُ الله بنُ أحمدَ [بن][1] مُحَمَّد /١٣٠أ/ بن قُدامَةَ بنِ مِقْدامِ بنِ نَصْرِ بنِ عَبْدِ الله، أبو مُحَمَّدٍ المَقْدسيُّ[2].

هكذا أملىٰ عليّ هذا النسب حفيده بمدينة السلام. الشيخ، الموفق، الفقيه.

ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة[3]، سمع الحديث ببغداد من أبي الفتح بن

---

(١) كلمة (بن) غير موجودة في الأصل.

(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٧ ـ ٣٩. تأريخ الإسلام (السنوات ٦١١ ـ ٦٢٠هـ). معجم البلدان ٢/ ١١٣ ـ ١١٤. مرآة الزمان ٨/ ٢/ ٢٢٧ ـ ٢٣٠. التكملة للمنذري ٥/ ١٥٨ ـ ١٥٩ رقم ١٩٤٤. ذيل الروضتين ١٣٩ ـ ١٤٢. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٦٥ ـ ١٧٣. العبر للذهبي ٥/ ٧٩ ـ ٨٠. المختصر المحتاج إليه ٢/ ١٣٤ ـ ١٣٧ رقم ٧٦٣. مرآة الجنان ٤/ ٤٧ ـ ٤٨. البداية والنهاية ١٣/ ٩٩ ـ ١٠١. الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٣٣ ـ ١٤٩ رقم ٢٧٢. القلائد الجوهرية ٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤٤. شذرات الذهب ٥/ ٨٨ ـ ٩٢. فوات الوفيات ١/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤ رقم ١٧٩. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٥٦.
مقدمة كتاب التبيين في أنساب القرشيين، والاستبصار في نسب الأنصار.
ترجم المؤلف لأخيه (محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي) في الجزء السادس برقم ٧١٢.

(٣) في الوافي: «ولد بجمّاعيل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة».
وجمّاعيل: قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين، بينها وبين بيت المقدس يوم، وهي وقف على ابن قدامة وأهله، ولوقفها عليهم قصة. انظر: معجم البلدان/ مادة (جماعيل).

البطِّي، ويحيى بن ثابت[(١)]، وتفقه بها علىٰ مذهب الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ:

وعاد إلىٰ دمشق، وصنَّف، وحدث، وانتفع به خلق كثير، وتوفي بها يوم عيد الفطر سنة عشرين وستمائة، ودفن من الغد بجبل قاسيون ـ رضي الله عنه ـ.

وكان إمامًا ثقة، قارئًا ديِّنًا، تاليًا لكتاب الله تعالىٰ، صاحب كرامات ظاهرة، وكان مفتي زمانه علىٰ المذهب الأحمدي بالشام.

ومن تصانيفه كتاب: «الانتصار في أسماء الأنصار»[(٢)]، وكتاب «التبيين في أسماء المهاجرين»[(٣)]، وكتاب «الكافي في الفقه»، معلل، وكتاب «المغني»، أيضًا في الفقه، وكتاب «المُقْنع»، وكتاب/ ١٣٠ب/ «العُمْدَة»، وكتاب «التوّابين»، وكتاب «مختصر غريب أبي عبيد القاسم بن سلام».

وله أشعار، كان ينظمها على طريقة أهل المعرفة، وذوي الأحوال، أنشدني أبو العزّ المفضل بن علي بن عبد الواحد المصري[(٤)] قال: أنشدني الشيخ الموفق لنفسه:[(٥)]

[من الطويل]

أَبَعْدَ نُزول الشَّيْبِ أَعْمُرُ مَنْزِلاً ... سوَىٰ القَبْرِ إنّي إنْ فَعَلْتُ لأَحْمَقُ! ؟

يُخَبِّرني شَيْبي بأنّي مَيِّتٌ ... وَشيكًا ويَنْعَاني إليَّ فَيَصْدُقُ

يُخَرِّقُ عُمْري كُلَّ يوم ولَيْلَةٍ ... فهَلْ مُسْتَطيعٌ رَفْوَ ما يَتَخَرَّقُ ؟

إذا سُئلوا عنّي أجابُوا وأَعْوَلوا ... وأَدْمُعُهُم يَجْرينَ هذا المُوَفَّقُ

وَشالوا سَريري ثُمَّ ساروا فأَسْرَعُوا ... ونُودي ألاّ تَعْجَلوا وتَرَفَّقُوا

وغُيِّبْتُ في صَدْعٍ مِنَ الأَرْضِ ضَيِّقٍ ... وأُودِعْتُ لحداً فوقَهُ اللّبْنُ مُطْبِقُ

---

(١) يحيى بن ثابت بن بندار بن إبراهيم الدنيوري البغدادي، أبو القاسم، محدّث وفقيه، سمع عليه كثيرون، توفي سنة ٥٦٦هـ.

ترجمته في: العبر ٤/ ١٩٤. شذرات الذهب ٤/ ٢١٨. تاريخ إربل ٢/ ١٢٠.

(٢) طبع بعنوان: «الاستبصار في أسماء الأنصار» بتحقيق عادل نويهض.

(٣) طبع بعنوان: «التبيين في أنساب القرشيين» بتحقيق محمد نايف الدليمي.

(٤) مصري المولد والنشأة، دمشقي الأصل، شافعي المذهب، فقيه محدّث مناظر، توفي سنة ٦٤٣هـ.

ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٣٩٠.

(٥) في الوافي ١٧/ ٣٩ ثمانية أبيات منها. وانظر أيضًا: البداية والنهاية ١٣/ ١٠. ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ١٤١. شذرات الذهب ٥/ ٩١.

ويحْشو عليَّ التُربَ أوْثقُ صاحبٍ ويُسْلمُني للدُّودِ مَنْ هُوَ مُشْفقُ
فيا ربِّ كُنْ لي مُؤنساً يومَ وَحْدَتي فإنِّي بما أنْزلتَهُ لَمُصَدِّقُ
مُقِرٌّ بأنِّي ذو ذُنُوبٍ كثيرةٍ أسيرُ الخَطايا بالإساءَةِ مُوثَقُ
وما ليَ سوى معروفِ ربِّي وَجُودِهِ وما ليَ إلاَّ فَضْلُهُ مُتَعَلَّقُ
/١٣١أ/ وما ضَرَّني أنِّي إلىٰ اللهِ صائرٌ ومَنْ هُوَ مِنْ أهلي أبرُّ وأرْفَقُ

وأنشدني قال: أنشدني الإمام الموفق أبو محمد لنفسه: [من الوافر]

أتَغْفُلُ يا ابنَ أحْمَدَ والمنايا سَوارعُ يَخْتَرِمْنَكَ عن قَريبِ!؟
أغَرَّكَ أنْ تَخطَّتْكَ الرَّزايا فكم للمَوْتِ من سَهْمٍ مُصيبِ؟
كُؤوسُ المَوْتِ دائرَةٌ علَيْنا وما للمَرْءِ بُدٌّ مِنْ نَصيبِ[1]
إلىٰ كم تَجْعَلُ التَّسْويفَ دأباً أما يَكْفيكَ إنْذارُ المَشيبِ؟
أما يكفيكَ أنَّكَ كلَّ حينٍ تَمُرُّ بقَبْرِ خِلٍّ أو حَبيبِ
تُسَرُّ بما أطعْتَ اللهَ فيهِ وتَحْزَنُ مِنْ مُفارَقةِ الذُّنوبِ

وأنشدني قال: أنشدني أبو محمد لنفسه: [من البسيط]

لا تَسْألِ النَّاسَ واسْألْ رازقَ النَّاسِ فاليأسُ منْهم غنًى فاسْتغْنِ باليأسِ
واسْتَرْزِقِ اللهَ ممَّا في خَزائنهِ فإنَّ ربَّكَ ذو فَضْلٍ علىٰ النَّاسِ
فليسَ للنَّاسِ أنْ يُعطوكَ خَرْدَلَةً ولا يُعيذُوكَ مِنْ فَقْرٍ وإفلاسِ

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

/١٣١ب/ حَذَفوكَ حين أرَدْتَ منْهُم شرْكةً وَقَلَوْكَ لمّا صِرْتَ صاحبَ حاجِ
وَتَنَكَّرَتْ أخلاقُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ فعْلَ البَخيلِ لِرُؤْيَةِ المُحتاجِ
لا تَطْلُبَنَّ إلىٰ لَئيمٍ حاجةً إلاَّ لكَيْ تَلقاهُ بالإزعاجِ
فلعلَّ رَوْعَتَهُ تكونُ مثُوبةً لِمُرَوِّعيهِ بِلحَّةٍ وَلَجاجِ

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه يرثي ثلاثة نفر من بعض أهله: [من البسيط]

ماتَ المُحِبُّ وماتَ العِزُّ والشَّرَفُ ثَلاثَةٌ سادَةٌ ما مِنْهُم خَلَفُ

(١) في الأصل «كؤوس الخمر» وما أثبتناه من «هامش الأصل».

مـا وَدَّعـوني غـداةَ البَيْـنِ إذْ ظَعَنُـوا ... بَـلْ أودَعُـوا قَلْبِـيَ الأحـزانَ وانصَـرَفُـوا
شَيَّعتُهُـم وَدُمـوعُ العَيْـنِ جـارِيـةٌ ... لبَيْنِهِـمْ وَفُـؤادي حَشْـوهُ أَسَـفُ
أُكفكِفُ الـدَّمْـعَ مِـنْ عيني وَيَغْلِبُنِـي ... وأُحضِـرُ الصَّبْـرَ فـي قَلْبِـي فَيَنْصَـرِفُ
فَقُلْـتُ رُدُّوا جَـوابـي أوقِفُـوا نَفَسـاً ... رِفْقـاً علـيَّ فمـا رَدُّوا ولا وَقَفُـوا
أحبـابَ قَلْبِـيَ مـا هـذا بِعَـادَتِكُـمْ ... مـا كنـتُ أعهـدُ هـذا منـكَ يـا شَـرَفُ
قـد كنـتَ تُعْظِـمُ تَبجِيْلِـي ومَنْـزِلتـي ... وكنـتَ بَـرّاً شَفيقـاً فـوقَ مـا أصِـفُ
وكنـتَ عَـوْنـاً لنـا فـي كـلِّ حـادثَـةٍ ... تَظَـلُّ أحشـاؤنـا مـنْ هَمِّهـا تَجِـفُ
وكـانَ جُـودُكَ مَبْـذُولاً لطـالبِـهِ ... جُنْـحَ اللَّيـالـي إذا مـا أظْلَـمَ السَّـدَفُ
/ ١٣٢أ/ وكنتَ عَـونـاً لمسْكيـن وأرمَلَـةٍ ... وطـالـبِ حـاجَـةً قـد جـاءَ يَلْتهِـفُ
وللْغَـريـبِ الـذي قـد مَضَّـهُ سغَـبٌ ... وللْمَـريـضِ الـذي قـد شَفَّـه الـدَّنَـفُ
وكَنـتَ تَقْضِـي حُقـوقَ النَّـاس كلهـم ... مَـنْ قـد عَـرَفْـتَ وَممَّـن لسـتَ تَعْتَـرِفُ
وكـم فَقَـدْنـا بمَـوت العـزِّ مَنْقَبـةً ... فيهـا لَهُـمْ غُـرَفٌ مـنْ فَـوْقِهـا غُـرَفُ
فيهـا مـع الحُـورِ والـولْـدانِ تَحْسَبُهُـم ... لآلئـاً شُـقَّ عَـنْ أنـوارِهـا صَـدَفُ

وله، وذكر أن البيت الثالث يظنه أنه لابن سناء الملك[١]: [من الطويل]

خَليلَـيَّ عُـوجـا بـارَكَ اللهُ فيكُمـا ... علـى مَنْـزِل بيْـنَ المغـارة والكَهْـفِ
وَمَـنْ دَيْـرِ مـرَّانٍ ودار بـن واصِـلِ ... إلـى جَبَـلِ الصُّـوّانِ أو بـرْكَـة الجُـرْفِ[٢]
مَحَـلٌ تَـرَى دَمْعِـي إذا مـا ذَكَـرْتُـهُ ... لِفَـرْطِ اشْتيـاقِـي نَحْـوَهُ دائـمَ الـوَكْـفِ
غَـدَا الـدِّيـنُ والإسـلامُ غَضّـاً كـأنَّـهُ ... علـى زَمَـنِ الفـارُوق أو كـاتـبِ الصُّحـفِ
بـهِ سُـرِّحَ الإسـلامُ عِلْمـاً وسُنَّـةً ... ودينـاً ومَعْـروفـاً ورِدّاً إلَـى العُـرْفِ

وله وهي المسألة الأكدرية: [من البسيط]

مـاذا تَقـولـونَ فـي ميـراثِ أربعَـةٍ ... أصـابَ أكبـرُهُـم جـزءاً مـنَ المـالِ
ونِصْـفُ ذلـك للثَّـانِـي وَنِصْفُهُمـا ... لثـالـثِ تَـربِ للْخَيْـرِ فَعَّـالِ

---

(١) لم يرد في ديوانه.
(٢) دير مران: بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران. انظر: معجم البلدان/ مادة (دير مران).

/ ١٣٢ب/ وَنصفُ ذلكَ مَجموعًا لِرابعِهِمْ ... فأخبروني فهذا جُمْلَةُ الحَالِ

وقال وهي أيضًا مسألة: [من الرجز]

ماذا يقول السَّادَةُ الأفاضلْ ... في أربع من نسوة حَواملْ
تَقُولُ إحداهُنَّ إنِّي إنْ أَلِدْ ... بنْتًا فما لِيَ ولها مِنْ حاصِلْ
وإنْ وَلَدتُ ٱبنًا وَرِثنا ثُلُثًا ... في قول كلِّ عالِمٍ وقائِلْ
وقالتِ الأُخرىٰ أنا بعكسِها ... إنْ جئتُ بابنٍ لم نَفُزْ بطائِلْ
وإنْ ألِدْ بنْتًا وَرِثْتُ مَعَهَا ... يَرُوحُ ثُلثانًا بسُدْسٍ عائِلْ
وجاءَتِ الأخرىٰ بقَوْلٍ ثالِثٍ ... يَعْلَمُه العالِمُ بالمَسائِلْ
إنْ تَكُ لي بِنتٌ وَرِثتُ دونَها ... والابن يحوي الكلَّ بالدَّلائِلْ

وله جوابها: [من الرجز]

أمّا الّتي قالَت وَرِثنا ثُلُثًا ... فابنةُ ٱبنٍ ذاتُ عَقْلٍ كامِلْ
وزَوْجُها ابنُ عَمِّها وَجَدُّها ... قد ماتَ عن بنْتَين بالأصائِلْ
وإنْ تَمُتْ جَدَّتُها أمْ جَدُّها ... عنها وعن زَوْجٍ شَريفٍ فاضِلْ
وخَلَّفَتْ بنْتًا وأُمًّا وأبًا ... فهذه ثانِيَةُ المَسائِلْ
وٱبنُ ٱبنِها قد كانَ قَبْلَ مَوْتِه ... ومَوْتِها زَوْجًا لهذي الحامِلْ
/ ١٣٣أ/ وإنْ تكن مُعْتَقَةً تَزَوَّجَتْ ... أخًا لِمَولاها بمَهْرٍ عاجِلْ
وماتَ مَولاها وكانَتْ حامِلًا ... فإنَّها آخِرُ قَولِ السَّائِلْ

وقال في منازل القمر: [من الطويل]

فنَطْحٌ وبَطْنٌ والثُّرَيّا ومِجْدَحٌ ... وهَقْعٌ وهَنْعٌ والذِّراعُ ونَثْرُه
وطَرفٌ مُحيطٌ والحَرَانُ وصَرْفُه ... وعَوّاءُ يَتلوها السِّماكُ وغُفْرُه
زَبانَىٰ وإكليلٌ وقَلْبٌ وشَوْلَةٌ ... نَعائِمُ بُلْدانٌ وَسَعْدٌ وَنَحْرُه
وسَعْدٌ وَسَعْدٌ ثُمَّ سَعْدٌ وفُرْغُه ... وَفُرْغٌ وحوتٌ ناضِبٌ عنه بَحْرُه

وله أيضًا فيها: [من الطويل]

فَللنطْحِ غُفْرٌ والزَّبانىٰ لبَطْنِه ... وللنَّجمِ إكليلٌ وللقَلْبِ مِجْدَحُ
ولِلْهَقْعِ شَوْلٌ والنَّعائِمِ هَنْعَةٌ ... ذراعُ بِلادٍ نَثْرُه السَّعْدُ يَذْبَحُ

وللطَّـرف سَعْـدٌ ثـمَّ سَعْـدٌ لجبْهـة وللـزبـر سَعْـدٌ صَـرْفُـه الفُـرْغُ تَفْتَـحُ
وآخَـرُ للعَـوّاء والحـوتُ سـامـكٌ فَـدونكَهـا إنْ كنـتَ بـالفَهْـم تَسْمَـحُ

وله في معرفة ما يتوسط من المنازل وقت الصبح في كل شهر: [من الطويل]

لغُـرَّة آب يُصْبِـحُ النَّطْـحُ واسطـاً وسـابـعُ عَشْـر للبَطيـن التَّـوسُّـطُ
/ ١٣٣ب/ وفـي سَلْخـه تَعلـو الثُّريـا بوَسْطـه ومجْـدَحُ فـي نصْـف لأيلـول يَسْقـطُ
وَفـي عَشْـره الثَّـانـي الـذِّراعُ وَبَعْـدَهـا إلَـى السَّبْـعِ فـي الثَّـانـي لنثرة مهبـط
وَفـي سَلْخـه للهقْعَـة الـوَسـط مَنْـزِلٌ وَفـي عَشْـر تَشـريـنَ لهَنْعَـةَ مَسْقَـطُ
وفَـي نصْفـه طَـرْفٌ وَتُصْبـحَ جَبْهَـةٌ لخَمْـس وعشـريـن خَلَـتْ تَتَـوسَّـطُ
وزَبْـرَةُ فـي خَمْـس لكـانُـونَ تَـرْتقـي وَفـي النِّصْـف منْـه صَـرْفَـةٌ تَتَمعَّـطُ
وفـي سَلْخـه العَـوَّاء ثُـمَّ سمـاكُهـا إذا العَشْـرُ فـي الثَّـانـي خَلَـتْ تَتَبَّـطُ
وَلَلْغُفْـر فَـي العشْـريـنَ منْـهُ تَـوسُّـطٌ وَيـأتـي الـزَّبـانَـى سَلْخَـه يَتَمطَّـطُ
وثَـالِـثُ عَشْـر مـن شبـاط مَحلُّـهُ لأكليـل فـي وَسْـط السَّمـاء وَمَهْبـطُ
وللقَلْـب مـنْ عشْـريـنَ منْـهُ تَـوسُّـطٌ وفـي العَشْـر مـن آذارَ شَـولَـةُ أوْسَـطُ
وَفـي العَشْـر مـنْ نَيْسـانَ تَـأتـي نَعـائـمُ وَبلْـدَةُ فـي العَشْـريـنَ منْـهُ تَـوسَّـطُ
وفـي خَمْـس أيّـار تَـوسُّـطُ ذابـحِ وتـاسـعُ عَشْـر سَعْـدُه المُتَـوسِّـطُ
حَـزيـرانُ فـي خَمْـس تَـوَسُّـطُ سَعْـده وفـي نصْفـه السَّعْـدُ الأخيـرُ المُـوَسَّـط
وغُـرَّةُ تَمّـوزٌ لفَـرْغ وَنصفُـه لفَـرْغ يَسُـحُّ المـاءُ إن كُنـتَ تَضبـطُ
وفـي خـامـس العشْـريـنَ للحُـوت مَسْبَـحٌ ألا إنَّ حفْـظَ العلْـم للـدِّيـن أحْـوَطُ

وأنشد عبد الكريم بن منصور الباوشناوي[(١)] / ١٣٤أ/ قال: أنشدني أبو محمد لنفسه: [من الرجز]

إصْبـرْ مـنَ الـدَّهْـر علـى ضـرَاره مـا الـدَّهْـرُ لـلإنسـان بـاْختيـاره
لأبُـدَّ مـنْ تَجَـرُّعِ المكَـاره وإنْ صَحبْـتَ صَـاحبَـاً فَـدَاره

(١) الأثري الموصلي (٥٨٣ ـ ٦٥١هـ)، سمع ببغداد والشام، كان من أهل الخير والورع والصلاح.
والباوشناوي: نسبة إلى باوشنايا قرية من أعمال الموصل.
ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٤٤٧.

ولا تُشَاققهُ ولا تُماره   وإنْ رأيت سيِّئاً فَواره

وأنشدني قال: أنشدني أبو محمد لنفسه[١]: [من المجتث]

طَلَبتُ مِنْكَ سِواكا   وما أرَدْتُ سِواكا
وما أردتُ أرَاكا   لكِن أرَدتُ أراكا

[٢٤١]

عَبْدُ اللهِ بنُ الحُسَيْنِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الحُسَيْنِ، أَبُو البقاءِ النَّحْوِيُّ[٢]:

الأديب، الفقيه، الحنبلي، المصنف، الحاسب، البغدادي المولد والمنشأ، العُكْبَرِيّ الأصل.

كانت ولادته ببغداد في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، وتوفي بها ليلة الأحد، ثامن ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة، ودفن غربيّها، بباب حرب[٣] ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

أخذ النحو عن شيخه أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن الخشاب النحوي[٤]،

---

(١) البيتان في مجمع الآداب ٥/ ٦١٥.

(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٧/ ١٣٩ ـ ١٤٢. وفيه: «محب الدين، أبو البقاء العُكْبَري البغدادي الأَزَجي الضرير، النحوي الفَرَضي الحنبلي». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠). إنباه الرواة ٢/ ١١٦ ـ ١١٨ رقم ٣٢٥. التكملة للمنذري ٢/ ٤٦١ رقم ١٦٦٢، وفيه: «عبد الله بن الحسن بن عبد الله». ذيل الروضتين ١١٩ ـ ١٢٠. وفيات الأعيان ٣/ ١٠٠ ـ ١٠٢ رقم ٣٤٩. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٩١ رقم ٦٤. المختصر المحتاج إليه ٢/ ١٤٠ ـ ١٤٢ رقم ٧٧٠. نكت الهميان ١٧٨ ـ ١٨٠. مرآة الجنان ٤/ ٣٢ ـ ٣٣. البداية والنهاية ١٣/ ٨٥. الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ١٠٩ ـ ١٢٠ رقم ٢٦٠. بغية الوعاة ٢/ ٣٧ ـ ٤٠ رقم ١٣٧٥. كشف الظنون ٢/ ١٦٩٥. شذرات الذهب ٥/ ٦٧ ـ ٦٩. ابن الوردي ٢/ ١٣٨. مجمع الآداب ٥/ ١٧ رقم ٤٥٣٨. مختصر تأريخ ابن النجار ص١٤١.

(٣) باب حرب: محلة كبيرة مشهورة ببغداد، تنسب إليه المقبرة التي فيها أحمد بن حنبل، وبشر الحافي، ومنصور بن عمّار وغيرهم. وحرب بن عبد البلخي هو أحد قوّاد أبي جعفر المنصور. انظر: معجم البلدان/ مادة (باب حرب).

(٤) أبو محمد النحوي، كان أعلم أهل زمانه بالنحو، من أهل بغداد مولداً ووفاةً. توفي سنة ٥٦٧هـ.
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٢٦٧. بغية الوعاة ٢/ ٢٩ ـ ٣١ رقم ١٣٥٣. معجم الأدباء ٤/ ٢٨٦. إنباه الرواة ٢/ ٩٩. ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٣١٦. الأعلام ٤/ ٦٧.

/ ١٣٤ب/ وعليه كان يعتمد في علم النحو، وكان إمامًا في الفقه فرضيًا حاسبًا قارئًا شيخ وقته في علم الأدب واللغة والإعراب لفنون من العلوم. وله من التصانيف الأدبية شيء كثير ما شهد بفضله منها: كتاب «المصباح في شرح الإيضاح» لأبي علي الفارسي النحوي، وكتاب «المتبع في شرح اللمع» لأبي الفتح بن جنّي النحوي، وكتاب «التلقين» في النحو، وكتاب «اللباب في علل البناء والإعراب»، وكتاب «البيان في إعراب القرآن»، وكتاب «المنثور المعلم» وهو ترتيب إصلاح المنطق على حروف المعجم، وكتاب «إعراب الشواذّ»، وكتاب «متشابه القرآن» في الجدل، وكتاب «الناهض في الفرائض»، وكتاب «بلغة الرائض في الفرائض»، وكتاب «التلخيص في الفرائض»، وكتاب «الاستيعاب لأنواع / ١٣٥أ/ الحساب»، و«مقدمة في الحساب»، و«شرح الحماسة»، و«شرح الفقه»، و«شرح سيبويه» و«إعراب الحماسة». [و] «الإفصاح عن معاني أبيات الإيضاح» شرح أبيات سيبويه على حروف المعجم، و«تلخيص كتاب الشعر لأبي علي الفارسي»، «الترصيف في التصريف»، كتاب «المحصل في إيضاح المفصَّل»، «نزهة الطرف في إيضاح قانون الطرف»، «الإشارة في النحو»، «التلخيص في النحو»، «تهذيب اللسان» شرح بعض قصائد رؤبة وبه مسائل الخلاف في النحو، «العروض» معلل، «تلخيص التنبيه في إعراب الحماسة» لابن جنّي، كتاب «العروض»، كتاب «القوافي»، كتاب «المرام في نهاية الأحكام»، «شرح البداية» لم يتمّه، «المنتخب من المحتسب» لابن جنّي، «شرح الخطب النباتية»، «تفسير القرآن»، «عدد آي القرآن». / ١٣٥ب/ وكتاب «الجدل»، وكتاب «شرح ديوان أبي الطيب المتنبي»، وكتاب «في الجبر والمقابلة»، وهو مقدمة، و«شرح المقامات الحريرية» شرحًا مختصراً، وإلىٰ غير ذلك من المشروحات والمؤلفات.

وكان قليل الإلمام بقول الشعر، أنشدني أبو الحسن علي بن عدلان بن حماد النحوي الموصلي[(١)]، قال: أنشدنا شيخنا أبو البقاء عبد الله بن الحسين النحوي

---

(١) النحوي المترجم، فاضل انفرد بمعرفة الألغاز، وكان من أذكياء العالم، ولد بالموصل سنة ٥٨٣هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٦٦هـ، له أخبار مع علماء عصره، وله نظم.
ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٩٢. بغية الوعاة ٢/ ١٧٩. الأعلام ٤/ ٣١٢.

لنفسه، وكتبه إلى الوزير نصر الدين أبي منصور ناصر بن مهدي العلوي[(١)]، وكان حينئذ وزير الإمام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد ـ رضي الله عنه[(٢)] ـ:

[من الخفيف]

بِكَ أَضْحَى جِيدُ الزَّمَانِ مُحَلَّى   بَعْدَ أَنْ كَانَ مِنْ حُلاهُ مُخَلَّى
لا يُجَارِيكَ فِي نِجَارَيْكَ خَلْقٌ   أَنْتَ أَعْلَى قَدْراً وأَعْلَى مَحَلّاً
دُمْتَ تُحْيِي مَا قَدْ أُمِيتَ مِنَ الفَضْـ   ـلِ وتَنْفِي فَقْراً وَتَطْرُدُ مَحْلا

وكتب إليه بعض الفضلاء هذه الأبيات، وسأله الجواب عنها وهي:

[من مخلع البسيط]

/١٣٦أ/ مَرَّ بنا شَادِنٌ فَقُلْنَا   ما الاسْمُ يا أيُّها الغَزالُ؟
فَقَالَ ثُلْثُ ثمانِ عَشْر   تُضْرَبُ في مِثْلِ ما يُقالُ
تَجْعَلُ آحادَها حِسَاباً   ويَجْبُرُ النَّاقِصَ الكَمالُ
فَبَيِّنُوه فَمِثْلُ هَذا   يَعْجِزُ عَنْ كَشْفِهِ الرِّجالُ

فأجابه أبو البقاء: [من مخلع البسيط]

يا حاسِباً مالَهُ مِثالُ   عَوَّضْتَ واسْتَعْجَمَ السُّؤالُ
إنِّي أرَى ما سَأَلْتَ عنهُ   مُبَيَّناً ما بِهِ اعْتِلالُ
الاسْمُ عِيسَى بِمُقْتَضَى ما   ذَكَرْتَ فَلْيُفْهَمِ المَقالُ
تِسْعِينَ فَاعْدُدْ حُروفَ عِيسَى   مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ والكَمالُ
هَذا جَوابٌ لَهُ اتِّجاهٌ   وغَيْرُ هَذا لَهُ مُحالُ

---

(١) ناصر بن مهدي بن حمزة العلوي المازندراني الرازي، نصير الدين، أبو الحسن (ت ٦١٧هـ)، وزير، من الأفاضل ذوي الرأي، من بيت كبير في الري.
ترجمته في: الكامل في التأريخ ١٢/ ٤٨، ١٠٧، ١٠٨، ١٥٤. الأعلام ٧/ ٣٥٠.
(٢) الأبيات في الوافي ١٧/ ١٤٢. وفيات الأعيان ٣/ ١٠١. نكت الهميان ١٧٩ برواية مخالفة.

[٢٤٢]
عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أحمد بنِ عليٍّ، أبو مُحَمَّد العَلَويُّ الحَسَنيُّ.

وقد مرَّ نسبه مستوعبًا عند ذكر ابنه أحمد(١)، كانت ولادته بكزبرا من نواحي الموصل، رأيت من أشعاره عدة قصائد بخطه.

/١٣٦ب/ أنشدني ولده أبو عبد الله الحسين قال: أنشدني [والدي] ابتداء كلمة لنفسه: [من الكامل]

خَلِّ ٱدِّكارَ مَعاهدٍ ومَغاني ... وَبناتِ كَرْمٍ عُتِّقَتْ بدنانِ
ومُدَبَّجٍ مِنْ رَوْضَةٍ سَحَّ ٱلحَيا ... فَسَقاهُ بَعْدَ النِّصْفِ مِنْ نَيسانَ
فَتَفَتَّحَتْ أَزهارُهُ وتَكامَلَتْ ... أنوارُه وطَوافَحُ الغُدرانَ
ومُعَدِّداتٌ في الغُصونِ يُميلُها ... نَفَسُ الصَّباحِ إِمالَةَ النَّشْوانَ
تُنْسيكَ أَصواتَ الحُداةِ ومَعْبَداً ... وغِناهُ مَعْ إسحقَ ٱلْهَمْذانيَ
ومُهَفْهَفٍ حُلْوِ الشَّمائِلِ مُتْرَفٍ ... يَسْبي بِطُرَّتِهِ فُؤادَ العانيَ
يُعْطي ويَمْنَعُ بَلْ يُميتُ ومِثْلُهُ ... يُرْدي الصَّحيحَ بأَسْهُمِ الأجفانِ
ومَزاهِرٍ تُشجي وقَدْ عَبَثَتْ بها ... لِمَدارِ كاساتٍ بَنانُ أَغانيَ
ومُدامَةٍ ذَهَبيَّةٍ مِن مِثْلِها ... سُكِبَتْ إِلى كأْسٍ مِنَ العقيانِ
شَبَّتْ وشابَتْ ثُمَّ شيبَتْ مَرَّةً ... ماءً فأَحيَتْ أَنْفُسَ الشُّبَّانَ
وإِذا حَسا مِنْها ٱلوَقورُ ثَلاثَةً ... نَبَذَ ٱلوَقارَ وباحَ بالكِتْمانَ
وخُذِ السَّبيلَ عَنِ ٱلعَقيلَةِ بِٱلحِمى ... وَذَرِ ٱلمَها وجآذِرَ الغِزْلانِ

[٢٤٣]
عبدُ الله بنُ أحمدَ بن عَليٍّ بن عبد الله /١٣٧أ/ بن الحُسَين بن عَليِّ بنَ مُحَمَّد بن يَعقوبَ بنَ الحُسَينَ بنِ عبد الله المأمونَ بنَ الرَّشيدِ هارونَ بنِ المَهْديِّ مُحَمَّدِ بنِ المنصورِ

---

(١) ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ٧٦.

عبد الله بن مُحَمَّد بن عَليٍّ بن عبد الله بن العَبَّاس بن عبد المُطَّلِب، القَاضي أبو مُحَمَّد بنُ أَبي العَبَّاسِ البَغْداديُّ:

كان والده قاضيًا بأعلىٰ دُجَيْل[١]، وكان من أئمة المسلمين، وعلماء الإسلام، وابنه هذا كان مولده سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وتوفي في المحرم سنة عشرين وستمائة.

بالغ والده في تخريجه، وتعليمه، وتهذيبه، وأحضره مجالس علماء ذلك الزمان، وحفظ القرآن الكريم، وقرأ للعشرة أجمع علىٰ الشيخ أبي الحسن علي بن المرحب البطائحي[٢] الضرير، وكتب الخط المليح، وتردد إلىٰ مشايخ ذلك الوقت، لقراءة علم العربية والنحو والأحاديث، منهم أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن الخشاب النحوي، وأبو محمد إسماعيل بن موهوب بن الخضر بن محمد بن الجواليقي، وأبو الفضل أحمد بن شافع[٣]، وجماعة سواهم، من أعيان هذا العلم، والمحدثين، وقرأ كتبًا كثيرة أدبية وشعرية، ولقي مشيخة كثيرة.

وكان متيقظًا / ١٣٧ب/ عارفًا، ذا فهم وفطنة، ومن شعره ما كتبه إلىٰ زعيم الدين[٤] صاحب المخزن، يتشفع له إلى أبي المعالي أحمد بن عبد الغني بن محمد بن حنيفة الباجسري، ليقرأ عليه كتاب الجمهرة لأبي بكر محمد ابن الحسن بن دريد

---

(١) بلدة تقع بين تكريت وبغداد، دون سامراء على نهر مخرجه من أعلى بغداد. انظر: معجم البلدان/ مادة (دجيل).

(٢) هو علي بن عساكر بن المرحب البطائحي (٤٨٩ ـ ٥٧٢هـ) شيخ القرّاء، حفظ القرآن بالقراءآت وأقرأه للناس، أوقف كتبه على مدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني.
ترجمته في: الكامل في التأريخ ٩/ ٢٨٨. المنتظم ١٠/ ٢٦٧. نكت الهميان ص٢١٤.

(٣) أحمد بن صالح بن شافع الجيلي البغدادي: (٥٢٠ ـ ٥٦٥هـ) مؤرخ من فضلاء بغداد.
ترجمته في: المختصر المحتاج إليه ١/ ١٨٣. الكامل لابن الأثير ٩/ ٢٣٦. المنتظم ١٠/ ٢٣٠. مرآة الجنان ٣/ ٣٧٨. الأعلام ١/ ١٣٧.

(٤) زعيم الدين، يحيى بن جعفر (أو ابن عبد الله) بن محمد بن المعمر، أبو الفضل، من أعيان الدولة العباسية، كان صاحب المخزن للخلفاء، المقتفي، والمستنجد، والمستضيء، وحج بالناس عدة سنين، وناب في الوزارة، توفي ببغداد سنة ٥٧٠هـ.
ترجمته في: الكامل لابن الأثير ١١/ ١٦١. النجوم الزاهرة ٦/ ٧٤. المنتظم ١٠/ ٢٥٦. مرآة الزمان ٨/ ٣٣١. الأعلام ٨/ ١٤٠.

الأزدي، وكان ابن حنيفة قد تفرد بروايتها، وأحد من بقي من رواتها: [من الوافر]

قَصَدتُ فناكَ فاشفَعْ لي بقَولٍ ... إلى ابن حنيفة إنْ كان خاما
فأنْعِمْ لي لتحظَ بشُكْرِ عَبْدٍ ... وَليٍّ ما يَزالُ وُقيتَ ذاما

فوعده بنجاز ذلك، فتمادى الأمر لكثرة مهامّه، فعاوده التذكار بأبيات منها:

[من البسيط]

أهُزُّ عطفَكَ لا آلو لتُنْجِزَ لي ... وَعْداً تبيَّنتُ أنَّ النّجح في خَلَلِه
فأنْعِم وَجُدْ وَتَقَدَّمْ واقْضِ وامضِ ومُرْ ... فالعَبْدُ مُنْتَظِرٌ ما راحَ في أمَلِه
وذَا الكتابُ فَهذا الشَّيخُ مُنْفَرِدٌ ... بهِ وليس سِواهُ اليومَ في شُغُلِه

فأحسن الوعد، وتمادت الحال أياماً، وراسل ابن حنيفة في ذلك فماطل فكتب أبياتاً في ذلك منها: [من الطويل]

/١٣٨أ/ تَقَدَّمتَ لي طولاً بحُسْنِ شَفاعَة ... وأوليْتَني نعمى تجلُّ وتَعْظُمُ
فَخَفَّضَ فيها مَنْ أشَرتَ بقَصْدِه ... وقد وَهَنَ الأمْرُ الذي ليس يُبرَمُ
فَعَزِّزْ بأُخرى يا كريماً وماجِداً ... فمثْلُكَ يا مولايَ في الخَيرِ يُقْدِمُ
وليسَ سوى أنْ يَحْضُرَ ابنُ حَنيفَة ... فيُؤمَرُ جَزْماً فالمُطاعُ التَّقَدُّمُ
فَلُهْنَةُ عُمْرِ الشَّيخِ فُرْصَةُ مَغْنَمي ... يبادرُها الشّادي الحَصيفُ المحزَّمُ[1]
فَأنْعِمْ وَحَقِّقْ في الشَّفاعَةِ مَوْعِدي ... فإنِّي بحُبِّ العِلْمِ صَبٌّ مُتَيَّمُ

ودافع ابن حنيفة، وتعلل بأسباب وأحوال، واعتذر عن التصدي لقراءة الكتاب، وقال في جملة قوله: إنَّ أرتق بن سليمان قد قرر قراءة الكتاب عليه في داره، فيكون معه، فعرض بأبيات منها: [من المتقارب]

دفاعُ الحَنيفيِّ يَرْجُو بِهِ ... سُكوتيَ عن نَوبَة الجَمْهَرَه
ولستُ ونُعْماكَ يا ماجِداً ... أنكَبُ عن ذاكَ أو يَقْدرَه
فأنَّى وكيفَ ومَنْ أيْنَ لي ... سِواكَ يُيَسِّرُ ما عَسَّرَه ؟
ونْ تُعْطِ وَعْداً فَلا تَسْمَعَنْ ... فَأقوالُه كلُّها مُقْصَرَه

(١) اللهنة: ما تهدي للرجل إذا قدم من سفر.

/ ١٣٨ب/ وكـلُّ مـواعيـده هكـذا بخـطٍّ ولكـنْ بـلا مسْطَـرَه
لَئِـنْ كـان يَـرْغَـبُ فـي دِرْهَمـي فَـوالله مـا لـي سـوَى المحبَـرَه
. . . . قـد بـراهـا الشِّتـاءُ وهـذي الخُمَيْسِيَـةُ المُـدْبِـرَه[1]
وقُـرْصٌ . . . . فَمِـن أيـن لـي وأُدْمٌ فهيهـات أنْ أُبصِـرَه

فعاود ابن حنيفة في ذلك، وهو مصر علىٰ الاعتذار، طال الزمان في الترداد، فأذكره بأبيات منها: [من البسيط]

قـد حـانَ للْعَبْـد أن يُـدْعَـىٰ بمـا وَعَـدا وَمَـنْ يَفُـزْ بفعـال الحُـرِّ قـد سعـدا
مَـولايَ طـالَ خِطـابـي والـزَّمـانُ عَـدا والشَّيْـخُ مُغْتَنِـمٌ مـا فـي المَنُـون غَـدَا

فجلس الزعيم في مجلسه، واستدعى ابن حنيفة، وجزم عليه، ورتب الأديبين أبا العز محمد بن مواهب بن الخراساني[2]، وكان من كبار الأدباء العلماء في العربية والنحو والأشعار، وعلت سنّه فيه، ولقي مشيخة كثيرة وتفرّد في فنّه ومصنفاته، ومهذب الدين أبا الحسن علي بن عبد الرحيم / ١٣٩أ/ بن الحسن بن عبد الملك بن إبراهيم السلمي البغدادي المعروف بابن العصّار اللغوي[3]، وكان من أئمّة اللغويين والأدباء، ورؤسائهم وثقاتهم، وكانا يقابلان مع عبد الله بن أحمد القاضي كتاب الجمهرة، فَبيد أبن الخراساني أصل ابي منصور الجواليقي، وبيَد ابن العصار أصله، وبخطه الذي عارض به أصل ابن خروف، وكانت نسخ أخر بيد مَن يحضر القراءة من الأدباء، واستقرأه زعيم الدين الجزء الأول بين يديه، فعجب من قراءته، وفهمه، وفطنته، ومعرفته بالكتاب، فحينئذ أمره بقراءته.

---

(١) الخميسية: لباس من الصفوف الغليظ المنسوج يعرفه أهل الموصل، وكانوا يتخذونه في الشتاء قصيراً بلا أكمام.

(٢) البغدادي (٤٩٤ ـ ٥٧٦هـ)، صاحب «العروض» و«النوادر المنسوبة إلى حدّة الخاطر».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ١/ ١٥٠ ـ ١٥١ رقم ٦٥. بغية الوعاة ١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ رقم ٤٢٩. المختصر المحتاج إليه ١١٩. لسان الميزان ٥/ ٣٧٠. فوات الوفيات ٢/ ٤٥.

(٣) ابن العصّار (٥٠٨ ـ ٥٧٦هـ) تعلم ببغداد وأخذ عن ابن الجواليقي، وكتب الكثير، وانتهت إليه الرئاسة في اللغة.
ترجمته في: شذرات الذهب ٤/ ٢٥٧. المشتبه ٣٦٥.

وكان قليلاً ما يفتقر إلى تسديد وتثقيف لما فيه من الهمة واليقظة، وكان يقرأ في كلّ مجلس جزءاً قوامه عشرون قائمة، في كل صفحة سبعة وعشرون سطراً وكل سطر لا يخلو من عشرين كلمة، يهذّ ذلك هذّاً فإذا أتاه ما يشكل عليه معناه وإعرابه ولفظه، توقف، وتفهم، وحشاه علىٰ هامش الكتاب، بخط ابن العصار، وأثبته بخطه في ورقة.

وكان في كل يوم علىٰ الدوام مستمراً علىٰ القراءة، فانقطع يومًا لغيث هطل، فأرسل الزعيم بالاستيحاش له، فلما جاء من الغد، كتب إليه بديهًا: [من المتقارب]

/ ١٣٩ب/ لسَيْلِ الغُيوث وَدَرِّ السُّحُبْ ... قَطَعْتُ المَجيءَ اْعتمادَ الأَدَبْ

وبَكَّرتُ يوماً لما قد وَجَبْ ... وأَخَّرتُ ذلكَ في أَمْسنا

فأحضر [عبد الله] وقرأ، ولم يزل على ذلك حتى دخل شهر الصيام، واستوعبت بطالته من القراءة عشرة أيام، وابن حنيفة لا يحضر، وإذا روسل بأعوان زعيم الدين، يعتذر، فحضر عبد الله عند الزعيم، وأنشده أبياتًا علىٰ سبيل الدعابة، منها:

[من المتقارب]

تَقَارَبَ مِنْ شَهْرِنا نصْفُه ... وابنُ حَنيفَةَ ما يَحْضُرُ

وفي كلِّ يوم يَصُدُّ الغُلامَ ... ويُعْرِضُ عَنْه ويَسْتَعْذِرُ

يَقولُ كبيرٌ وهذا الصِّيامُ ... فَلاَ يَدَ فيه لِمَنْ يُفْطِرُ

وَثَمَّةَ لَحْمٌ فَمن أينَ لي ... فَحَيْلي إذا لم يكُنْ، مُدْبِرُ

فدَبَّرَهُ العَبْدُ في أَمْرِه ... بأشياءَ فيها اَلذي يُؤْثِرُ

يكونُ نَزيلي فإنِّي بِه ... عَنِ اَلخَلِّ واَلبَقْلِ ما أُقْصِرُ

وعنديَ قُضبانُ في خَلِّه ... غَريقٌ كثيرٌ ومُسْتَعْزِرُ

وإنْ شاءَ رَيْحانَ اَخلقْ بِه ... يُضاهيه في طَعْمه السكَّرُ

وإنْ شاءَ كامَخَنا بِاَلكُشوكَ ... وإنْ شَا فكامَخُنا الأَحْمَرُ

/ ١٤٠أ/ وفي هُرطُمانٍ لَنا رَونَقٌ ... ومَاشٌ وَسِلْقٌ لَنا أَخْضَرُ

كان زعيم الدين، شريف النفس، هشًّا إلى المكارم.

[٢٤٤]

عبدُ الله بنُ مُوسىٰ بنِ عبد الله، أبو مُحَمَّدٍ الشَّاطبيُّ البُونْتيُّ.

وبُونْتُ حصن شرقي شاطبة[١].

كان شاعراً، متأدبًا، حافظًا للقرآن الكريم، فقيهًا على مذهب الإمام مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ، وله شعر مليح.

أنشدني أبو محمد عبد الله بن موسى البونتي لنفسه، في أبي الحسن علي بن حريق الشاعر يمدحه: [من الخفيف]

مـا حَبيـبٌ أو الـوليـدُ إذا مـا ... صُغتَ من جوهر القريض نظاما[٢]

لـم نَخَـلْ فـي الأنـام قَبْلَـكَ شَخْصـاً ... فكْـرُهُ بـالنُّهـىٰ يَصُـوبُ غَمـامـا

إنَّمـا أنـتَ فـي البَـلاغَـة فَـذٌّ ... وأَرَىٰ مَـنْ سـواكَ فيهـا سَـوامـا

لَـكَ فـي الكيميـاء سـرٌّ عَجيـبٌ ... فُـتَّ فيـه الْـوَرَى فَصـرتَ إمـامـا

تَنْفُـثُ القَـولَ مِـن جَنَـانِـكَ سِحْـراً ... يَسْتَفِـزُّ الحَجَـىٰ فَيُـدْعَـىٰ كَـلامـا

[٢٤٥]

عبدُ الله بنُ مَسْلَمَةَ بنِ عبد الله /١٤٠ب/ أبو مُحَمَّدٍ الشَّاطبيُّ:

كان من أعيان أهل شاطبة وفضلائها المشتهرين بالفضل والآداب، شاعراً فقيهًا، مترسلاً.

أنشدني عبد الله بن مسلمة لنفسه، في عامل جائر، له ولد جميل حسن الصورة:

[من المتقارب]

غَـدا جَـوْرُ مُـوسـىٰ وجَـوْرُ ٱبنـه ... علـىٰ كـلِّ خَلْـقٍ بَـدا أو حَضَـرْ

فهـذا يَجُـورُ بِسُمْـرِ اليَـرَاعِ ... وهـذا يَجُـورُ بِبِيْـضِ الحَـوَرْ

---

(١) شاطبة: مدينة في شرقي قرطبة، من شرقي الأندلس. انظر: معجم البلدان/ مادة (البونت) و(شاطبة).

(٢) حبيب: حبيب بن أوس الطائي، أبو تمّام الشاعر.
الوليد: ابن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري الشاعر.

وأنشدني لنفسه(١): [من الخفيف]

أَشْبَهَتْ وَجْهَكَ الغَزالةُ حُسْنًا ... وَحَكاكَ الغَزالُ طَرفًا ولينا
ووليتَ ٱلجمالَ مُلْكًا عظيمًا ... فَتَوَلَّيْتَ مُعْرِضًا إذ وَلِينا

[٢٤٦]

عبْدُ الله بنُ أحمدَ بن عَليٍّ، أبو مُحَمَّدٍ الإسعرديُّ الرُّبَعيُّ، المعروفُ بابنِ زَهْراءَ:

وهي أمّه، لا يعرفه الناس إلاّ بها.

كان شاعراً ماجنًا، ظريفًا، قيِّمًا بعلم النحو واللغة، مجيداً في الشعر، ذا بديهة في النظم جيّدة، وكان متصلاً بالملك الصالح أبي الفتح محمود بن / ١٤١أ/ محمد بن قَرَا أرسلان بن أرتق، صاحب آمد، وبعده لولده الملك المسعود مودود.

أنشدني الخطيب أبو النجاة ذو النون بن أحمد بن محمد بن فضلان المعدني ـ من معدن خلاط ـ قال: أنشدني عبد الله بن أحمد بن زهراء لنفسه يمدح الملك الصالح ناصر الدين أبا الفتح محمود صاحب آمد من قصيدة أولها: [من البسيط]

لو كان يَخْطُرُ سُلوانٌ بخاطره ... خَبا تَضَرُّمُ وَجدي في ضَمائره
نَهَوْهُ عَنكُمْ لِيَسْلوكُمْ فَزادَ لَكُمْ ... ذكراً فَناهيه عَنكُم مثْلُ آمَره
صَبٌّ تَدَلَّهَ حتَّى باتَ عاذِلُهُ ... لَدَيْهِ مَنْ خَيْره فيه كعاذره
مَنْ لي بعَذْب اللَّمَى مُرِّ الصُّدود رَشا ... حُلْو الشَّمائل ساجي الطَّرف ساحَره
جَذْلانَ نامَ خَليًّا ملءَ مُقْلَتِه ... عن لَيْلِ أَسْوَى الليل ساهَره
يُحَدِّثُ الشَّهْدُ عمَّا في مَراشفِه ... حَديثَ بابِلَ عمَّا في محاجِره
لا يُشْرِقُ ٱلبدرُ إلاَّ تحتَ طُرَّتِه ... ولا يُرَى اللَّيْلُ إلاَّ في غَدائره
أَحَمُّ يَحْمي بعَيْنَيه حمى بَلَدٍ ... لَهُ خَفارَةُ باديه وحاضَره
تَستَبْشِرُ الشَّمسُ إنْ مَرَّتْ بطَلْعَتِه ... تباشُرَ الدِّينِ في أيامِ ناصِره

/ ١٤١ب/ وأنشدني قال: أنشدني لنفسه: [من المنسرح]

---

(١) في الأصل: «وأنشدني، قال أنشدني لنفسه» وقد أسقطنا الزيادة وما أثبتناه حسب السياق السابق.

ذَا العَضْـبُ مِـنْ مُقْلَتَيْـكَ مَـنْ شَهَـرَه ... والْـوردُ فـي وَجْنَتَيْـكَ مَـن نَثَـرَه
يـا غُصْنـاً نـاعمـاً يُحَـرِّكُـهُ ... كُـلُّ نَسيـمٍ وليـس مِـنْ شَجَـرِه
وفـاتـرُ الطَّـرْفِ فـي لـواحظـه ... سحـرٌ يُقَـوِّي عَـزائِـمَ السَّحَـرَه
إنْ تُنْكِـروا أنَّـه أراقَ دَمـي ... قفـوا انْظُـروا خَـدَّه تَـرَوا أثَـرَه
فـي غـايـةِ اللِّيـنِ واللَّطـافـةِ لـوْ ... مَـرَّ نَسيـمُ الصَّبـا بـه عَقَـرَه
تَحْسَبُـه الخَمْـرَ فـي الـزُّجاجِ وَقـد ... أزانَـهُ فَـرْطُ رِقَّـةِ البَشَـرَه
يَعْشَقُـه كُـلُّ مَـنْ يـراهُ فَـلا ... يُحِبُّـه واحـدٌ ولا عَشَـرَه

وأنشدني قال: أنشدني من شعره: [من الكامل]

لـو كنـتُ أسْمَـعُ فيـكَ لَـوْمَـةَ لائـمِ ... مـا رُحْـتُ عنـكَ بقَلْـبِ صَـبٍّ هـائـمِ
مَـنْ كـابَـدَ اللَّيْـلَ الَّـذي كـابَـدْتُـه ... أطْـوي علـى الـزَّفـراتِ فيـه حيـازمـي
بـأبـي ظَلـومٌ كلَّمـا حـاكَمتُـه ... أوْدَتْ لَـواحظُـه بعَقْـلِ الحـاكـمِ
نَشْـوانُ مِـنْ خَمْـرِ الـدَّلالِ يَهُـزُّهُ ... مَـرَحُ الصِّبـا هَـزَّ القَضيـبِ النَّـاعـمِ
خـافُـوا علَيْـه أذى العُيـونِ فعـوَّذوا ... أعطـافَـهُ بقَـلائـدٍ وتَمـائـمِ
عَقَـدَتْ يَميـنُ السِّحْـرِ فـي أجفـانـه ... عَقْـداً يَحُـلُّ بـه عُقـودَ عَـزائمـي
/١٤٢أ/ يـا ذا الصَّبـابـةِ كيـفَ تَطْلُـبُ رَحْمَـةً ... ممَّـنْ كُلفـتُ بـه وليـس بـراحـمِ
أتُـريـدُ أخـذَ الثَّـأرِ مـن رَشـأٍ لـهُ ... عَيْـنٌ يُـريـقُ بهـا دمـاءَ ضَـراغـمِ
لا تَبْـرُزَنَّ إذا بَـرَزَتَ لحَـرْبِـه ... فـي مـأزقٍ إلاَّ بشكَّـةِ حـازمِ
وتَـوَقَّ صـارِمَ مُقْلَتَيْـهِ فقـد تَـرَى ... مـا حَـلَّ بـي مِنْـه وكـانَ مُسـالمـي

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

صُـدودُكَ يـا مَـنْ لا يُطـاقُ لـهُ صَـدُّ ... دَليـلٌ علـى أنْ ليـسَ عنـدَكَ لـي وُدُّ
أُصَبِّـرُ عنـكَ النَّفْـسَ وَهْـيَ لَجُـوجَـةٌ ... ولا صَبْـرَ عَمَّـن ليـسَ مِـنْ وَصْلـه بُـدُّ
هَـواكَ هَـوانٌ والنُّفـوسُ تُحِبُّـهُ ... هُـوَ السُّـمُّ إلاَّ أنَّ أوَّلَـهُ شَهْـدُ
مَـزَجْـتُ لحَتْفـي فـي هَـواكُـمْ ولَـم أكُـنْ ... عليمـاً بـأنَّ المَـزْحَ آخـرُه جِـدُّ
أعيـدوا زَمـانَ الأُنْـسِ إنْ كـانَ راجعـاً ... ورُدُّوا الصِّبـا إنْ كـانَ يُمْكنُكُـمْ رَدُّ
وإنْ كـانَ بُعْـدُ الـدَّارِ غَيَّـرَ وُدَّكُـمْ ... فَعنـدي ودٌّ لا يُغَيِّـرُهُ البُعْـدُ
فَصَمْتُـمْ عُـرَى العَهْـدِ الـذي كـان بيننـا ... وخُنْتُـمْ ومثْلـي لا يُخـانُ لـهُ عَهْـدُ

أرادَ العــدَا التَّفْــريــقَ بَيْنـي وَبَيْنَكُــمْ فَنَـالـوا غَـداةَ البَيْـنِ فـوقَ الَّـذي وَدُّوا
رَحَلـتَ وقـد خَلَّفْـتُ فـي عَـرَصـاتكُـمْ فُـؤاداً أذَابَتْــهُ الصَّبَــابَــةُ والْــوَجْــدُ
خَليلَـيَّ مَـنْ نَجْـد هَـل الـدَّهْـرُ راجـعٌ فَيَجمعُنـا ـ فيمـا نُسَـرُّ بـه ـ نَجْـدُ ؟
/ ١٤٢ب/ سَمَحتُ بمـا عنْـدي لكُـمْ وَبَخلتُـمْ وأهْـدَيـتُ أشْـواقـي إليكُـمْ ولَـم تُهـدوا
ديـارُكُــمُ لا أرْضُ نَجْــد مَــرامُنــا ونشْـركُـمُ المطلـوبُ لا الشِّيـحُ والـرَّنْـدُ
ومِـنْ بَعْـض غَـيِّ النَّفْـس فـي الحـبِّ أنَّهـا تَظُــنُّ بــأنَّ الغَــيَّ مِــن فعْلهــا رُشْـدُ
ودُونَ الكَثيـب الفَـرْد مـن رَمْـل عـالـج غَـزالٌ بَـديـعٌ فـي مَـلاَحَتـه فَـرْدُ
لــهُ مــنْ ظبَــاء البيْــد جيــدٌ ومُقْلَــةٌ وبعـضُ غُصـون الخَيْـزُران لَـهُ قَـدُّ
يُقَصِّـرُ عَـن ألحَـاظـه سَحْـرُ بـابـل ويَخْجَـلُ مـنْ تَـوريـد وجنتـه الـوَرْدُ
وقــد مَلكتــهُ دولَــةُ الحُسْــنِ دوْلَــةً مُعَظمــةً يَعْنــو لهــا الحُــرُّ والعَبْــدُ

وقال أيضًا: وأنشدنيه ذو النون عنه: [من الرمل]

لَـجَّ فَيْـضُ الـدَّمْـعِ فـي تَخْـديـد خَـدِّي وألَــحَّ الــوَجْــدُ إلحـاحَ المُجـدِّ
وتَصَــدَّىٰ لتــلافــي رَشَــأٌ بــابلــيٌّ يــا لــهُ مــنْ مُتَصَـدِّي
أيــنَ فــي رامَــةَ ريــمٌ مثْلُــهُ لا ولاَ يَسْبَــحُ فــي آرام نَجْــد
وعــذارٌ دَبَّ فــي ســالفــه كَــدبيــب النَّمْــل فــي روْضَــة وَرْد
سَــرَدَ الحُسْــنُ علــىٰ جــانبــه زَرَدَ العَنْبَــر فــي أحْسَــنِ سَــرْد
وتَــراءَتْ فــوقَــهُ مــن صُــدْغَــه عَقْـربُ سَـوْداءُ مــنْ مسْـك وَنَـدٍّ
/ ١٤٣أ/ قَمَــرٌ يُشْــرِقُ فــي بُــوريَّــة وهــلالٌ يَنْثَنــي فَــي ثَنْــيِّ بُــرْد
فــاتــرُ الألحــاظ يَنْضُــو طَــرْفَــهُ مُــرْهَــفُ الخَــدَّيْــن لمَّــاعُ الفَــرنْــد
صَيَّــرتْ صُــورَتُــهُ عُشَّــاقَــهُ فــي أسـار مُحْكَـم مــن غيـر قَيْـد
عَنِّفُــونــي فــي هَــواكُــمْ واجْهَــدوا جَهْـدَكُـم إنْ كـان هَـذا اللَّـومُ يُجْـدي

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه ابتداء قصيدة: [من الكامل]

رفْقــاً فَــدَيتُــكَ بــالكَئيــب الــوالــه فــإلامَ أنـت تَـزيـدُ فــي بَلبـالــه ؟
وعَــلامَ تَقْتُــلُ بــالقَطيعَــة والقلَــىٰ صَبّــاً فَــداكَ بنَفْســه وبمــالــه ؟
لــو كنــتَ تَعْلَــمُ مــا تَجُــنُّ ضُلــوعُــه لَــرحمْتَــهُ وحَملْــتَ مــن أثقــالــه
يَشكــو إليــكَ مــن الصَّبــابــة والأسَــىٰ سَلْــوَىٰ العَليــلِ إلــىٰ العَليــم بحــالــه

وأنشدني الشريف أبو محمد الحسن بن محمد الزاهد الموسوي الشاعر البغدادي قال: أنشدني عبد الله بن زهراء لنفسه من قصيدة: [من الطويل]

هَلِ الوَجْدُ إلاَّ أنْ أبيتَ مُسَهَّداً ... ويُضْحي لذيذُ النوم عنّي مُشَرَّدا
/١٤٣ب/ أُقلِّبُ قَلْباً في لَظَى الحُبِّ كلَّما ... نسيمُ الصَّبا هَبَّتْ عليه تَوَقَّدا
ويَجْفو الكَرَىٰ جَفْني وأهواهُ زائراً ... لعَلِّي أرَىٰ مِنْ طَيْفِ عَلْوَةَ مَوْعِدا
وأنَّىٰ يَرُومُ الطَّيْفُ مَنْ باتَ ساهِراً ... وأمسىٰ بهَجْرانِ الحَبيبِ مُهَدَّدا
سألتُكُمُ رُدُّوا لَذيذَ رُقادهِ ... فقد باتَ مِنْ فَرْطِ الصَّبابةِ مكْمدا
سأطَّرِحُ الأهواءَ إلاَّ هَواكُمُ ... وأُنشِدُ بَيْتَ العاشقينَ مُغَرِّدا:
(إذا رُمْتُمُ قَتْلي وأنتُم أحِبَّتي ... فَلا فَرْقَ ما بينَ الأحِبَّةِ والعِدَا)

ومما نسب إليه أيضًا من الشعر قوله: [من الكامل]

بَيْني وبَيْنَكَ في المَوَدَّةِ قِدْمَةٌ ... مَسْتُورةٌ عن علْمِ هذا العالَمِ
نَحْنُ اللَّذانِ تَعارَفَتْ أرواحُنا ... مِنْ قبلِ جَبْلِ اللهِ طينَةَ آدمِ

وقال أيضًا: [من السريع]

كاتَبْتُكُم والدَّمْعُ مِنْ مُقْلَتي ... يَفيضُ فَيْضَ الوابلِ الماطِرِ
حَتَّىٰ لقد أشفَقْتُ ممَّا جَرَىٰ ... مِنْ مائهِ الهامي علَىٰ ناظِري
فكيفَ أنسَىٰ سَكَناً ما جَرَىٰ ... لِغَيْرِهِ ذِكْرٌ علَىٰ خاطِري؟

وقال أيضًا: [من الخفيف]

كادَت الرُّوحُ أنْ تَطيرَ بجسْمي ... نَحْوَكُمْ مِنْ صَبابَةٍ وغَرام
/١٤٤أ/ فَثناها عَنِ النُّهوضِ بعبءِ الـ ... ـجِسْمِ ثِقْلٌ مِنْ جَوْهَرِ الأجسامِ

وقال أيضًا: [من الطويل]

بنَفْسيَ مَنْ أهدَىٰ إليَّ صَحيفَةً ... مُكَرَّمَةً مَمْلوءَةً حَشْوُها نُعْمَى
فَنِلْتُ بها السُّؤلَ الذي كُنْتُ آمِلاً ... وزادَنيَ الشَّوقُ الذي كانَ بي قِدْما

وقال أيضًا: [من الوافر]

أتاني منْكَ مكْتُوبٌ كَريمٌ ... وَجَدتُ مِنَ البَلاغَةِ فيه أجْزا
كتابٌ كلَّما عَوَّلْتُ أنّي ... أرُدُّ جَوابَهُ أمسَكْتُ عَجْزَا

[٢٤٧]

عبدُ الله بنُ الحَسَن بن الحُسَين بنِ أبي الفَتْحِ بنِ الحَسَن بنِ أبي السِّنانِ، أبو محمدَ العَدْلُ المَوْصِليّ[١]:

كانت ولادته فيما قرأته بخطه، ليلة الإثنين الثاني والعشرين من شهر صفر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بالموصل، وتوفي بها يومَ الخميس ضاحي نهاره، رابع عشر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وستمائة، ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة، ظاهر المدينة بين باب كندة وباب الجديد[٢] /١٤٤ب/ ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

ويعرف بابن الحدوس، وذكر لي ولده أبو منصور محمد أنهم من أولاد الأشتر النخعي[٣].

وكان أبو محمد شيخًا جليلاً محترمًا عند القضاة والرؤساء، خدم العلم، وصحب الأعيان والأماثل من أهله، وكان لديه فضائل جمّة لا ينكرها من صحبه، وله مسجد بالموصل جميل، كان يتردد إليه فيه كبراء أهل الموصل، من ذوي النباهة، وأرباب الرتب العالية من أبناء الدين والدنيا، ويقصده من يرد من الغرباء من أهل العلم والخير، وذوي الحاجات، فيتعصب لهم ويجتهد في قضاء مآربهم، وحصول أغراضهم، وبلوغ أوطارهم.

وكان من ظرفاء العدول، وجيهًا عند الوجهاء، ذا ثروة ظاهرة، وسمع الحديث

---

(١) ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٥٦ ـ ٦٣ رقم ١٣. مجمع الآداب ٢/ ٨٣، رقم ١٠٨٢. التكملة للمنذري ٣/ ٢٢١ رقم ٢١٩١. وفيات ٦٢٥هـ. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٢٢٩ رقم ٣٠٤.
أورد المؤلف ترجمة ولده (علي) في الجزء الخامس برقم ٤٨٩.

(٢) باب كندة: يعرف الآن باب البيض، محلة كبيرة من محال الموصل.
باب الجديد: محلة معروفة ومشهورة بالموصل أيضًا.

(٣) مالك الأشتر بن الحارث بن عبد يغوث النخعي، أمير من كبار الشجعان، أدرك الجاهلية، وشهد اليرموك، ولاّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، مصر فقصدها، فمات مسمومًا في الطريق سنة ٣٧هـ.
ترجمته في: الإصابة رقم ٨٣٤٣. المؤتلف والمختلف ص٢٨. معجم الشعراء ٣٦٢. الأعلام ٥/ ٢٥٩.

الكثير، وتفرد بأسانيد عالية، وقرىء عليه الحديث والتفسير، وافاد الناس مدة حياته.

شاهدته عدة مرات، ولم أرزق أن أسمع منه شيئًا من شعره وشعر غيره، إلاّ أني استجزته، فأجازني جميع رواياته، وما يتعلق بها.

أنشدني أبو /١٤٥أ/ عبد الله محمد بن عثمان بن أبي هندي الموصلي قال: أنشدني أبو محمد عبد الله بن الحسن لنفسه في النقيب شرف الدين أبي منصور محمد بن زيد بن عبيد الله الحسيني الموصلي، وقد بلغه أنه مريض ولم يعده[1]:

[من البسيط]

مَوْلايَ يا شَرَفَ الدِّينِ الذي شَهِدَتْ ... بفَضْلِهِمُ مُحكَمُ الآياتِ والسُّوَرِ
ويا ابنَ بنتِ رَسولِ الله ما أَحَدٌ ... أَحَقُّ منْكَ بتَفْضيلٍ علَى البَشَرِ
يا مَنْ سَحائِبُ كفَّيْه إذا هَطَلَتْ ... تَنُوبُ في الجَدْبِ عن مُثْعَنْجِرِ المطرِ
ومَنْ إذا رُمْتُ أنْ أُحصي مَناقِبَهُ ... أفْضَى بيَ الأمْرُ عن عَجْزٍ إلى الحَصَرِ
حاشا لمَجْدِكَ مِنْ شَكْوَى تُعادِلُها ... يا مَنْ تَشَكِّيْهِ في سَمْعي وفي بَصَرِي

وأنشدني أبو البركات عليّ قال: أنشدني والدي لنفسه في مجاهد الدين قايماز الزيني[2]: [من الكامل]

ما كانَ تَركي ضَمَّهُ وعناقَه ... عنْدَ اللِّقاءِ تجنُّبًا ومَلالا
لكنَّني أعْظَمْتُه لمَّا بَدا ... وتَركْتُ ذاكَ لقَدْرِه إجلالا

[٢٤٨]

عبدُ الله بنُ المُختار /١٤٥ب/ بن مُحَمَّد بن شَرِيفِ الزُّهريُّ، أبو الفَتْحِ، المعروفُ بابنِ قاضي دارا[3]:

---

(١) الأبيات في تأريخ إربل ١/ ٦٢.

(٢) البيتان في تأريخ إربل ١/ ٦٢.

قايماز بن عبد الله الزيني: أبو منصور، مجاهد الدين، أمير من المماليك، أصله من سجستان، فوّضت إليه أمور إربل سنة ٥٥٩هـ، وسكن الموصل سنة ٥٧١هـ، وفوّض إليه الحكم فيها، وتوفي بقلعتها سنة ٥٩٥هـ.

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤٢٦. الأعلام ٥/ ١٨٨.

(٣) في هامش الأصل: «شهاب الدين»، «توفي بشوال سنة أربع وأربعين وستمائة». =

المقيم بديار مصر، وهو مشرف بدواوين قوص[١] وأسوان[٢]، من قبل الملك الكامل ناصر الدين أبي المعالي محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد ابن أيوب[٣].

وهو شاعر مجيد، فاضل أديب، له مصنفات في علم الكتابة والترسل والشعر.

أنشدني خالد بن درباس بن يوسف الحميدي الكردي قال: أنشدني ابن قاضي دارا لنفسه: [من الرمل]

خَلِّني مِنْ ذِكْرِ غَيْلانَ وَمَيْ ... وَٱطْوِ عَنِّي بِالهوىٰ أخبارَ طَيْ[٤]

أنا ما لي ولأيامِ الحِمَىٰ ... ما الحِمَىٰ عندي ولاَ الجِزْعُ بِشَيْ

تلكَ آثارُ أناسٍ دَرَسوا ... وطَوَتْهُمْ حادثاتُ الدَّهْرِ طَيْ

هاتِ بٱللهِ أحاديثَ الحِمَىٰ ... فهيَ أشهى مِنَ أحاديثِ لُؤَيْ

وٱسقِني صَهْباءَ تَبْدو كأسُها ... فكأنَّ النَّارَ تُذْكى يا أُخَيْ

مِنْ يَدَيْ مُعْتَدِلِ القَدِّ فإنْ ... عَطَفَتْهُ نَشْوَةٌ مالَ إلَيْ

عَرَبِيٌّ عَجَمِيٌّ لَفْظُهُ ... أيَّما حُسْنٍ تَراهُ مِنْهُ أيْ!

= ترجمته في: تأريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠هـ) ص٢٥٢ رقم ٣١٦. وفيه: «توفي في شوال بمصر ـ سنة أربع وأربعين وستمائة ـ وله إحدى وستون سنة». تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ٤/ ٢/ ٢٠١.

(١) قوص: مدينة كبيرة عظيمة واسعة، هي قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً. بينها وبين قفط فرسخ. انظر: معجم البلدان/ مادة (قوص).

(٢) أسوان: مدينة كبيرة، وكورة في آخر الصعيد، وأول بلاد النُوبة، على النيل في شرقيه، في جبالها مقطع العمد التي بالإسكندرية. انظر: معجم البلدان/ مادة (أسوان).

(٣) الملك الكامل: محمد بن محمد بن أيوب، أبو المعالي، ناصر الدين، من سلاطين الدولة الأيوبية، ولد بمصر سنة ٥٧٦هـ، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٥هـ، من آثاره المدرسة الكاملية بمصر.
ترجمته في: الوافي بالوفيات ١/ ١٩٣. الكامل لابن الأثير ١٢/ ١٢٦. الحوادث الجامعة ١٠٧. الأعلام ٧/ ٢٨.

(٤) غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي، أبو الحارث، ذو الرمة (٧٧ ـ ١١٧هـ)، شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره. و(مي) صاحبته.
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٤٠٤. الموشح ١٧٠ ـ ١٨٥. خزانة الأدب للبغدادي ١/ ٥١ ـ ٥٣. الأعلام ٥/ ١٢٤.

/١٤٦أ/ فَلِقَلْبي فيه صَبْرٌ دائمٌ وغَرامٌ فوقَ ما تَعْهَدُ حَي

ومنها يقول:

واستَمِعْ منِّي فإنِّي شَيْخُه كلُّ مَنْ يَقرأُ عِشْقاً فَعَلَيْ

[٢٤٩]

عبدُ الله بنُ أحمدَ بن عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي بكرِ بن مُوسى بن حَفْصٍ، أبو مُحَمَّد بنُ أبي عُمَرَ الأنصارِيُّ الأندَلسيُّ الدَّاني[1]:

شاب أسمر مربوع، كانت ولادته بدانية[2] سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، ونشأ بشاطبة شرقي الأندلس.

شاهدته بمدينة الموصل شابًا، تفقه على مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ بالمدرسة البدرية ـ حرسها الله تعالىٰ ـ ذكر أنه سمع الحديث كثيراً بالأندلس، وحفظ كتاب الله تعالىٰ، وله نظم ونثر، ويحفظ من أشعار الأندلسيين والرسائل والموشحات صدراً جيداً.

أنشدني لنفسه يمدح بعض أمراء العرب، واسمه موسى: [من الكامل]

عادَتْ لحُسْنِ بَهائها الأيَّامُ وٱخضَرَّ عَيْشٌ جادَه الإنعامُ
/١٤٦ب/ لمَّا بَدَتْ شَمْسُ الهُمامِ المُرْتَضىٰ وانهَلَّ من يُمْنَىٰ يَدَيْه غَمامُ
مَلِكٌ نمَتْهُ للْعَلاءِ عِصابَةٌ قد حفَّها الإجلالُ والإعظامُ
وتَهَدَّلَتْ أغصانُها عن نَبْعَةٍ حارَت بِوَصْفِ سَنائِها الأوهامُ

---

(١) ترجمته في: تأريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠هـ) ص٣١٢ رقم ٤١٧، وفيه: «سمع من أسامة بن سليمان صاحب ابن الدبّاغ، وأبي القاسم بن إدريس، وأبي القاسم أحمد بن بَقي. وقرأ العربية، ورحل فسمع بالإسكندرية من محمد بن عبّاد، وبدمشق من الحسن بن صباح وجماعة. ومال إلى علم الطب، وعُني به، وشارك في فنون. أثنى عليه ابن الأبار وقال: «كان من أهل التواضع والطهارة، صاحبته بتونس وسمعت منه كثيراً، ورحل ثانية إلى المشرق، فتوفي بالقاهرة في سلخ شعبان وهو في آخر الكهولة» سنة ست وأربعين وستمائة». فوات الوفيات ١/ ٢٠٤. طبقات الأطباء ٢/ ١٣٣. نفح الطيب ٤/ ٦٨٣. الأعلام ٤/ ٦٧.

(٢) دانية: مدينة بالأندلس، من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقًا. انظر: معجم البلدان/ مادة (دانيَة).

مُخْتارَةٌ مِنْ عُنْصُرٍ بجَلالِهِ ... عِنْدَ الأذانِ يُبَيَّنُ الإسلامُ

فالمَجْدُ بَدْرٌ والمَعالي هالَةٌ ... وَبَهاءُ مُوسَىٰ في سَناهُ تَمامُ

قَرْمٌ بِذِكْرِ مَضائِهِ وعَطائِهِ ... أُودِي الضَّلالُ وقُتِّلَ الإعْدامُ

يُفْني ويُحْيي بالحُسامِ وبالغِنَىٰ ... فَبِكَفِّهِ عَيْشٌ يُرَىٰ وَحِمامُ

جَمَعَتْ مَحاسِنُهُ كَريمَ أُرومَةٍ ... وَعَميمَ عِلْمٍ زانَهُ إعْلامُ

وأَرَتْ بِهِ الدُّنْيا خَلائِفَ غُيِّبَتْ ... تَحْتَ الصَّفائِحِ مِنْهُمُ الأجسامُ

وأَتَتْ بِهِ آياتُ دَهْرٍ عابِسٍ ... غَطَّىٰ بَهاءَ إِيَاتِهِ الإظْلامُ[1]

والحَرْبُ قَدْ شَبَّتْ لَنا نيرانُها ... وأُبيحَ فيها للدِّماءِ ذِمامُ

فأزالَ مَظْلَمَةً وأَطفأ كُرْبَةً ... وجَرَتْ لَهُ في دَهْرِهِ الأحْكامُ

عَرَفَ الخَليفَةُ فَضْلَهُ وَغَناءَهُ ... وَمَضاءَهُ والنّائِباتُ جِسامُ

فأعَدَّهُ لِسَدادِ أمْرٍ مُعْرِضٍ ... قَدْ حَلَّ مِنْ أقْطارِهِ الإحْرامُ

فَغَدا يَضُمُّ الشَّمْلَ بَعْدَ تَفَرُّقٍ ... ويُزيلُ ضِغْنًا لا يَكادُ يُرامُ

/ ١٤٧أ/ بكلامِ صِدْقٍ في النُّفوسِ مَقَرُّهُ ... لِمَهابَةٍ هِيَ في القُلوبِ حُسامُ

فالقَلْبُ قِرْطاسٌ وسُودُ ضَمائِرٍ ... نَقْشٌ وأفكارُ الحِجَىٰ أقْلامُ

لَمْ يَخْتَلِفْ في مُعْظَمٍ إلّا لَكُمْ ... في جَمْعِهِ الإسْراجُ والإلْجامُ

فالنَّصْرُ يُسْرِجُ خَيْلَكُمْ وَيَقُودُها ... بِزِمامِ حَزْمٍ عَزْمُهُ الإقْدامُ

وكأنَّ يَوْمَ قُدُومِكُمْ مِنْ حُسْنِهِ ... شَمْسٌ وَرَعْدٌ مُبْرِقٌ وظَلامُ

فالشَّمْسُ مِنْكُمْ والرُّعودُ لِجُرْدِكُمْ ... والبيضُ بَرْقٌ والظَّلامُ قَتامُ

والنّاسُ قَدْ غَضُّوا العُيونَ مَهابَةً ... وحَداهُمُ شَوْقٌ لَكُمْ وهُيامُ

جَمَعَتْهُمُ الأشْواقُ ثُمَّ تَفَرَّقوا ... لِمَهابَةٍ فيها يَزِلُّ شَمامُ

فَوَهَبْتَهُمْ بالسِّلْمِ مِنْهُمْ أنْفُسًا ... قَدْ رامَ نَهْبَ كِيانِها الصَّمْصامُ

وجَعَلْتَهُمْ لِلدَّهْرِ ثَغْرًا ضاحِكًا ... كالزَّهْرِ يَبْسِمُ عَنْ سَناهُ كِمامُ

فالآنَ قَرَّ السَّعْدُ في أرْجائِهِ ... وصَفَتْ مِنَ الأقْذاءِ فيهِ جِمامُ

[وَرَجَوْتُ مِنْ دَهْري قَضاءَ مآرِبي ... في نَيْلِ ما غَلَبَتْ بِهِ الأيّامُ

---

(١) الإياة: من أسماء الشمس.

فـأنـال عـزَّةَ رفعَـة ويضُمُّنـي ... وَعْـدٌ بكُـمْ للْمَكْـرمـات ذمـامُ
لازِلْتُـمُ والنَّصْـرُ مِـنْ خُـدّامكُـمْ ... وبِبـابكُـمْ مِـنْ آمليـه زِحَـامُ](١)

وأنشدني أيضًا لنفسه في كتاب ورد عليه من بعض أصدقائه: [من الطويل]

أتـانـي كتـابٌ منكُـمُ فقَـرأتُـه ... وَقَـرَّتْ بـه العَينـان وانشَـرَحَ الصَّـدْرُ
فَقِـرْطـاسُـهُ بَـدْرٌ وحَـالِـكُ نَقْشـه ... ظَـلامٌ وشَكْـلُ الأَحْـرُفِ الأنْجُـمُ الـزُّهْـرُ
/١٤٧ب/ ومَعْنـاه أنْفـاسُ الـرِّيـاح وقـدوَهَـى ... نطـاقٌ مِـنَ الجـوْزاء وأبتَسَـمَ الفَجْـرُ
وألفـاظُـهُ نُـورٌ وحُسْـنُ صَنيعِـه ... جَنًـى لا يَفـي بـالـواجبـات لَـهُ شُكْـرُ

وأنشدني لنفسه يخاطب بعض الكتاب: [من الكامل]

لله دَرُّ مُجَمِّـعِ لِبَـلاغَـة ... هَبَّـتْ علـى رَوْض النِّظـام نَسيمـا
ألقَـتْ بحـارُ بَيـانـه لبَنـانـهُ ... غُـرَرًا تُنَظِّـمُ حُسْنَـهُ تَنْظيمـا
وغَـدَتْ تُصَيِّـرُه لِمَفْـرِق دَهْـره ... تـاجـًا وتُطْلِـعُ مِـنْ سَنـاهُ نُجُـومـا
فكَـلامُـه سحْـرٌ يُـريـكَ مَعـانيـًا ... غُـرًّا ويُمْطِـرُ لِلْقُلـوب عُلُـومـا
قـد خَطَّـهُ فـي البَـدْرِ عنـدَ تَمـامـه ... فَبَـدَتْ بهـالَتِـه الحـرُوفُ وُشُـومـا

وأنشدني لنفسه في آس ونَوْر وورد: [من مجزوء الرجز]

آسٌ وَنَـوْرٌ نـاصِـعٌ ... وحُسْـنُ وَرْدٍ خَضِـلِ
كَشـاربٍ ومَبْسِـمٍ ... وَخَـدِّ ظَبْـيٍ خَجِـلِ

وأنشدني لنفسه يصف الشقائق: [من الكامل]

إعجَـبْ بنَـوْر شَقـائـق النُّعْمـان ... يَحْكـي مَـداهِـنَ مُشْـرق المَـرجـان
فيهـا بَقـايـا مِـنْ خَلـوقٍ حـالِـكٍ ... كـالخَـال فـي خَـدِّ الـرَّشـا الوَسْنـان

وأنشدني لنفسه أيضًا فيه: [من الكامل]

/١٤٨أ/ أنْظُـرْ إلـى نَـوْر الشَّقيـق كـأنَّـهُ ... أصـداغُ مسْـكٍ فـوقَ خَـدٍّ مُخْجَـلِ
أو مِثْـلُ نَقْـشٍ فـي مُقَبَّـلِ شـادنٍ ... جَمَـعَ الغَـوالِـيَ وأحمِـرارَ الصَّنْـدَلِ

---

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

[٢٥٠]

عبدُ الله بنُ أحمد بنِ عَلِيِّ بنِ أبِي الحَسَنِ، أبو حامدٍ، الموصِليُّ الزُّهْريُّ النَّحْويُّ:

شيخ ربعة من الرجال، أبيض يعلو لونه صفرة، وذكر لي غير مرّة أنّه ولد بالموصل تقديراً في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وكانت صناعته عمل القلانس.

وقرأ العربية على جماعة من أدباء الموصل، وأقرأ الناس مدّة، وهو رجل مفيد عاقل، له معرفة وعلم حسن، ويعمل الأشعار.

أنشدني لنفسه في أخوين أحدهما يسمّى عليًا، والآخر إبراهيم يرثيهما:

[من الكامل]

صَبْري وَحُزْني راحلٌ ومُقيمُ ... والدَّمْعُ مِنْ بَعْدِ الحَميمِ حَميمُ

أسَفًا على مَنْ كانَ زَيْنَ زَمانِه ... إنَّ الزَّمانَ بِما أتاهُ لَئيمُ

لَهْفي على الأخَوَيْنِ جارَ عليهِما ... إنَّ النَّسيمَ عليَّ فيهِ سَمومُ

فكأنَّ يومَ عليٍّ يومُ سَمِيِّهِ ... وكأنَّ إبراهيمَ إبراهيمُ

/ ١٤٨ب/ وأنشدني لنفسه يرثي أخاه أبا المعالي: [من مجزوء الكامل]

عَفَتِ ٱلمَكارِمُ وٱلمعالي ... لَمَّا فَقَدتُ أبا المعالي

وعُدِمْتُ مِنْ عَيْني الرُّقا ... دَ وَصِرتُ نِضْواً كالخِلالِ

واحَسْرَتا للدَّافِنِيـ ... ـهِ أمَا رَعَوا حُسْنَ ٱلخِلالِ!؟

قد كانَ ذُخْراً للصَّدِيـ ... ـقِ وَللشَّقيقِ وللْمَوالي

قد كانَ حِصْناً للْغَريـ ... ـبِ وَلَلْقَريبِ وَلِلْمُوالي

مالي أرَى البُسْتانَ والشُّبَّـ ... ـاكَ مِنْهُ ٱليَوْمَ خالي

يَتَقاسَمُونَ مَتاعَهُ ... كُلٌّ يَقُولُ أبي ومالي

حَيَّاهُ رَقْراقُ النَّسِيـ ... ـمِ وجادَ مَثْواهُ العَزالي

وأنشدني لنفسه: [من المتقارب]

وإنّي لَمَّا بَلَوْتُ الأنا ... مَ طَلَّقْتُ كُلَّ أُناسٍ بَتاتا

فَمَــــنْ جـــاءَ جـــاءَ وَمَـــنْ راحَ راحَ ومَــنْ عَــاشَ عــاشَ ومَــن مــاتَ مــاتــا

[٢٥١]

عبدُ الله بنُ أسعدَ بن عليٍّ بن ٱلمبارَك بنِ عبدِ الغَفَّارِ، أبو المظفَّرِ ابنُ أبي القاسِمِ / ١٤٩أ/ الواسِطيُّ[١]:

تقدم شعر والده المعروف بابن رشادة[٢].

كهل أسمر مربوع، سألته عن ولادته فقال: ولدت سحرة يوم الثلاثاء ثالث عشر من شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

وهو من بيت علم وفقه، صحب الفقراء والصوفية، وسافر [إلى] بلاد العراق والشام وديار مصر، وجالس المشايخ الصالحين، وعاشرهم، وهو رجل فقير رقيق الحال، يفهم شيئًا من أحوال أهل التصوف، وعنده دين، وتكلم في علم الطريقة، وفيه فصاحة، [وكان] يعظ الناس، ويقول الشعر.

أنشدني لنفسه يمدح الصاحب شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ رحمه الله ـ [من الطويل]

أبـا البـركـات الصَّـاحـبَ النَّـدْبَ ذا النُّهَـىٰ رَضيـعَ اللّهـىٰ نَجْـلَ الكـرامِ الأطـايـبِ

نـداءَ مُحِـبٍّ يَعْـرِفُ الـرُّتْبَـةَ الّتـي لكُـمْ فـي ٱلـورَىٰ لا كـالجَهُـولِ بـوَاجِـبِ

أَقِـلْ عَثْـرَتـي فـالـوَقْـتُ قـد عَـضَّ عَضَّـةً وأَنْشَبَنـي فـي مُعْضِـلاتِ ٱلمَصـائـبِ

دُيُـونٌ وأَمـراضٌ وبَـرْدٌ وغُـربَـةٌ وبُعْـدُ مَـزارٍ عَـنْ دِيَـارِ ٱلحَبـائـبِ

فَعِشْ وٱنعشِ المسكينَ وابقَ علىٰ المَدىٰ مُبيـدَ العِـدا بـالمُـرْهَفـاتِ ٱلقَـواضِـبِ

فليـسَ أرَى إلاَّ جنـابَـكَ جُنَّـةً ولَا جَـدَداً إلاَّ إليـكَ بـلاحِـبِ

/ ١٤٩ب/ وأنشدني لنفسه في غلام اسمه حسن بن مرجّى[٣]: [من المنسرح]

---

(١) توفي بعد ٦٢٥هـ.
ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦ رقم ٣٣١.

(٢) تقدمت ترجمته في الجزء الأول برقم ١٤١.

(٣) القطعة في تأريخ إربل ١/ ٤٥٥، وقد أرخ إنشاده بذي الحجة ٦٢٥هـ.

أَفْدي الَّذي كاسمه محاسنُه ... مِنْ حادثاتِ الزَّمانِ وٱلمِحَنِ
بَدْرُ دُجًى كالقَضيبِ قامَتُهُ ... عِنْدَ التَّثَنِّي يَهْتَزُّ كالغُصُنِ
كُلُّ عَذابِ الهَوىٰ بُليتُ بهِ ... وكُلُّ مَعْنًى لِلْحُسْنِ في حَسَنِ
أَقْسَمْتُ لا زالَ عن مَحَبَّتِهِ ... وَهْوَ حَياتي والرُّوحُ في بَدَني! ؟
بهِ اشتغالي عن كُلِّ شاغِلَةٍ ... وَهْوَ مُنايَ في السِّرِّ والعَلَنِ
يا ٱبْنَ مُرَجًّى أَرْجُوكَ تَسْمَحُ لي ... مِنْكَ بِوَصْلٍ فالصَّبْرُ عنكَ فَني
تَظْفَرُ مِنِّي بالشكْرِ يا أَمَلي ... طُولَ حَياتي ما عِشْتُ في الزَّمَنِ

وأنشدني لنفسه، يصف واعظًا من أبيات: [من الطويل]

ومُدْرِكُ بَحْرٍ والعُلُومُ جَواهِرٌ ... وليس بغَيْرِ البَحْرِ تُلقى النَّفائسُ
ومنْبَرُكَ ٱلمَيْمونُ كالطِّرْفِ راكِضًا ... وأنتَ عليْهِ بالبَلاغَةِ فارِسُ
فَشَرِّفْ وَشَنِّفْ أَعْيُنًا ومَسامِعًا ... ليَرْتَدَّ عاصٍ أو يُراجِعَ آيِسُ
/ ١٥٠أ/ وَدُمْ سالِمًا كي يَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهم ... فأنتَ هُمُ حَقًّا لَكَ اللهُ حارِسُ

[٢٥٢]

عبدُ الله بنُ إسماعيلَ بن عليِّ بنِ الحُسَينِ، أبو طالبٍ بنُ أبي مُحَمَّد الشَّيبانيُّ البَغْداديُّ[(١)]:

سبق ذكر والده، كان يعرف بابن الرفّاء، ويعرف الآن بغلام ابن المُنِّي[(٢)]، لأن والده كان أحد تلامذته[(٣)].

---

(١) ترجمته في: التكملة للمنذري ٣/ ٤٥٦ رقم ٢٧٥٢. الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢١٥ ومختصره ٦٨. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠هـ) ص١٩٣ رقم ٢٤٨ وفيه: «عبد الله بن إسماعيل بن الحسين..». المنهج الأحمد ٣٧٥. المقصد الأرشد رقم ٥٠١. لسان الميزان ٣/ ٢٦٠ رقم ١١١٨. الدر المنضد ١/ ٣٧١ ـ ٣٧٢ رقم ١٠٣٥. شذرات الذهب ٥/ ١٦٧.

(٢) ابن المُنِّي: نصر بن فتيان بن مطر النهرواني الحنبلي، أبو الفتح (٥٠٠ ـ ٥٨٣هـ) فقيه حنبلي، حدّث ودرّس، وتخرّج عليه الكثير من العلماء.

ترجمته في: طبقات الحنابلة ١/ ٣٥٨. الكامل في التأريخ ١١/ ٢٣٠. شذرات الذهب ٤/ ٢٧٧. النجوم الزاهرة ٦/ ١٠٦. المختصر المحتاج إليه ١/ ٢٤٤.

(٣) ترجم المؤلف لوالده في الجزء الأول برقم ١٥٤.

وعبد الله شاب أبيض اللون، ربعة، حفظ القرآن الكريم على أبي شجاع ابن المقرون، وتفقه على أبيه، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ وسمع الحديث الكثير على شيوخ منهم أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، وأبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد، وأبو الفتح محمد بن أحمد المندائي[١] وغيرهم.

لقيته بمدينة إربل سنة خمس وعشرين وستمائة، وأخبرني أنه ولد في يوم السبت تاسع عشر من جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين وخمسمائة ببغداد.

وهو فقيه مناظر، عالم بالتفسير، جيد المناظرة، واعظ / ١٥٠ب/ حسن الكلام في الوعظ، جاري المنطق، وذكر لي أنه قال ثلاثة عشر ألف بيت من الشعر، وأخبرني جماعة من أهل الفضل أنه يُتَّهم في أشعاره، ويسرق أقاويل الناس، والله أعلم بصحة ذلك.

وجرت له حادثة ببغداد في أيام المستنصر بالله ـ خلد الله ملكه ـ فأودع السجن. أنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها الناصر لدين الله أمير المؤمنين[٢] ـ رضي الله عنه ـ:

[من البسيط]

مَنْ مُبْلِغُ الْمُتَنَبِّي أَنَّ مِدْحَتَهُ ... لِنَجْلِ حَمْدانَ فيها الحَيْفُ والْمَيَلُ ؟

يَقُولُ: أَنْعَلْتُ أَفْراسي بِعَسْجَدِ مِنْ ... نُعْماكَ، تَبّاً لَهُ إذ فِعْلُه الزَّلَلُ[٣]

ولو يَجوزُ لِمِثْلي مِثْلُ فِعْلَتِه ... فَعَلْتُ ما لَمْ يَكُونوا مِثْلَه فَعَلُوا

وكُنْتُ أَصْنَعُ قَصْراً مِنْ زُمُرُّدَةٍ ... مِنْ جُودِ أَحْمَدَ مُلْكٌ دونَهُ زُحَلُ

وإِنَّما خَيْلُ مِثْلي في مَحَبَّةِ مَوْ ... لانا الإِمامِ دَمَ الأَعْداءِ تَنْتَعِلُ

---

(١) محمد بن أحمد بن بختيار بن علي المندائي الواسطي، أبو الفتح، محدّث مقرىء، سُمّي مسند العراق، ولد بواسط سنة ٥١٧هـ وتوفي بها سنة ٦٠٥هـ.
ترجمته في: الكامل في التأريخ ١٢/ ١١٨. تأريخ ابن كثير ١٣/ ٥٢. المختصر المحتاج إليه ١٣/ ٥٢.

(٢) في هامش الأصل: «وفاته الثاني والعشرين من شعبان سنة أربع وثلاثين وستمائة».

(٣) يريد به بيت المتنبي الذي يقول فيه لسيف الدولة الحمداني:
«تركت السرى خلفي لمن قلَّ ماله ... وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا»
انظر: ديوانه، ط صادر ٣٧٣.

وأنشدني لنفسه من قصيدة: [من الطويل]

أَتَتْ سَحَراً واللَّيْلُ في قَبْضَةِ الفَجْرِ ... فَفَكَّتْ أَسيراً موثَقاً في يَدِ الهَجْرِ
وأبدَتْ لنا من وجْهها وحَديثها ... بَدائعَ تَزْري بالبدور وبالدُّرِّ
/١٥١أ/ شَكَوتُ إليها ما ألاقي منَ الهَوى ... فَقالَتْ: رَعاكَ اللهُ ما لكَ منْ صَبْرِ
خُلقتُ جَليداً إنَّما الحُبُّ سائقٌ ... عَنيفٌ إلى ما لا يُطاقُ منَ الأمْرِ
سَرَتْ سَحَراً من أيْمَن الحيِّ نَسْمَةٌ ... فكادَ لها قَلْبي يَطيرُ منَ الصَّدْرِ
وأطرَقتُ خَوْفاً أنْ يُقالَ به هَوىً ... فَقالوا مُصابٌ عادَهُ عائدُ الضُّرِّ
ألا فلْيقُل مَنْ شاءَ ما شاءَ إنَّني ... رَضيتُ بما بي منْ جُنُون ومن سحْرِ
ألا لا تَلُومُوني فَما ليَ حِيْلَةٌ ... ولاَ قُدْرَتي تُجْدي ولا بِيَدي أمْري

وأنشدني لنفسه، يمدح الناصر لدين الله أبا العباس أحمد ـ رضوان الله عليه ـ:

[من البسيط]

جَوْبُ المَهامه بالعيديَّة الرُّسُمِ ... ألَذُّ منْ خَفْض عَيْش عندَ ذي همَمِ
ووَقْفَةٌ في مُثار النَّقْع يومَ وَغىً ... أولَى به منْ تَلَقِّي جَوْر مُهْتَضِمِ
والحَزْمُ في الأمْر أنْ يَنأى على عَجَلٍ ... إذا كَسَتْهُ اللَّيالي حُلَّةَ العَدَمِ
ولا يُقيمُ بدَار يَزْدريه بها ... مَنْ كان يَرْجُو نَوالاً منه في القِدَمِ
فكم تَغَرَّبَ سيرانٌ وقَد صَفرَتْ ... كَفَّاهُ فَقْراً فَحازَ المالَ عَنْ أَمَمِ
وكم نَحا مُسْعفات المجد مُعْتَضدٌ ... بحيلَة الحَزْم فاستَولى على أُمَمِ
لا يَلْبَثُ الحُرُّ في دار يُضامُ بها ... مادامَ في دَهْره يَسْعَى على قَدَمِ
/١٥١ب/ بل يَخْطُبُ العز في أعلى معاقله ... ويَمْتَطيه بغَرْب الصَّارم الخَذِمِ
ولا يَنالُ العُلا إلاَّ فتًى مَصِعٌ ... ماضي العَزيمَة مقْدامٌ على البُهَمِ[1]
تَعافُ بَرْدَ ظلال الخَفْض همَّتُهُ ... ويَستَلذُّ هَجيرَ الغَوْر والأَكَمِ
يا قاتَلَ اللهُ دَهْراً لا يَزالُ لهُ ... مَيْلٌ على كلِّ نَدْب ظاهر الشِّيَمِ
كم حَلَّ عَزماً لذي عَزمٍ فَغادَرَهُ ... حِلْفَ الهُموم يَعَضُّ الكَفَّ منْ نَدَمِ

---

(١) المصع من الرجال: الشديد الذي يستطيع القتال بالسيف ونحوه.
البهم: جمع بُهْمَة: الشجاع.

وكم سَطَتْ ببُزاة ٱلجَوِّ غَدْرَتُه ... وكم وَفَىٰ سَفَهًا للْبُوم والرَّخَمِ
سِرْ في البلاد ولا تَقْعُدْ علىٰ ضَمَد ... إمّا بُلُوغُ المُنَىٰ أو حُفْرَةُ الرُّجُمِ
فَإنْ تَنَلْ كُلَّ ما تَبْغيه وٱرتَفَعَتْ ... رَاياتُ مَجْدكَ بينَ العُرْب وٱلعَجَمِ
فَاسْمَحْ بما مَلَكَتْ كَفَّاكَ مُكْتَسبًا ... حُسْنَ الثَّنَاء بما تُوليه مِنْ نعَمِ
لولا ٱبتذالُ اللُّهَىٰ وٱلقَطْرُ مُحْتَبَسٌ ... مَا سَارَ شعْرُ زُهَيْر في نَدَى هَرِمِ
ولا تَذَكَّرت الرُّكبانُ في سَفَرٍ ... كَعْبَ بنَ مامَةَ بالإِيثَار في القَسَمِ
ولا ارتَدى في فجاج الأرضِ مُنْتَشراً ... ذكرُ الإمام أبي العَبَّاس بالكَرَمِ
جادُوا بما ذَهَبَتْ أيْدي الزَّمانَ به ... وٱلمَدْحُ باقٍ علىٰ الأخْلاق وٱلرِّمَمِ
لا تَرْجُوَنَّ منَ الدُّنيا بلَهْنَيَةً ... تَدُومُ وَهْيَ عَلىٰ الإقبال لم تَدُمِ
فكلُّ لَذَّةِ عَيْشٍ طابَ مَوْرِدُها ... فَإنَّها كطُرُوقِ الطَّيْفِ في الحُلُمِ

[٢٥٣]

/ ١٥٢أ/ عَبْدُ الله بنُ مُحَمَّد بنِ مَنْصُور بنِ جَميل، أَبُو العزِّ بنُ أَبي عَبْد الله التَغْلبيُّ:

كان أبوه يتولىٰ صدرية المعمور في الأيام الناصرية، وابنه هذا أبو العزّ ولد بجُبًّا[١]، قرية من أعمال هيت[٢]، في جمادى الآخرة في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وخرج عنها وهو ابن خمس سنين، ونزل بمدينة السلام. وتأدب بها، وقال شعراً لطيفًا، وتميَّز وخدم في بعض الأعمال الديوانية، ثم صار في الدولة المستنصرية كاتبًا على التركات الحشرية في سنة أربع وعشرين ثم عزل عن ذلك وانتقل في صفر سنة ست وثلاثين، ورتب في حجابة المخزن المحروس، وهو مقدّم الشعراء في الديوان المستنصري، وله قصائد شتّىٰ في الإمام المستنصر بالله ـ رضي الله عنه ـ.

شاهدته مصادفة بمدينة السلام، سلخ جمادىٰ الآخرة يوم الجمعة، شابًا كيّسًا

---

(١) جُبًّا: قرية قرب هيت، وهي جزيرة في الفرات فوق هيت، وأهل هيت يقولون جُبَّة، وينسبون إليها جُبّيّ. انظر: معجم البلدان/ مادة (جبا).

(٢) هيت: بلدة على الفرات فوق الأنبار، ذات نخل كثير وخيرات واسعة، على جهة البرية، في غربي الفرات. انظر: معجم البلدان/ مادة (هيت).

جميلاً، في سنة تسع وثلاثين وستمائة، وأنشدني من شعره، وكتب لي شيئًا منه بخطه، وهو: [من مجزوء الكامل]

زَفَـــراتُ وَجْـــد نـــارُهـــا بيـــنَ الضُّلـــوعِ أُوارُهـــا
وَصَبـــابَـــةٌ قـــد أقْسَمَـــتْ أنْ لا يَقِـــرَّ قَـــرارُهـــا
شـــوقـــاً إلـــى مَـــنْ أوحَشَـــتْ بعـــدَ الأنيـــس ديـــارُهـــا
يـــا مَـــنْ أنِسْـــتَ بـــأدْمُعِـــي لمّـــا استمـــرَّ نفـــارُهـــا
إنّـــي لتَسْحَـــرُنـــي الظِّبـــا ويَلَـــذُّ لـــي إسحـــارُهـــا
مـــا بـــالُ أيـــامِ الـــوصـــا ل قصَّـــرت أعمـــارُهـــا
أيـــام لَهْـــو طَـــوَّلـــتْ لَيـــلَ المشـــوق قصـــارُهـــا
/ ١٥٢ب/ طـــابَـــتْ بكـــمْ آصـــالُهـــا وتَعَطَّـــرَتْ أسحَـــارُهـــا
لله لَيـــلاتٌ مَضَـــتْ ووُجُـــوهُكُـــمْ أقمـــارُهـــا
خَطَبَـــتْ سُيـــوفُـــكَ إربـــلاً فتَمَـــرَّدَتْ أغمـــارُهـــا
وَغَـــدا يُنـــازعُ فـــي القِـــلا ع لِقَلْعَـــةِ يَـــزْدَارُهـــا
فَفَتَحْتَهـــا بسَـــوابـــق سَـــدَّ الفَضَـــاءَ مُثـــارُهـــا
وبغلمَـــة مثْـــلِ الصُّقـــو ر مـــنَ القنـــا أظْفـــارُهـــا
فَـــأتَتْـــكَ تُجْلَـــى كـــالعَـــرو س مـــنَ الـــرؤوسِ نثَـــارُهـــا
حُـــرِسَـــتْ وقـــد جُلِيَـــتْ فَمُلْـــكُـــكَ سُـــورُهـــا وَسَـــوارُهـــا
أطْلقْـــتَ أمـــوالاً أقـــا مَ مُسَلْسَـــلاً دينـــارُهـــا

وله: [من البسيط]

دَعْ كـلَّ مَـنْ بـاتَ يَلْحَـىٰ فـي ٱبنَـةِ العنَـب وَخُـذْ بقِسْـط مِـنَ الأقـداحِ والضَّـرَب
واجـلُ العـروسَ فَفيهـا للهُمـومِ جلَـى وَزُفَّهـا فـي أكـاليـلٍ مـنَ الحَبَـبَ
وقُـلْ لمَـنْ لامَ فيهـا إنّنـي رَجُـلٌ مـنَ الهُمـومِ إلَيْهـا لـمْ يَـزَلْ طَـرَبـي
أمـا تَـرَىٰ اللّيْـلَ فـي أجْلَـىٰ شَمـائلـه والبَـدْرُ فـي الجـانـبِ الغَـرْبـيِّ لـم يَغِـب
مـنْ كـفِّ مَـنْ أنْشَـبَ النّيـرانَ فـي كَبِـدي لمَّـا رَمـانـي بِبَـرْدِ الثَّغْـرِ والشَّنَـب
جَمـالُ مَعْنـاهُ لـي فـي غُـرِّ بِـزَّتِـهِ كمـا الإمَـامُ نَـداهُ غيـرُ مُنْسَكِـب

[٢٥٤]

عَبْدُ الله بنُ إبرَاهِيمَ بنِ عَلِيٍّ بنِ إبراهيمَ بنِ يُوسُفَ، أبو بكرٍ الموصلِيُّ:

كان رجلاً نساجًا، ضعيف العينين، أسمر، أميًا، لا يكتب ولا يقرأ، ويقول شعراً صالحًا في التشبيهات، والأوصاف، وله أشياء في الغزل، والمديح، والهجاء، يجيد رصفها بصحة غريزته، وكنت أقترح عليه وصف شيء فينظم فيه نظمًا مرضيًا.

ولم يعلق الآن بحفظي من شعره سوى ما أنا ذاكره إن شاء الله تعالىٰ.

أنشدني لنفسه يصف الثريا: [من الخفيف]

كم قَطَعتُ الظَّلامَ منْ فوق بكْرٍ عَيطموس تَفْلي نَواصي ٱلبيد
والثُّريّا تَلوحُ في الشَّرْقِ كالكأ سِ وطوْراً في الغَرْب كَٱلعُنْقود

وأنشدني لنفسه في طلوع البدر على الماء: [من البسيط]

كأنَّ ماءَ الفُرات ٱلعَذْبَ حينَ جَرىٰ وٱلبَدْرُ منْ فوقه في اللّيلِ مَمْدُودُ
فَيْروزَجٌ ذَائبٌ في الأرْضِ مُنْبَسِطٌ فيه مِنَ الذَّهَبِ الإبريزِ عامودُ

[٢٥٥]

عَبْدُ الله بنُ عُمَرَ بنِ صامِحٍ / ١٥٣ب/ ، أبو مُحَمَّدٍ الإربِلِيُّ:

وهو أخو الذي مرّ شعره[١].

رجل طويل مائل إلى السمرة، يخضب بالسواد، أخبرني أنه ولد سنة ست وسبعين وخمسمائة، وخبرت أنه توفي بقلعة إربل سادس ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وستمائة.

من أبناء المتصرفين بإربل، وله في صناعة التصرف، والحساب، والمساحة، الحظ الأوفر، وقد ولي للملك المعظم مظفر الدين كوكبوري بن علي بن بكتكين، صاحب إربل ـ رضي الله عنه ـ أعمالاً جليلة.

(١) لم نجد في الموجود من أجزاء القلائد مَنْ أبوه عمر بن صامح الإربلي. ولعله في الجزأين المفقودين.

وهو شاعر جيد حسن الشعر، مطبوع المعاني، أنشدني لنفسه يمدح الصاحب الوزير شرف الدين أبا البركات المبارك بن أحمد المستوفي ـ أجدّ الله سعده ـ:

[من الرجز]

يا نَسْمَةً تَضَوَّعَتْ بنَدٍّ ومُزْنَةً جادَتْ بماءِ وَرد
منْ أينَ هذا العَرْفُ هل حَلَلْتُما أو جُزْتُما بروْضَةٍ بنَجْدِ ؟
أمْ نَسَمَتْ إليكُما منهُ صَبا بانَاتهِ وأثْلهِ والرَّنْدَ ؟
أمْ جِئْتُما لتُخْبِرا عن عَلْوَةٍ بأنَّها قد سَمَحَتْ بوَعْدَ ؟
/ ١٥٤أ/ أمْ تَنظرا ما بيَ منْ نار جَوًى مَشْبُوبَةً بأعْظمي وجِلْدي ؟
ويا ركابَ الصَّبْرِ هل حادي النَّوَى حَداكَ عَنْ رَبْعِ الحَشا أمْ وَجْدي؟
أمْ زَفَراتُ أضْلُعٍ لو ظَهَرَتْ أحْرَقَتِ الأرْضَ بغيرِ وَقْدَ ؟
أمْ عبراتُ أدْمُعٍ شؤونُها مُحَمَّرةُ السَّحِّ احمرارَ الوَرْدَ ؟
أمْ لانسكاب ما جَرَتْ واستبَقَتْ وأثَّرَتْ في صَفَحاتِ الخَدِّ ؟
فإنْ يَكُنْ رَوْعُكَ منهُنَّ ارجعي ساكنَةَ الرَّوْعِ بغيرِ ضِدِّ
فإنَّني أُرْسِلُها لآلئاً مَنْظُومَةً في سِلْكِها كَعِقْدِ
وأُجْري منْ غُروبها سحائباً وابلَةَ الهَطْلِ بغَيْرِ رَعْدَ
وأُنْبِتَنَّ الأرْضَ منها زهَراً يُغْنيكَ مَرْعًى عن عَرارِ نَجدَ
باللهِ ناشَدْتُكَ إنْ لم تَحْبسي بقَلْعَةٍ عنِ السُّرَى والوَخْدَ
حامِلَةً رسالَةَ الصَّبِّ إلى مَنْ بالصَّريمِ والكَثيبِ الفَرْدَ
والعَلَمَيْنِ واللِّوَى والمُنْحَنَى والأجْرَعَيْنِ والهضابِ الجُرْدَ
مُبْلغَةً عنّي السَّلامَ مَرْبَعاً عن مَرْبَعٍ ومَوْرداً عَنْ وِرْدَ
ونَادِياً عَلْوَةَ إنَّ مُغْرَماً يكُنّ ما بينَ ضَنًى وَجَهْدَ
إنْ تَنقُضي منكِ العُهُودُ لم يكُنْ بناقضٍ عنكِ قَديمَ عَهْدَ
/ ١٥٤ب/ أوَ تَصْرمي منهُ الودادَ لم يكُنْ بصارمٍ منكِ حَبالَ وُدِّ
أو تَقْصُري بالصَّدِّ عنهُ سَلْوَةً فليسَ يَسْلُوكِ المَدَى عن صدِّ
لَعلَّها تَسْمَحُ بالوَصْلِ إذا ما عَلِمَتْ بحالهِ والوَجْدَ
فإنْ أبَتْ فاعتَسِفي ويَمِّمي رَبْعَ ابنِ مَوْهوبَ الخَصيبِ المَجْدَ

مولًى له عزائم مرهفة ... تبري يد الخطب بغير حد
وأنعم لو أنها تجمعت ... لم تحص من كثرتها بعد
كأنها إذا جرت من يده ... البحر عند جزره والمد
ترهب من جنانه الأسد إذا ... ما زأرت عند لقاء الأسد
وكيف لا يرهب من بأسي الردى ... وربعه أضحى الغداة قصدي
أي شرف الدين أتيت مهديًا ... إليك حالاً طالبًا لرفد
معانيًا فهت بها ما ضمنت ... بنظم من قبلي ولا من بعدي
يقوله مبتدئًا في نظمه ... تنبهي يا عذبات الرند
ألحقتها بمن مضى من الألى ... لكنها زائدة في الحد

وأنشدني لنفسه فيه أيضًا يمدحه: [من الخفيف]

وغلام أدنى يديه إلى الكأ ... س لتقتضها يداه جهارا
/ ١٥٥أ/ فسطت سطوة فألقت على كفيه ... من نورها شعاعًا ونارا
قلت ماذا الشعاع قال سل الكأ ... س فإن لم يجبك فالخمارا
فسألت الخمار قال ابن موهو ... ب الوزير المولى يدًا ويسارا
جاز يومًا بها فأومى إليها ... فكساها إيماؤه أنوارا

وأنشدني لنفسه يصف عوادًا وأحسن: [من السريع]

ومطرب تفهم أوتاره ... الأسماع ما لا يفهم النطق
كأنها رعد ومن فوقها ... كفاه في تحريكها برق

وأنشدني أيضًا قوله: [من الطويل]

إذا لم تكن ذا قدرة بمن افترى ... عليك وأولاك الأذى بافترائه
فذره فإن الدهر يفعل فوق ما ... تؤمل من إضراره وإذائه

وأنشدني لنفسه يخاطب بعض الرؤساء في أمر جرى له وحبس بسببه:

[من الكامل]

أأمين دين الله يا من لم يزل ... مبسوطة كفاه بالإسعاف
ومبيد جيش الخطب يومًا إن سطا ... بوميض حد سنانه الشفاف

/ ١٥٥ب/ أمِن المُروءَة أنْ أولّىٰ عاملاً ... يوماً علىٰ طرَف منَ الأطراف ؟
يوماً ولا طرقَ المسامعَ لَفْظَةٌ ... في أرضه منْ مَنْطقي بخلاف
وأظلُّ بالحَبْس الخسيس وما جرَىٰ ... لي فيه منْ ثَلْم علىٰ إجحاف
ويَظلُّ مَنْ ظَهَرتْ عليه خيانَةٌ ... في المال في أمْنٍ وعَيش صافي؟
فلَئن يكُنْ ذَنْبي العَظيمُ لَديكُمُ ... بينَ الأنَام كفايَتي وعَفافي
قَد تُبتُ يا مَولايَ عنهُ تَوبَةً ... ليسَتْ علىٰ شَرْطٍ ولا استئْنَاف

وأنشدني أيضًا لنفسه : [من المتقارب]

إذا ضامَك الدَّهْرُ في قسْمَة ... فَصَبْراً علىٰ ذلكَ القسْم صَبْرا
فلا القسْمُ باق عليك المَدَىٰ ... ولو شئتَ ذلك ما اسطعتَ قَدْرا
فَبَيْنا ترَىٰ المرءَ في ضيق أمْر ... تَرَىٰ فَرَجَ الله يأتيه أمْرا

وأنشدني أيضًا قوله : [من الطويل]

إذا ما الفَتَىٰ أبداكَ بعضَ ضَميره ... لسانٌ لهُ يوماً وأخفاكَ منْ بَعْض
تَأمَّلْ بما أبدَتْهُ عَيْناهُ إنَّها ... تَبوحُ بمخْفيِّ المودَّة والبُغْض
فَعَيْنُ الفَتَىٰ تُبْدي الذي بضَميره ... علىٰ يَقْظَة منْها وتُخفيه عَنْ بَعْض

وأنشدني لنفسه : [من الوافر]

/ ١٥٦أ/ أيا مَوْلَى أقرَّ الدَّهْرُ طَوْعاً ... لهُ بالفَضْل والذِّكْر الجَميل
ومَنْ عَمَّت مَواهبُه البَرايا ... عَطاءً للحَقير وللجَليل
إذا ما مالَ غُصْنٌ بالتَواء ... عليكَ حَناهُ بالحمْل القَليل
تَداركْ قَطْعَهُ أبداً لئَلاَّ ... يَميلَ عليكَ بالحَمْل الثَّقيل
فكَم مالَتْ غُصونٌ عن أصول ... فأوْجَبَ ميْلُها قَطْعَ الأصول

وأنشدني لنفسه : [من البسيط]

مَوْلايَ إنْ تكُن الأرزاقُ قد قُسمَتْ ... وظَلَّ قسْمُك منْها أوفَرَ القسَم
فلا تكُنْ فَرحاً يوماً به أبداً ... واحذَرْ بإذهابه منْ زلَّة القَدَم
فإنَّ مُوليكَ هذا الرِّزْقَ ظَلَّ علىٰ ... إيلائه ثَملاً منْ خَمْرَة النَّدم
فإن صَحا سَترى في صَحْوه نقَماً ... يُلْقيكَ أيْسَرُها في عالم العَدَم

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الطويل]

ولمَّا رأيْتُ الحُبَّ ليسَ لدائه ... شفا غير ما وَصْل يَجُودُ به الحبُّ

ولم أرَ منْ حبٍّ يَجُودُ بوَصْلَه ... عَليَّ ويُدْنيني إليه ولا يَصْبُو

وقد زادَ ما بي فوقَ ما تَجدُ الوَرَى ... وأدْركني منْ عُظْم ما زَادَني العَطْبُ

عَذَلْتُ لذاكَ القَلْبَ كَيْما يُطيعَني ... عليه لأسْلوهُ فلمْ يُطعِ القَلْبُ

/١٥٦ب/ فأيْقنتُ أنِّي لا مَحالةَ هالكٌ ... فذاكَ الذي لم ينْجُ منْهُ المَدىٰ صَبُّ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من البسيط]

بُعْداً لقَوْمٍ غدوا منْ عُظْم ما جَهلوا ... يَعْلُو الغُواةُ بهمْ فوقَ النَّحارير

ودَوْلَة ظَلَّ أعناقُ البُزَاة بها ... مَجْرُورَةً بمَناقير العَصَافير

والفارُ قد عَلقَتْ يومًا وقد نَشَبَتْ ... أظفارُهُنَّ بلَبَّات السَّنانير

فاربأ بعُمْركَ يومًا أنْ تُقيمَ بهمْ ... وإنْ أقَمتَ فَقُلْ أيْ مُهْجَتي سيري

وأنشدني أيضًا قوله: [من البسيط]

قالوا نَرَىٰ ببلاد النَّاس أجْمَعها ... أمْنًا ومنْ دُونها في إربلَ الحذَرا

أجَبْتُهُمْ لو أرادَ الأمْنُ يَسْكُنُها ... ما أرْسَلَ اللهُ في أطرافها التَّترا

[٢٥٦]

عَبدُ الله بنُ مُحَمَّد بن بَشير بن سَعد الله بن أبي مُحَمَّد بنِ أبي مضر بنَ أبي تَغْلبَ بَن عليٍّ بَن أحمَدَ بَن الحَسَنِ بن مُحَمَّد بن إبراهيمَ بَن مُحَمَّد بن مُوسى بَن جَعْفَر بَن مُحَمَّد بَن عليٍّ بنَ الحُسَين بن عليٍّ بَن أبي طالب ـ صلواتَ الله عليهمَ أجمعين ـ، أبُو الأزْهَرِ بَن أبي المعالي الحائريُّ:

من مشهد الحسين بن علي /١٥٧أ/ عليهما السلام[١]، لقيته بمدينة السلام.

(١) يعني بها كربلاء، مدينة في طرف البرية، عند الكوفة، على جانب الفرات، وهي مركز محافظة كربلاء. تبعد عن بغداد نحو الجنوب بـ ٧٥كم. انظر: معجم البلدان/ مادة (كربلاء).

سنة أربع وعشرين وستمائة، وأنشدني من شعره يفتخر، من جملة أبيات:

[من الطويل]

أنا المُوسَويُّ الفاطميُّ الذي سَمَتْ ... بنا مُضَرٌ والعالَمونَ شُهودُ

إذا افتَخَرَتْ في كلِّ يوم قَبيلَةٌ ... فَفَخْري على كُلِّ الأنام يَزيدُ

ولولا أبي ما كان في النَّاس صالحٌ ... ولا نُصبَتْ للمُسْلمينَ عَمُودُ

وَجَدِّي رَسُولُ الله أكرَمُ مُرسَلٍ ... رَقا عندَ رَبِّ العَرْش وَهْوَ حَميدُ

وأُمِّي البَتُولُ الطُّهْرُ سَيِّدَةُ النِّسا ... لأولادها كُلُّ الأنام عَبيدُ

فَمَنْ شَكَّ فيما قُلتُه واعتَمدتُه ... فذَلكَ فيما يَقْتَضيه عَنيدُ

تَخَرَّقَ ثَوْبُ المَجْدِ عن كلِّ لابِسٍ ... وثوبي بهمْ في العَالَمينَ جَديدُ

[٢٥٧]

عبدُ الله بنُ مُحَمَّد بن عليٍّ بن مُحَمَّد بن عليٍّ الأَزْديُّ، أبو مُحَمَّدٍ البغدَاديُّ المولدِ وَالمَنشأ، المَعروفُ بابنِ الهَرَويّ[(١)]:

شيخ أبيض ربعة، نقي الشيبة.

أخبرني أنه ولد في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة.

وهو أحد الشعراء البغداديين المطبوعين.

قرأ الأدب علىٰ / ١٥٧ب/ أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي، ولقي أبا محمد عبد الله بن أحمد الخشاب البغدادي النحوي، وغيرهما من العلماء.

وشعره كثير في الهزل والسخف، وهو يحذو حذو أبي عبد الله ابن الحجاج، في فنونه، ويسلك نهجه في سائر منظومه.

شاهدت أبا محمد ببغداد، واجتمعت به غير مرّة، فرأيته رجلاً حسنًا، يجمع

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٧/ ٥٧٧ ـ ٥٧٨، وفيه: «توفي سنة ثمان وثلاثين وستمائة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص٣٦٨ رقم ٥٣٥. التكملة للمنذري ٣/ ٥٥٦ ـ ٥٥٧ رقم ٢٩٧٧. لسان الميزان ٢/ ٣٤٣. العسجد المسبوك ٢/ ٤٩٩. الأعلام ٤/ ١٢٤.

فضلاً وكيسًا وظرفًا ولطافة، ويمزح ويلهو ويتماجن، وهو ممن يشار إليه في هذه الأصناف، وأنشدني الكثير من شعره، إلا أني لم أحفظه، ولا كتبت عنه شيئًا غير أبيات، أنشدنيها ملغزاً في المشط: [من الوافر]

وما شَيءٌ لهُ وَجْهانِ فيها ... لهُ رَأسانِ شأنُهُما عَجيبُ
لهُ ثَغْرانِ مُبْتَسِمانِ بِشْراً ... وَبِشْرُهُما فليسَ لهُ قُطُوبُ
يُفَرِّقُ كلَّ مُجْتَمِعٍ وهَذا الّـ ... ـذي مِنْ فِعْلِهِ تَهْوَىٰ ٱلقُلوبُ
أبِنْ لي أيَّ شَيءٍ قد لَغَزْنَا ... فمَا يَدْرِي بِهِ إلاّ لَبيبُ

[٢٥٨]

عبدُ الله بنُ يُوسُفَ /١٥٨أ/ بن عبد الرَّحمنِ بن يَحْيَى بنِ عِمْران بَنِ إسمَاعيلَ الهنتَانيُّ، أبو مُحَمَّدٍ ٱلمَراكشيُّ(١):

شاب يحفظ كتاب الله تعالىٰ، ويعرف طرفًا حسنًا من الأدب، وهو شاعر صالح المنظوم، وقع إلى إربل، من بلاد الشام والديار المصرية منتجعًا بقوله، ومستميحًا بكلامه، فشاهدته بها في شهر شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة، قاصداً مجلس الصاحب شرف الدين ـ رحمه الله ـ وتأميلاً له، ورجاء لنائله، فأنشدني قصائد وقطعًا من شعره، وسألته عن ولادته فقال لي: الآن سبع وعشرون سنة، وكان سؤالي له في الشهر المبدوء بذكره، وأنشدني لنفسه يمدح الصاحب شرف الدين أبا البركات ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من البسيط]

لا وَجْدَ أعْظَمُ مِنْ وَجْدٍ يُخامِرُهُ ... ولاَ جَوًى غيرُ ما تَحْوي ضَمائِرُهُ
صَبٌّ أَلَمَّ بِهِ يومَ النَّوىٰ أَلَمٌ ... مِنَ الهَوَىٰ فَثَوى في ٱلقَلْبِ ضائِرُهُ
يَهُمُّ ممَّا بِهِ شَوْقًا فلا جَلَدٌ ... لَهُ ولا عاذِلٌ في الحُبِّ عاذِرُه
لله دَرُّ زَمانِ اللَّهْوِ مِنْ زَمَنٍ ... قَضَيْتُهُ حَيْثُ لا واشٍ أُحاذِرُه
والدَّارُ جامعَةٌ والشَّمْلُ مُلْتئمٌ ... وَرَبْرَبُ الحَيِّ تَهْواني جآذِرُه
/١٥٨ب/ ولي حَبيبٌ كَبدْرِ التِّمِّ طَلْعَتُه ... وافٍ لهُ مِنْ بَديعِ ٱلحُسْنِ وافِرُه

---

(١) نسبة إلى مراكش: أعظم مدينة في المغرب وأجلّها، وبها سرير ملوكه، في وسط بلاد البربر، بينها وبين البحر عشرة أيام. انظر: معجم البلدان/ مادة (مراكش).

أغَنُّ أغْيَدُ مثلُ الغُصْنِ مُعْتَدِلٌ ... لم يَسْتَطِعْ حَمْلَ ما تَحْوي مآزِرُه
بِيْضٌ ترائبُهُ سُودٌ ذوائبُه ... زُجٌّ حَواجِبُهُ كُحْلٌ نَواظِرُه
يَزُورُني ثُمَّ يَجْفُوني بلا سَبَبٍ ... وآفَةُ الصَّبِّ أنْ يَجْفُوه زائِرُه
أقُولُ لمّا غَدا في الهَجْرِ مُجْتَهِداً ... كيفَ اصْطِبارُ مُحِبٍّ أنتَ هاجِرُه ؟

ومنها في المدح يقول :

هُوَ المُبارَكُ ما في النّاسِ مُشْبِهُهُ ... ونَجْلُ أحمدَ رَبُّ المَجْدِ باهِرُه
رَبُّ الجَدَىٰ مَعْدِنُ الجُودِ الّذي عَظُمَتْ ... عن أن تحدَّ وأن تحصىٰ مآثِرُه
فتًى يُجيبُكَ عَمّا أنتَ مُضْمِرُه ... قبلَ السُّؤالِ وقد لَبّاهُ خاطِرُه
قد كَمَّلَ الحُسْنَ والإحْسانَ خالِقُه ... به فباطِنُه خيرٌ وظاهِرُه
أكْرِمْ به سيِّداً طالَتْ مناقِبُه ... في المكرُماتِ كَما طابَتْ عناصِرُه
ما ذَمَّهُ مِنْ نَزيلٍ مُنْذُ كانَ ولا ... تَرَحَّلَ الضَّيْفُ إلاّ وَهْوَ شاكِرُه
يا ذا الّذي حَسُنَتْ مِنْ حُسْنِ سيرتِه ... في كلِّ قُطْرٍ مِنَ الدُّنيا محاضِرُه
إليكَ جاءَ يَجوبُ البِيدَ مُنْتَجِعاً ... مِن أرْضِ مِصْرَ وَحيدُ العَصْرِ شاعِرُه
يَرْجُو لَدَيْكَ بما أرْجو وآمُلُه ... مِنَ الجَميلِ فإنّي عنكَ ناشِرُه
/١٥٩أ/ واسلَمْ وَدُمْ في عُلاً عِزٍّ وفي نِعَمٍ ... تأتيكَ مِنْ كُلِّ ما تَرْجُو بَشائِرُه

[٢٥٩]

عبدُ الله بنُ الحُسَيْن بن عبد الله بنِ رَواحَةَ بن إبراهيمَ بن عبد الله بنِ رَواحةَ بنِ عُبَيْد بنِ مُحَمَّد بنِ عبدِ الله بنِ رَواحَةَ الأنْصارِيّ، أبو القاسِم بنُ أبي عَليٍّ الحَمَويّ[(١)] :

---

(١) ترجمته في : تأريخ إربل ١/ ٤١٢ ـ ٤١٧ وفيه نسبه : «عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين بن رواحة بن إبراهيم بن عبد الله بن رواحة بن عبيد الله بن محمد... إلخ». الوافي بالوفيات ١٧/ ١٤٤ ـ ١٤٥ وفيه : «عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن رواحة بن إبراهيم بن عبد الله... ، توفي سنة ست وأربعين وستمائة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص٣١٤. مجمع الآداب ١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ رقم ٢٢٨. وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٣. المغني للذهبي ١/ ٣٣٥. العبر للذهبي ٥/ ١٨٩. لسان الميزان ابن حجر ٣/ ٢٧٤. شذرات الذهب ٥/ ٢٣٤. تكملة ابن الصابوني ص٤٩ و٢٠٧ رقم ١٧٠. النجوم الزاهرة ٦/ ٣٦١. طبقات السبكي ٨/ ٣٦٩. علماء بغداد للفاسي ٣٠، ٤٤. =

وجده الأعلى عبد الله بن رواحة كان شاعر النبي ﷺ، وكان والده الحسين بن عبد الله[١] من الشعراء المجيدين، والفقهاء المبرزين، وهم من بيت الأدب والعلم بحماة.

وأبو القاسم كانت ولادته فيما أخبرني من لفظه بساحل البحر بمدينة صقلِّية[٢]، سنة ستين وخمسمائة، وانتقل مع أبيه إلى الإسكندرية[٣]، وأسمعَه الحديث الكَثيرَ من الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمَد السِّلفي الأصفهاني[٤]، وأخذ له إجازات من مشايخ ذلك الوقت، كالحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقيَ[٥] وغيره، وقدم إربل في شهر ذي الحجة سنة خمس وعشرين / ١٥٩ب/ وستمائة، مجتديًا نوال سلطانها الَملك المعظم مظفر الدين أبي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ وطالبًا رفده كعادة الذين يردون إربل من البلدان للاستجداء، فأقام بها أيامًا، وسمع عليه من مسموعاته جماعة، وحصلَ له نفقة صالحة.

= سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٣ رقم ١٧٢. العسجد المسبوك للغساني ٢/ ٥٦٨. تاريخ إربل ١/ ٤١٢ ـ ٤١٧ رقم ٣١٠. المعين في طبقات المحدثين ٢٠٤ رقم ٢١٥١. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٩. عيون التواريخ ٢٠/ ٢٤. المقفى الكبير للمقريزي ٤/ ٣٩٢ رقم ١٤٨٨. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٢٤٧. المستفاد من ذيل تأريخ بغداد للدمياطي ص١٤٠. ذيل التقييد للفاسي ٢/ ٣٤ رقم ١١١٢.

ترجم المؤلف لعمّه (عبد المحسن بن عبد الله) في الجزء الرابع رقم ٣٥٤.

(١) شاعر من الفقهاء (٥١٥ ـ ٥٨٥هـ) ولد ونشأ في حماة.

ترجمته في: خريدة القصر ـ قسم الشام ١/ ٤٨١. فوات الوفيات ١/ ٢٧٥. مجم الأدباء ٣/ ٤٧. الأعلام ٢/ ٢٤٢.

(٢) صقلية: من جزائر بحر المغرب، مقابله أفريقية مثلثة الشكل، بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام. وهي جزيرة حصينة كثيرة البلدان والقرى والأمصار. انظر: معجم البلدان/ مادة (صقلية).

(٣) بمصر.

(٤) صدر الدين (٤٧٨ ـ ٥٧٦هـ) حافظ مكثر، صاحب كتاب «معجم السفر».

ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣١. مرآة الزمان ٨/ ٣٦١. أزهار الرياض ٣/ ١٦٧. الأعلام ١/ ٢١٥.

(٥) مؤرخ، حافظ، رحّالة، كان محدّث الديار الشامية، ولد بدمشق سنة ٤٩٩هـ، وتوفي سنة ٥٧١هـ، له مصنفات عدّة، منها: «تأريخ مدينة دمشق».

ترجمته في: طبقات الشافعية ٤/ ٢٧٣. مرآة الزمان ٨/ ٣٣٦. البداية والنهاية ١٢/ ٢٩٤. مفتاح السعادة ١/ ٢١٦، ٢/ ٢١١. الأعلام ٤/ ٢٧٣.

وكان عسير الأخلاق، ضيق العطن، شرسًا في الإملاء، تافه النفس، لم يحب أن يسمع عليه أحد إلاّ بعوَض، وفائدة، وفضل إليه.

أنشدني لنفسه ابتداء قصيدة عملها في الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب بن شاذي ـ رضي الله عنه ـ أولها: [من الكامل]

صَبْراً لَعَلَّكَ في الهَوى أنْ تُنْصفا ... أو أنْ تَرِقَّ لِمُدْنَفٍ أو تَعْطِفا

ما كُلُّ مَنْ أضْحَىٰ الجمالُ بأسْرِه ... في أسْرِه مُنِحَ القَطيعَةَ والجَفا

كَلاَّ ولا مَنْ حازَ أفئِدَةَ الوَرَىٰ ... بجَمالِه أبْدَىٰ المَسيرَ تَعَسُّفا

يا مانِعاً جَفْني الكَرَىٰ بصُدودِه ... قَسَماً بعَهْدِكَ بعدَ بُعْدِكَ ما غَفا

غفا، لغة رديئة، وإنما يقال: أغفى.

/ ١٦٠أ/ إنْ كانَ قَصْدُكَ أنْ تُريقَ دَمي فلا ... تَتَقَلَّدَنْ سَيْفاً فَطَرْفُكَ قد كفىٰ

لو أنَّ جِسْمي في بِحارِ مَدامِعي ... يُطْفَىٰ لِنارٍ فيه مِنْ سُقْمٍ طَفَا

ومن مخلصها في المديح[1]:

أحْيَيْتَ يوسُفَ في المحاسِنِ مثلَما ... أحيا أبو بَكْرٍ أخاهُ يوسُفا

وأنشدني لنفسه في صديق له سافر ولم يودّعه[2]: [من الوافر]

رَحَلْتَ ولم أُوَدِّعْ منكَ خِلاًّ ... صَفا كَدَرُ الزَّمانِ به وَرَاقا

ولكنْ خافَ مِنْ أنْفاسِ وَجْدي ... إذا أبْدَىٰ العِناقَ يَرَىٰ احتراقا

فكأسُ الشَّوْقِ مُنْذُ نأيْتَ عَنِّي ... أُكابِدُها اصطِباحاً واغْتِباقا

وأنشدني لنفسه في غلام أصفر الشعر، كان عريانًا في الحمام، وقد عرق جسمه[3]: [من البسيط]

وأغْيَدٍ كقَضيبِ البانِ مُعْتَدِلٍ ... قَدّاً وألحاظُه أمْضَىٰ مِنَ القُضُبِ

كأنَّما جِسْمُه كافُورةٌ رَشَحَتْ ... دُرّاً وطُرَّتُه الشَّقْراءُ مِنْ لَهَبِ

---

(١) القطعة في تأريخ إربل ١/ ٤١٤ ـ ٤١٥.

(٢) القطعة في تأريخ إربل ١/ ٤١٥.

(٣) البيتان في تأريخ إربل ١/ ٤١٥.

[٢٦٠]

عبدُ الله بنُ عبد المُحْسن / ١٦٠ب/ بن عبد الله بن أحمدَ بن مُحَمَّد بَن عبد القاهر بنَ هشام بن مُحَمَّدَ بن أحمدَ بَن المظفَّر، أبو الفَضْلِ بنُ أبي القَاسِمَ بَنِ الطّوسيِّ الخَطيبُ[١]:

من أبناء الخطباء بالموصل، وبيت الخطابة والعلم فيها، مشهور عند الناس، وأبو الفضل حفظ القرآن العزيز، وسَمع علىٰ والده الحديث، وتفقه عليه أيضًا علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ ووعظ الناس، وقال شعراً كثيراً، وأنشأ خطبًا منبرية.

أخبرني أنه ولد حادي عشر شعبان سنة ثلاث وستمائة بالموصل، وهو الآن مقلد الخطابة بالجامع العتيق[٢].

أنشدني لنفسه يمدح مولانا وسيدنا الإمام أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا جعفر المنصور ـ أدام الله أيامه ـ حين شرّف المولىٰ السلطان المالك الملك الرحيم بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام والمسلمين، شرف الملوك والسلاطين، أبا الفضائل نصير أمير المؤمنين ـ أنفذ الله أمره، وشدّ ببلوغ الأماني أزره ـ بخلعة وفرس وسيف وسنجق وسلطنة وخُطبَ له / ١٦١أ/ علىٰ المنابر: [من الوافر]

إمَامَ العَصْرِ حُزتَ الحَصْرَ جُوداً ... وشَرَّفَ مُلْكُكَ الدُّنيا وُجُودا
وأضحىٰ الدَّهْرُ نَحْراً ثمّ أضْحَتْ ... وَلَايَتُكُمْ لَهُ فينا عُقُودَا
فلولاكُمْ لَمَا بُلِغَتْ أمانٍ ... ولا عَذُبَ البَقَاءُ لنا وُرُودَا
وإنْ أعْدَدتُمُ للحَرْبِ جُنْداً ... فإنَّ مِنَ الدُّعاءِ لَكُمْ جُنُودا

---

(١) في هامش الأصل: «مجد الدين». وفيه أيضًا: «توفي مجد الدين المدعو بنابلس لما سيّره بدر الدين صاحب الموصل إلى الملك الصالح رسولاً، مات ولم يصل إليه سنة اثنتين . . . . وستمائة».
ترجمته في: مجمع الآداب ٤/ ٤٣٤ رقم ١٤٥١ وفيه: «توفي عاشر جمادى الآخرى سنة ثلاث وأربعين وستمائة، ومولده سنة ثلاث وستمائة».
ترجم المؤلف لوالده (عبد المحسن بن عبد الله) في الجزء الرابع برقم ٣٥٥.

(٢) الجامع العتيق: هو الجامع الأموي، وتعرف بقاياه اليوم بجامع المصفّي، يقع في محلة تعرف بمحلة الكوّازين، قرب منطقة رأس الكور «عن القيسي والدليمي».

وإنْ جَـددتُـم نعمـاً علينـا ... فشُكْـرُكَ لا يَـزالُ لهـا جَـديـدَا
سَهـرتُـم فـي مصـالحنـا عيُـونـاً ... وكُنّـا عـن مَصـالحنـا رُقُـودا
وَولّيتُـم علينـا خَيْـرَ وال ... مَنـاقبُـه بـذاكَ غَـدَتْ شُهُـودا
يَقُـومُ بـأمـركُـم سـرّاً وَجَهْـراً ... إذا أمْثـالُـه أمْسَـوا قُعُـودا
وأمّـا فـي رعـايَتـه الـرَّعـايـا ... فَقـد جـازَتْ مَنـاقبُـه الحُـدُودا
ويكفـي أنّنَـا كُنّـا عظـامـاً ... كَسـاهـا مـن مكـارمـه جُلُـودَا
وَفَضْـلُ أبـي الفَضـائـلِ غيـر خـاف ... أقَـرَّ بـه الّـذي أمْسَـى حَسُـودا
لقـد أضْحَـى بمـا آتـاكَ فينـاً ... أميـرُ المُـؤْمنيـنَ اليـومُ عيـدا
مَـلابـسُ قـد غَـدَتْ بيْـضَ المعـانـي ... وإنْ كـانَـت بمَـرأى العَيْـن سُـودا
يضـيءُ بلَيْلهـا منْكُـمْ جَبيـنٌ ... بـه يَهْـدي إلَـى الجُـود الـوُفُـودَا
/ ١٦١ب/ وسَيْفٌ يُغْرقُ الأعداءَ مَوْجاً ... وَيَخْطَـفُ ضَـوؤه البَصَـرَ الحـديـدا
إذا اشتبكَـتْ وَغًـى سُمْـرُ العَـوالـي ... يُغـادرُهـا بحَـدَّيْـه حَصيـدا
وَطَـرْفٌ يَسْبـقُ الطَّـرْفَ امتـداداً ... كـأنَّ بمَـنْ يُجَـاريـه قُيُـودا
وأمّـا السَّنْجَـقُ المَيمـونُ فينـا ... بـه عَقَـدوا لنَصـركُـم البُنُـودا
ذوائبُـه تُـذيـبُ مـنَ الأعـادي ... قُلـوبـاً قـد غَـدَتْ مَـلأى حُقُـودا
يُطيعُكُـمُ بمـا شئتُـم قيـامـاً ... ويَعْصـي إنْ تُـردْ منْـه سُجُـودا
وكـان رَجـاؤنـا هـذا وأنّـى ... [نَجـدْ مـن] بعـد ذاكَ لكُـمْ مَـزيـدا
لَئـن خـربَـتْ رُبـوع عُـلا سـواكُـمْ ... فَـرَبْـعُ عُـلاكُـمُ أضْحَـى مَشيـدا
بحُبكُـمُ إمـامَ العَصْـر فينـا ... لقـد أضْحَـى المُحـبُّ لـهُ سَعيـدا
يُضـاعـفُ مَـنْ يُـواليـه صُعُـوداً ... ويُـرْهـقُ مَـنْ يُنـاويـه صَعُـودا
ولازلْتُـم مُطـاعـي الأمْـر فينـا ... ولازلْنَـا لـدَوْلَتكُـمْ عَبيـدَا
وَدُمْـتَ مُخَلَّـداً مـا فـاحَ رَنْـدٌ ... ولاحَ الصُّبْـحُ بَعْـدَ دُجًـى عَمُـودا

وأنشدني أيضًا لنفسه يمدح المولىٰ المالك الملك الرحيم بدر الدنيا والدين ـ أعزّ الله نصره ـ ويلتمس من / ١٦٢أ/ إنعامه توقيعًا بالخطابة: [من الوافر]

مَليـكَ الأرْض يـا مَـنْ فـي يَـدَيْـه ... مَـواهـبُ تُخْجـلُ الغَيْـثَ الهَتُـونـا
ومَـنْ تَخْشَـى الأسـودُ سَطـاهُ حَقّـاً ... فَتَلْـزَمُ مِـن مَخـافَتهـا العَـرينَـا

وَمَـنْ بـالجُـود منْـهُ كـلُّ حُـرٍّ ... غـدا فـي الـرِّقِّ مُعْتَقَـلاً رَهينَـا
ومَـنْ بـالعَـدْل منْـهُ فـي الـرَّعَـايـا ... وبـالألطـاف كـم أحْيـا دَفينَـا
أمَـا بَشَّـرْتُكُـمْ بـالنَّصْـر لَمَّـا ... حَضَـرْنـاكُـمْ وشَـاهَـدْنـا اليَمينَـا ؟
وقُلْـتُ وقـالَ مَـنْ أضْحـى كَفيـلاً ... بمَـا قَـدْ قـالَـهُ وَغَـدا ضَمينَـا
معَـاذَ الله أنْ تَخْشَـوا عَـدُوّاً ... ونـاصـرُكُـمْ أميـرُ المُـؤمنينَـا
ومَـنْ يَـكُ مـن مـواقفـه ببـال ... فقـدْ نـالَ المُنـى دُنيـا ودينـا
ولا زلْنـا لـدَوْلَتكُـم عَبيـداً ... ولا حَكَمـتْ يـدٌ لسـواكَ فينـا
فعلْمُـكَ قـدْ أحـاطَ بصـدْق وَعْـدي ... وصـارَ الشـكُّ عنـدَكُـمُ يَقينـا
ولَسْـتُ بمُـدَّع فـي ذاكَ غَيْبـاً ... ولكـنْ فَـوزُ جـدِّكُـمُ يُـرينـا
ولـي حَـقُّ البشَـارَة مـنْ نَـداكُـمْ ... فعنـدَكُـمُ غَـدا حَقِّـي مُبينـا
وآمُـلُ منْـكَ تَـوْقيعـاً شَـريفـاً ... بتَـوْليَتـي خَطيـبَ المُسْلمينـا
كَتَـوْقيعَـي أبـي وأبيـه قَبْلـي ... لِيَضحـى فـي يَـدي سَيْفـاً مَتينـا

/ ١٦٢ب/ وأنشدني أيضًا من شعره، ما كتبه إلى زين الدين أبي الحسن علي بن سالم الكاتب، منشىء الديوان المولوي البدري ـ حرس الله مجده ـ ويتنجز منه أن يكتب له توقيعًا بتقليد الخطابة بالجامع العتيق: [من الوافر]

أيـا مَـوْلَـى لـهُ فـي النَّـاس ذكْـرٌ ... يَفُـوقُ بنُـوره نُـورَ الصَّبـاحِ
أتَتْنـي منْـكَ مَعْتَبَـةٌ ولَمَّـا ... أهَـمَّ إلـى جَنـابـكَ بـاجْتـراحـي
وإنّـي كنـتُ أولـى النَّـاس عَتْبـاً ... عليـكَ جَـزاءَ هَجْـركَ لـي الصُّـراحِ
وإنَّ حَـوائجـي أضْحَـتْ لَـدَيْكُـم ... مُقـابَلَـةً بتَـرْك واطّـراح
ومـا زلْتُـم لـرَيْـب الـدَّهْـر ذُخـري ... ولـم أبـرَحْ أريـشُ بكُـمْ جنَـاحـي
علـى أنِّـي مَـريـضُ القَلْـب هَمّـاً ... وليـسَ علـى مَـريـض مـنْ جُنَـاحِ
فـإنْ تَعْفُـو فـأهْـلُ العَفْـو أنْتُـم ... وأهْـلٌ للْمَكـارمِ والسَّمـاحِ
وإنْ صَمَّمْتُـمُ طَلَـبَ انتقَـام ... رَميـتُ لَـدَيْكُـمُ طَـوْعـاً سـلاَحـي
ومَـا أنـا عنكُـمُ أبـداً بسـالِ ... ولا مُصْـغ إلـى وَاش ولاحـي
فـلا تَجْعَـلْ لطَـرْدي عنـكَ وَجْهـاً ... فمـالـي عَـنْ جَنـابـكَ مـنْ بَـراحِ
/ ١٦٣أ/ وَسَـمِّ وتَمِّـمِ التَّـوقيـعَ بـاسمـي ... علـى اليُمْـنِ المـؤمَّـلِ والنَّجـاحِ

وأُحْكِمُهُ بخَطٍّ مُسْتَنِيرٍ وألفاظٍ مُهَذَّبَةٍ فصاحِ
ولا تَكْتُبُهُ إلاَّ في فَراغٍ وحالٍ سُرورٍ قَلْبٍ وَانشراحِ
وكُنْ إعْذارَ تَقْصيري مُقيماً فقد أَضْحَى لَدَيْكُمْ ذا اتِّضاحِ
فلولا أنَّني في ضِيقِ عَيْشٍ أُقاتِلُ بالصَّوارمِ والرِّماحِ
ودَيْنٍ قد عَلاني كنتُ مِنْهُ بَريئاً في أمانٍ وارتِياحِ
لما قابَلْتُ خادمكُمْ بهذا ولا أصْبَحْتُ ذا وَجْهٍ وَقاحِ
ولكنِّي سَأجْبُرُ نَقْصَ فِعْلي إذا اتَّسَعَتْ بما أرْجُوهُ راحي
وليسَ وأنتَ لي هذا بَعيداً أُؤَمِّلُهُ غُدُوِّي أوْ رَواحي

[٢٦١]

عبدُ الله بنُ الخَضر بن مَحمود المقرىءُ، أبو العبَّاس، المَوْصِليُّ المولدَ والمنشأَ، المَعروفُ والدُه بالجَامَدار:

قرأ القرآن الكريم علىٰ أبي عبد الله محمد بن قريش بن مسلم الفارقي المقرىء ـ رضي الله عنه ـ تلقينًا، نزل بمدينة إربل سنة سبع وعشرين وستمائة، وأقام بدار حديثها مدّة /١٦٣ب/ يسمع الحديث علىٰ شيخنا أبي الخير بدل بن أبي المعمّر بن إسماعيل التبريزي[١]، ثم رحل عن إربل، وقدم الموصل، وانحدر إلى مدينة السلام في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، ثم توجه نحو الموصل، فبينما هو سائر إذ وقع من ظهر الجمل، فآلمه بعض أطرافه من شدة الوقع، فانقطع في الطريق، وعدم خبره، ولم يعرف إلى الآن حقيقة خبره.

أنشدني لنفسه يمدح الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبا العباس أحمد ـ رضوان الله عليه ـ: [من الطويل]

تَذَكَّرَ أيَّامَ الصِّبا فَتَألَّما وَحَنَّ وهل يَشْفي الحَنينُ المُتَيَّما ؟
وفي النَّفْسِ أشواقٌ وفي القَلْبِ حَسْرَةٌ أبتْ طُولَ هذَا الدَّهْرِ أنْ تَتَصَرَّما

---

(١) شيخ ديّن فاضل، مشهور في علم الحديث (٥٥٥ ـ ٦٣٦هـ)، له عدة مصنفات.
ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ١٤٤. شذرات الذهب ٥/ ١٨٠. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٢٤. النجوم الزاهرة ١٦/ ٣١٤. التكملة للمنذري ٣/ ٥٠٤. كشف الظنون ٣٦٣.

فلا هُوَ بالرَّاقي إلى سُؤل نَفْسه ... ولا بالَّذي يَسْلُو لِيَنْجُو مُسَلَّما
ولمَّا رأيتُ القَوْمَ للبَيْن أزْمَعُوا ... يَصيحُونَ للرَّاقي إذا ما تَرنَّما
أشَرتُ إلى نار الحَشا فتَضَرَّمَتْ ... وقُلْتُ لدَمْعي جُدَّ قدْ أقْفَرَ الحمَى
خَليلَيَّ إنْ عايَنْتُما دِمَنَ الحمَى ... فعُوجا على أبيات سَلْمَى وَسَلِّما
وإنْ جئتُما وِرْدَ الحمَى فاشْرَبا به ... وإنْ أنْتُما لم تَسْقيَاني شَرِقْتُما
/١٦٤أ/ منازلَ سَلْمَى بالعَقيقَيْن هِجْتِ لي ... غَراماً إذا نامَتْ عُيُونُ الورَى نَمَا
ولكنْ تَصاريفُ الزَّمانِ عَجيبَةٌ ... تُغادرُ حُلْوَ العَيْش والحالَ عَلْقَما
ولم أرَ مثْلي عاشقاً ذا صَبابَة ... ولا مثْلَ دَمْعي في الدِّيار إذا هَمَى
ولا كأمير المُؤمنينَ خَليفَةً ... بتَفْضيله الرَّحْمنُ فينا تَكَلَّما
إمامٌ إذا لَمْ يَعْرف المرءُ فَضْلَهُ ... على النَّاس يَصْلَى في المَعاد جَهَنَّما
إذا جالَ طَرْفي فيه أصبحَ خاسئاً ... حَسيراً لَدَيْه خاضعاً مُتَوَسِّما
هُوَ الجَوْهَرُ الغالي النَّفيسُ فلا يُرَى ... هُوَ البَحْرُ رِدْهُ لا تَرَى بَعْدَه ظَما
هُوَ الشُّعْلَةُ المأخُوذُ ضَوْءُ سَنائها ... منَ القَبَس المَوْدُوع في صُلْب آدما
هو النَّاصرُ ابنُ المُسْتضيء فلا تَرَى ... أجَلَّ وأعلَى منْهُ فَضْلاً وَمُنْتَمَى
فليسَتْ سَماءُ الله هذي التي تَرَى ... ولكنَّ أرْضاً تَحْتَويه هي السَّما
ولو لم يَطَأْ هذا التُّرابَ برِجْله ... لما جازَ للإنسانِ أنْ يَتيَمَّما
أخا الفَضْل لا تَجْزَع لوَقْع مُلِمَّة ... فلابُدَّ للأيَّام أنْ تَتَصَرَّما
إذا ما اعتَراكَ الدَّهْرُ يوماً ببأسه ... وأمَّلْتَ أنْ تَلْقَى إلى العزِّ سُلَّما
أَنِخْ بفِنَا دار السَّلام تَرَى بها ... إماماً إذا عايَنْتَه تأمَنُ العَمَى
/١٦٤ب/ تَرَى جَنَّةَ المأوَى تَرى عَلَمَ الهُدَى ... تَرَى كلَّ ما تَهوَى منَ الأرْض والحمَى
تَرَى واحدَ الدُّنْيا وباذلَ وَفْرِها ... وتَرْجعُ بالزُّلفَى عَزيزاً مُكَرَّما
إذا افْتَخَرَتْ يوماً قُرَيْشٌ بمَفْخَر ... فَخَيْرُ قُرَيْش مَن إلى جَدِّه انتمَى
فلَولاه لم نَسْعَدْ ولولا ابنُ عَمِّه ... لَما شَرَّفَ اللهُ الحَطيمَ وَزَمْزَما
يُميتُ ويُحيي كلَّ يوم عصابَةً ... فكلُّ بَنانٍ منه عيسَى بنُ مَرْيَما
فلَو عايَنَ الدَّجالُ شدَّةَ بأسه ... تَمَزَّق إعظَاماً لَهُ ثُمَّ أسلَما
ولو ظَهَرَتْ منْهُ على الخَلْق نقْمَةٌ ... لَما صَحَّ عنْدي أنَّ في الأرْض مُسْلما

ولاَ بَــدَّلَ اللهُ البِــلادَ بِغَيْــرِهِ ... ولا زالَ مَعْمـورَ الجَنَـابِ مُعَظَّمـا

[٢٦٢]

عبدُ الله بنُ يُوسُفَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ يُوسُفَ بنِ أحمد بنِ الحَسَنِ، أبو مُحَمَّدٍ الموصليُّ:

كان شابًا متأدبًا ذكيًا، من أبناء الرؤساء، وذوي النعم، وكان يميل إلى الشعر، والتحفظ من مختاره وأحسنه، وربما قال أبياتًا صالحة.

وكانت ولادته تاسع ذي القعدة سنة ستمائة بالموصل، بسكة الكاروز، وتوفي ثالث عشر ذي الحجة / ١٦٧أ/ سنة ثماني وعشرين وستمائة، تغمده الله برحمته.

أنشدني له أخوه الرئيس أبو الحسن علي بن يوسف قال: أنشدني أخي عبد الله لنفسه يصف القَصيل[1] وقد علاه الندى: [من الكامل]

أُنْظُـرْ إلَـى قُضُـبِ الـزُّمـرُّدِ بُكْـرَةً ... وَلمـا عَلَيْـهِ مِـنَ النَّـدىٰ تَتَحيَّـرُ
فكـأنَّـهُ دَمـعٌ يُكَفْكِفُـهُ الحَيَـا ... فَيَجُـولُ فـي الآمـاقِ لاَ يَتَحـدَّرُ

[٢٦٣]

/ ١٦٥أ/

عبد الله بن عبد الرحيم[2]:

[من البسيط]

مـا حـاوَلَ الصَّـبُّ يـومـًا عنكَ سُلْـوانـا ... فكيـفَ بَـدَّلْتَـهُ بـالـوَصْـلِ هجْـرانـا
وَنِمْـتَ عـن لَيْلَـةٍ بـاتَـتْ كـواكِبُهـا ... تُـرْعَـى بعَيْنَيْـهِ حتـىٰ الصُّبْـحِ وَلْهَـانَـا
والحُـبُّ لـو كـانَ عَـدْلاً فـي حُكُـومتـه ... لَصَـدَّ دونَ الكَـرَىٰ أجفـانَ أجفَـانـا
ضَنُّـوا بمـاعُـونهـمْ سُكنـىٰ الحمـىٰ ولَـوَوْا ... دُيـونَ عُشَّـاقهـم ظُلمـًا ولَيَّـانـا
واستصـوبُـوا جَـوْرَهُـم فينـا مُجـاهَـرَةً ... كـأنَّنَـا لـم نكُـن بـالأمـسِ جيـرَانـا
وأظهَـروا لِمُحِبِيهِـم مُخَـادَعَـةً ... مِـنْ مُحْكَـمِ الـوُدِّ مـا ضَنُّـوا بـه الآنـا

---

(١) القصيل: ما اقتطع من الزرع الأخضر لعَلَف الدَّواب.

(٢) بعد هذا الإسم ترك المؤلف بياضاً بمقدار ثلاثة أسطر دون أن يدوّن فيها معلومات عن الشاعر تسبق نماذج شعره.

أَقْمارُ تمٍّ عَلَتْها من بَراقعِها ... عمائمٌ ما اكتَسَتْ فيهنَّ أدْجَانا
كأنَّ ريحَ التَّصابي في مَجاسدِها ... باتَتْ تَهُزُّ منَ الأعطافِ أغصانا
يا لائمي في الهَوَى مَهْلاً فَلي كَبِدٌ ... تُذْكي بها نَفَحاتُ الشَّوقِ نيرانا
وكيفَ أنْعَمُ بالاً أو ألَذُّ كَرَى ... وفي الحُمولِ اللَّواتي جزْنَ نُعْمانا
/ ١٦٥ب/ هيفاءُ في خَدِّها وَرْدٌ وفي فَمِها ... ورْدٌ يَظَلُّ إليهِ القَلْبُ ظَمْآنا
لَيْلِيَّةُ الفَرْعِ تنضو منْ غَلائلِها ... دُكْناً تَفُحُّ سَحيقَ المِسْكِ والبانا
لولا المُجَرَّبُ منْ درياقِ ريقَتِها ... كَما أضافَتْ إليهِ مِنْهُ ثُعْبانا
في وَجْهِها نَيِّرٌ لا يَسْتَسِرُّ وقَدْ ... يَعْرُو السِّرارُ بُدورَ التِّمِّ أحيانا
والحَلْيُ تُكْسِبُهُ حُسْناً تَرائبُها ... إذا تَرائبَ أُخرَى غَيْرَها زانا
مُفيقَةُ القَلْبِ منْ وَجْدي وناظِرُها ... تَخالُهُ لانكسارِ الدَّلِّ سَكْرانا
لَو باسمِها نُودي الأرْوَى لأسْهَلَ عن ... طوعٍ ولو لامَسَتْ مَتْنَ الصَّفَا لانا
تَحْمي سُلافَةَ فيها ثُمَّ تَرْشُفُها ... منَ الأراكِ بُعَيْدَ النَّومِ عيدَانا
للْحُسنِ فيها صفاتٌ قَلَّما اجتَمَعتْ ... إلاّ لتَغْدو على العُشّاقِ أعْوانا
تُلهي الجَميعَ بِلَذٍّ مِنْ فُكاهَتِها ... يُخالُ طَبْعاً إذا كَرَّتْهُ ألحانا
كأنَّ أنْفاسَها أنْفاسُ سارِيَةٍ ... هَبَّتْ فَهَزَّتْ قُبَيْلَ الصُّبْحِ رَيْحانا
فلو تَمرُّ بنا مَوْتَى وقدْ كَشَفَتْ ... بحرفِها عنْ مُحيّاها لأحْيانا
ما استَعْبَدَ الحُسْنُ لولاها ولا أحَدٌ ... في النّاسِ كابنِ سَعيدٍ بثَّ إحسانا
/ ١٦٦أ/ أوْفَى البَرِيَّةِ مَعْروفاً وأرْفَعُهم ... قَدْراً وأثْبَتُهم في المَجْدِ أركانا
واري زِنادِ النَّدى والفَضْلِ قَدْ عُرِفَتْ ... فينا صنائعُهُ سِرّاً وإعلانا
سِيّانِ كُفْرانُنا مَشْهُورَ أنْعُمِهِ ... فينا وإضمارُهُ باللهِ كُفْرانا
مَوْلًى يَمُنُّ بلا مَنٍّ ويَرْغَبُ عن ... نَيْلِ المُنيلِ إذا ما كانَ مَنّانا
جَمُّ الذَّكاءِ تُريهِ ألْمَعِيَّتُهُ ... ما لَمْ يَكُنْ داخِلاً في ما كانا
لُذْنا بِهِ فأرانا منْ مَكارِمِهِ ... وفَضْلِهِ ما كِرامُ النّاسِ أنْسانا
تَعشُو إلى نارِ نُعْماهُ الضُّيوفُ كما ... ينفَكُّ جارٌ عَلا قَدْراً وَضيفانا
ويَسْتَبيحُ حِمَى الأمْوالِ نائلُهُ ... ولَمْ يُصِبْ منْ حِمَى أمْوالِهِ صانا
تُرْوَى أحاديثُ نُعْماهُ مُسَلْسَلَةً ... عن مُوثِقِي مُسْنَدِ العَلْياءِ إتقانا

فـي كـلِّ وَقْـت يُـرينـا مـنْ خَـلائقـه ... وحُسْـنِ آدابـه نَـوْراً وبُسْتـانـا
يَلْقَـىٰ رِحـالَ المُنَـى عـافـي مَـواهبـه ... بحَيْثُ لـم يخشَ عـافي الجُود حرْمانا
بـأضيـقِ النـاس عُـذْراً إنْ هـم سؤلـوا ... جُـودا وأوسعهـمْ . . . .
إذا أتينـاهُ نشكـو مـن أذى زمـن ... سَخـا فمـا يُعقـبُ الأزمـان أزمـانـا
سهـلُ الحجـاب مَنيـعُ الـدار مَنْبتُـهُ ... فـي دَوْحَـة كـرُمَـتْ أصـلاً وأفنـانـا
قـومٌ إذا وُزنـوا بـالنـاس كلّهُـمُ ... فـي سُؤددٍ رَجَحـوا بـالنَّـاس ميـزانـا
/ ١٦٦ب/ القـائمينَ بـأعباء العُـلا كَـرَمـاً ... ثُـمَّ المُقيميـن أفعـالاً وأديـانـا
تَـوَسَّعـوا فـي النَّـدى حتَّـىٰ لَقـد سَمَحـوا ... بـالمُسْتَحيـلِ مـنَ الإعطـاء إمْكـانـا
لـو جـازَ أنْ يَـرْجـعَ المـاضـي علـىٰ أحـد ... مـنْ عُمْـره لأصـاروا الشَّيـبَ شُبَّـانـا
لا يُهْتَـدَىٰ لمسـاعيهـم وإنْ سَطَعَـتْ ... أنـوارُهـا وغَـدَتْ كـالشَّمْـس تبيـانـا
جـاءوا العُـلا قَبْـلَ إلمـامِ الكـرام بهـا ... فـاسْتَصْلَحـوا خَيْـرَهـا دينـاً وبُنْيـانـا
شعـارُهُـم حُـبُّ مبْطـانِ الضُّيـوف إذا ... حُـبَّ السَّفيـرُ ولـم يَبْـدوهُ إبطـانـا
تَلْقَـى أعـاديهـمُ يـومَ اللِّقـاء بهـمْ ... آسـادَ خفَّـانَ فـي أكنـاف خَفَّـانـا
بـاهَـتْ بفَضْـلِ بهـاء الـدِّيـن أُسْـرَتُـه ... حتَّـىٰ لقـد أشْبهَـتْ فـي الفَخْـر عَـدْنـانـا
مـولًـى بَنَـىٰ لبنـي الخَشَّـاب بَيْـتَ عُـلاً ... طـالَـتْ مَبـانيـه حتَّـىٰ جـزْنَ كَيْـوانـا
إذا استَمْحنـاه أعطـى فَـوقَ بُغْيتنـا ... وإنْ أسـأنـا يُـرينـا منـه غفـرانـا
أعـاشَنـا اللهُ نَتْلُـو شُكْـرَ أنْعُمـه ... حتَّـىٰ عليـه إذا متْنـا تَـوَقّـانـا
فكـم أعـانَ علـى خَطْـب أجـازَ بنـا ... مكْـروهـه وحَمَـى مَـنْ حَيْنُـه حـانـا
ودامَ وابنـاهُ فيمـا شـاءَ مـنْ دَعَـة ... حتَّـىٰ يُحَـرّكَ أمـرَ الـرِّيـح ثَهْـلانـا

[٢٦٤]

عبدُ الله بنُ عيسَى بن الحُسَين بن أبي طالب بن محمد بن باروخ، أبو الهَيجاء بنُ أبي مَنْصُورٍ الكُرْديُّ المَهْرانيُّ المَوْصليُّ:

كانت ولادته سنة أربع وتسعين وخمسمائة بالموصل، وكان والده أميراً جليلاً

عظيم المنزلة، عند أتابك نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود[(١)]، وأخص حجابه في دولته.

وابنه هذا أبو الهيجاء شاب جندي، ذو طبع في الشعر سليم، وفكر في إنشائه مستقيم، صاحب معان منتخبة، وألفاظ مستعذبة، مجيد في كلامه، محسن في صوغ القريض ونظامه، له طُرَف /١٦٧ب/ شائقة، وأوصاف رائقة، ولم يعتن بشيء من الصنائع إلا وكان فيه تام المعرفة والحذق، يفوق به أقرانه وأشكاله، ثم إنَّ له اليد الباسطة في الآداب الملوكية، كالتصيد بالصَّقر والكلاب، والضرب بالصولجان، والرمي بالقوس، وركوب الخيل وسباقها، وغير ذلك، وهو في نفسه مفرط الذكاء، سريع الإدراك.

أنشدني لنفسه يمدح المولى المالك الملك الرحيم بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام والمسلمين، مغيث الأنام، صفي الإمام، قسيم الدولة، محيي الملة، بهلوان جهان، خسرو إيران، قُزل أرسلان، أتابك أبا الفضائل، نصير أمير المؤمنين ـ خلّد الله ملكه ـ من قصيدة مطلعها في المديح: [من الكامل]

يـا مَـنْ يُعيـرُ الغُصْـنَ قَـدّاً والنَّقَـا ... كَفَـلاً ويَحْسـدُ خَصْـرَه الـزُّنبـورُ
إخفـضْ جَنـاحَ العَطْـف منْـكَ فَـإنَّـهُ ... ظـلٌّ علـيَّ ومـا سـواهُ حَـرُورُ
إلاَّ سَـوابـغَ أنْعُـم سَحَّـت علـى الـ ... ـدُّنيـا فَهُـنَّ سَحـائـبٌ ونُحـورُ
مَـنْ كَـفَّ مـنْ كَـفِّ الحـوادث طُـولُـه ... والطَّـول فَهْـوَ مـنَ الـزَّمـان خَفيـرُ
/١٦٨أ/ الضَّيْغَـمُ البحْـرُ الخضَـمُّ الطَّـوْدُ للْـ ... ـخَطْـبِ المُلـمِّ المـالـكُ المَنْصُـورُ
العـادلُ السُّلطـانُ بَـدْرُ الـدِّيـن والـ ... ـمَلـكُ الـرَّحيـمُ المُنْعـمُ المشكـورُ
القـاهـرُ المُتَمَـرِّديـنَ القـامـع الشـْ ... ـشِـرك الكَمـيُّ الأرْوَعُ المَحـذُورُ
عَضُـدُ الخـلاَفَـة نـاصـرُ الإسـلامِ مُحْـ ... ـيـي العَـدْل حـامٍ للثُّغـور مُجيـرُ
زاكـي النِّجـار فَتـى الفَخَـار أخـو الـوَقَـا ... رِ أبـو اليَسـارِ فَمـا لَـديْـهِ عَسيـرُ

---

(١) الملك العادل، مَلَك الموصل بعد وفاة أبيه، وانتقل إلى المذهب الشافعي، وبنى مدرسة للشافعية بالموصل، توفي سنة ٦٠٧هـ.
ترجمته في: الكامل في التأريخ ١٢/ ١٢١. البداية والنهاية ١٣/ ٥٧. ذيل الروضتين ٧٠. شذرات الذهب ٥/ ٢٤. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٠٠. تأريخ إربل ٢/ ٥٢.

مَنْ دُونه كسْرىٰ وقَيْصَرُ في العُلاَ ... هاذاكَ مَكْسُورٌ وذا مَقْصورُ
سُبْحَانَ مُعْطيه السَّعادةَ والنُّهىٰ ... مَنْ أَرْدَشيرُ لَدَيْه مَنْ سابُورُ ؟
مَنْ عَنْتَرٌ مَنْ حاتم مَنْ قَيْس بل ... مَنْ قُسُّ حيث حَدَيثُه المأثُورُ ؟
كم منْ خَميس كَتيبَة كادَتْ لَدَيْـ ... ـه الأَرْضُ تَزْحَفُ والسَّماءُ تَمورُ
جَعَلَ الرِّياحَ الهَوجَ ساكنةً فلم ... تَسْطَعْ لمُشْتَبَك ٱلوَشيج تَسيرُ
وَسَمَتْ أسنَّتُه فأوجَسَ خيفة ... منْهَا ٱلغَيُورُ فما لَدَيْه غَيورُ
وَمَضَتْ صَوارمُه لرَعْد بنُوده ... فَالصَّيِّبُ ٱلمُتدَفِّقُ التَّامورُ
وافَىٰ اقتحَامُك وَهْوَ . . . بَدْوه ... يكْفيكَ عَوْداً والجوادُ دَريرُ
جنْحاً جَناحَاهُ وقُلْبٌ قَلْبُه ... حتَّىٰ القَوادمُ والخَوافي بُورُ
يَوْماً تكادُ تَمَيَّزُ الأبطالُ منْ ... غَيْظ وأوداجُ الكُماة تَفُورُ
/ ١٦٨ب/ يا مَنْ يَجلُّ بأنْ تُرامَ صفَاتُه ... حَصْراً وكلُّ وَصْفُه مَحْصورُ
ما إنْ رأىٰ الرَّاؤونَ قَبْلَكَ مالكاً ... طَوْعاً لهُ فَلَكُ الزَّمان يَدورُ
لم أُثْنِ في شعْري لَدَيْكَ تكَلُّفاً ... مَدْحاً ودُونَ طباعكَ المَذكورُ
خُذْ في عُلاكَ قَصيدةً قَد أفحَمَتْ ... نُطْقَ الفَرَزْدَق حيثُ جاءَ جرير
واسلَمْ مَدى الأيَّامِ مَهْما أسْفَرَ الـ ... ـصُبْحُ المُنيرُ وأظْلَمَ الدَّيجورُ

وأنشدني لنفسه: [من الكامل]

عَجَبي لهُ شَرِبَ المُدامَةَ طالباً ... سُكراً وقَهْوَةُ ريقه منْ فيه
لو كان يَفْعَلُ في خَلائقه الطِّلا ... كانَتْ سُلافُ رضَابه تُنْشيه
أو أنَّهُ ثَملٌ بها ولعَلَّ صَهْـ ... ـباءَ العُقار بفعلها تُصحيه
مثْلُ العَليل المُسْتَمرِّ صَلاحُه ... يُرجَىٰ بثاني عِلَّةٍ تَأتيه

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

تَقُولُ وقد زُمَّت لبَيْن جمالُها ... مُراعيةً عَهْدي بلُطْف التَّوَدُّد
هَلُمَّ لتَوديعي فقد أوْشَكَ النَّوىٰ ... وأرْخَت دُموعاً كالجُمانِ المُبَدَّد
فقُلْتُ وأنفاسي يُصَعِّدُها الأسَىٰ ... وقد أخَذَت نارُ الهَوىٰ في تَوَقُّد
مَحلُّك في قَلْبي وإنْ أقْفَرَ الحمَىٰ ... ولكنَّ طَرْفي منْ جَمالك زَوِّدي
/ ١٦٩أ/ ولا تُنْكري تَرْكي الوداعَ فإنَّهُ ... بمثْلك لا يَسْخو متىٰ ظَفرَتْ يَدي

وأنشدني قوله: [من الطويل]

ولمَّـا تهـادَىٰ أنْ تَـرَىٰ كُتبَـكَ الَّتـي ... أُسـرُّ بهـا مـا دُمْـتُ فـي شاسـع البُعْـد
عَلمنـا بـأنَّ البَيْـنَ يُنْسَـىٰ ولـم تَـدُمْ ... شُـرُوطٌ جَـرَتْ عنـدَ الـوَداع مِـنَ الـوُدِّ
كَتَبْنـا عسـىٰ تَحْنـو علينـا بمثلـه ... كتـابـاً يُبكّـي ضمْنُـه أعْيُـنَ الصَّلْـد
ولأُبـدَّ فـي بُـطءِ السَّحـاب عـنِ الـرُّبـىٰ ... مُـوافـاةُ مُسْتَسْقـىً لـهُ رُبَّمـا يُجْـدي

وأنشدني من شعره: [من الطويل]

وذُو، هَيَـف حـازَ الجَمـالَ ظَـرافَـةً ... وَدقَّ مَعـان فـي الجَمـال وفـي الهَيَـفْ
تَحـارُ عقـولُ الـواصفيـنَ لحُسْنـه ... ويَكْبـرُ عنـدَ الـوَصْف قَـدْراً فَلَـم يُصَـفْ

وأنشدني أيضًا قوله: [من الكامل]

لـو كـان يَجْـزي الصـبَّ خُبْـرُ وداده ... لمُحبّـه فـي قُـرْبـه وبعـاده
تـالله لـم يُصْـدرْنَـه أيـدي النَّـوىٰ ... عَمَّـا يلَـذُّ الصَّـابُ فـي إيـراده
كـلاَّ ولا أضحَـىٰ الغَـرامُ غَـريمَـهُ ... حتَّـى لقـد أخْفـاهُ عـن عُـوّاده
يـا سـائـلاً عـن حـال صَـبٍّ سـاهـر ... أنْسـاهُ هَجْـرُ الـوَصْـل ذكْـرَ رُقـاده
خَـدَّدْنَ خَـدَّيْـه دُمَـوعُ جُفـونَـه ... تيْـكَ التـي حُشيَـت بكُحْـل سُهـاده
/١٦٩ب/ لـم يَصْحُ مَنْ سُكْـر الصَّبابـة سـاعـةً ... أنْ يَـرْعَـوي وإذا شَكَكْـتَ فَنـاده
يـا وَيْحَـهُ كـم ذا يُكـابـدُ مـنْ جَـوًى ... وأقَـلُّ سُبْـلَ الغَـيِّ دُونَ رَشـاده
أو مـا كَفَـىٰ أنْ لـم يُخَـلِّ لَـه الهَـوَىٰ ... إصْـلاحَ حـالٍ لـم يَقُـمْ بفَسـاده

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الكامل]

ريُّ ثَغْـر مـا بَـدا إلاَّ أرا ... نـا البَـدْرَ يَحْمِلُـه قَضيـبٌ مـائـلُ
طُبعَـتْ سُيـوفٌ لحـاظـه مـنْ نَـرْجَس ... ولهـا بنَفْسَـجُ عـارضَيْـه حَمـائـلُ

وأنشدني لنفسه: [من الوافر]

مُحَمَّـدُ صِـلْ كَئيبـاً مُسْتَهـامـا ... بحُبِّـكَ لا يَقَـرُّ لَـهُ قَـرارُ
صَبـوراً فـي الحَـوادث غيـرَ واه ... ولكـنْ عنـكَ ليـسَ لـهُ اصْطبـارُ
بنَـرْجـس مُقْلَتَيْـكَ وَوَرْد خَـدٍّ ... أحَـاطَ بـه بَنَفْسَجَـهُ العَـذارُ
وَقَـدٍّ كـالقَنـاة وَلَيْـل شَعْـر ... تَبَلَّـجَ تَحْـتَ حـاجبـه النَّهـارُ

أَجِرْنِي مِنْ هَواكَ وَمِنْ جَفاكَ الْـ لَـذَيْنِ كِلاَهُما في القَلْبِ نارُ
ولا تَبْخَلْ بِقُرْبِكَ مِنْ مُحِبٍّ سخا بالعِرْضِ فيكَ وليسَ عارُ

وأنشدني من شعره أيضًا: [من الكامل]

لم أَنْسَ زَوْرَتَهُ بلا وَعْدٍ وقدْ أَرْخَى الظَّلامُ حَنادسًا بسُدولِهِ
/ ١٧٠أ/ وافَى نَسِيمُ عَبِيرِهِ فَتَأَرَّجَتْ نَفَحَاتُ رَيَّاهُ قُبَيْلَ وُصُولِهِ
وتَلألأتْ أنوارُه حتَّى لقد قامَ الوَرَى للهِ في تَهْلِيلِهِ
قَصَدَ اكتتامَ السِّرِّ خَوْفَ رقيبِهِ مَعَنا فلم نَقْدِرْ على تَحْصِيلِهِ

وأنشدني لنفسه: [من البسيط]

يا حبَّذا اليَوْمُ مِنْ يومٍ أَغَرَّ لقد وافَى بأُعْجُوبَةٍ سَيَّرتُها مَثَلا
كأنَّما اشتَبَكَتْ دونَ السَّماءِ على الأَرضِ الفواختُ حتى سَدَّتِ الخَلَلا
ونافَرتْ بَعْضُها بَعْضًا مقاتِلَةً فَظَلَّ يَسْقُطُ زِفُّ الرِّيشِ مانَسَلا
وقامَ بالأرْضِ حتَّى لو تَوجَّهَ في إِحدَى المسالكِ خَلْقٌ ظَلَّ وانخَذَلا
ولا سَماءً ولا جَوًّا نَرَى أبدًا ولا نُحَقِّقُ لا سَهْلاً ولا جَبَلا
ولو سألتُ عن الدُّنيا لَقِيلَ نَرَى كَنَدْفِ قُطْنٍ وأمَّا غيرُ ذاكَ فلا

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الطويل]

كَتَبْتُ إليهِ شاكيًا مِنْ جُفونِهِ وكَوْنِ تَعَدِّيها عليَّ بلا جُرْمِ
وأنْهَيْتُ أحوالي إليهِ تَضَمُّنًا وما يُعْقِبُ التَّذْكارُ عندي مِنَ السُّقْمِ
رَجاءً عَسَى يَرْثِي فَيُحْيي بقُرْبِهِ لمقتولِ بُعْدِ نازِحِ الدَّارِ عَنْ ظُلْمِ
/ ١٧٠ب/ فَوَقَّعَ لي ليس المَرِيضُ عليه من جُناحٍ وقد أنْهَى عن الوَصْلِ في الحُكْمِ
وَبَعْدُ فَمَنْ أَلْقَى ضَلالاً بنَفْسِهِ إلى الهُلْكِ حقًّا ما على الغَيْرِ من إِثْمِ

[٢٦٥]

عبدُ الله بنُ أبي القاسِم بن أبي الفَرَجِ، المعروفُ بالجديدِ الحَريميّ[١]:

من أهل الحريم الطاهري[٢]، كان رجلاً حرفته التكسب بالشعر لا غير، ويستجدي به الرؤساء من البغداديين، فيثاب عليه في ذلك بالنزر الطفيف.

أنشدني الشيخ العدل أبو بكر عبيد الله بن يحيىٰ بن أبي بكر بن سالم ابن عثمان البغدادي الكاغدي بمنزله ببغداد، بجانبها الغربي، بدار القز، سنة تسع وثلاثين وستمائة قال: كتب إليّ أبو بكر عبد الله بن أبي القاسم بن أبي بكر الحريمي لنفسه بهذه الأبيات: [من الخفيف]

دُمْ أبا بَكْرٍ سالماً من صُروف الـ ... ـدَّهْرِ والنَّائباتِ والأعراضِ
صافيَ الوِرْدِ صافي البُرْدِ سامي الـ ... ـجِدِّ والعِزِّ مُتْرَعَ الأحْواضِ
وَمُرِ الدَّهْرَ يَسْتَجِبْ أمْرَكَ النَّا ... فِذَ من غيرِ وَقْفَةٍ واعتراضِ
وأبْقَ في هضبةٍ من العِزِّ والعَلْـ ... ـياءِ ما لم تُشَمْ بُروقُ انتقاضِ
أيُّها الماجِدُ الكَريمُ السَّجايا ... والنَّقيُّ الأذْيالِ والأعراضِ
دَعْوَةٌ مِنْ أخي وِدادٍ سَليمِ الـ ... ـعَهْدِ والوُدِّ صالحِ الأغراضِ
كُلَّ يومٍ نُسْدي إلَيْكَ ثَناءً ... مثْلَ نَشْرِ النَّسيمِ فوقَ الرِّياضِ
لا عَدا رَبْعَكَ السُّرورُ ولا زا ... لَ مَصُوباً بالعارضِ النَّهَّاضِ
وتَوالَتْ علىٰ أعاديكَ أحْدا ... ثٌ مِنَ البُؤسِ في النُّفوسِ قَواضي

---

(١) هذه الترجمة بكاملها من هامش الأصل.

(٢) الحريم الطاهري: محلة بأعلى بغداد، من الجانب الشرقي، تنسب إلى طاهر بن الحسين، بها كانت منازل آهلة، وغيرهم جعلها حريمًا، وكان عليها سور دائر، وقد قرض نهر دجلة أكثرها. انظر: معجم البلدان/ مادة (الحريم).

[٢٦٦]

عبدُ الله بنُ مُحَمَّد بن محمود بن علي بن عبد الرحيم بن عليٍّ بن خلَف بن هلاَل بن نُعْمانَ بن داودَ بن عليٍّ بن خَلَف بن الخضر بنَ مالك بن عَبْد الله بن مَالك بن الحُصَيْن بن عُطارد بن حاجب بن زُرارَةَ بن عُدُس بن زَيْد بن عبد الله بن دارمَ بن مالكَ بن حَنْظَلَةَ بن مَالك بن سَعْد بن زَيْد مناة بن تَميمَ بن مُرّ بن أدّ بن طَابخة بن إلياسَ بن مُضَرَ بن نزار بن مَعدٍّ بن عَدْنَانَ، أبو القاسم بنُ أبي عَبد الله التميميّ الحلَبيُّ: طابخة بن إلياسَ بن مُضَرَ بن نزار بن مَعدٍّ بن عَدْنانَ، أبو القاسم بنُ أَبي عبد الله التميميَ الحلَبيُّ:

كان لسلفه قدم في الأدب والفضل، ونظم الشعر.

وأبو القاسم شاهدته بمحروسة حلب في العشر الأواخر من شهر شعبان سنة أربع وثلاثين وستمائة، وهو يتصرف في الأعمال، ويتولى النظر في ديوان / ١٧١أ/ الإهداء.

وسألته عن ولادته فقال: ولدت خامس شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة بمدينة حلب، وهو شيعي المذهب، شاعر مجيد فيما يأتي به من مديح وتغزل، بمعان حسان، وألفاظ عذاب، يسلك أسلوب الشعراء المتقدمين فيما يحاولونه، وأنشدني جملة من أشعاره.

فَممّا أنشدني بمنزله المحروس بمدينة حلب يوم الثلاثاء ثامن رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة لنفسه، وأنا سألته: [من الكامل]

لو كان أُعْتَبَ بعدَ طول عتَابه ... لَشَفَى فُؤادَ الصَّبِّ منْ أوصَابه

لكنْ خلا قَلْباً فباتَ مُخَلّياً ... قَلبي وما يَلْقاهُ منْ إطرابه

وهَواهُ لولا ما تُجنُّ جوانحي ... منْهُ لما استَعْذبتُ مُرَّ عَذابه

قَمَرٌ يُكنُّ البَدْرَ تحت لثامه ... ويَميسُ خُوطُ البان بينَ ثيابه

أَشْفَى علَى تَلَفٍ ولَمَّا يَشْفِنِي   مِنْ حَرِّ بَلْبالٍ بِرَشْفِ رُضَابِهِ
وأَوَدُّ مِنْهُ مُولَعًا بِصُدُودِهِ   تَمْرِي ذَهَابَ الدَّمْعِ رِيحُ ذَهَابِهِ
وشْيُ العِذارِ بِعارِضَيْهِ أَصارَنِي   لا أَسْتَجِيبُ لِمَنْ بِحالِي وشَى بِهِ
ما كانَ أَرْغَدَ عِيشَتِي لو كانَ لِي   مِنْ جِيدِهِ فِي اللَّيلِ حَظُّ سِخَابِهِ
/ ١٧١ب/ يَفْرِي القُلُوبَ بِمُرْهَفٍ مِنْ لَحْظِهِ   لَمْ يَدْرِ يَوْمًا ما فِراقُ قِرابِهِ
إِنْ بانَ عَنْ عَيْنِي فَإِنَّ خَيالَهُ   لَيَجُرُّنِي ولَهِي إِلَى مُنْتَابِهِ
لَمَّا تَعَرَّضَ لِي وقَدْ طَعِمَ الكَرَى   جَفْنِي وَجَدَّ الوَجْدُ فِي اسْتِحْلابِهِ
أَفْنَيْتُ لَيْلَ وِصالِهِ لَثْمًا لَهُ   وَذُهِلْتُ عَنْ تَعْنِيفِهِ وعِتَابِهِ
حَتَّى لَقَدْ حاوَلْتُ عِنْدَ مُضِيِّهِ   مَنْعًا لَهُ وتَعَلُّقًا بِثِيَابِهِ
وافَى فَقُلْتُ: الطِّيبُ حاوَلَ تَجْرُهُ   فِي حِنْدِسِ الظَّلْماءِ فَضَّ عِبَابَهُ(١)
أَوْ مَدْحُ أَحْمَدَ الرُّوَاةُ تَنَاقَلَتْ   مَأْثُورَهُ وتَعَرَّضَتْ لِمَلابِهِ(٢)
المُغْتَدِي هَمُّ العُلا لِسَمَاحِهِ   وهِبَاتِهِ فِي عُنْفُوانِ شَبَابِهِ
مَازَالَتِ الأَيَّامُ تُخْلِفُ مَوْعِدِي   حَتَّى أَقَامَنِي الرَّجَاءُ بِبَابِهِ
يَقْفُو سَبِيلَ العَدْلِ فِي أَحْكَامِهِ   فَكَأَنَّهُ دَاوُدُ فِي مِحْرَابِهِ
ويُجِيرُ مِنْ جَوْرِ الزَّمَانِ إِذا عَدَتْ   أَحْدَاثُهُ ويَفُلُّ مِنْ أَنْيَابِهِ
فَالمُلْكُ لَيْسَ بَقَاؤُهُ إِلاَّ عَلَى   تَدْبِيرِهِ وصَلاحُهُ إِلاَّ بِهِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الكامل]

لَوْلا اعْتِيادُ لَوَاعِجِ الأَشْوَاقِ   لَمْ يَعِ ذا هَوَاكَ نَفْثُ الرَّاقِي
ولَكَانَ يُقْنِعُ مِنْ وِصَالِكَ فِي الدُّجَى   إِلْمَامُ طَيْفِ خَيَالِكَ الطَّرَّاقِ
/ ١٧٢أ/ لَكِنْ جَمَعْتَ عَلَيَّ مِنْ ثِقَلِ الهَوَى   بَيْنَ الجَوَى والبَيْنِ غَيْرَ مُطَاقِ
ولا تُخْفِقِي مَسْعَى هَوَايَ فَإِنَّنِي   أَطْوِي الضُّلُوعَ عَلَى حَشًا خَفَّاقِ
وَعِدِي جَمِيلاً عَاشِقَيْكِ وَجَانِبِي   فِي الحُبِّ نَقْضَ مَرَائِرِ المِيثَاقِ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى السُّلُوِّ لِمُغْرَمٍ   جُمِعَتْ عَلَيْهِ شَوَارِدُ الإِشْرَاقِ

(١) التَّجْر: التجار.
(٢) الملاب: عطر أو الزعفران.

أَمْ كَيْفَ لاَ يَبْدُوْ هَوَاهُ وَقَدْ بَدَا طَلَلُ الأَحِبَّةِ ظَاهِرَ الإِخْلاَقِ
طَلَلٌ لِعَلْوَةَ بِاللِّوَىٰ أَبْقَىٰ البِلَى مِنْ رَسْمِهِ لِحُشَاشَةَ المُشْتَاقِ
كَانَتْ مَعَالِمُهُ تَرُوْقُ لِمَا بِهَا مِنْ صَمْتِ خَلْخَالٍ وَنُطْقِ نِطَاقِ
مِنْ كُلِّ رَائِعَةِ الجَمَالِ غَرِيْرَةٍ خَمْرِيَّةِ الوَجَنَاتِ وَالأَرْيَاقِ
تَأْوِيْ الحِجَالَ وَتَرْتَعِيْ أَلْبَابَنَا وَتَعَافُ رَعْيَ الشَّتِّ وَالطُّبَّاقِ
لاَ أَظْلَمُ الغِرْبَانَ لَمْ يَقْذِفْ بِهَا أَمَدُ النَّوَىٰ إِلاَّ رُغَاءُ نِيَاقِ
وَلَرُبَّ كَأْسٍ بِتُّ أُسْقَاهَا عَلَى مِثْلِ الحَدِيْقَةِ مِنْ مُحَيَّا السَّاقِي
خَلَفَتْ خِلاَلَ مُحَمَّدٍ فَفَعَالُهَا بِالهَمِّ فِعْلُ نَدَاهُ بِالإِمْلاَقِ

وأنشدني أيضًا لنفسه في التاريخ المذكور: [من الطويل]

/ ١٧٢ب/ بَدَا قَمَراً في حِنْدِسِ اللَّيلِ نيِّرا وهزَّ رُدَيْنِيًا مِنَ القَدِّ أَسْمَرا
وأبدى لنا ما بين آسِ عذاره غَدَاةَ بدا وَرْداً من الخَدِّ أحمرا
وأمْعَنَ في بَرْيِ الجُسُومِ تَعَمُّداً بما راشَ مِنْ نَبْلِ الجفون وما بَرَىٰ
مِنَ الهِيْفِ مَعْشُوق الشمائل أغْيَد أَقَلُّ غَرامي أنْ يَنَامَ وأسْهَرا
يُرِيكَ قَضِيبَ البَان أمْلَدَ أهيَفاً إذا ما بدا والظَّبْيَ أجْيَدَ أحْوَرَا
يَمِيسُ بِرَيْحَانِ الذوائِبِ مُورِقًا ويَبْدو بِوَرْدِ الوجْنَتَيْنِ مُنَوَّرا
وتُصْبِيكَ منهُ طُرَّةٌ فوقَ غُرَّةٍ تَبَدَّتْ على كافورَةِ الوَجْهِ عَنْبَرا
عسىٰ يَجْمَعُ الشَّمْلَ المُشَتَّتَ جامِعٌ فيَرْجِعَ لَيْلُ الصَّدِّ بالوَصْلِ مُقْمِرا
وألْهُو بِواهِي الخَصْرِ بينَ جُفُونِه لَواحِظُ يُذْكِرْنَ الحُسامَ المُذَكَّرا
يُدِيرُ علينا مُسْكِراً مِنْ سُلافِها ونَرْشُفُها مِنْ رِيقِهِ العَذْبِ سُكَّرا
ونَدْمانِ صِدْقٍ هَبَّ لمّا دَعَوْتُه يُمَسِّحُ عن أجفانه سِنَةَ الكَرَىٰ
وقد وَلَّتِ الظَّلْماءُ إلا بَقِيَّةً غَدا الدِّيكُ فيها بالصَّباحِ مُبَشِّرا
وقد فَلَّ جَيْشُ الفَجْرِ مُذْ سَلَّ سَيْفَهُ على اللَّيْلِ مِنْ زَهْوِ الكَواكِبِ عَسْكَرا
وقد ظَلَّ نَجْدِيُّ النَّسيمِ كأنَّما يَجُرُّ علىٰ الأهضامِ ذَيْلاً مُعَنْبَرا
فقَامَ إلىٰ صَفْراءَ يَعْرِفُ لَذَّةً ولَهْواً إذا مِنْهَا تَجَرَّعَ مُنْكَرا
كأنَّ سُلافَ الرَّاحِ تَحْتَ حَبابِها صَعِيدٌ مِنَ العِقْيانِ أنْبَتَ جَوْهَرا

/ ١٧٣أ/ وأنشدني أيضًا لنفسه من قصيدة: [من الكامل]

لولا الخيالُ ورُقْبَتي منه السُّرَى ... لَمَنَعْتُ عَيْني أنْ يُلِمَّ بها الكَرَىٰ
ولَكُنْتُ آنفُ مِنْ رُقادٍ مُتَيَّمٍ ... قَضَتِ النَّوَىٰ لجفُونه أنْ يَسْهَرا
أفنىٰ تَجَلُّدَهُ الغَرامُ وزادَ في ... زَفَراتِه فَغَدا مُقِلًّا مُكْثِرا
يَرْتاحُ وَجْداً للحَمامِ إذا شَدا ... سَحَراً ويُصْبيه النَّسيمُ إذا سَرَىٰ
وإذا خَفىٰ مُتَألِّقًا بَرْقُ الحمَىٰ ... كانَ الكَفيلَ بَشَجْوِه أنْ يَظْهَرَا
يا حبَّذا نَفَحاتُه وكأنَّما ... تَنْضاعُ مِسْكًا إذ تَضَوَّعَ عَنْبَرا
والوَصْلُ ما سَدَّتْ مطالعُه ولا ... سَدَّتْ لوَشْك فراقِ جيرَتِه العُرىٰ
جَزَعوا أديمَ ثَراهُ وهْوَ مُرَوَّضٌ ... فغَدا بِرَبّاتِ الخُدورِ مُنَوَّرا
وأسَلْتُ لمَّا أنْ أسَالَ شعابَه ... بمَطيِّهم ماءَ المَدامعِ أحْمَرا
وكذا العُيونُ الفاتناتُ أسيرُها ... لا يُفْتَدىٰ وقَتيلُها لَنْ يُوتَرا
وصَريعِ صافيَةٍ صَبَحْتُ بمثْلها ... فَعَدَتْ عليه يَدُ السُّلاف وما دَرَىٰ
لمّا اسْتَمَرَّ به الرُّقادُ دَعَوْتُه ... فَأتىٰ بفَضْلِ ردائه مُتَعَثِّرا
قُمْ فانشَطِ اللَّذّاتِ من أشطانها ... فالنَّجْمُ قد حَبَسَ العَتاقَ عَنِ السُّرىٰ
والرَّوْضُ قد حَطَّ الغَمامَ وسُوقُه ... في تُرْبِه فكَساهُ بُرْداً أخْضَرا
/ ١٧٣ب/ وَغَدتْ بأنوارِ الرَّبيعِ ونَوْره ... لَمَّا بدا كُلُّ المَواطرِ عَبْقَرا
فدَعِ التَّنافُسَ في سِواها للوَرَىٰ ... وانهَضْ إلَيْها طائعًا لا مُجْبَرا
واشرَبْ علىٰ زهْرِ الرَّبيعِ سُلافَها ... وتَوخَّ مِزْماراً يَرُوقُ ومِزْهَرَا
مِن كَفِّ أغْيَدَ ما رَنا إلاّ انتَضىٰ ... عَضْبًا مِنَ اللَّحْظِ الكَحيلِ مُجَوْهَرَا
فَسَقَى الحَيا لَيْلاً أحلَتُ سِرارَه ... بجبينِه والكأسِ لَيْلاً مُقمِرا

وأنشدني أيضًا من شعره: [من الطويل]

مُحبُّكُمُ والعاشقُونَ ضُروبُ ... مُصابٌ علىٰ حُكْمِ الهَوىٰ ومُصيبُ
أسَرْتُم وأسهَرْتُم فُؤادي وناظري ... فقَلْبي أسيرٌ والرُّقادُ سَليبُ
صِلوا واصِلاً فيكُم غَراماً أقَلُّه ... يُزيلُ الأسىٰ مِنْ قَلْبه ويُذيبُ
ورِفْقًا بمَا مِنْ عاشقيكُم سَكَنْتُمُ ... فلَسْنَ حَديداً إنَّهُنَّ قُلوبُ
وأسمَرَ مَعشوقِ الشَّمائلِ حُسْنُه ... غَريبٌ كما حُزْني عليه غَريبُ

بَدا قَمَراً في لَيْلِ فَرْعٍ يُقِلُّهُ ... قَوامٌ يُريكَ الغُصْنَ وهو رَطيبُ
يَجورُ على المُشْتاقِ وَهْوَ مُجاوِرٌ ... ويَنْأى مَزارٌ مِنْهُ وَهْوَ قَريبُ
ألا حَبَّذا وادي الأَراكِ وأهْلُهُ ... حُلولٌ وبُرْدُ العَيْشِ فيه قَشيبُ
غُصونٌ على أوراقِهِنَّ ذَوائِبٌ ... بُدورٌ على أفْلاكِهِنَّ جُيُوبُ
/ ١٧٤أ/ جَفَوا فَجُفوني في المنازِلِ بَعْدَهُمْ ... تُعَلِّمُ نَوْءَ المُزْنِ كَيفَ يَصُوبُ

وأنشدني لنفسه من ابتداء قصيدة: [من الكامل]

صَفَتِ المُدامُ فَنادِ في أحْلاسِها ... وأبِنْ ظَلامَهُمُ بكَوْكَبِ كاسِها
وأجِلْ قِداحَ هَواكَ في أقْداحِها ... تَلْبَسْ مِنَ السَّرّاءِ خَيْرَ لِباسِها
بِكْرٌ إذا ما زُوِّجَتْ بِمِزاجِها ... نَثَرَتْ هُمومَ الشَّرْبِ في أعْراسِها
جَهْمِيَّةٌ أوصافُها فإذا بَكى ... راووقُها ضَحِكَتْ لَنا في طاسِها
كادَتْ زُجاجَتُها تَطيرُ بِما حَوَتْ ... لَو لَم يُرَضْ بالماءِ فَضْلُ شِماسِها
خَلَصَتْ سَبيكَةُ دَنِّها مِن غِشِّها ... لَمّا غَدَتْ والدَّهْرُ مِنْ رُوباسِها[(١)]
ما المِسْكُ تَعْبَقُ مَوهِناً أنفاسُه ... بِألَذَّ لِلمُشْتاقِ مِنْ أنفاسِها
كلّا ولا المِقْباسُ في حَلَكِ الدُّجى ... بِأتَمَّ نوراً مِنْ سَنى مِقْباسِها
في حانِ مُحْسِنَةٍ أتت في حانِها ... حُزْناً على المَنْعوتِ مِن أجْناسِها
غالَتْ عَلَيَّ بِسَوْمِها فَقَبِلْتُ ما ... قالَتْ وما دَلَّسْتُها بِمِكاسِها
وَشَرِبْتُها حَتّى تَقَضَّتْ لَيْلَتي ... وانْجابَتِ الهَبَواتُ مِنْ أغْلاسِها
مِن كَفِّ مُقْتَبَلِ الشَّبابِ غَريرَةٍ ... خُوطِيِّ لِينِ مَعاطِفٍ مَيّاسِها
يَجْني عَلَيْنا بالمُدامِ وَيُجْتَنى ... مِن وَرْدِ رَوْضَةِ وَجْنَتَيْهِ وآسِها
/ ١٧٤ب/ خَلَسَ القُلوبَ بِوارِدٍ مِن فَرْعِهِ ... تَفْديهِ مِنْ فَتّانِها خَلّاسِها
وبِزاهِرٍ مِنْ خَدِّهِ وحَواجِبٍ ... مِنْها نِبالُ اللَّحْظِ في أقْواسِها
للهِ مِنْ خَلَبَتْ مَواطِنَ لَذَّةٍ ... مِنْ سَفْحِ جَوْشَنِها إلى بُطْياسِها[(٢)]
حَيْثُ القُصورُ أواهِلٌ ما بُدِّلَتْ ... بالوَحْشَةِ الشَّوْهاءِ مِن إيناسِها

---

(١) الروباس من الارتباس، وهو تضامّ حبِّ العنقود وتداخل بعضه في بعض.

(٢) جوشن: جبل مطل على حلب من غربيِّها، في سفحه مقابر ومشاهد الشيعة.
بطياس: قرية على باب حلب. انظر: معجم البلدان/ مادة (جوشن) و(بطياس).

والرِّيحُ تَعْبَثُ وهْيَ دانيَةُ السُّرىٰ ... بمَعاطِفِ البانَاتِ مِنْ أغْراسِها

يَصِفُ الطُّلولَ الدَّارساتِ مُحَيِّنٌ ... وقَفَ الشَّقاءُ بهِ علىٰ أدْراسِها

مَالي وللدَّارِ التي قَدْ أقْفَرَتْ ... أبْكي علىٰ عَرَصاتِها مِنْ نَاسِها

شَغَلَ البِلَىٰ منْهَا فأيْنَ بَلَوْنَ ما ... يَتْلُونَ حِلْفَ الشَّوْقِ مِنَ إحسَاسِها

دَعْها فقَدْ شَغَلَ الغِيَاثُ بمَدْحِهِ ... ألبابَنا عن وَصْفِ ظَبْيِ كِناسِها

مَلِكٌ إذا قِيسَ المَلوكُ بفَضْلِهِ ... نَاجَتْهُ بالتَّفْضيلِ نَفْسُ قِياسِها

تَفْديهِ مَنْ حَلاَّلُ أنْديةِ الوَغَىٰ ... خَلاَّعُ كُلِّ عَجَاجَةٍ لَبَّاسُها

مِقْدامُها في يَومِ كُلِّ كَريهَةٍ ... مِطْعامُها مِطْعانُها مِدْعاسُها

جاءَتْ مَواهِبُهُ بِدَرَّةِ جُودِهِ ... كَرَماً ولَمْ تَخْرُجْ إلَى إبْساسِها

جَمُّ البَسالَةِ لَوْ تَقَدَّمَ عَصْرُهُ ... لَمْ تَسْمُ بالقُدَماءِ شِدَّةُ بأسِها

لو عايَنَتْ بَكْرُ بنُ وائِلَ فَتْكَهُ ... ما استَعْظَمَتْ ما جاءَ عَنْ جَسَّاسِها(١)

/ ١٧٥أ/ فَلاَّلُ كُلِّ كَتيبَةٍ مَلْمومَةٍ ... شُعَلُ السُّريجيَّاتِ مِنْ أقْباسِها

وإذا تَمَرَّسَ بالكتائِبِ حامِلاً ... رُمْحاً فقَدْ نُكِسَتْ قُوَىٰ أمْراسِها

مُخْضَرٌّ وادي الجُودِ عَرِيْضُ النَّدىٰ ... أمْوالُهُ لَمْ تَثْوِ في أكْياسِها

لِعُفاتِهِ ما سَرَّ مِنْ إرْفادِها ... وعُداتِهِ ما ساءَ مِنْ إتْعاسِها

مَلأتْ مَواهِبُهُ القُلُوبَ مَوَدَّةً ... حتَّى كَفَاكَ رَجاؤُها مِنْ ياسِها

وتَزَيَّنَتْ بفِعالِهِ الدُّنيا كَما ... طَهُرَتْ بفَيْضِ نَداهُ مِنْ أدْناسِها

تَدْعُو لَهُ الأحياءُ في أوْطانِها ... وتَهابُهُ الآسادُ في أخْياسِها

فتَمَلَّ يا أسْنَىٰ المُلوكِ سَعادَةً ... جاءَتْكَ راكِضَةً على أفْراسِها

وبِناءَ دارٍ للنُّجومِ نَواظِرٌ ... تَسْمُو إذا نَظَرَتْ إلىٰ نِبْراسِها

مَا أهُولَةَ الأرْجاءِ مِنْكَ بمُشْبِلٍ ... نَهَّابِ أرْواحِ العِدا فَرَّاسِها

لو فاخَرَتْ غُمْدانَ أذْعَنَ رَبُّها ... ولَوَدَّ أنْ لَوْ عُدَّ مِنْ أحْراسِها

ولو الخَوَرْنَقُ زارَها لتَطامَنَتْ ... شُرُفاتُهُ عن مَسِّ تُرْبِ أساسِها

شَرَفاً بَني أيُّوبَ فالأيَّامُ في ... أيّامِكُمْ قَدْ بانَ لِينُ مِراسِها

أنْتُمْ إذا عُدَّ المُلوكُ كِرامُها ... وسِواكُمُ المَعْدودُ في أنْكاسِها

---

(١) جسَّاس بن مرّة بن ذهل بن شيبان، من بني بكر بن وائل (ت نحو ٨٥ق هـ)، شجاع، شاعر، ومن فرسان حرب البسوس التي وقعت قبل الإسلام بين قبيلتي بكر وتغلب.
ترجمته في: شعراء النصرانية ٢٤٦. شرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢/ ١٩٧. الأعلام ٢/ ١١٩.

/ ١٧٥ب/ وَتَفَاضَلَتْ باللُّطفِ في أَخلاقِها ... أُلفيتُمُ الأَكياسَ مِنْ أكياسها
وصفاتكُمْ ما كُدِّرَتْ فكأنَّها ... راحٌ يطافُ بها على جُلّاسها
ولأنتُمُ شَرَفُ الممالكِ مثلَما ... شَرَفُ الخلائقِ في بَني عَبَّاسها
فُتُّم بيأسكُمُ بَني حَمْدانها ... وَفَضَلتُم كَرَمًا بَني مِرْداسها
واللهُ يأبَى أَنْ تُضامَ رعيَّةٌ ... أَصْبحْتُمُ الأُمناءَ مِنْ سُوَّاسها
بَدَّلْتُموها بالغنَى مِنْ فَقْرها ... كَرَمًا وبالإثراءِ مِنْ إفلاسها
بمَواهبِ الملكِ العَزيزِ وَعَدْلِه ... طَهُرتْ بلادُ اللهِ مِنْ أرجاسها
حَسُنَتْ بسيرَتِه وأَنْشَرَ فَضْلُهُ ... رِمَمَ النَّدى والبأسِ من أرماسها
قُلْ للمُلوكِ رُميتُم مِنْ عَزْمه ... بمُبيدِ دارِ عَدُوِّه جَوَّاسها
فَتَخَوَّفُوا مِنْه فتًى فتكاتُه ... أَخْلَتْ زَوايا الغابِ مِنْ هِرْماسها
وَدَعوا لهُ سُبُلَ العَلاءِ فلستُمُ ... مِنْ نَبْعِ دَوْحَتها ولا أحلاسها
لا غيرَ نَوْءِ نَداهُ يَخْلفُ صَيِّبَ الـ ... أَنْواءِ بل يُوفي على رَجَّاسها
وَلَنيلُ مِصْرَ دُونَ نائلِه إذا ... ما ظَلَّ مُعْتليًا على مقياسها
تَجِدُ الكُماةُ حياتَها في سِلْمِ مُضْـ ... طَلِعٍ بغَلْبِ الغُلْبِ مِن أشواسها
فإذا نَحاها أكثَرتْ مِنْ ضَرْبها ... أَخْماسَها للخَوفِ في أسْداسها
/ ١٧٦أ/ لازالتِ الأعيادُ حاليةً بِهِ ... ما استمْتَعَتْ عَيْنُ امرىءٍ بنُعاسها

وأنشدني لنفسه أيضًا ما كتبه إلى بعض أصدقائه: [من الكامل]

يا أيُّها المَوْلَى الظَّهيرُ وَمَنْ ... أَحْسانُهُ لِرَحَى العُلا قُطْبُ
والماجِدُ النَّدْبُ الذي يَدُهُ ... مِن سَحِّها تَتَعَلَّمُ السُّحْبُ
في تَرْكِ خِدْمَتِكَ التي شَرُفَتْ ... لِلدَّهْرِ لا لِغُلامِكَ الذَّنْبُ
ولأنْتَ تَعْلَمُ أنَّني رَجُلٌ ... بَيْنَ الزَّمانِ وبَينَه حَرْبُ
والنَّاسُ قد خَسَّتْ خلائقُهُم ... فَمَطالبي عن قَصْدِهِم نُكُبُ
مِنْ كلِّ جَعْدِ الكَفِّ ليسَ لهُ ... مُذْ كانَ غيرَ حُطامِه رَبُّ
لا يَألَمُونَ إذا هَجَوْتُهُمُ ... بل يَفْخَرونَ ويَكْثُرُ العُجْبُ
وبمثلِ مَجْدِكَ لا يَليقُ على ... عبدٍ عَرَفْتَ ولاءَهُ العَتْبُ
لَكَ مِنْ ودادي صَفْوُهُ فإذا ... ما غِبْتُ عنكَ فعِنْدَكَ القَلْبُ

ذكر من اسمه عبد الرحمٰن

[٢٦٧]

عبدُ الرَّحْمن بنُ مُحَمَّد /١٧٦ب/ بن عبد السَّميع بن عبد الله بن عبد السَّميع بن عليٍّ بن القاسم بن الفَضْلَ بن الحُسَينَ بن أحمدَ بن جَعْفَرَ بن سليمَانَ بن عليٍّ بن عبد الله بن العبَّاس بن عبد المطَّلب، أبو طالب بنُ أبي الفَتْح الهاشميُّ العبَّاسي الواسطيُّ[(١)]:

كانت ولادته بواسط في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، وتوفي بها، ودفن بدير وردان[(٢)]، غربي واسط، في سادس المحرم سنة إحدى وعشرين وستمائة.

كان يسمى بواسط: الشيناتي؛ لأنه اجتمع فيه سبع شينات، لم تجتمع في أحد سواه من ذوي الشرف.

كان شيخًا في العلم والآداب، شافعي المذهب، يلقب شرف الدين، شريفًا شاعراً، شُرُوطيًا شاهداً، وقد نُظمت هذه الألفاظ ببيت شعر وهو: [من الخفيف]

شَرفُ الدِّين شيخُنا شافعيٌّ ... شاعرٌ شاهدٌ شريفٌ شُروطي

وهو من بيت العلم الغزير، والجاه الوافر، اعتنىٰ بالحديث وسماعه، فصار فيه

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ٢٣٨ رقم ٢٨٨. التكملة لوفيات النقلة ٣/ ١١٤ رقم ١٩٦٢. طبقات القرّاء ١/ ٣٧٧. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٦٠. شذرات الذهب ٥/ ٩٤ ـ ٩٥. العبر للذهبي ٥/ ٨٣. غاية النهاية ١/ ٣٧٧. معجم المؤلفين ٥/ ١٨٠. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٨٥ ـ ١٨٧ رقم ١٢٦. معرفة القرّاء/ الورقة ١٩٠. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٦٣ ـ ٦٤. التقييد لابن نقطة ص٣٤٥ رقم ٤٢٦. تلخيص مجمع الآداب ١/ رقم ٣٠٥، ٢/ رقم ١١٠٩، ٣/ ١٢، ٤/ ١/ ١٠٩. ذيل تأريخ بغداد لابن الدبيثي ١٥/ ٢٤٣. معرفة القراء الكبار ٢/ ٦١١ ـ ٦١٢ رقم ٥٧٨. المعين في طبقات المحدثين ١٩١ رقم ٢٠٣٧. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٥٥. تأريخ إربل ١/ ٣٩٩. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٢٥..

(٢) في التكملة: «دفن بمحلة الوراقين».

إمامًا، يشار إليه، سمع بواسط من أبي جعفر ابن البوقي[(١)]، وأبي الحسن علي بن المبارك بن نغوبا، وأبي طالب / ١٧٧أ/ محمد بن علي الكتّاني[(٢)]، وسمع ببغداد من أبي المظفر هبة الله بن أحمد ابن الشبلي[(٣)] وأبي الفتح بن البطي، ويحيى بن ثابت في جماعة، حدث بمسند مسدّد ابن مسرهد[(٤)]، عن علي بن نغوبا.

وكان ثقة صحيح السماع، فاضلاً، مصنفًا، عذب المنطق، حسن الفصاحة، جيد الكلام في الوعظ، ينشىء الخطب والفصول في المواعظ، وله مديح كثير في الإمام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد رضي الله عنه.

وصنّف كتبًا مفيدة منها: كتاب «اللباب المنقول في فضائل الرسول ﷺ»، و«كتاب الدرّ المنثور في معرفة الأيام والشهور»، وكتاب «المناقب العباسية»، وكتاب «مجموع الرسائل والوسائل»، وكتاب «تعبير الرؤيا»، وكتاب «الدرّة الفريدة في العقيدة»، وهي أرجوزة، وكتاب «النخب في الخطب»، وكتاب «الخواطر العقلية والفصول الوعظية» / ١٧٧ب/ ، إلى غير ذلك من المصنفات.

أنشدني أبو نصر بن أبي طاهر البغدادي الهاشمي قال: أنشدني الشريف أبو طالب بن أبي الفتح لنفسه يذم الدنيا: [من البسيط]

دَعْ ما يَزُولُ مِنَ الدُّنيا وزُخْرُفها ... واطلُبْ رضا الله في قَوْلٍ وفي عَمَلِ

ولا تُطِعْ آمِراً بالظُّلْمِ مُبْتَغِياً ... نَيْلَ الحُطَامِ غَبِيَّ الحِسِّ ذا خَطَلِ

يُغْرِيكَ بالنُّورِ جَهْلاً منْهُ بُغْيَتُهُ ... ظُلْمُ العبادِ كَثيرُ الغَيِّ والزَّلَلِ

واعلَمْ بأنَّكَ مَسؤولٌ فكُنْ حَذِراً ... مِنَ الوُقُوفِ غَداً في مَوْقِفِ الخَجَلِ

---

(١) في التكملة: «أبي جعفر، هبة الله بن يحيى ابن البوقي».

(٢) فقيه محدّث، ولي الحسبة بواسط، ولد بها وتوفي (٤٨٥ ـ ٥٧٩هـ).
ترجمته في: شذرات الذهب ٤/ ٢٦٧. المختصر المحتاج إليه ١/ ٩٤.

(٣) القصّار المؤذن، محدّث مشهور (٤٦٩ ـ ٥٥٧هـ).
ترجمته في: شذرات الذهب ٤/ ١٨١. النجوم الزاهرة ٥/ ٣٦٢.

(٤) مسدّد بن مسرهد بن مسربل الأسدي البصري، أبو الحسن، محدّث ،أول من صنّف المسند بالبصرة، توفي سنة ٢٢٨هـ.
ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٢/ ٨. طبقات الحنابلة ١/ ٣٤١ ـ ٣٤٥. كشف الظنون ١٦٨٤. هدية العارفين ٢/ ٤٢٨. الأعلام ٧/ ٢١٥.

واشفقْ علىٰ الخَلْق إنْ وفِّقْتَ مُجْتَهِداً ... مادُمْتَ مُقْتَدِراً واصفَحْ عن الخَلَلِ
فالعَفْوُ والصَّفْحُ عَمَّن زَلَّ مُغْتَنَمٌ ... ولا تكُنْ عَجِلاً فالخطْء في العَجَلِ
واسألْ إلهكَ توفيقًا وكُنْ وَرِعًا ... تُمسي وتُصْبِحُ في خَوْفٍ وفي وَجَلِ

وأنشدني أيضًا قال: أنشدني لنفسه: [من مجزوء الكامل]

دَارٌ تُكَدِّرُ صَفْوَهَا ... وسُرورَهَا غِيَرُ الليالي
وَيُحيلُ بَهْجَةَ حُسْنِها ... صَرْفُ الرَّدَىٰ في كلِّ حالِ
غَدَّارَةٌ خَوَّانَةٌ ... أفراحُها مثْلُ الخَيالِ
وكمالُ صحَّتِها يؤُو ... لُ إلى فَنَاءٍ أو خَبالِ
مَنْ كانَ ساكِنَها يُعِدُّ ... الزَّادَ حَقًّا لارتحالِ
أو كانَ مُغْتَرًّا بِها ... ألقَتْهُ في شَرَكِ الوبالِ
/١٧٨أ/ فارفُضْ عَلائقَ حُبِّها ... فصحيحُها عَيْنُ المُحالِ
واعلَمْ بأنَّكَ راحِلٌ ... عَنْها إلى دارِ المآلِ
والمَوْتُ قَدْ نادَىٰ بِنا ... فَتأهَّبُوا يا لَلْرِجالِ

وقال أيضًا في الوعظ: [من المنسرح]

إلىٰ مَتَىٰ ذا الغُرورُ يا غافِلْ ... تَخُوضُ طولَ الزَّمانِ في الباطِلْ
تُضَيِّعُ العُمْرَ مِنْكَ في عَمَلٍ ... لا يَرْتَضيه لِنَفْسِهِ عاقِلْ
وَتَدَّعي العِلْمَ ثُمَّ تَتْرُكُهُ ... مُرتكبًا ما يَعافُهُ الجاهِلْ
تَسْتَمِعُ الوَعْظَ ثُمَّ تَرْفُضُهُ ... وأنتَ للَّغْوِ سامِعٌ قائِلْ
حُبُّكَ دُنْياكَ لو عَقَلْتَ بهِ ... داءٌ لَعَمْري مُسْتَمْكِنٌ قاتِلْ
غَرَّكَ حتَّىٰ أطَعْتَهُ سَفَهًا ... وَبِعْتَ أُخْرَاكَ مِنْهُ بالعاجِلْ
دَعْ عنكَ ما أنتَ فيهِ مُغْتَنِمًا ... ما قد تَبَقَّىٰ مِنْ عُمْرِكَ الزَّائِلْ
واعمَلْ ليومِ الحَصادِ مُجْتَهِدًا ... عَساكَ تَحْظَىٰ مِنْ ذاكَ بالحاصِلْ
وقُلْ إلَهي، لا تَقْطَعَنْ أمَلي ... مِنْكَ وكُنْ لي في بُغْيَتي كافِلْ
جُدْ لي بما أنتَ أهْلُهُ كَرَمًا ... يا خَيْرَ مَولىً يَعْنُو له الآمِلْ
واضْرَعْ إلىٰ اللهِ جَلَّ مُبْتَهِلاً ... فإنَّهُ لا يُخَيِّبُ السَّائِلْ

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه: [من البسيط]

/١٧٨ب/ تَبًّا لِمَنْ هَمُّهُ الدُّنيا وَبُغْيَتُهُ ... زِيادَةُ المالِ فيها وهْوَ مُنْتَقَصُ
يَسْعى ويَدأَبُ فيها لَيسَ يُدْرِكُه ... حِرْصًا وَتَنْتابُه الأسقامُ والغُصَصُ
كم أَسْعَفَ الدَّهْرُ أقوامًا بِبَغْيِهِم ... فيها وأَعْطى فَلَمّا زادَهُم نَقَصوا
وكلَّما أَدْرَكوا ما أَمَّلوا بطِروا ... وكلَّما زِيْدَ في أموالِهم حَرَصوا
رأسُ الخَطيئةِ حُبُّ المالِ فاسخُ بِه ... واسمَحْ وَجُدْ فذوو الأفضالِ قد خَلَصوا
والباخلونَ حَظُوا بالذَّمِّ إذْ بَخلوا ... وَقَتَّروا وعلى أعقابِهِم نَكَصوا
واحذَرْ مَصارِعَهُم إنْ كنتَ متَّعظًا ... فقد أَتَتْكَ بِهِ الأنباءُ والقَصَصُ

[٢٦٨]

عبدُ الرَّحمن بنُ صالح بن عمَّار بن عرْبَدّ بنِ رافعِ بنِ المُزَعْفَرِ العِرْبَدِّيُّ، أبو مُحَمَّدٍ التَّغْلِبيُّ الدُّنَيْسَرِيُّ(١):

كان يتولى الحسبة بدنيسر، تعلق بسبب قوي من علم العربية والعروض، وحفظ القرآن العظيم، وفهم طرفًا من اللغة والأدب، وكان شاعراً فصيحًا، فيه سماحة ومروءة، حبسه الملك المنصور ناصر الدين أرتق أرسلان بن إيلغازي بن ألبي بن إيلغازي بن تمرتاش الأرتقي، صاحب ماردين /١٧٩أ/ بسبب قصيدة نظمها في الملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وكان يومئذ محاصراً قلعة ماردين، فأنكر الملك المنصور تخلفه عن الصعود إليه إلى ماردين، وأنه امتدح الملك الأشرف، فأخذه وسجنه خمس سنين، ومات مسجونًا في أواخر ذي الحجة سنة سبع وعشرين وستمائة.

أنشدني أبو الثناء محمود بن أسعد الهمذاني قال: أنشدني أبو محمد لنفسه(٢):

[من الوافر]

---

(١) ترجمته في: تأريخ دنيسر ص١٥٧. مجمع الآداب ٤/ ١٧١ ـ ١٧٢. بغية الوعاة ٢/ ٨٠، وفيه «الثعلبي». الوافي بالوفيات ١٨/ ١٥٣ رقم ١٩٢ وفيه «الثعلبي». شذرات الذهب ٥/ ١٢٥ وفيه «عرند» تصحيف.
(٢) الأبيات ١، ٢، ٤، ٥ في شذرات الذهب، والأبيات ١ ـ ٣ في الوافي بالوفيات ١٨/ ١٥٣.

تَـزايَـدَ فـي هَـوَى أَمَلـي جُنـونـي ... وأَوْرَثَ مُهْجَتـي سَقَمـاً شُجُـونـي
وَصِـرْتُ أُغـارُ مِـنْ نَظَـرِ البَـرايـا ... عليـه ومِـنْ خَيـالاتِ الظُّنـون
وأَحْـرِصُ أنْ يكُـونَ لـهُ وَفـاءٌ ... مِـنَ الأَبْصـارِ قَلْبـي أو جُفـونـي
وَيَعْـذُبُ لـي عَـذابـي فـي هَـواهُ ... وَهـذا نَـصُّ مُعْتَقَـدي ودينـي
فقُـلْ لِـلاَّئِمـينَ عليـه جَهْـراً ... دَعُـونـي لسـتُ أُدْرِكُـه دَعُـونـي

وقال أيضًا[1]: [من البسيط]

دَعِ المَـلامَـةَ فيـه أيُّهـا الـلاَّحـي ... فمـا أُطيـعُ عليـه قَـوْلَ نُصَّـاحـي
/١٧٩ب/ شَـدُّوا علـيَّ فَسَـدُّوا بـابَ مَصْلَحَتـي ... وظَنُّهـم أنَّهُـم جـاءُوا بـإِصـلاحـي
وَهِـزَّةُ السُّكْـرِ لا يَحْظَـى بلَـذَّتِهـا ... إلاّ خَليـعٌ تَحَـاشـى حِشْمَـةَ الصَّـاحـي

وقال أيضًا: [من الكامل]

لاحِـي المُتَيَّـمِ بـالمَـلامِ مُتَيَّـمُ ... وبمـا يَضُـرُّ أخـا الصَّبـابَـةِ تَحْكُـمُ
يَلْحَـاهُ وَهْـوَ مُـدَلَّـهٌ بـأَحِبَّـةٍ ... لفُـؤاده مَلَكُـوا وفيـه خَيَّمـوا
سَنُّـوا الجفـاءَ فكُـلُّ هَجْـرٍ مُتْلِـفٌ ... فـي سُنَّـةِ العُشَّـاقِ يُـرْوَى عَنْهُـمُ
وفَتًـى تَنُـمُّ بِسِـرِّهِ أجْفـانُـهُ ... إنْ زُمَّـتِ الأجمـالُ أنَّـى يكْتُـمُ ؟
بـالله يـا رَكْـبَ الحَبيـبِ تَـرفَّقـوا ... بـالمُسْتَهـامِ أخـي الصَّبـابَـةِ وارحَمُـوا
لا تُعْجِلُـوا قُلُـصَ الـرِّكـابِ فَتُتْلِفُـوا ... دَنِفـاً بُعَيْـدَ فِـراقِهـم مـا يَسْلَـمُ
مُتَلَهِّـبُ الـزَّفَـراتِ نـارُ غَـرامِـهِ ... مـا تـأْتَلـي فـي قَلْبِـه تَتَضَـرَّمُ
عَملَـتْ جِـراحُ الهَجْـرِ فيـه ومـالَهـا ... إلاَّ الـوِصـالُ وَعَـزَّ ذلـكَ مَـرْهَـمُ
وإِذا أتَـتْ بـرضـا الأحِبَّـةِ خُطَّـةٌ ... تُـرْدي فَمِثْـلُ الشَّهْـدِ منْهـا العَلْقَـمُ
رِفْقـاً بِحَقِّكُـمُ علـى ذي لَـوْعَـةٍ ... عنهـا تَنَشَّـأَ لَحْمُـهُ والأَعْظُـمُ
مـا فـارَقَ الحَمْـدَ المُبَـرِّحَ قَلْبُـهُ ... نَفَسـاً ويَعْـدَمُ والهَـوى لا يُعْـدَمُ

وقال من قصيدة /١٨٠أ/ يمدح الملك المنصور أرتق أرسلان، صاحب ماردين:
[من الكامل]

---

(١) الأبيات في تأريخ دنيسر ص١٥٨ . ومجمع الآداب ٤/ ١٧٢ .

لَمْ تُولِينَّ الصَّبَّ يا ذاتَ اللَّمَى ... وتُحَلِّلينَ منَ الصُّدُود مُحَرَّما ؟
يا ضَرَّةَ القَمَرَيْنِ بل يا غَلْطَةَ ... الدُّنيا حجًى وصيانَةً وتكرُّما
إنْ كانَ في قَتْلي رضاكِ فَقَطِّعي ... كَبدي بهَجْرِكِ واسْفكي منّي الدِّما
فلقد أطَعْتُ صَبابَتي وأضَعْتُ مَنْ ... كَلَّفَني الصَّوابَ وقد عَصيتُ اللُّوَّما
وَغَدَوْتُ مُكْتَئِبَ الفُؤاد مُدَلَّهاً ... قَلِقَ الحَشا قَرِحَ الجُفُون مُتَيَّما
فَتَكادُ تُحْرِقُ زَفْرَتي أثْلَ الغَضا ... أسَفًا وتُغْرِقُ عَبْرَتي أهْلَ الحِمَى
يا مَنْ يُبَدِّدُ شَمْلَ دَمْعي في الهَوى ... مِن وَصْفِهِ لَفْظٌ وثَغْرٌ نُظِّما
قُلْ للعباهلة الكِرامِ بحَرْزَمٍ ... شَرَّقْتُم عن كُلِّ وادٍ حَرْزَما[1]
هل تَعْرِفُونَ مَعَ الهُجُوعِ بأنَّني ... ما زِلْتُ بَعْدَكُم أُناجي الأنْجُما
لَيْلي وَلَيْلُكُمُ سَواءٌ إنَّما ... قَضَّيْتُهُ سُهْداً وبِتُّم نُوَّما
مَنْ كانَ عن وِرْدِ المُرادِ مُحَلَّأً ... ألْفَى حَلاوَةَ كُلِّ شَيءٍ عَلْقَما
كَمْ نَظْرَةٍ جَنَتِ الهَوَى وألَذُّ مِن ... نَظَرِ العَدُوِّ مُنَعَّماً صِفَةُ العَمَى
يا عاذِلَيَّ بحَقِّ رَبِّكُما ارحَما ... وَلَهي لَعَلَّكُما غَداً أن تُرْحَما
/١٨٠ب/ وتَرَفَّقا بحُشاشتي وتأيَّدا ... في قِصَّتي بُلِّغْتُما ما رُمْتُما
إنْ كنتُ أُخْدَعُ عن هَواها إنَّني ... مِنْ جُودِ أُرْتُقَ ذي النَّدَى غَيْثٌ هَمَا
ما سَلَّ سَيْفاً فوقَ طِرْفٍ أو رَمَى ... يَومَ الهِياجِ إلى عَدُوٍّ أسْهُما
إلاَّ ظَنَنْتَ البدرَ حُمِّلَ بارِقاً ... ريحَ الصَّبا وأَقَضَّ عنها أنْجُما

وقال أيضًا: [من الكامل]

أنا أوْحَدُ العُشَّاقِ يُتْلِفُ مُهْجتي ... مَنْ ساقَ سائلَةَ الظَّغائنِ أوْحَدا
قَرِحُ الجُفونِ يُظَنُّ ناقِفَ حَنْظَلٍ ... إثْرَ الظَّعائنِ أو مريضاً أرْمَدا

ومنها يقول:

لولا مُنَظَّمُ ثَغْرِه وكَلامِه ... ما ظَلَّ دَمْعي في الرُّسوم مُبَدَّدا
رَشَأٌ أرَقُّ منَ الهَوى جِسْماً حَوى ... قَلْباً قَسا فَحَكى لِحَيْني جَلْمَدا

---

(١) حَرْزَم: بليدة في واد، ذات نهر جار وبساتين، بين ماردين ودنيسر من أعمال الجزيرة، أكثر أهلها أرمن نصارى. انظر: معجم البلدان/ مادة (حرزم).

يـا ذاكـريـنَ تـذكَّـرُوا كلفـاً بكُـم ... مـا نـامَ قـطُّ ولـو سَقَـوْهُ المُـرْقـدا
بيْـدٌ يُـرَدُّ بهـا الحُـداةُ عـن السُّـرىٰ ... ويَـرُدُّ مـنْ ولَـه علـىٰ كبـد يَـدا
أسَفـي علـىٰ يَـوْمـي القَصير بـوَصْلكُـمْ ... كيـف اسْتَحـالَ مـعَ القَطيعَـةِ سَرْمَـدا
يـا عـاذلـيَّ أتَعْلَمـانَ حقيقَـةً ... أنِّـي أُطيـقُ مَـعَ القَضـا رَدَّ الـرَّدَى
لـو كنـتُ أمْلـكُ مُهْجَتـي يَـومَ النَّقـا ... ما كنتُ أُنْصفُ مَنْ على ضَعْفي اعتدَىٰ

/ ١٨١أ/ وقال أيضًا[1]: [من البسيط]

لا والَّـذي بيَـدَيْـه البُـرْءُ والسَّقَـمُ ... مـا لـي سوى وجْنتَيه فـي الهَـوىٰ قَسَمُ
أحْـوىٰ حـوى السِّحْـرَ في أجْفانـه وعلىٰ ... خَـدَّيْـه مـنْ مُهجـاتِ المُـدْنَفيـنَ دَمُ
مُـزَنَّـرُ الخصْـرِ واشَـوْقـاً إلـىٰ خَصـر ... فـي فيْـه يَقْصُـرُ عنـهُ البـاردُ الشَّبِـمُ
كـالمـاءِ جسمـاً ولكـنْ قَلْبُـه حَجَـرٌ ... ومـا سبـانـيَ إلاَّ وَهْـوَ لـي صَنَـمُ

وقال أيضًا: [من البسيط]

أمـا وجَفْنَيْـك والسِّحْـرِ الَّـذي بهمـا ... لقـد تَقَطَّـعَ قَلْبـي للنَّـوى نَـدَمـا
أظَبْيَـةَ الخَيْـفِ ألحـاظـاً متـىٰ سَفَكَـتْ ... دمـاً غَـزيـراً بـلا جُـرْمٍ لحـاظُ دُمَـىٰ ؟
أمـا لهـذا القَلْـى والصـدِّ مـنْ أمَـد ... أمـا رَثَيْـت لمَقْتُـول يَـذُوبُ أمـا ؟
وحُـرْمَـةِ الحُـبِّ إيمـانـاً بمَـوْلـدهِ ... وصَبْـوَةِ الصَّـبِّ عشْقـاً عَـزَّ ذا قَسما
زَمُّـوا الجَمـالَ عليهـا كـلُّ مُشْبَعَـةٍ ... مـنَ الجَمـال لخَصْـرٍ يَسْتَغيـثُ ظما
لَميـاءُ سحَّـارةُ الأجْفـان مـا تَـركَـتْ ... بـالخَيْـف إلاَّ مَخـافـاً يَشْتَكـي ألَمـا
لهـا ذوائـبُ تَحكيهـا الأراقـمُ مـنْ ... صـاف مُبيـنٍ فُـوَيْـقَ الأرْض مـا رَقَمـا
كـأنَّهـا لَيـلُ مَهْجُـورٍ وأعْجَـبُ مـا ... فـي حُسْنهـا جَمْعُهـا الأنـوارَ والظُّلَمـا

[٢٦٩]

عبدُ الرحمَن بنُ يَخْلَفْتَن / ١٨١ب/ بنِ أحمدَ، أبو زَيدٍ الفازازيُّ المَغْربيُّ[2]، الساكن بمدينة مراكش:

(١) الأبيات في شذرات الذهب ٥/١٢٥.

(٢) ولد بقرطبة سنة ٥٥٠، وتوفي بمراكش سنة ٦٢٧ أو ٦٣٧هـ.
ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/٣٠٢ ـ ٣٠٣. مقتضب التحفة ص١٣٣. تاريخ إربل ١/٣١٢. =

فاضل عالم مقدّم في الأدب، كبير المحل في الفضل، شاعر مقتدر على الكلام، صاحب فصاحة في الإنشاء، نزل مراكش، وتقدم عند مليكها، وحظي لديه، وقلده الوزارة، وكتابة الإنشاء، وله شعر كثير في كل نوع.

أنشدني أبو القاسم عبد الرحيم بن أحمد بن علي بن طلحة الأنصاري السبتي، بمدينة إربل في أواخر ذي الحجة سنة ثلاثين وستمائة قال: أنشدني الوزير أبو زيد عبد الرحمن الفازازي لنفسه: [من الطويل]

أزيدُ اشتياقاً كلّما زدْتني بُعْداً ... وآلَفُ وَجْداً حينَ أطْرحُ الوَجْدا
وتَشْفَعُ عندي في صُدودِك لَوْعَةٌ ... تُجاذِبُني لا أسْتطيعُ لها رَدَّا
وما مَرَّ يومٌ مِنْ شَديدِ مَوَدَّتي ... وحقّك إلا زدت في غده ودّا
كأنَّ الهوى جِسْمٌ ثَوى بَيْنَ أضْلُعي ... فَضَمَّ عليه الشَّوْقُ من جَسَدي بُرْدا
أرى نارَ إبراهيمَ بينَ جَوانحي ... تَشُبُّ ولكنْ لا سَلاماً ولا بَرْدا
وما جَزَعي للمَوْت إلا لَعلَّة ... إذا لم تَقَرَّ العَيْنُ لا تَشْمَتُ الأعْدا
عَجِبْتُ لأهْلِ الوَجْدِ ماتوا بوَجْدِهم ... وما اعتَنَقوا غُصْناً ولا ارتَشَفوا شَهْدا
/ ١٨٢أ/ فلو أنَّ ما أهواهُ في عِلْمِ مَنْ مَضَى ... لَما عُشِقَتْ لُبْنَى ولا مُدِحَتْ سُعْدى
ولا مَشَتِ الخَنْساءُ تَسحَبُ ذَيْلَها ... ولا عَلَّقَتْ عَفْراءُ في جيدها عقْدا
إذا ظَفِرَتْ عَيْنايَ مِنْك بنَظْرَةٍ ... فقد أُسْكِنَتْ عَدْناً وجاوَزَت الخُلْدا

[٢٧٠]

عبدُ الرَّحمن بنُ الحَسن بنِ عليِّ بنِ الحَسَن بنِ عليِّ بنِ الحُسَيْن بنِ أحمد بنِ مُحَمَّد بنِ عيسى بنِ مُحَمَّد بنِ حَمْدَوَيْه بنِ دينار بنِ شَيْلَةَ بنِ شَيْلَمَةَ بنِ فَذْهُرْمُز بنِ آه بنِ أوَه بنِ أشُك بنِ شُكْرُكَ بنِ زاذانَ فَرّوخ بن بَيْغانَ بنِ زاذانَ فَرُّوخِ الأكبر ـ وزيرِ الحجاج بنِ يوسف ـ، وهو أخو

= التكملة لابن الأبار ٥٨٥. تحفة القادم ١٣٣ ـ ١٣٤. الإحاطة في أخبار غرناطة ٣/ ٥١٧ ـ ٥٢٢. نفح الطيب ٤/ ٤٦٨. بغية الوعاة ٢/ ٩١. بروكلمان Brock, GAL 1,322:S1,482. الأعلام ٤/ ١١٨.

يزدجرد بن هرمز بن نوشروان ملك الفرس، المعروف بابن بُصْلا البَنْدَنيجي[(١)]، وبُصلا لقب لمحمَّد بنِ حَمْدَويهِ، أحد أجداده.

هكذا ساق هذا النسب شيخنا أبو عبد الله محمد بن سعيد الدبيثي قال: أملاه عليّ من حفظه أبو المكارم عرفة بن علي، والد شيخنا عبد الحميد، وأثنىٰ عليه خيراً.

وعبد الرحمن، يكنىٰ أبا محمد، كان متصوفًا، وسمع الحديث، وصحب الصوفية، قال القاضي أبو القاسم الحنفي: / ١٨٢ب/ شيخ حسن صالح، وقور فاضل، من شيوخ الصوفية، قدم علينا حلب في صحبة شيخنا عمر بن محمد السُّهروردي، وسيره رسولاً إلى ملك الروم، ثم قدم مرّة أخرىٰ في سنة ثماني عشرة وستمائة، وسمعنا منه الجزء الثاني والرابع من أمالي المحاملي[(٢)] بسماعه من أبي بكر أحمد بن المقرىء[(٣)] أبي الحسين بن الحسن الكرخي، وأبي القاسم يحيى بن ثابت بن بندار البقال.

وكانت ولادته سنة خمس وأربعين وخمسمائة، وله أشعار، فمنها ما أنشدنيه أبو جعفر محمد بن عبد الحميد بن محمد الهمذاني[(٤)] قال: أنشدنا أبو محمد عبد

---

(١) ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣ وفيه نسبه: «أبو محمد، عبد الرحمن بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن بُصْلا الصوفي البندنيجي». الوافي بالوفيات ١٨/ ١٣٢ رقم ١٥٣، وفيه: «توفي سنة ست وعشرين وستمائة». التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٢٥٤، ٢٥٥ رقم ٢٢٦٩. طبقات السبكي ٥/ ٦٣. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٢٥٣.

(٢) المحاملي: الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الضبي، أبو عبد الله البغدادي (٢٣٥ ـ ٣٣٠هـ) قاض من الفقهاء المكثرين من الحديث، من تصانيفه: «الأجزاء المحامليات» في الحديث تقع في ستة عشر جزءاً، ويقال لها: «أمالي المحاملي».
ترجمته في: تأريخ بغداد ٨/ ١٩. تذكرة الحفاظ ٣/ ٤٢. الرسالة المستطرفة ٧٠. الأعلام ٢/ ٢٣٤.

(٣) في الوافي: «المقرب».

(٤) محمد بن عبد الحميد بن محمد بن عَرَبشاه بن علي بن المحسن السعدي الهمذاني الدمشقي المتوفى سنة ٦٧٧هـ، يروي عن ابن الزبيدي والمسلم المازني وابن صباح، كتب الكثير، وكان ثقة، صحيح النقل.
ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ٣/ ٤٣٣، العبر / ٣١٧، شذرات الذهب ٥/ ٣٥٩.

الرحمن بن بصلا لنفسه، وقد طلبت منه الإجازة(١): [من البسيط]

أَجَزْتُ لِلْوَلَدِ المَذْكُورِ ما سَأَلاَ ... آتاهُ رَبِّي التُّقَى والعِلْمَ والعَمَلا

فَلْيَرْوِ عَنِّيَ ما صَحَّتْ رِوايَتُهُ ... لَدَيْهِ مِمَّا رَوَى عَنِّي وما نَقَلا

وَيَتَّقِ اللهَ فالتَّقْوَى لَهُ شَرَفٌ ... وأكْرَمُ النَّاسِ في تَقْواهُ مَنْ عَقَلا

ولْيَجْعَلِ العِلْمَ مالاً يَسْتَعِينُ بِهِ ... ولَيْسَ يَنْفَعُ إلاَّ مَنْ بِهِ عَمِلا(٢)

ومَنْ تَحَمَّلَ عِلْماً لَيْسَ يَحْمِلُهُ ... فَإنَّما هُوَ أسْفارٌ لَهَا حَمَلا

وحامِلُ العِلْمِ مَنْ يَخْشَى الإلَهَ وَمَنْ ... يَكُونُ في كُلِّ حالٍ خاشِعاً وَجِلا

/ ١٨٣أ/ ومَنْ تَحَمَّلَ عِلْماً وَهْوَ حامِلُهُ ... فَهْوَ الَّذي عِنْدَ أهْلِ العِلْمِ قَدْ كَمُلا

فَاللهُ يَنْفَعُ مَنْ هذا السُّؤالُ لَهُ ... واللهُ أكْرَمُ مَسْؤُولٍ إذا سُئِلا

ثُمَّ الصَّلاةُ على المَبْعُوثِ مِنْ مُضَرٍ ... خَيْرِ الأنامِ وَمَنْ فاقَ الوَرَى فَعَلا

[٢٧١]

عبدُ الرَّحمنِ بنُ نَجْمِ بن عَبْدِ الوَهَّابِ بن عَبْدِ الواحدِ بن أبي الفَرَجِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ يَعِيشَ الأنصارِيُّ، أبو الفَرَجِ الواعظ(٣):

---

(١) المقطوعة في تأريخ إربل ١/ ٢٦٣.

(٢) هذا البيت في تأريخ إربل:

«وليجعل العلم مالاً يستعين به ... في النائبات إذا أمر به نزلا

فالعلم مالٌ ونورٌ يستضاء به ... وليس ينفع إلاّ من به عملا»

(٣) ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠ رقم ٢٦٨٢ وفيه: «الخزرجي السعدي العبادي الشيرازي الأصل، الدمشقي المولد، المعروف بابن الحنبلي، المنعوت بالناصح. مولده بدمشق في ليلة السابع عشر من شوال سنة أربع وخمسين وخمسمائة.

تفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، واشتغل بالوعظ وبرع فيه، سمع ببغداد من أبي شاكر يحيى بن يوسف بن أحمد السقلاطوني، وأبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن يوسف، وأبي عبد الله مسلم بن ثابت بن زيد المعروف بابن جوالق، وفخر النساء شريدة بنت أبي نصر الكاتبة، وتجنّي بنت عبد الله الوهبانية، ونعمة بنت القاضي أبي خازم محمد بن محمد ابن الفراء، وجماعة.

وسمع بأصبهان من الحافظ أبي موسى محمد بن أبي بكر المديني، وأبي العباس أحمد ابن أبي منصور أحمد بن محمد بن ينال المعروف بالترك، وسمع بهمذان من أبي محمد عبد الغني ابن الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني.

وقدم مصر مرتين، ووعظ بها، وحدّث، وجعل له بها قبول، وحدّث بدمشق وبغداد وغيرهما، =

هو من ولد سعد بن عبادة صاحب رسول الله ﷺ، المعروفُ بابنِ الحَنْبَليّ الدمشقي.

من أشهر بيت بدمشق في العلم، وأكبره، وهو واعظ حسن، فقيه حنبلي، محدث مفسر، عالم سائر الذكر ببلاد الشام، كانت ولادته فيما أخبرني [سابع عشر شوال][1] سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وتوفي بدمشق، ثالث المحرم سنة أربع وثلاثين وستمائة.

و[كان] يقول الأشعار، أنشدني أحمد بن إسماعيل بن نجم الحنبلي الدمشقي قال: أنشدني أبو الفرج عبد الرحمن لنفسه: [من السريع]

يا صاحبي إنْ كنْتَ لي ناصحًا ... فَمُرْ وسَلِّم لي على جِلَّقِ

/ ١٨٣ب/ وابرُدْ بوادي بَرَدَى واستَمِعْ ... ألحانَ طَيْرٍ طيِّبِ المَنْطِقِ

واذْكُرْ أحاديثَ ليالٍ مَضَتْ ... بالنَّيْرَبِ الأعلى وبالجَوْسَقِ[2]

وأنشدني قال: أنشدني أبو الفرج قوله: [من الكامل]

أذْكَرْتَني ناسي وما فَعَلَ الصِّبا ... بالنَّيْرَبِ الأعلى على بانَاسِ

نَهْرٌ كحَدِّ السَّيْفِ تكْسُو مَتْنَهُ ... الأزْهارُ غِمْداً فَهْوَ عارٍ كاسِ

وجَواسِقٌ مثْلُ القُصورِ شَواهِقٌ ... ومَقاعِدٌ مَحْفُوفَةٌ بالآسِ

فهيَ الشِّفاءُ لعِلَّتي ولرُبَّما ... طالَ السَّقامُ بسوءِ فِعْلِ الآسي

وأنشدني قال: أنشدني أيضًا لنفسه: [من الرمل]

سَلَّمَ اللهُ على قَوْمٍ سَرُوا ... وفُؤادي بَعْدَهُمْ قد أُسِرُوا

= ووعظ، ودرّس، وكان فاضلاً، وله مصنفات. وبعد وفاته دفن من يومه بسفح جبل قاسيون».

الوافي بالوفيات ١٨/ ٢٩١ ـ ٢٩٢. مرآة الزمان ٧/ ٧٠٠. ذيل الروضتين ١٦٤. تذكرة الحفاظ ١٤١٩. العبر ٥/ ١٣٨. البداية والنهاية ١٣/ ١٤٦. ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ١٩٣ ـ ٢٠١. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٧، ٢٩٨. شذرات الذهب ٥/ ١٦٤ ـ ١٦٦. المختصر المحتاج إليه: ٣/ ٢٠. سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٤. دول الإسلام ٢/ ١٣٧. التاج للقنوجي ٢٣٢. هدية العارفين ١/ ٥٢٤ ـ ٥٦٠. منتخبات التواريخ ٥٠٢ ـ ٥٠٣. القلائد الجوهرية ١/ ١٥٩. كشف الظنون ٧٨.

(١) ما بين المعقوفتين من هامش الأصل.

(٢) النيرب: قرية مشهورة بدمشق، على نصف فرسخ منها في وسط بساتين. معجم البلدان/ مادة (نيرب).

عـــاهَـــدونـــا وتَنـــاسَـــوا عَهْـــدَنـــا فَـــدُمـــوعـــي غُـــدُرٌ مُـــذْ غَـــدَرُوا
مـــا لصُبْحـــي سَحَـــرٌ بَعْـــدَهُـــمُ مـــاتَ حُـــزْنـــاً أمْ لـــه قـــد سَحَـــرُوا
يـــا نَسيـــمَ الـــرِّيـــحِ مِـــنْ أرضِهِـــم خَبِّـــرينـــي ليـــس عنـــدي خَبَـــرُ
هَـــلْ هُـــمُ فـــي راحَـــةٍ أمْ تَعَـــبٍ كِـــدْتُ مِـــن هَمِّـــي بهـــم أنْفَطِـــرُ
خَبِّـــريهِـــم أنَّنـــي حِلْـــفُ الضَّنَـــى مـــا بَقِـــي مِنِّـــي إلاَّ الأثَـــرُ

[٢٧٢]

عبدُ الرَّحمن بنُ عُمَرَ / ١٨٤أ/ بنِ الحَسَنِ بنِ نَصْرِ بنِ سَعْد بنِ عَبْد الله بنِ بَازٍ، أبو مُحَمَّد المَوْصليُّ :

كان يكتب القصص بالأجر، ويعمل أشعاراً، ويمدح بها الناس، وكان مخلاً بفردعين، متشيعًا، خارجًا في التشيع، وربما كان يظهر منه في حق الصحابة كلام رديء، وتوفي بالموصل سنة عشر وستمائة.

حدثني سبطه أبو محمد الحسين بن إبراهيم بن حماد، النبع الموصلي قال: رأيت جدي في المنام بعد موته، وهو بزيّ جميل، وهيأة حسنة، فقلت له: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي، فقلت: بماذا وقد كنت تتناول أبا بكر وعمر، وتطعن في صحابة رسول الله ﷺ ؟ فقال: إنني رجعت عن ذلك وتبت عنه قبل موتي بشهر، فتاب الله عليَّ.

أنشدني أبو الفضل مودود بن مسعود الإربلي قال: أنشدني عبد الرحمن بن عمر بن باز الموصلي لنفسه: [من الطويل]

رأتْ غُصُنـــي بَعْـــدَ النَّضـــارَةِ ذاويـــاً ومـــاءَ شَبـــابـــي غـــاضَ عـــن كـــلِّ مَـــوْرِدِ
فَنَفَّـــرَهـــا مـــا كـــان مِـــنْ لَـــوْنِ لِمَّتـــي فَصَـــدَّتْ وقـــالَـــتْ أبْيَـــضٌ بعـــدَ أسْـــوَدِ
فقُلْـــتُ ضَـــلالاً واهتَـــدَيْـــتُ فَـــأعْـــرَضَـــتْ وقـــالَـــتْ ألا يـــا لَيْـــتَ لـــم تَـــكُ تَهْتَـــدي
/ ١٨٤ب/ ألـــم تَـــدْرِ أنَّ الشَّيْـــبَ ذَنْبُـــكَ عنـــدَنـــا فقُلْـــتُ لهـــا لا تَعْجَلـــي وتَـــأيَّـــدي
بهَجْـــرِكِ أضْـــرَمْـــتِ الغَضـــا فـــي حُشـــاشَتـــي فهـــذا شَـــرارُ النَّـــارِ مِـــنْ غيـــرِ مَـــوْقِـــدِ

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه عبد الرحمن، من قصيدة يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب: [من الكامل]

يا مُسْتَميحَ الحَمْدِ دَعْوَةَ نازِحٍ ... عن داره أَوْفَى بحلْيَةِ شاعر
وله من الحدباء أكرم موطن ... فيه من الجيران خير مجاور

ورأيت من شعره هذه القصيدة يمدح بها أتابك نور الدين أبا الحارث أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي ـ رضي الله عنه ـ ويهنيه بتشريف أمير المؤمنين الناصر لدين الله ـ رضوان الله عليه ـ: [من الخفيف]

أيُّها المالكُ المؤيَّدُ نور الدْ ... دين قرَّتْ لديك عين الزمان
حيثُ أصْبَحْتَ للخليفَةِ ظَهْراً ... ظاهِرَ المَجْدِ عاليَ الأركانَ
فأتاكَ التَّشْريفُ منْهُ فللتَّشْ ... ريفَ فَخْرُ الإسلامَ في الأدْيانَ
/ ١٨٥أ/ واكتَسى منْكَ أشْرفَ الرُّتَبِ العَلْ ... ياءِ حَتَّى عَلا على كَيْوانَ
وكذا الغِمْدُ يَكْتَسي الشَّرَفَ العا ... لي بحَدِّ العضْبِ الحُسام اليَماني
ولِواءُ الحَمْدِ الذي عُقِدَ النَّصْ ... رُ بهِ في مُثَقَّفٍ وسنانَ
وجَوادٌ تَعْلُو بهِ قِمَمَ الأعْ ... داءِ قَبْلَ السِّباقِ في المَيْدانَ
فانتَهِزْ فُرْصَةَ الزَّمانِ فقد أمْ ... كَنَ منْهُ نهايَةَ الإمكانَ
واملُكِ الأرْضَ كلَّها فهْيَ طَوْعٌ ... لكَ مَشْحُونَةٌ منَ الأعْوانَ
عَصْرُكَ اليومَ منْكَ يَسْمُو على الأعْ ... صار مثْلَ الرَّبيعِ في الأزْمانَ
وعلى الدَّهْرِ من أياديك وَسْمٌ ... فوقَ جيدٍ يَسْمُو بأرْسَلانَ
إنَّما سائرُ المُلوكِ كألفا ... ظِ كلامٍ وأنتَ فيها المَعاني
فاشْمِلِ الجُنْدَ بالعَطاءِ فللإنْ ... عامِ وَقْعُ التَّعْجيلِ عند التَّواني
فَجميعُ الأنامِ أعْبُدُ آما ... لٍ وَقَيْدُ الإنسانَ بالإحسانَ
جُدْ وَطُلْ وابقَ في نَعيمٍ مُقيمٍ ... وعُلُوٍّ ورِفْعَةٍ وأمانَ
وتَمَلَّ الصِّيامَ فاللهُ راضٍ ... عنكَ فيما تأتيهِ منْ رَمضانَ
ولَكَ اللهُ ناصرٌ ومُعينٌ ... وظَهيرٌ في كلِّ شيءٍ تُعاني

ومنها يقول في آخرها:

/ ١٨٥ب/ فاستَمعْ نُبْذَةً أتَتْ من مُحِبٍّ ... أخْلَصَ العَهْدَ منْهُ بالإيمانَ
يَنْظِمُ المَدْحَ في مَعاليكَ كالدُّرْ ... رِ وما المَدْحُ نَظْمُهُ كالجُمانَ
فلهذا أضْحَى يُوالي مواليـ ... ـكَ ويَشْنَا بهَجْوِهِ للشَّاني

[٢٧٣]

عبدُ الرَّحمنِ بنُ أبي بكر بن عليٍّ بن أحمد بنِ عبدِ الله، المؤدِّبُ البَغداديُّ المَعروفُ بابنِ الحَمّامي(١):

أصله من نيسابور، وكانت ولادته ببغداد، وتوفي بها ليلة الجمعة، سابع عشر جمادى الأولى سنة عشر وستمائة. وكان يؤدب الصبيان، ويشعر، والذي وقع إليّ من شعره، يقول في رجل يلقب الشميس الفقيه الأنباري، ويعرف بالحيوان، وكان قد أضاف صبيًا من أهل سنجار أمرد مليح الصورة، وقدّم له قطايف، فحين أكلا، تقدم إليه فقبّله، فغضب الصبيّ، فقام إليه، فضربه ضربًا مؤلمًا، فقال في ذلك عبد الرحمن:

[من الطويل]

/١٨٦أ/ لقد دامَ دَهْراً للشّمَيس دَبيبُه ... فَظَلَّ على علاَّته يَسْتَطيبُه

يَدبُّ إذا ما اللَّيلُ أرخىٰ سُتورَه ... عليه فلا يَدري بذاكَ رَقيبُه

ولا يَشعرُ النُّوَّامُ من حَوله وقد ... أغارَ علىٰ سُرمِ الغُلام يُصيبُه

فَغَيَّرَهُ الدَّهرُ الغَشومُ عنِ الَّذي ... تَعَوَّدَهُ والدَّهْرُ جَمٌّ خُطُوبُه

فصادَفَ من سنجارَ لَيثاً فَظَنَّهُ ... غَزالاً فَأهوى نَحوَه يَستَجيبُه

وجَذَّرَه لَمّا حَواه قَطايفاً ... ليَشْغَلَه والقَلْبُ بادٍ وَجيبُه

وأهْوى إلىٰ تقبيلهِ فَرأىٰ فَتًى ... مِنَ الحَيوان النَّذْل حالاً تَريبُه

فَدَقَّ قَفَاهُ ثُمَّ شَجَّ جَبينَهُ ... وَغادَرَهُ يَبكي عليه طَبيبُه

طَريحاً جَريحاً بالدِّماء مُضَرَّجاً ... يُنادي ضَعيفَ الصَّوْت مَن لا يُجيبُه

ومَن يَدَّلّي للّواطِ عُصَيبَةً ... فَأكثَرُ من هذا لَعَمري يُصيبُه

[٢٧٤]

عبدُ الرَّحمَنِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أبي المَحاسنِ، أبو الدُّرِّ الرُّوميُّ(٢):

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ١٢٧.

(٢) أورد له المؤلف ترجمة أخرى في الجزء التاسع برقم ٩٠٦ باسم (ياقوت بن عبد الله). =

هكذا قرأت نسبه بخط يده في غير موضع، كان اسمه ياقوتًا، مولىٰ منصور الجيلي التاجر، فسمىٰ نفسه عبد الرحمن.

نشأ ببغداد /١٨٦ب/ وحفظ القرآن العظيم، وشدا طرفًا حسنًا من العربية، وتفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وقال الشعر الرائق الألفاظ، واستكثر منه في فن الغزل والتصابي، وذكر المحبة والغرام، وراق شعره، وتحفظه الناس، وتناقله الرواة، وغنّىٰ به المغنون.

وكان تاليًا للقرآن، مشغوفًا بمذهب الإمامية، والتعصب لهم، كثير الميل إلى أهل البيت ـ صلوات الله عليهم ـ سيّر فيهم عدة قصائد اشتهرت في البلدان، ومدحهم مدحًا كثيراً، وكان مع ذلك يحفظ كلّ غريبة ونادرة، ويذاكر بالأشعار، وملح الحكايات، وكانت وفاته فيما بلغني يوم السبت رابع عشر جمادى الأولىٰ سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وجُد في بيته ميتًا.

وكان عزبًا لم يتزوج قط، أنشدني أبو القاسم بن أبي النجيب بن أبي يزيد التبريزي قال: أنشدني أبو الدرّ الرومي لنفسه، وكتب ذلك لي بخط يده:

[من الكامل]

أَتَظُنُّنِي أَسْلُو هَوَاكَ وأَنْتَهِي ... عَنْ جَنَّةٍ تَجْنِي النُّفُوسَ وأَنْتَهِي

/١٨٧أ/ بَرِحَ الخفاءُ وشابَ صَبْرِي في الهوىٰ ... ووَهى وَهَاعَزَماتُ وَجْدِي لم تَهِ

بأبي الَّذي أنا مُنْتَهٍ في حُبِّه ... شَغَفًا كما هو في الملاحةِ مُنْتَهِي

يا مُنْتَهَىٰ أملي أما لي مِنْ مَدًى ... في الحُبِّ أو أَمَدٍ إليه أَنْتَهِي ؟

أمِطِ اللِّثامَ فَلَثْمُ ثَغْرِكَ واللَّمَىٰ ... وهَواكَ غايةُ ما أَرُومُ وأَشْتَهِي

= ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ١٦٩ ـ ١٧٠. وفيات الأعيان ٦/ ١٢٢ ـ ١٢٦. مرآة الجنان ٤/ ٤٩. معجم الأدباء ٦/ ٢٨٠٤ رقم ١٢١٩ وفيه اسمه «ياقوت». النجوم الزاهرة ٥/ ٢٨٣. التكملة للمنذري ٣/ ١٤٨ رقم ٢٠٤١. المختصر المحتاج إليه ٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢ رقم ٨٥٥. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٠٨ رقم ١٨٥. البدر السافر ٢٢/ الورقة ٢٢١. شذرات الذهب ٥/ ١٠٥ ـ ١٠٦. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص١٣٩. الأعلام ٨/ ١٣١.

كتب عنه د. مصطفى جواد في مجلة البلاغ الكاظمية، السنة الأولى، العدد الثاني، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦ ص١٦ ـ ١٧.

تَجْنِي وأَصْبِرُ في هَواكَ فأَجْتَنِي ... بالصَّبْرِ شَهْداً مِنْ مُقَبَّلِكَ الشَّهِي

وقال أنشدني أبو الدرّ لنفسه[1]: [من البسيط]

إنْ غاضَ دَمْعُكَ والأحبابُ قد بانوا ... فكلَّما تَدَّعي زُورٌ وبُهتانُ
وكيفَ تأنسُ أو تَنْسى خَيالَهُمُ ... وقد خَلا منْهُم رَبْعٌ وسُكَّانُ ؟
لا أَوْحَشَ اللهُ مِنْ قومٍ نَأَوْا فَنَأى ... عنِ النَّواظرِ أقمارٌ وأغْصانُ
ساروا فسارَ فُؤادي إثْرَ ظَعْنِهِم ... وبانَ جَيْشُ اصطباري ساعةَ بانوا
لا افتَرَّ ثَغْرُ الرُّبى مِنْ بَعْدِ بُعْدِهِم ... ولا تَرَنَّحَ أَيْكٌ لا ولا بانُ
أَجْرَى دُموعي وأذكى النَّارَ في كَبِدي ... غَداةَ بَيْنِهِم هَمٌّ وأحْزانُ
فماءُ نُوحٍ ثَوى في مُقْلَتَيَّ وفي ... طَيِّ الحَشَا لخَليلِ اللهِ نيرانُ
لو كابَدَ الصَّخْرُ ما كابدتُ مِنْ كَمَدي ... فيكُمْ لَجادَ لَهُ أُحْدٌ وثَهْلانُ
يا مَنْ تَمَلَّكَ رِقِّي حُسْنُ بَهْجَتِهِ ... أَمَا لسُلطانِ هذا الحُسْنِ إحسانُ ؟
/ ١٨٧ب/ كن كيفَ شئْتَ فما لي عنكَ مِنْ بَدَلٍ ... أنتَ الزُّلالُ لقَلْبي وهْوَ ظَمآنُ

وأنشدني قال: أنشدني من شعره[2]: [من الكامل]

جَسَدي لبُعْدِكَ يا مُثيرَ بَلابلي ... دَنِفٌ نَحيلٌ ما أَبَلَّ بَلى بَلي
يا مَنْ إذا ما لامَ فيهِ لَوائمي ... أَوْضَحتُ عُذْري بالعِذارِ السَّائلِ
إن كنتَ تَجْهَلُ ما أتى في النَّصِّ مِنْ ... تَحْريمِ سَفْكِ دَمِ المُحِبِّ فسائِلِ
ما قَوْلُ أرْبابِ الشَّريعَةِ والتُّقَى ... والعِلْمِ والفَضْلِ العَميمِ الشَّامِلِ
أَأُجيزَ قَتْلي في الوَجيزِ لقاتلي ... أَمْ حَلَّ في التَّهْذيبِ أَمْ في الشَّامِلِ
أَمْ في المُهَذَّبِ أنْ يُعَذَّبَ عاشقٌ ... ذُو مُقْلَةٍ عَبْرى ودَمْعٍ سائلِ
أَمْ طَرْفُكَ الفَتَّاكُ قد أفْتاكَ في ... تَلَفِ النُّفُوسِ بسِحْرِ لَحْظٍ بابلي
أَوَ ما عَلمتَ بأنَّ سحْرَ جُفونِكَ الـ ... ـمَرْضى الصِّحاحِ يَفُوقُ حدَّ الذَّابلِ
والسِّحْرُ إنْ قَتَلَ المتيَّمَ غالباً ... وَجَبَ القصاصُ على الظَّلُومِ القاتلِ

---

(١) القصيدة في وفيات الأعيان ٦/ ١٢٣، وبعضها في تاريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص١٣٩. وفي مرآة الزمان ٨/ ٤/ ٩ ٤ الثلاثة الأولى.

(٢) الأبيات ١، ٢، ٥، ٦ في معجم الأدباء ٦/ ٢٨٠٤ وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٠٩، والأبيات ١، ٢، ٥، ٦، ٧ في وفيات الأعيان ٦/ ١٢٤.

رفْقـاً بجَـوْهَـر جسـم صَـبٍّ مُغْـرَم غـادرتـه غَـرَضـاً كخَصْـر نـاحِـل
وجَعَلَـتْ أسْهُـمَ مُقْلَتَيـك وَسيلَـةً وذَريعـةً حتَّـى أصَبْـنَ مَقَـاتلـي
إنْ أنْكَـرَتْ عَيْنـاكَ قَتْلـي فـي الهَـوىٰ فَبخَـدِّكَ القـانـي وُضُـوحُ دَلائلـي
لَكـنَّ طَـرْفَـكَ نـاعِـسٌ والشَّـرْعُ قـد كَـفَّ القصـاصَ عـن النـؤوم الغـافِـل
لا تـأخُـذوا بـدَمـي فـإنِّـي عَبْـدُهُ والحُـرُّ ليـس لعَبْـده بمُمـاثِـل
/ ١٨٨أ/ طَرْفي تسبَّبَ وهْوَ ناشِرُ قَتْلتي فلمَـن ألـومُ ولَحْـظُ طَـرْفَـي قـاتلـي ؟

وأنشدني الإمام عماد الدين أبو المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش الفقيه الشافعي الموصلي قال: أنشدني أبو الدر لنفسه ببغداد:[1] [من الطويل]

خَليلـيَّ لا والله مـا جـنَّ غـاسـقٌ وأظلَـم إلاَّ حَـنَّ إذْ جُـنَّ عـاشـقُ
أُحِـبُّ سَـوادَ اللَّيْـل حُبّـاً لشـادن يُـواصِلُنـي لَيْـلاً وصُبحـاً يُفـارقُ
إذا سُمْـتُ قَلْبـي الصَّبْـرَ زادَ تَشَـوُّقـاً فَقَلْبـي مَشـوقٌ واصطبـاري شـائـقُ
ومـا الصَّبْـرُ بـالمُشْتـاق عَمَّـن يُحبُّـهُ وإنْ سـاءَهُ منْـهُ خَـلائـقُ لائـقُ
بـرُوحـيَ مَـنْ رُوحـي تُسـاقُ إذا حَـدا مَطـايـاهُ حـادي البَيْـن أو سَـاقَ سـائـقُ
مفـارَقَـةَ الأحْبـاب لـولاك لـم يَـذُبْ فُـؤادٌ ولا شـابَـتْ لصَـبٍّ مفـارقُ
أمنْـتُ الجَـوى والبَيْـنَ غَـبَّ فـراقـه فلسـتُ أُبـالـي بَعْـدَهُ مَـنْ أُفـارقُ
وأنكَحـتُ أجْفـانـي السُّهـادَ لبُعْـده وقُلْـتُ لنَـوْمـي بَعْـدَهُ أنـتَ طـالـقُ

وأنشدني أبو القاسم التبريزي قال: أنشدني [أبو الدرّ] أيضاً: [من الهزج]

إذا مـا ضَحِـكَ الـوَرْدُ ومَـاسَ البَـانُ والـرَّنْـدُ
/ ١٨٨ب/ وعَـادَ العُـودُ مُخْضَـرّاً لـهُ مـنْ زَهْـره بُـرْدُ
وأضْحَـتْ تَـرْقُـصُ الأشجـا رُ إذ أطيـارُهـا تَشْـدُو
فَلـي والـرَّاحُ مـنْ راحَـ ـةِ مَـنْ هَيَّمَنـي وِرْدُ
هـلالٌ مـالـهُ فـي حُسْـ ـنـه شِبْـهٌ ولا نِـدُّ
إذا مـا أعـوزَ الـرَّاحُ وعَـزَّ المِسْـكُ والنَّـدُّ
فلـي مِـنْ ريقِـه راحٌ ومِـنْ نَكْهَتـه نَـدُّ

---

(١) البيت الأول في وفيات الأعيان ٦/ ١٢٣.

ومـــــنْ حـــاجبـــه آسٌ ومـــــنْ وَجْنَتـــــه وَرْدُ
بـــروحـــي رَشَــأ ذلّـــتْ لـــهُ فـــي غـــابهـــا الأُسْـــدُ
رَشيـــقُ القَـــدِّ ميَّـــاسٌ سَبـــانـــي ذلـــكَ القَـــدُّ
يكَـــادُ الخَصْـــرُ مـــنْ ليـــن إذا مـــا قَـــامَ يَنْقَـــدّ
غَـــزالٌ وَصْلُـــه وَعْـــدٌ ولكـــنْ هَجْـــرُه نَقْـــدُ
كـــأنَّ الـــوَرْدَ مَـــنْ أهْـــوى دُنُـــوٌّ بَعْـــدَهُ بُعْـــدُ
فـــلا ذاكَ لـــهُ وُدٌّ ولا هـــذا لـــهُ عَهْـــدُ
ومـــالِـــي منْـــهُ إذْ واصَـــلَ أو قـــاطَعَنـــي بُـــدُّ

وأنشدني عبد الكريم بن الذكي / ١٨٩أ/ بن شبانة الحظيري المعلم قال: أنشدني أبو الدرّ لنفسه يمدح أهل البيت ـ صلوات الله عليهم ـ [من الوافر]

دَعَـا عَـذَلـي وكُفّـا عـن مَـلامـي فَعَـذْلُ عـواذلـي يُغْـري غَـرامـي
وكيـفَ يُـرامُ صَـرْفـي عـن هُـداة بهـم عُـرفَ الحَـلالُ مـنَ الحَـرامِ
لُيـوث كَـريهَـة وغُيـوثُ مَحْـلٍ بُـدورُ هُـدًى مَصـابيـحُ الظَّـلامِ
بهـم فـي يَقْظَتـي شَغَفـي ووَجْـدي وذِكْـرُهُـم سَميـري فـي مَنـامـي
إذا مـا شئـتَ أن تُمسـي وتُضْحـي عَـريّـاً مـنَ ذُنـوبـك والآثـامِ
فَـزُرْ بمَـدينـة الـزَّوراء مُـوسَـى الـ إمـامَ بـنَ الإمـامَ بـنَ الإمـامِ
وأُمَّ بـأرْضِ سَـامـرّا وَطُـوس قُبـورَ أئمَّـة غُـرَرٍ كِـرامِ
وَقِـفْ بـالطَّـفِّ وابـك بكَـرْبـلاءٍ علـى ظَمْـآنهـا والمـاءُ طَـامـي
وَعُـذْ مـن كـلِّ نـائبَـة وخَطْـبٍ بحُـبِّ أبيهـم البَطَـلِ الهُمَـامِ
وَحَـيٍّ بيَثْـرب أجـداثَ قَـوْمٍ هُـمُ خَيْـرُ البَـريَّـة والأنـامِ
فمـا خـابَـتْ مَسـاعـي مُسْتَجيـرٍ تَمَسَّـكَ منْهُـمُ ذَيْـلَ الـذِّمـامِ

وأنشدني أبو عبد الله الحسين / ١٨٩ب/ بن عربشاه بن عبد الوهاب البغدادي قال: أنشدنا أبو الدرّ الرومي لنفسه(١): [من الطويل]

فُـؤادي علـى مـرِّ الـزَّمـانِ مُتيَّـمُ وصَبْـري ووجْـدي ظـاعـنٌ ومُخَيِّـمُ

---

(١) البيت الثالث في وفيات الأعيان ٦/ ١٢٤.

أيا جَنَّتي غادَرْت بالبُعْد في الحَشا … جَحيمَ أسًى نيرانُه تتَضَرَّمُ
ألستَ منَ الولْدان أحلى شَمائلاً … فكيْفَ سَكَنْت القَلْبَ وَهْوَ جهَنَّمُ ؟
نَفَرْتُمَ فَنَفَّرتُم رُقادي ببيْنكُم … وَثَوَّرتُمُ الأَحزانَ يومَ أثَرتُمُ
إذا ما خَلَتْ منكُم منًى لا خَلَت مُنًى … ولا جادَها جَونٌ منَ المُزْنِ مُرْزِمُ
أُنادي مُناديكُم وقد عَزَّ عنكُمُ … عَزائي ألا لا أوْحَشَ اللهُ منكُمُ
رَبيعي جمادىٰ مُذْ نأيتُم ومنْزِلي … به صَفَرٌ منكُم ونَومي مُحَرَّمُ
جَفا الغُمْضُ جَفْني والكَرىٰ بعْدَ بينكم … كأنَّ الكَرىٰ طيبٌ وجَفْني مُحرِمُ
ظَنَنْتُم وبعضُ الظَّنِ إثْمٌ بأنَّني … سَلَوتُ هَواكُم والسُّلُوُّ مُذَمَّمُ
هَواكُم يَقينٌ والسُّلُوُّ تَوَهُّمٌ … وأينَ منَ الأمْرِ اليَقينِ التَّوَهُّمُ
أنا ذلكَ الصَّبُّ المُعَنَّىٰ بحُبِّكُم … وأنتمُ وإنْ خُنْتُم عُهودي أنْتُمُ

[٢٧٥]

عبدُ الرَّحمن بنُ بَدْر بن الحَسَن / ١٩٠أ/ بنِ المفرِّج، أبو مُحَمَّد النابُلُسيُّ، المنبوزُ بمُدْلَوَيه[١] :

أحد الشعراء المعروفين، والفضلاء الموصوفين، كثير الشعر، نبيه الذكر، ذو نظم مستجاد، أحسن في إنشائه وأجاد، يجمع السهولة والمتانة والعذوبة والرصانة.

امتدح الملوك من بني أيوب، ملوك الشام، وأكرموه لفضل أدبه غاية الإكرام، ثم غيرهم من الأمراء والقضاة والوزراء والولاة، تأدّب علىٰ الإمام الأديب أبي اليمن زيد بن الحسن بن زيد الكندي البغدادي النحوي، وقرأ عليه كثيراً من مسموعاته، واشتغل في صباه علىٰ الشهاب فتيان بن علي الأديب الفاضل الشاغوري[٢]، ورحل إلىٰ مدينة السلام، وقرأ بها المقامات الحريرية علىٰ أبي الفضل منوجهر بن محمد بن

---

(١) في هامش الأصل: «رشيد الدين».
ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ١٢٣ ـ ١٢٦. وفيات الأعيان ٥/ ٢٦٦ وفيه «عبد الرحمن بن محمد بن بدر..»، ٧/ ١٨٧ وفيه «عبد الرحمن بن بدر..». فوات الوفيات ١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٤، وفيه: «... بن المفرج..». المنهل الصافي ٧/ ١٦٦ ـ ١٦٧ وفيه: «عبد الرحمن بن بدر بن الحسن بن الفرج بن بكار، الشيخ رشيد الدين النابلسي..». الأعلام ٣/ ٣٠٠.

(٢) ترجم له المؤلف في الجزء الخامس برقم ٥٧٧.

تركانشاه البغدادي الكاتب، عن مصنفها، واتصل بأَخَرة بالملك المعظم شرف الدين عيسىٰ بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، صاحب دمشق، ولم يزل منقطعًا إليه إلى أن توفي بدمشق، يوم الجمعة في العشر الأولى من ذي الحجة / ١٩٠ب/ سنة تَسع عشرة وستمائة، عن ستّ وستين سنة، وكانت ولادته في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.

وكان مشغوفًا بشرب الخمر، مفتونًا بها، منعكفًا عليها، إلى حين مماته، وكان نزقًا، مرّ المذاق، شرس الأخلاق، جافي الطباع، غليظ الجواب، يخاطب من يستنشده شعره خطابًا بشعًا، ولا ينشده من شعره غير مرّة واحدة، كذا كانت شيمته مع الناس، وكان يحتمل لفضله وموضعه من الأدب، وديوان شعره يدخل في مجلدين كبيرين.

أنشدني أبو بكر محمد بن نصر الله النابلسي الشاعر قال: أنشدني أبو محمد عبد الرحمن بن بدر النابلسي لنفسه، يمدح الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذىٰ ـ رضي الله عنه ـ [من المنسرح]

زارَ وسَيْفُ الصَّباحِ مَسْلولُ ... واللَّيلُ مُلْقىٰ لَدَيه مَقْتولُ
مُعفَّرٌ خَدُّهُ ومن دَمه ... قانَ على المَشْرقَيْن مَطْلولُ
والأَنْجُمُ الزُّهْرُ في مَواكبها ... مُنْهَزمٌ داهشٌ ومَذْهولُ
/ ١٩١أ/ كأنَّها والصَّباحُ يَلْفتُها ... قَسْراً إلى الغَرْب أَعْيُنٌ حُولُ
فالنَّسْرُ يَهْوي كأنَّه مَلكٌ ... وللثُّريا عليه إكليلُ
والرُّمْحُ رُمْحُ السِّماكِ مُنْحَطمُ الـ ... ـقَناة والحدُّ منْهُ مَفْلولُ
والقُطْبُ قُطْبُ الشَّمالِ مُعْتَقَلٌ ... في أوجه كالأسير مكْبولُ
وقد تَغَنّىٰ لجاشريته ... ديكٌ لهُ في الغناء تَرْتيلُ
حَيَّ علىٰ مَجْلس الصَّبوحِ إذا ... كانَ له بالصَّباحِ تكْميلُ
زارَ وقد رنَّحتْ شَمائلَهُ ... راحٌ بها راحَ وَهْوَ مَشْمولُ
أَهْيَفُ عَذْبُ الرُّضابِ قامَتُه ... وثَغْرُهُ عاسلٌ ومَعْسُولُ
قامَ يُنادي وَعطْفُه ثَملٌ ... وطَرْفُه بالنُّعاس مَكْحُولُ
قُمْ يا نَديمي إلىٰ الصَّبوحِ فَما ... عُذْرُ مُخلِّي الصَّبوحِ مَقْبولُ

نَشْرَبُ في بَيْعَةٍ بساحَتِها   تُتْلَىٰ المَزاميرُ والأناجيلُ

بينَ قُسُوسٍ كأنَّ أوْجُهَهُمْ   لَدى مَحاريبِهِم قَناديلُ

علىٰ عَذارَىً ملحورٍ بَهْجَتُها   منَ النَّصارىٰ بِيْضٌ عَطابيلُ[1]

أوانسٌ أُنْطقَتْ مَناطقُها   وأُخرِس السُّورُ والخَلاخيلُ

تَحْسَبُها والقِبابُ تَحْجُبُها   هَياكلاً بينَها تَماثيلُ

/ ١٩١ب/ ومن بَني الرُّومِ شادنٌ غَنِجٌ   حُلْوٌ مكانُ الوشاحِ مَجْدُولُ

مُكْتَحِلٌ بالفُتورِ ناظِرُهُ   ولم يُجَلْ في جُفونِه ميلُ

لشَعْرِه الجَعْدِ فوقَ غُرَّتِه   كَما لِعَزْمي لَدَيْه تَرْجيلُ

مُزَنَّرٌ راقَ عقْدُ مَبْسمِه   فَعقْدُ صَبْري عليه مَحْلُولُ

يُقْرأُ للحُسْنِ فوقَ وَجْنَتِه   سَطْرٌ بشَكْلِ الجَمالِ مَشْكُولُ

ولايةٌ وَقَّعَ العِذارُ بها   لكنَّ والي العِذارِ مَعْزولُ

فامدَحْ مَليكاً تَبْقَىٰ ولايتُه   ما مَدَّ يَحكي نَوالَه النِّيلُ

خَيْرَ فَتًى يَمَّمَتْ مَواهِبَه   علىٰ النَّوىٰ البُزَّلُ المراسيلُ

وانقلَبَتْ عن نَداهُ يُثْقِلُها   منْهُ القَناطيرُ لا المثاقيلُ

المَلِكُ الأرْوَعُ المظفَّرُ مَنْ   لَمَجْدِه في العَلاءِ تأثيلُ

نَجْلُ الأُلىٰ منْهُمُ الأكاسرَةُ الأنْـ   ـجابُ والسَّادَةُ البَهاليلُ

هُمُ المناسيبُ في مناقبِهمْ   وَجُلُّ من في الوَرىٰ مجاهيلُ

لله منْهُمْ هادٍ إلى سُنَنِ الـ   ـرُّشْدِ إذا عَمَّت الأضاليلُ

غَيْثٌ ولكن سَحابُه يَدُهُ   لَيْثٌ ولكن يَراعُه الغيلُ

كالسَّهْمِ عَزْماً والسَّهْمُ مُنْصَلِتٌ   والسَّيْفِ رأياً والسَّيْفُ مَصْقُولُ

/ ١٩٢أ/ بَحْرُ نَوالٍ عَذْبُ المَوارِدِ لا   يُقْدَرُ عَرْضٌ له ولا طُولُ

يَسْبِقُ إحسانُه الوعودَ فإنْ   أوْعَدَ فالعَفْوُ منْه مأمُولُ

مُطْلَقُ باعِ النَّدىٰ لسائلِه   ساعةَ باعُ الكَريمِ مَغْلُولُ

يُصانُ بالمالِ مَجْدُهُ فكَمِ الـ   ـمالُ مُذالٌ لَدَيْه مَبْذُولُ

---

(١) ملحور: تعني: «من الحور»، العطابيل: جمع عطبول وهو المرأة الفتية، الجميلة، الطويلة العنق.

وَمُنْشِرُ العَدْلِ في البَرِيَّةِ فالظُّلـ ـمُ قد اغتالَ ذِكْرَهُ غُولُ
ولابِسُ العِزِّ ذَيْلُ أنْعُمِهِ الضّا في على الخافِقَيْنِ مَسْدُولُ
تَحْمِلُ أموالَهُ كَرائمُهُ وللنَّدَىٰ حامِلٌ ومَحْمُولُ
إذا مُلوكٌ تَكَلَّفوا كَرَماً فهْو على المَكْرُماتِ مَجْبُولُ
يا طالبَ الرِّفْدِ بابُهُ فَبِهِ للمُعْتَفي حُظْوَةٌ وتَنْويلُ
مِلْ نَحْوَ ظِلٍّ لكلِّ مُفْتَقِرٍ مالَ إليه غِنًى وتَمْويلُ
مُولي الأيادي مَوْلَى المُلوكِ تَقـ ـيِّ الدِّينِ لا خابَ فيه تأميلُ
مَلْكٌ لهُ في عُفاتِهِ نِعَمٌ لها عليهِم بَرْدٌ وتَظْليلُ
كما لهُ في عُداتِهِ نَقَمٌ تَرميهِمُ طَيْرُها الأبابيلُ
فَجَنَّةُ الخُلْدِ في رِضاهُ لِمَنْ شاءَ وفي السُّخْطِ مِنْهُ سِجِّيلُ
حَبْرٌ إذا سُوجِلَتْ فَضائلُهُ حارَ لها سائلٌ ومَسْؤُولُ
/١٩٢ب/ يَنْطِقُ فَصْلَ الخطابِ واليَقِظُ الـ ـمِدْرَهُ عَنِ الجَوابِ مَذْهُولُ
ويُوسِعُ الحِلْمَ والرَّصانَةَ إذْ حَبْلُ ثَبيرٍ بالطَّيْشِ مَوْصولُ
خِرْقٌ أقَلُّ النَّوالِ مِن يَدِهِ فيه لجُودِ الغَمامِ تَبْخيلُ(١)
قَرْمٌ إذا أغمِدَ الظُّبا خَوَرٌ فَعُرْفُهُ كالقَضاءِ مَسْلُولُ
حيثُ لِحَدِّ العَضْبِ المهنَّدِ في خَدِّ الشُّجاعِ الكَمِيِّ تَقْبيلُ
يَقْدُمُ في الرَّوْعِ كالأتيِّ وللضَّـ ـرْبِ بهامِ الكُماةِ تَنْكيلُ
ساعَةَ ذو الجأشِ دَمْعُهُ طَلِقٌ وعَقْلُهُ كاليَدَيْنِ مَعْقُولُ
فكم لهُ وَقْفَةٌ على غُرَرٍ لا يَنْقَضي ذِكْرُها وتَحجيلُ
ورُتْبَةٌ ما استَوَى الأجَلُ الحَتْـ ـمُ بها مَنْ يَشاءُ مَثْكُولُ
كانَ لدينِ الهُدَىٰ بساحَتِها عِزٌّ وللمُشركينَ تَذْليلُ
أفْرَطَ فيما يُنيلُ مِن كَرَمٍ حَتَّىٰ النَّدى مِن يَدَيْهِ مَمْلُولُ
وجازَ في البأسِ حَدَّهُ فلذا تَحارُ في وَصْفِهِ الأقاويلُ
فهارِبٌ لم يَلُذْ بساحَتِهِ لَحْمٌ بِنابِ الخُطوبِ مأكُولُ

(١) الخِرق: الكريم، السخي.

وغـالـبٌ لـم يَصُـلْ بنُصْـرَتـه ... علـى صُـروف الـزَّمـان مَخْـذُولُ
/١٩٣أ/ قَضَـى بتَفْضيلـه الحَسُـودُ وللـ ... ـفَضْـل بهـذا القَضـاء تَسْجيـلُ
وأطْـرَبَ المَـدْحُ فـي عُـلاهُ كـأَنْ ... يُسْمَـعُ منـه آيٌ وتَنْـزيـلُ
فهْـوَ نَبـيٌّ للْمَكْـرُمـات ومـا ... أتـاهُ بـالمُعْجزات جبْـريـلُ
يـا عُمَـرَ العَـدْل مـا لـذي أمـل ... فـي الأرض إلاّ عليـكَ تَعْـويـلُ
يـا مَـنْ إذا أرْبَـعُ العُـلا دَرَسَـتْ ... فَـرَبْعُـه بـالعَـلاء مـأهـولُ
دانَ لأيّـامـكَ البَقـاءُ فـلا ... يُـرى لنُعْمَـى عليـكَ تَبْـديـلُ
وعشْـتَ مـا غَـرَّدَ الحَمـامُ ومـا ... حَـنَّ مَشُـوقٌ وأنَّ مَتْبُـولُ
فَـارغٌ قَلْبُـهُ مـنَ الهُمُـوم وَمَـنْ ... يَشْنَـاكَ بـالحـادثـات مَشْغُـولُ
لا جيـلَ يُبلـي الـزَّمـانُ جِـدَّتَـهُ ... إلاّ ويَفْـديـكَ ذَلـكَ الجيـلُ

وقال يمدح الملك الناصر صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب ابن شاذي ـ قدّس الله روحه ـ وهي تقرأ وزنين وقافيتين : [من الرجز]

بـدرُ دُجًـى نَـوَّرَ لَيْـلَ السَّفْـر أم شَمْـسُ ضُحَـى ... جَلَـتْ ديـاجـي الظُّلَـم
أم واضِـحُ الغُـرَّة بـالحُسْـن بَـدا متَّشحـا ... بَكَـى المُحِـبُّ وابتَسَـمْ
/١٩٣ب/ لاحَ فَغَـضَّ طَـرْفَـهُ مَـنْ لمُحبّيـه لَحـا ... يَقْـرَعُ سِـنَّ ذي نَـدَمْ
مُعْتَـدلٌ يُميلُـه الـدَّلُّ صبـاً وَمَـرَحـا ... وجـائـرٌ إذا احتكَـمْ
مُعَـرْبِـدٌ سَكْـرانُ مـن خَمْـر الـدَّلال مـا صَحـا ... مُسْكِـرُ عَـذْب المُبْتَسَـم
صَيَّـر جسمـي فـي هـواهُ بـالسَّقـام شَبَحـا ... وجُـودُه يَحكَـي العَـدَمْ
وغـادَرَ الـدَّمْـعَ لطُـول هَجْـره مُنْسَفحـا ... مُمْتَـزِجَ المـاء بـدَمْ
كـأنَّمـا جَـدْوَلُـهُ جَـدْوَى الصَّـلاَح سَمَحـا ... بـه يَـداهُ لـلأُمَـمْ
مَـن عُـرْفُـهُ وعَـرْفُـه الـرَّوْضُ إذا مـا نَفَحـا ... ضـاعَ أريجـاً وفَغَـمْ
ومَـنْ نَـداهُ ويَـداهُ للغَمـام فَضَحـا وأزرَيـا ... علـى الـدّيَـمْ
ومَـنْ صيـالُ بـأسـه لصَـوْلَـة الأُسْـد مَحَـا ... أُسْـدَ العَـريـن والأجَـمْ
كَعْبَـةُ جُـود فـازَ مَـنَ طـافَ بهَـا أو انتَحَـى ... فهْـي مـنَ الـدَّهْـر حَـرَمْ
مـا زارَهـا ذُو حَـزَن إلا وعـادَ فَـرِحـا ... مُبَـرَّأً مـن كُـلِّ هَـمْ
عـادَ بمـا أمَّـل غـادٍ صَـدْرُه مُنْشَـرِحـا ... يَحْمَـدُ مَحْمـودَ الشِّيَـمْ

طـافَ بيـاب لـم يَـزَلْ لسـائـل مُفَتَّحَـا لا بـل لعُـرْب وَعَجَـمْ
يَنْهَـلُّ للعـافـي نَـداهُ منحـاً فَمنَحـا ويُنْهـلُ العـاتـي سَقَـمْ
يَسْقـي المُـوالـي خمْـرَ جُـود قَـدَحـا فَقَـدَحـا ويُسْكِـرُ الأعـداءَ سَـمْ
/ ١٩٤أ/ مُـرْتَـدياً بُـردَ الجـلالَ بـالعُـلا مُـوَشَّحـا لَـهُ مِـنَ المَـدْحِ عَلَـمْ
لـو عَـدْلُـهُ فـي الـذِّئـب والشَّـاء عَـدا لاصطلَحـا واطَّـرحـا ضغْـنَ القِـدَمْ
مُحَمَّـدٌ مَـنْ لـم يَـزَلْ مِـنَ الـوَرىٰ مُمَـدَّحـا سـامـي العُـلا خَـلاهُ ذَمْ
يَسْمَـحُ طَبْعـاً إنْ يَجُـدْ ذو كَـرَمٍ تَسَمُّحـا فَيـا لَـهُ مِـنْ ذي كَـرَمْ
أيُّ حُسـام لـم يفُـلَّ حَـدَّهُ مُجَـرِّحـا وأيَّ داء مـا حَسَـمْ
أيُّ غنًـى لَـم يَبْنـه لسـائـل مُجتَـرِحـا وأيَّ فَقْـر مـا هَـدَمْ
أرْبَـح مَـنْ تـاجَـرَهُ بشعـره مُمْتَـدِحـا وحـازَ مـا شـاءَ وَضَـمْ
وكيـف لا يَـرْجـعُ مَـنْ أمَّ حمـاهُ مُـرْبحـا يَـرْفُـلُ فـي ثَـوْب النِّعَـمْ
قَـريـبُ إيْـراء زنـادُ جُـوده مُقْتَـدحـا بَعيـدُ عَـزْم وهِمَـمْ
تَـدورُ مِـنَ آرائـه علـىٰ أعـاديـه رَحَـى يَنْقُـضُ منْهُـم مـا انبَـرَمْ
مَلْـكٌ تَـرى المُلـوكَ مـا بيـنَ يَـدَيْـه سَـرَحـا تَجُـرُّ أذيـالَ الخَـدَمْ
لـو وَزَنَـتْ نَـداهُ بـالبَحْـر نَـدًى لَـرَجَحـا علـى نَـدَى البَحْـر الخضَـمْ
أو نـاضَـلا أُحُـداً ورَضْـوىٰ حلْمَـه تَطَحْطَحـا واثنـاهُمـا طَـوْدٌ أشَـمْ
يَخْـدُمُـه الإقبـالُ والسَّعْـدُ ألا لا بَـرِحَـا لَـهُ عَبيـدٌ وَخَـدَمْ
يـا مَـنْ يُقَـرُّ ضـدُّهُ بفَضْلـه مُصَـرِّحـا إنْ حـاسَـدٌ فَضْـلاً كَتَـمْ
/ ١٩٤ب/ إلْمَـحْ تَجـدْ مـنْ غُـرَرَ الآداب فيهـا مُلَحـا يُفَـضّ عنهـا كُـلُّ فَـمْ
لـو أعجمـيٌّ ذاقَهـا سَمْعـاً لعـادَ مُفْصحـا يَنْثُـرُ دُرّاً إن نَظَـمْ
تَلَـذُّ للسَّـامـع إذْ يَسْمَعُهـا مُفْتَتَحـا كمـا تَلَـذُّ مُخْتَتَـمْ

وله وقد رأىٰ بين يدي الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي بن يوسف صبيًا حسن الصورة، بديع الحسن، بين عبدين أسودين، شنيعي الخلق(١): [من البسيط]

---

(١) الأبيات في الوافي ١٨/ ١٢٤.

لله مَـنْ عـايَنَـتْ عَيْنـي مَحـاسنَـهُ ... يـومـًا فَعَـوَّذْتُـه بـالله مـنْ عَيْنـي
يَخْتـالُ كـالغُصْـن تيهًـا فـي تَمـايُلـه ... مـا بيـنَ عَبْـدَيْـن لَـوْنَ اللَّيْـل علْجَيْـن
فقُلْـتُ والشَّـوْقُ يَطْـويني ويَنْشُـرُنـي ... لـم ألْـقَ قَبْلَـكَ صُبْحـًا بيـن لَيْلَيْـن
فَمَـرَّ يَضْحَـكُ مِـن قَـوْلـي وقـالَ بَلَـىٰ ... كَـم قـد رأىٰ النَّـاسُ سَعْـداً بيـنَ نَحْسَيـن!

واقترح عليه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ـ قدّس الله روحه ـ بمرج عكّا، ما يعتذر به عن الشيب، أنه ليس بوهن، ولا ضعف، ولا كبر، فقال: [من الرجز]

/١٩٥أ/ يـا مَـنْ لآيـات شَبـا ... بـي فـي الهَـوىٰ تَـأَوَّلَـتْ
مـا شَيْبَـةٌ قـد فَعَلَـتْ ... بلِمَّتـي مـا فَعَلَـتْ
لكنَّهـا نـارُ شَبـا ... بـي قَـوِيَـتْ فـاشتَعَلَـتْ

وقال أيضًا: [من السريع]

لا تُنْكـري رأسـيَ عـن ريبَـة ... ولا تَظُنّـي أنَّـه أشْيَـبُ
فـإنَّـهُ فـي مَفْـرِقـي العَنْبَـرُ أبْـ ... ـيَـضُّ وخَيْـرُ العَنْبَـرِ الأشْهَـبُ

وقال أيضًا في معناه، وفيه لزوم ما لا يلزم: [من مجزوء الرجز]

رأتْ بلَيْـلِ لمتـي ... كَـواكبـًا قـد طَلَعَـتْ
وأوقَعَـتْ فـي نَفْسِهـا ... مِـنْ كِبَـرِيْ مَـا أوْقَعَـتْ
وإنَّهـا دَليـلُ أيَـا ... مِ شَبـابـي لـو وَعَـتْ
فـآيَـةُ اللَّيْـلِ إذا ... زُهْـرُ النُّجـومِ اجتَمَعَـتْ

وقال أيضًا: [من الطويل]

لَئـن شـابَ رأسـي قبـلَ حيـن مَشيبـه ... وذاكَ مـنَ الأيَّـامِ غيـرُ عَجيـب
فَمـن بُعْـد أوطـانـي وقُـرْب صَبـابَتـي ... ووَصْـل عَـلاقـاتـي وهَجْـر حَبيبـي
/١٩٥ب/ وَإنْ تَهْجُـرَ السُّـودُ الغَرابيبُ لمَّتـي ... فَلـي سُـؤدَدٌ فـي المَجْـد غيـرُ غَـريـب
وإنِّـي لأُغْنَـىٰ عَـن شبـابـي بهمَّتـي ... ويُغْنـي وَقـاري عـنْ بَيـاض مَشيبـي
فـإمَّـا تَـرَيْنـي نـازعـًا عَـن غـوايَتـي ... أُنـادي مـنَ الأحبـاب غيـرَ مُجيـب
فَقِـدمـًا أُرَىٰ والغـانيـاتُ يَـرَيْنَنـي ... بعَيْـنِ مُـريـدٍ لا بعَيْـنِ مُـريـب

شَفِيعِــي نُضَــارٌ عِنـدَهَــا وَنَضَــارَةٌ تَحُــلُّ وَيَحْلُــو فــي طُلَــىٰ وَقُلُــوب

وكتب إلى الملك الأفضل نور الدين، وأشار في ذلك إلىٰ بعض كتابه:

[من السريع]

قِــفْ بِجَنَــابِ المَلِــكِ الأَفْضَــلِ وَنَــادِ يَــا ذا الشَّــرَفِ الأَطْــوَلِ
إِصْــرِفْ طُــوَيِّسـاً إِنَّــهُ كَــاتِــبٌ يَــراعُــهُ أَحْصَــدُ مِــنْ مِنْجَــلِ
وَاحْــذَرْ علــىٰ مُلْكِــكَ مِــنْ رِجْلِــهِ فَكَعْبُـــهُ أَقْلَــعُ مِــنْ مِعْــوَلِ
أَلا تَــرىٰ قَبْلَــكَ آثَــارَهُ فِـــي السَّلَــفِ الأَوَّلِ فَــالأَوَّلِ
فَــاقْبَــلْ وأَبعِــدْهُ وإلاَّ فَعَــنْ قُــرْبٍ تَــرىٰ إن كُنــتَ لَــمْ تَقْبَــلِ

وكتب إلى هذا الكاتب: [من مجزوء الكامل]

لا تُــوحِشَنَّــكَ سَطْــوَتِــي إِنِّــي نَحِيــفُ الجِسْــمِ بَــالِــي
فَــالنَّجْــمُ تَنْظُــرُهُ صَغِيــرَ الْـ ـجِــرْمِ مِــنْ فَــرْطِ التَّعَــالِــي
/ ١٩٦أ/ والشَّمْسُ وهِـيَ الشَّمْسُ فِي الْـ أَفْــلاكِ تُكْسَــفُ بِــالهِــلاَلِ

وقال غزلاً: [من مجزوء الرجز]

وأَهْيَــفٍ يُخْــزِي الغُصُــو نَ قَــدُّهُ إذا انْثَنَــىٰ
ويَفْضَــحُ الظَّبْــيَ إذا أَتْلَــعَ جِيــداً وَرَنَــا
لَــمْ يَــرهُ طَــرْفُ امــرِئٍ فِــي النَّــاسِ إلاَّ وَزَنَــىٰ
قُلْــتُ لَــهُ مُمَــازِحــاً وقَــدْ دَنَــوْتُ وَدَنَــا
فِــي لَيْلَــةٍ لِــوَصْلِــهِ نَبَــذْتُ فيهــا الــوَسَنَــا
لَــوْ طَلَــعَ البَــدْرُ لَكَــا نَ ضَــوْؤُهُ آنَسَنَــا
فقَــالَ لِــي مُبَــادِراً وَيْــكَ ومَــا البَــدْرُ أَنَــا؟!

وأنشدني أبو الفتح نصر الله بن أبي العز قال: أنشدني أبو محمد لنفسه عند الكبر: [من المتقارب]

أَرَىٰ النَّــاسَ يَسْتَعْــذِبُــونَ الحيــاةَ وغَــايَتُهُــم أَنْ يَصِيــرُوا رُفَــاتــا
فَمَــنْ دَبَّ شَــبَّ ومَــنْ شَــبَّ شَــابَ ومَــنْ شَــابَ مَــاتَ ومَــنْ مَــاتَ فَــاتَــا

وقال مثله: [من السريع]

/١٩٦ب/ وساحر المُقْلَة في حُبِّه ... عَصَيتُ لُوَّامي والعُذَّلا
ناديْتُه لمّا أبى في الهَوى ... إلاَّ صُدوداً إذْ نوى أو قَلى
يا راحلاً بالكُرْه عن ناظري ... تُطيق عن قَلْبيَ أنْ ترْحَلا

وقال أيضًا: [من المديد]

وغزال باتَ مُعْتَنقي ... آنساً بي غيرَ ذي فَرَق
ظَلْتُ منْ وَجْد بزَوْرَتِه ... لاثماً للخدِّ والعُنُق
والدُّجَى منْ لَوْن طُرَّتِه ... قد تَردَّى حُلَّة الغَسَق
وهْوَ والبَدرُ المُنيرُ وقد ... تَمَّ بدرُ التِّمِّ في نَسَق
فَتَخيَّلْتُ الفِراقَ فلم ... أستَطِعْ صَبْراً ولم أُطق
وجَرى منْ أدْمُعي غَدَقٌ ... فاضَ حتّى خافَ منْ غَرَقي

وقال أيضًا، وأنشدنيه عنه أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب الصّفار الشيباني الدمشقي: [من مخلّع البسيط]

/١٩٧أ/ أمَا وأجفانكَ المراض ... إنِّي بما تَرْتَضيه راضي
كم فيكَ للْحُسْنِ منْ معانٍ ... تَرْتَعُ منْهُنَّ في رياض
بَسَطْتُ كفّي إليكَ أبغي ... حُسْنى فَما زلْتَ في انقباض
وسَيْفُ جَفْنَيْكَ من فُتُور ... فَما له في القُلوب ماضي؟
يا ماطلي في الهوى ديُوني ... ما آن أنْ تُحْسنَ التَّقاضي
قَد كنتُ في الحُبِّ ذا انتصارٍ ... لو أنَّ للْعَاشقين قاضي

وقال أيضًا، وأنشدنيه أبو الفتح عنه: [من السريع]

يا لَلْهَوى هل فيكُمُ مُسْعِدٌ ... يُقْرِضُني الصَّبْرَ فقد أعوَزا
أصْبَحتُ منْ وَجْديَ في مأتَم ... قد خانَني الصَّبْرُ وعَزَّ العَزا
وما رَزانِي الدَّهْرُ لكنَّهُ ... ريمٌ منَ الرُّومِ لِقَلْبي غَزا

وقال غزلاً: [من الطويل]

طُبِعْتُ على دين الوفاء وشَرْعِه ... فَما شيمَتي للغَدْر أنْ أتطَبَّعا
فيا يُوسُفيَّ الحُسْنِ لِمْ غُصْنُ قَدِّكَ الرْ ... رَطيبُ بِوَصْلٍ لا يُرى قَطُّ مُونعا

لقد أفرغت فيك الملاحة وسعها وصاغك صوّاغ الجمال فأبدعا
/١٩٧ب/ وملّكت أهواء النفوس فكلها تجيب إذا داعي هواك به دعا
فديتك لا أنفك أودع مهجتي لديك ولا ألفاك إلاّ مودّعا

وقال أيضًا[1]: [من المنسرح]

يا من عيون الأنام ترقبه رقبة شهر الصيام والفطر
وإنما يرقب الهلال فلم ترقب بعد الكمال يا بدري

وقال في مملوك له: [من مجزوء الرجز]

وشادن كالغصن في رشاقة وهيف
والظبي في طرف يجيء سحره بالطرف
والبدر في كماله وليس بالمنكسف
خفّ إلى أمر على حسّي المعنّى ما خفي
فقمت في ضربي له كالخابط المعتسف
وكدت أن أتلفه وكان أيضًا تلفي

وقال أيضًا، وأنشدنيه عنه أبو الفتح نصر الله بن أبي العزّ بن أبي طالب /١٩٨أ/ الشيباني الدمشقي بها في أوائل المحرم سنة أربعين وستمائة: [من الطويل]

أدرها على برد النسيم فإنها لداء همومي يا نديم دواء
مشعشعة للشرب منها إذا دجا صباح منير مسفر وضياء
سطت فهي نار في العقول وإنها ولا شك في عين الحقيقة ماء
تخال إذا فضت ختوم دنانها مجامر فيها عنبر وكباء
وتحسب من فرط الصفاء كؤوسها فوارغ منها والكؤوس ملاء

وقال يصف الشراب الأصفر: [من الكامل]

ومدامة صفراء فاقع لونها يجلو سناه دجى الظلام الراكد
بزغت على ندمانها فرأيتهم من راكع صعق وآخر ساجد

(١) البيتان في الوافي ١٨/ ١٢٤. والمنهل الصافي ٧/ ١٦٧.

صَفْـــراءُ كلّلها فَــريــدُ حَبـابها ... بتمـــائــم مـــنْ دُرِّه وفـــرائـــد
مسْكيَّــة النَّفحــات تَحْسَــبُ نشْـرَهــا ... أنْفــاسَ مــا اشْتمَلَـتْ عليـه قَـلائـدي
لَــم تَــدْنُ مــنْ شَفَــة امــرىء إلاّ شَفَــتْ ... هَمّــاً يَـديــنُ لقُــرْبهــا بتَبَــاعُــد
فكــأنَّهــا ويَــدُ المــزاجِ تَشُجُّهــا ... نـــارٌ تَسَعَّـــرُ بـــالـــزُّلال البــارد
وكــأنَّهــا والكــأسُ مُحْــدقَــةٌ بهــا ... ذَهَـــبٌ مُـــذابٌ فـــي لُجَيْـــنٍ بــارد

/ ١٩٨ب/ وقال أيضًا، وأنشدنيه عنه أبو الفتح نصر الله بن أبي العز ابن أبي طالب الشيباني الدمشقي، في سنة أربعين وستمائة، في المحرم: [من الكامل]

إشـرَبْ علـى الـوَرْد الجَنـيِّ مُـدامَـةً ... تَجْنيــكَ أثمــارَ المُنَــى صَهْبَــاؤُهــا
ذَهَبيَّـــةٌ لَهَبيَّـــةٌ لَطُفَـــتْ فَمـــا ... فـي الكـأسِ إلاَّ نُـورُهـا وبهـاؤُهـا
نـــارٌ ولكـــن فـي الكُـؤوس ضـرامُهـا ... شَمْـسٌ ولكـن فـي النُّفُـوس ضيـاؤُهـا
لا عَيْـشَ غيـرُ صَبُـوحهـا وغَبُـوقهـا ... لا عُمْـــرَ إلاَّ صُبْحُهـــا ومَســاؤُهــا
نَهّـــابَـــةٌ لهُمُـــومنـــا وَهَّـــابَـــةٌ ... أبـــداً مَســرَّاتُ النُّفُـوس عَطـاؤُهـا
وَرْدٌ وورْدُ مُـــدامَـــةٍ تَشْفـــي الجَـــوى ... حَتْـــمٌ علــــيَّ وَلاؤُه وولاؤُهـــا

وقال غزلاً، وأنشدنيه أبو الفتح نصر الله بن أبي العزّ بن أبي طالب عنه:

[من الطويل]

/ ١٩٩أ/ ومَهْـزُوزَة الأعطـاف أمَّـا قَـوامُهـا ... فَـــرُمْـــحٌ وأمَّـــا طَـــرْفُهـــا فَحُســـامُ
حَكَـتْ رَشَفـاتٍ مـن لمـاهـا وأسْكَـرَتْ ... ولا غَـــرْوَ شَهْـــدٌ ريقُهـــا ومُـــدامُ
وصَحَّـتْ مـرامـي لَحْظهـا فـي قُلُـوبنـا ... وإنْ كـــان فيهـــا فَتْـــرَةٌ وَسَقـــامُ
أحلَّـــتْ دَمَ العُشَّـــاقِ وَهْـــوَ مُحَـــرَّمٌ ... فَلِـمْ وَصْلُهـا وهْـوَ الحَـلالُ حَـرامُ؟

وقال أيضًا: [من مجزوء الرجز]

ولَيْلَـــــــــــــةٍ قَضَيتُهـــــــــــا ... مـــنَ اللَّيـــالـــي الغُـــرِّ
يَسَّـــــرَ فيهـــــا مَـــــنْ أُحِبْـ ... ــــبُ للـــوصـــال أمـــري
خَـــريـــدَةٌ قـــد كُحلَـــتْ ... أجفـــانُهـــا بسِحْـــرِ
تَبْســـمُ عـــن مثـــلِ الـــذي ... تَقَلَّـــدَتْ فـــي النَّحْـــرِ
بَيْضَـــاءُ صُبْـــحُ وَصْلهـــا ... مَـــزَّقَ لَيْـــلَ الهَجْـــرِ

تُسفِرُ عَنْ وَجْهٍ لَهَتْ ... أنوارُهُ بالبدرِ
وتَسْتَبِي بِمَنْطِقٍ ... لَهُ فعالُ الخَمْرِ
فإنْ بَدَتْ فَقَمَرٌ ... وإنْ شَدَتْ فَقُمْرِي

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

مَنْ لي بفاتِرَةِ الجُفُو ... نِ غَرِيرَةٍ نَشْوَىٰ المعاطِفْ
/١٩٩ب/ هَيْفاءُ مَخْطَفُ خَصْرِها ... إذْ يَنْثَنِي لِلْعَقْلِ خاطِفْ
ما اهتَزَّ رامِحُ قَدِّها ... إلَّا وفي الأجفانِ سَائِفْ
كم رُمْتُ عنها سَلْوَةً ... والعطْفُ لي عن ذاكَ عاطِفْ
يا لَيْتَني يومًا لِوَرْ ... دَةِ خَدِّها باللَّحْظِ قاطِفْ

وقال في غلام له، لعب معه بالنرد وغلبه، فبدا منه ما ضربه عليه:

[من مجزوء الرجز]

وشادِنٍ نادَمْتُهُ ... وقد تَجَنَّىٰ وعَتَبْ
وقد لَعِبْنا نُدَبًا ... فَنَاحَ مِنْهُ وَنَدَبْ
في قُبْلَةٍ مِنْهُ ومِنِّـ ... ـي إنْ غَلَبْتُ في وَهَبْ
فقالَ لي بِغَيْظَةٍ ... وقَلْبُهُ قد التَهَبْ
وعَقْلُهُ لِغَلْبَةٍ ... قد بانَ عنهُ وذَهَبْ
تَضْرِبُني وَرِيقَتي ... تَصْفَعُ بالنَّعْلِ الضَّرَبْ؟!
عَلامَ ذا يا مالكي ... قُلْتُ علىٰ سُوءِ الأَدَبْ

وقال أيضًا: [من مجزوء الرمل]

عَلَّمَ الغُصْنَ التَّثَنِّي ... قَمَرٌ حُلْوُ التَّجَنِّي
غُصُنٌ ثُمْرُ الأماني ... مِنْهُ لا تُجْتَنَىٰ ويَجْنِي
/٢٠٠أ/ خِلْتُهُ لما تَبَدَّى ... الشَّمْسَ في حُلَّةِ دَجْنِ

وقال أيضًا، وأنشدني أبو الفتح نصر الله بن أبي العز الشيباني قال: أنشدني أبو محمد لنفسه: [من مجزوء الكامل]

حَوَتِ الجَمالَ بِأَسْرِهِ ... فَقُلُوبُنا في أَسْرِها

وتقلَّدَت فَحَسِبتُ ما ... في نَحْرِها في ثَغْرِها
هَيْفاءُ صُبْحُ وِصالِها ... أنْسَى لَيالي هَجْرِها

وأنشدني أبو الفتح نصر الله بن أبي العز بن أبي طالب قال: أنشدني أبو محمد عبد الرحمن بن بدر النابلسي لنفسه: [من الكامل]

ومُعَرْبِدِ الأجْفانِ صِرْفُ الرَّاحِ في ... فِيهِ فَمائِسُ عِطْفِهِ كيفَ انتَشَى
رَشَأٌ يُعارُ الرُّمْحُ هِزَّةَ قَدِّهِ ... ويَغارُ غُصْنُ البانِ منه إذا مَشَى
في خَدِّهِ ماءٌ ونارٌ أُسكِنا ... لِصُدُودِهِ في ناظِرَيَّ وفي الحَشا

وأنشدني قال: أنشدني أبو محمد لنفسه: [من مجزوء الرجز]

/٢٠٠ب/ وساحرٍ بالفَخِّ في ... حَبَّةِ قلبي نَفَثا
شمسُ ضُحَى جَنَاهُ والصَّدُّ عثا
بدرُ دجًى حفظتُ عهدَ حُبِّهِ إذْ نَكَثا
ما بعثَ الطيفَ ولكنْ يتلاقَى عَبَثا
يا حُسْنَهُ لو رَقَّ لي ... ممَّا أُقاسي ورَثَا

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

يا عُتْبَ حمَّلتَ المتيَّمَ ... في الهوى ما لا يُطيقُ
وتركْتَهُ سَكْرانَ منْ ... خَمْرِ الصَّبابةِ لا يُفيقُ
فَعَلَتْ بهِ عيناكَ ما ... لا يفعلُ الخمرُ العَتيقُ
ورحيقُ ثغرِ في حَشَا ... يَ على ترشُّفِهِ حَريْقُ
. . . . وطارَ بأوطانٍ تضمَّنَها العَقيقُ
لولا عقوقُكَ ما جَرَى ... دَمعي ولؤلؤُهُ عَقيقُ
ولقدْ فَرَقْتُ وقدْ تحمَّلَ ... نحوَ كاظمةَ الفريقُ
فحشا تذوبُ ومُقلةٌ ... بالدمعِ ناظِرُها غَريقُ

وقال أيضًا: [من مجزوء الرجز]

/٢٠١أ/ أيُّ بَريقٍ وَمَضا ... هَيَّجَ وجدي ومَضَى
غَضَّ مِنَ الطَّرفِ وأذْ ... كَى في الحَشا جَمْرَ غَضَا

يـا ظـالمـاً للعهـد مـن ... بعـد الـوفـاء نَقَضَـا
أصبـح فـي حبِّكُـمُ ... جَـوْهَـرُ جسمـي عَـرَضَا
غـادرتمـونـي لسَهـا ... م البيـن منكُـمْ غَـرَضَـا
إذا رَضِيتُـمْ بـالجَفَـا ... قَتْلِـي فَصَبـراً ورِضَـا

وقال أيضًا، وأنشدنيه أبو الفتح نصر الله بن أبي العزّ بن أبي طالب الشيباني الصفار الدمشقي في المحرم سنة أربعين وستمائة، قال: أنشدني أبو محمد لنفسه:

[من مجزوء الخفيف]

وسـاحـر الطَّـرْف أغْيَـدْ ... لَـدْن المَعـاطـف أمْلَـدْ
مثـلَ الهـلال تَجَلّـى ... وكـالقضيـب تـأوَّدْ
ريـمٌ يصـدّ بعيـنـ ... ـه . . . . أصْيَـدْ
/ ٢٠١ب/ الخَمْـرُ مـنْ فيـه تُجْنَـى ... فَطَـرفُـه كيـفَ عَـربُـدْ
ظَبْـيٌ شَـرُودٌ ونَـوْمـي ... عَنِّـي بـه قـد تَشَـرَّدْ
أذابَ بـالهَجْـر قَلْبـي ... فَمَـدْمَعـي كيـف يَجْمُـدْ
وَسْنـانُ وكُـلَ طَـرْفـي ... بـرَعْـي نَجْـمٍ وفَـرْقَـدْ
فَـلا أُسَـرُّ بنَـومٍ ... ولا أقَـرُّ بمَـرْقَـدْ

وأنشدني أبو الفتح نصر الله بن أبي العزّ قال: أنشدني أبو محمد لنفسه:

[من الوافر]

أُقـاسـي مـنْ صُـدُودكَ مـا أُقـاسـي ... وقَلْبُـكَ لا يَـزالُ علـيَّ قـاسـي
وعَهْـدُكَ ذِكْـرُهُ أبـداً سَميـري ... وأنـتَ مُضَيِّـعٌ للْعَهْـد نـاسـي
ومـا مُثِّلْـتَ لـي وشَـرِبْـتُ إلاَّ ... مَـزَجْـتُ بـدَمْعـيَ المنْهَـلِّ كـاسـي
تحكَّـمْ فـيَّ مَـا تَهْـوى وغـادِرْ ... سَقـامـي لا تَـدارَكُـه الأواسـي
فَمَهْمَـا تـأتنـي مـن فِعْـلِ سُـوءٍ ... فَمَحْمُـولٌ علـى عَيْنـي وراسـي

وقال أيضًا: [من مجزوء الرجز]

قُـلْ للْحَبيـب الهَـاجـري ... والـوَاصلـي خَيـالُـه
يـا غُصُنـاً جـادَ علـ ... ـيَّ فـي الهَـوى اعتـدالُـه

/ ٢٠٢أ/ وبـدرَ تـمٍّ لـم يَـزَلْ يَشيبُنـي جَمـالُـه
فَـدَيْـتُ منْـكَ هـاجـراً دَلالُـه إِدْلالُـه
فَليـسَ يُـرْجَـى مـنْ جميـ ـل وَجْهـهِ إجمـالُـه
مُهَفْهَـفٌ يُخـالُ مـن حَبـةِ قَلْبـي خـالُـه
خَيَّبْـتُ فيـهِ أمَلـي لا خُيِّبَـتْ آمـالُـه

وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

زارَ الحَبيـبُ فَقُلْـتُ أهْـ ـلاً بـالحَبيـبِ وَمَـرْحَبـا
ونـأيْـتُ عنـهُ مَهـابَـةً فَـدَنـا إلَـيَّ تَقَـرُّبـا
وسَـألْـتُ منْـهُ قُبْلَـةً عنـدَ الـدُّنُـوِّ فَمـا أبـى
وَرَشفْـتُ مَبسمَـه فكَـا نَ مـنَ المُـدامَـةِ أعْـذَبـا
فَـرَأيْـتُ يَـومـاً مُـذْهبـاً للْهَـمِّ رَغْـداً مُـذْهَبـا
وعَهـدتُـه مُتَجَـرِّمـاً مُتَجَنِّيـاً مُتَجَنِّبـا
فظَلَلْـتُ أُظهِـرُ حَيْـرَةً فـي أمْـرِه وتَعَجُّبـا
فَـرَنـا إلَـيَّ مُغـازلاً وشَـدا بلَحْـنٍ أطْـرَبـا
/ ٢٠٢ب/ إنِّـي بُليـتُ بمـا بُليـ ـتَ بِـهِ فَصِـرْتُ مُهَـذَّبـا

وقال يستدعي صديقًا إلى مجلس الشراب، وفيها لزوم ما لا يلزم: [من الوافر]

فَـدَيْتُـكَ مَجْلِسـي عُطْـلٌ فَـأنْعِـمْ فـإنْ أنْعَمْـتَ عـن عَجَـلٍ تَحلّـى
ولـي مـنْ وَجْهـكَ المَيْمُـونِ [بَـدْرٌ] وأحْسَـنُ مـا يكُـونُ إذا تَجلّـى
وعِنـدي قَهْـوَةٌ كـالمسْـكِ ريحـاً وحـاشَـا أنْ يُنـاسِبَهـا وكَـلاّ
وشَـادِنٌ لـو أنَّ [عيسَـى] تَمَثَّلَـهُ لَصـامَ لَـهُ وصَلّـى
وقَـدْ صُلِبَـتْ إلـى لُقْيـاكَ رُوحـي فَـأدْرِكْهـا تَجِـدْ بَـرْداً وَظِـلاّ
فَسَهْمُـكَ فـي المكـارِمِ والمَعـالـي علـى طُـولِ المَـدَى السَّهْـمُ المُعَلّـى
وعَجِّـلْ مُسْـرِعـاً مِـنْ غيـرِ بُـطءٍ تَحُـزْ شُكْـري الَّـذي تَهْـوَى وإلاّ

وقال يشكو قلة الإنصاف في العشرة، وعدم الصديق: [من المجتث]

نـادَمْـتُ رُوحـي وراحـي ومَنْـزِلـي وغُـلامـي

إذْ لا نَديمَ عليها ... يُخْلى منَ الإيلامِ
/٢٠٣أ/ منْ كلِّ مُجْنيك شَهْداً ... بالقَوْلِ خافي السِّمامِ
لَئيمِ طَبْعٍ فما إنْ ... يَخْشى مَضيضَ مَلامِ
فكانَ منها سِراجي الـ ... ـوَهَّاجُ عندَ الظَّلامِ
وكانَ منها شميمي الـ ... ـضَّوَّاعُ عندَ اشتمامي
أجَلْ وكانَ قُعُودي ... لكاسها وقيامي
ولا يَزالُ عليها ... تَحيَّتي وسَلامي
فَيا ابنةَ الكَرْمِ مَنْ لي ... عليكِ بابْنِ كِرامِ
عليه أعْقِدُ في الوُ ... دِّ خنْصُري وبهامي
هَيْهاتَ لا في عِراقٍ ... هذا ولا في شَآمِ
ولا مِنَ العُرْبِ يُلْفَى ... ولا منَ الأعْجامِ
ولا أرَى من صَديقٍ ... خَيالُه في مَنامِ

وقال أيضًا: [من الخفيف]

قَتَلَتْني بسحْرِها الألفاظُ ... وَسَبَتْني بغُنْجِها الألحاظُ
وحَبيبي أغَنُّ أغْيَدُ مازا ... لَ عندَ نَوْمِه استيقاظُ
فإذا نامَ عامداً للوصالِ ... بَرِحَتْ بي وشَأنُه الإيقاظُ
/٢٠٣ب/ هُوَ لي جَنَّةٌ ولكنْ بقلْبي ... منْهُ في حالَةِ الصُّدُودِ شُواظُ
رَقَّ لي قَلْبُه ولكنْ بَلائي ... رُقَباءُ في حُبِّه أغلاظُ

وقال غزلاً: [من مجزوء الخفيف]

منْ لِصَبٍّ بحُلْوةِ الـ ... ـقَدِّ مَهْضُومَةِ الحَشا
كالغَزالِ الغَريرِ في الـ ... ـلَحْظِ والجيدِ كالرَّشا
تُخْجِلُ الغُصْنَ في التَّثَنْـ ... ـني إذا قَدُّها مَشَى
وتُعيرُ السُّلافَ سُكْـ ... ـراً إذا طَرْفُها انتَشَى
وتُغيرُ البدرَ المُنيـ ... ـرَ تَجَلَّى بَعْدَ العشَا
فَلَها حُكْمُها على ... عاشقيها كما تَشَا

وقال أيضًا: [من الخفيف]

إنْ نَقَضْتُمْ فَإنَّني حافظُ العَهْـ ـدِ وإنْ خُنْتُمُ فلستُ أَخُونُ
أَيُّها المُعْرِضُونَ بالوُدِّ عنَّا لَكُمُ في الحَشَا مكانٌ مكينُ
لستُ أرتَدُّ عن هَواكُم لدينِ حُبُّكُمْ شِرْعَةٌ لقَلْبي وَدِينُ
لا تَبيعُوا بالغَدْرِ وُدِّي وَحُبِّي إنَّني بالوداد عَنْكُم ضَنينُ
لِيَ قَلْبٌ أضحَى بقَبْضَةِ عَيْنَيْـ ـكَ وَتَسْتَمْلِكُ القُلُوبَ العُيُونُ

/ ٢٠٤أ/ وقال أيضًا: [من مجزوء الكامل]

يا مَنْ جَنَى وَلِحاسِدي مِنْ وَصْلِهِ الثَّمَرُ الجَني
مِنْ سُقْمِ جَفْنِكَ قَدْ سَقِمْـ ـتُ فَعُدْ كَمَا أَمْرَضْتَني
إنِّي الفَقِيرُ إلى لِقَا كَ وأنتَ عن هَجْري غَني

وقال وقد تفكر [في] أحوال الدنيا: [من المجتث]

ما لي أُحاوِلُ عِلْمًا بالغامض المكْنُونِ
الأَمْرُ أعظَمُ حَالاً مِنْ هاجِسات الظُّنُونَ
وهَلْ أنا غيرُ خَلْقِ مِنَ الحَما المَسْنُونِ؟

وقال غزلاً: [من مجزوء الرمل]

ريقُكَ العَذْبُ الفُراتُ وثَنَايَاكَ النَّبَاتُ
وإذا ما مِتُّ بالبَيْـ ـنِ فَلُقْيَاكَ الحَيَاةُ
يَا غَزالاً غَزَلي فيـ ـهِ تهاداهُ الرُّواةُ
لا يُرى يومًا لشَمْلَيْـ ـنَا مَدَى العُمْرِ شَتَاتُ
تَغْفُلُ العُذَّالُ عَنَّا ويُوالينا الوُشَاةُ

وقال مثله: [من الخفيف]

/ ٢٠٤ب/ لي حَبيبٌ إلَيْهِ منْهُ المعاذُ كبدي مِنْ صُدوده أَخَّاذُ
ما لقَلْبي من طَاقَةٍ بتجَنِّيْـ ـهِ ولو أنَّ قلبِيَ الفُولاذُ
صارَ دَمْعي وَبْلاً عليْهِ وقِدْمًا كانَ يَجْري علَيْهِ وهْوَ رَذاذُ

وقال أيضًا: [من مجزوء الرجز]

وشـــادنٍ رأيْتُـــه وحَـــوْلَـــه النَّـــاسُ زمَـــر
كـــأنَّـــهُ البَيْـــتُ لمَـــنْ حـــجَّ إلَيْـــه واعتَمَـــرْ
فَقُلْـــتُ هَـــل أُحـــدوثَـــةٌ تُتْلَـــىٰ عليكُـــم أو تُمَـــر
فَقيـــلَ لا بَـــلْ عَجَـــبٌ نَنْظُـــرُ فـــي الأرْض قَمَـــرْ
فَقُلْـــتُ لـــي فِـــراسَـــةٌ إنْ صَـــدَقُـــوا فَهْـــوَ عُمَـــرْ

وأنشدني القاضي الأمين الأجل، بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن الخشاب أيده الله تعالىٰ ـ بحلب المحروسة قال: أنشدني عبد الرحمن بن النابلسي لنفسه مبدأ قصيدة يمدح بها الملك الظاهر غياث الدين ـ رحمه الله تعالىٰ ـ

[من الرجز]

/ ٢٠٥أ/ جـارَ عليـه البَيْـنُ لمَّـا حَكَمـا فلـم يَـدَعْ مِـنْ نَفْسـه إلاَّ الـذِّمـا
وهكـــذا حُكْـــمُ الفـــراق دائمـــاً مـــا سُئِـــلَ الإنصـــافَ إلاَّ ظَلَمـــا
أحبـــابَنـــا لا لـــذَّ طَـــرْفـــي بكَـــرىٰ إنْ كـــانَ مُـــذْ فَـــارقتُمُـــوه هَـــوَّمـــا
وإنْ رَقَـــتْ جُفُـــونُـــه مِـــنْ بَعْـــدكُـــمْ فَـــلا جَـــرَتْ دُمُـــوعُـــه إلاَّ دَمـــا
أَوْ نَظَـــرَتْ إلـــىٰ ســـواكُـــم نَظْـــرَةَ آلْـ ـمُحـــبِّ عـــاشَ فـــي مـــآقيهـــا العمـــىٰ
لا وَهَـــواكُـــمْ مـــا السُّلُـــوُّ خـــاطـــرٌ بخَـــاطـــري وَجَـــلَّ [هـــذا] قَسَمـــا
ولا حَمَـــىٰ عـــن نـــاظـــرَيَّ نَـــوْمَهَـــا إلاّكُـــمُ يـــا سَـــاكنـــيْ رَوْض الحمَـــىٰ
يـــا لَلْهَـــوىٰ هـــل فيكُـــمُ مُتَيَّـــمٌ يَـــرْحَـــمُ منِّـــي عَـــاشقَـــاً مُتَيَّمـــا
يَنْشُـــدُ قَلْبـــي للْغَضَـــا فَـــإنَّـــهُ والصبـــرِ يـــومَ البَيْـــن منِّـــي عُـــدمـــا
وَاعَجبـــاً طَـــلَّ طَـــلا الخيـــف دَمـــي هيهـــاتَ لـــو لـــم يَنْتَظـــرْ تلـــك الـــدما
رَنَـــا مِـــنَ التُّـــرك غَـــزالٌ أغْيَـــدٌ يُصْبـــي ويُصْمـــي إنْ رَنَـــا وإنْ رَمَـــىٰ
يَـــرْمـــي سهـــامـــاً مِـــن فُتـــور لَحْظـــه وراشَ مـــنْ هُـــدْب الجُفُـــون الأَسْهُمـــا
حُلْـــوُ اللَّمَـــىٰ مُـــرُّ الصُّـــدود والقلَـــىٰ أبيَـــضُ يَجْلـــي الأَسْمـــرَ المُقَـــوَّمـــا
لـــم أعـــص فـــي حُبِّـــي لـــهُ صَبَـــابَـــةً ولا أُطيـــعُ مـــا حَييـــتُ اللُّـــوَّمـــا
بـــدرُ دُجًـــىٰ مـــن قَبـــل سَهْمَـــي لَحْظـــه لـــمْ تَـــرَ عَيْنـــي فـــي هـــلال أنْجُمـــا
/ ٢٠٥ب/ ولاَ ظَنَنـــتُ قَبْـــلَ مـــا لَثَمتُـــه بـــأنَّ دُرّاً حَـــلَّ عَـــذْبـــاً شَبِمَـــا
مُنَعَّـــمٌ لـــو نَسَمَـــتْ ريـــحُ الصَّبـــا وَهْنـــاً أذابَـــتْ جِسْمَـــهُ المُنَعَّمـــا

راقَ ورَقَّ خَــدُّهُ فَلَــو سَــرَىٰ الـ ... ـــوَهْــمُ علــىٰ وَجْنَتِــه تَــألَّمــا
يُعَقِّــدُ الصُّــدْغُ إذا سَلْسَلَــهُ ... رأيــتَ منْــه عَقْــرَبَــاً وأرْقَمــا
أصْبَــحَ وَهْــوَ فــي الجَمــالِ مَلــكٌ ... فكيــفَ للْفتْنَــة أمســىٰ صَنَمــا ؟
أطْلُــبُ رَيَّــا مــنْ رُضــاب ثَغْــره ... وكلَّمــا رَشَفْتُــه زدْتُ ظَمــا
كَــذا اللَّمــىٰ المعسُــول يَستَشفــي بــه ... مــن حــرِّ وَجْــد مــن يُــريــدُ [الألَمــا]
وأسْتَطــبُّ نَظْــرَةً مــنْ طَــرْفــه ... وقَلَّمــا يُبْــري سَقيــمٌ سَقَمــا
يُــريــكَ منْــهُ التِّيْــهُ قَلْبــاً كــافــراً ... لا يَعْــرفُ العَطْــفَ وعطْفــاً مُسْلمــا
كَمَــا يُــريــكَ وَصْلُــهُ الجَنَّــةَ والـ ... مَــزيــدُ مــن هجْــرانــه جَهَنَّمــا
كــالمَلــك الظــاهــر إنْ صــانَ وإنْ ... صــالَ استَهَــلَّ أنْعُمــاً ونقَمــا
مُــولــي الأيــادي مَشْــرقــاً ومَغْــربــا ... مَــوْلَــى المُلــوك عَــرَبــاً وعَجَمــا

[٢٧٦]

عبدُ الرَّحمن بنُ عَبْدِ المَجيدِ بنِ إسماعيلَ بنِ حفصِ بن الصَّفْراوي[(١)]:

كان أحدُ أجداده / ٢٠٦أ/ من موضع يقال له الصَّفْراء، قريب من مدينة النبي ﷺ[(٢)].

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ٣/ ٣٩٥ نقلها عن القلائد. تكملة المنذري ٣/ ٥٠٣ رقم ٢٨٦٣. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص٢٩١ وفيه: «عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل بن عثمان بن يوسف بن الحسن بن حفص. . توفي في سابع جمادى الآخرة [سنة ست وثلاثين وستمائة]». سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤١. العبر ٥/ ١٥٠. تذكرة الحفاظ ١٤٢٤. معرفة القراء ٢/ ٤٩٨. الوافي بالوفيات ١٨/ ١٥٠، وفيه: «عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل بن عثمان بن يوسف بن الحسين بن حفص، الإمام جمال الدين، أبو القاسم بن الصَّفْراوي الإسكندري المالكي المقرىء المفتي». غاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٣٧٣. شذرات الذهب ٥/ ١٨٠. النجوم الزاهرة ٦/ ٣١٤. حسن المحاضرة ١/ ٤٦٥. النشر في القراءات العشر ١/ ٧٨. هدية العارفين ١/ ٥٢٤. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٣٨. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٣. المعين في طبقات المحدثين ١٩٨ رقم ٢٠٩٩. دول الإسلام ٢/ ١٤١.

(٢) الصفراء: واد من ناحية المدينة، كثير النخل والزرع، في طريق الحاج، بينه وبين بدر مرحلة، وماؤها عيون كلها، وماؤها يجري إلى ينبع، ورضوى غربيها. انظر معجم البلدان/ مادة (الصفراء).

وكان من أعلم الفقهاء المالكية في زمانه، رأسًا في الفقه، وفي غيره من العلوم الدينية، وكان مفتي الإسكندرية في وقته، وسمع الحديث النبوي كثيراً، مع نظره في علم الأدب واللغة، ومعرفة القرآن والقراءات والتفسير، وتُشَدُّ إليه الرحال في زمانه، وصنف كتابًا في علم القرآن سماه «العنوان»[١].

وخبِّرت أنه توفي سنة أربع وثلاثين وستمائة[٢] ولي منه إجازة كتبها إِليَّ من ثغر الإِسكندرية، وأنا مقيم بإربل ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المجيد بن الصفراوي الإِسكندري، يمدح الفقيه الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد السِّلفي نثراً:

[كان] ممَّا ينتقدُهُ ديوانُ المَفاخر صحفًا، [ومما] يَتَقَلَّدُه مَنْكِبُ المَعالي مُرْهفًا، وتَقْصُرُ عنه أنفاسُ ٱلمدائح، وتُسْتَفْتَحُ لهُ سَرائرُ القَرائح، وَيَتَعَيَّنُ عَلَىٰ الأعيان نَظْمُه ونَثْرُه في تَرْصيع لآليء أوْصاف سَيِّدنا عُقُوداً، وَوَشْي مناقبه بروداَ، وتَحبير ما ضاقَ الزَّمانُ عن حَصْره انتفاعًا، وتَدوين ما لم تَبْلُغْ شَأوَ وَصْفه /٢٠٦ب/ الشُّهْبُ ارتفاعًا، حتَىٰ استوَىٰ في العَجْز عن إدراك حَصْر أوَصافه، والقصور عن الإحاطة ببعض أطيافه، اللَّسنُ المُسْهَبُ، وَالمكْثارُ المُطْنبُ، والعَجزُ الآخرُ، وَالحَصَرُ القاصرُ، إذْ كَان حَافظَ نظام الشَّريعَة، وخَيْرَ هذه الملَّةَ الرَّفيعَةَ، وبيده حَلُّ إحْكام هذاَ الدِّين وعَقْدُهُ، وإليه ألْقيَ نظامُه وعقدُه، فهُوَ عَيْنُ الزَّمانَ، وأوْحَدُ الأنام، وإمامُ الأئمَّة، ولسانُ السُّنَّة، وإشراقُ شَمْسِ الهدَاية، وفَريدُ علْم الرِّوايَة: [من الكامل]

سَمَحَتْ بهِ العَلْياءُ وهْيَ بَخيْلَةٌ ... وبمثلهِ مِنْ حَقِّها أنْ تَبْخَلا
ألْفَتْهُ رَحْبَ الباعِ آخرَ سَيِّدٍ ... منّا وفي سَبْقِ المعالي أوّلا
لمَّا سَما شَرَفًا ومَحْضَ جَلالَةً ... لَم يَرْضَ مَنْزلهُ السِّماكَ الأعْزَلا
كُنْ كيفَ شِئْتَ فَمُفْضِلٌ أو فاضِلٌ ... ومَتَى ارتَقَيْتَ إلَىٰ المديحِ تَبدَّلا

(١) في هامش الأصل: «هو الإعلان لا العنوان».

(٢) في مجمع الآداب ٣/ ٣٩٦: «توفي بالإسكندرية سنة ست وثلاثين وستمائة».

كَم بينَ مَنْ فَنِيَتْ محابرُ أُمَّةٍ ... فيه وبينَ مَنِ اسمُه لَنْ يُنْقَلا
ومَدائحُ الفُقهاءِ فيه يَزيدُهُم ... شَرَفًا ولا يَخْشَونَ منْهُ تَبَذُّلا
والسّيدُ النَّدبُ البصيرُ مميزُ ... بينَ القريضِ المجتنىٰ والمجتلىٰ

/٢٠٧أ/ سَيِّدٌ عَمَّ نَوالُهُ، وغَمَرَ إفْضالُهُ، وأشرقَ زَمانُه، وأغْرَقَ إحسَانُه، وفاحَ رَوْضُه، واستَفَاضَ فَيْضُهُ: [من السريع]

(ليسَ علىٰ الله بمُسْتنكَرٍ ... أنْ يجمَعَ العالَمَ في واحدِ)[1]

وليس بغَريب للبَحْر الزَّاخر، والبَدْر الزَّاهر أنْ يُنْعم الأنامَ نَداهُ، وتَهْتَدي الكافَّةُ بشَمْس هُداهُ، جادَ به هذا الثَّغْرُ علىٰ الثُّغُور، وزَها به هذا الدَّهْرُ عَلَى الدُّهُور، فكأنَّما نُشَاهِدُهُ قُسًّا في الفَصَاحَةِ، وسَحْبَانَ في البَلاغَة، ولَبيداً في اليَقَظَة والبَرَاعَة، والسَّلَفَ الصَّالحَ في السُّنَّة والجماعَة، وتَنْظُرُ منْهُ إلى مُعَاويَةَ حلْمًا، وشُريحٍ حُكْمًا، وحَاتمٍ كرَمًا، والمُبَرِّد قَلَمًا، ومَالكَ إتقَانًا، والشَّافعيَّ بُرْهانًا:

[من الكامل]

جُمِعَتْ فَضائلُ مَنْ مَضَىٰ في واحدٍ ... فَرْدٍ فَعَبَّرَ عالِمٌ عن عَالَمِ

فكَمْ منْ مُشْكلَة أوْضَحَها، ومُعْجَمَة أفصَحَها، ومُعْوَجَّة صَحَّحَها، ومَنيحَة مَنَحَها، أرْضَعَ الأفهامَ سَلْسَبِيلَ العُلومِ، وهَذَّبَ القَرَائحَ بمَعْرفَة المنثورِ والمنْظومِ:

[من الطويل]

وإنِّي وإنْ كنتُ البَخيلَ بأنْ أرىٰ ... مُرَصِّعَ مَدْحٍ في فَتًى أو مُنَظِّما
/٢٠٧ب/ وأمْزجُ جاهَ العلْم بالشِّعْر مَرَّةً ... ولو كنتُ منْهُ بالسِّماك مُخَيِّما
أرىٰ مَدْحَ صَدْرِ الدِّينِ أحمدَ شَيْخنا ... مُبَدًّى علىٰ كلِّ العُلُوم مُقَدَّما

شُهْرَتُه بعُلوِّ الأسانيد، والعُلُوِّ في مَعْرفَة المراسيل والمسانيد، والعناية بحفظِ الآثارِ، والتَّبَصُّرِ في الأخبارَ، مُحيلَ الشَّمسِ شمْعَةً،

(١) البيت لأبي نؤاس، انظر: ديوانه ص٤٥٤، ط الكتاب العربي.

والأَسَد ضَبْعَةً، منْهُ يَستَمدُّ فُقَهاءُ الإسلام، وأئمَّةُ الهُدىٰ الأعلامُ، وهذا الشَّأنُ لَم يَنْفَرِدْ بهِ في هذَا العَصْرِ، ولاَ اشتُهِرَ بهِ في سالِفِ الدهرِ: [من الطويل]

سِوَى أحمدَ النَّدْبِ الذي شَهِدَتْ لهُ ... سُعُودُ المَعالي بل صُدُورُ المَحابِرِ
بأنَّ اسمَهُ مازَالَ يُتْلَىٰ ويُجْتَلَىٰ ... علىٰ كلِّ هَضَبٍ في رؤوسِ المَنابِرِ

فكم ببابه منْ رَكْب نَازل، وراكب زائل، ومَلك زائر، وقَمَر زاهر، وظافر بمُناهُ، وعارف بنداهُ، كُلُّهم يرْتَوونَ منْ بحرِ فَضْله، ويكْرَعُونَ في منْهَلِ جُوده المَعين: [من الكامل]

زُرْهُ تَجِدْهُ للعُفَاةِ إذا طَمَى ... بَحْراً وللسَّارِيْنَ بدراً مُشرِقا
وإذا امتطىٰ عند الحوَادث جَسْرَةً ... ألفيتَهُ في الحَرْبِ ناراً مُحْرِقا

وأمّا أنا فَمُسْتَضيءٌ بشَمْس هدَايته، ومُسْتَظِلٌّ بظلِّ عباءَته / ٢٠٨أ/ يُعينُني علىٰ المقال، وإنْ عَجَزَ الخاطر عَن مَدْحه واستَقَلَّ، وعلى الجُملة فإنِّي أقولُ:

[من الكامل]

ما المَجْدُ إلاَّ ما احتَواهُ الماجدُ ... علْماً فإمَّا فاقدٌ أو واجدُ
والعلْمُ ما شَهِدَتْ بوافرِ حَظِّه ... لَفْظُ المَحابرِ لا الأغَنُّ الشَّاهدُ
والعَلْمُ مَوروثُ النَّبيِّ مُحَمَّدَ ... لا يَمْتَري في مثْلِ ذلكَ جاحَدُ
والصَّدْرُ صدْرُ الدِّينِ لا صَدرُ الخنَا ... والسَّيِّدُ السَّامي الإمامُ الناقَدُ
دَعْ عنكَ فَخْراً للجدود وللمَلا ... لا يَبخَسَنْكَ عُلاَهُ ربٌّ واحَدُ
المجدُ ما جَنَّ الجَنانُ وعَبَّرَت ... عنهُ سطورٌ أو لسانٌ حامدُ
ومتىٰ تُردْ علْماً وفَضلاً أو حجًى ... فاقصدْ مَحَلاًّ للسَّعادة ساعَدُ
مَنْ ذلَّت الأيَّامُ وهْي عَزيزَةٌ ... بجَلاله فَهُوَ الأجَلُّ المَاجَدُ
ومَن اغتدَىٰ بحرَ العُلوم فلا تَرَىٰ ... بذُراهُ إمّا مَوردٌ أو واردُ
يا أحمدُ العالي نداءُ مُتَيَّمٍ ... بهواكَ ماتَ بما جزيتَ الحاسَدُ
ما الفَخْرُ إلاَّ ما عَقَدْتَ لَواءَهُ ... بركاب أقوامٍ لَهُنَّ سَوَعَدُ
ومُقصِّرٌ ومُبَالِغٌ ومُواصِلٌ ... ومُقَاطِعٌ ومُحَاسِدٌ ومُساعَدُ

فَخْرُ الأئمة كم دعاك من امرىء ... دان وكم وافاكَ قاصٍ قاصِدُ
/٢٠٨ب/ فأجَبْتَ هذا واستمَعْتَ مقالَهُ ... ونَصَرْتَ هذا وهْوَ لَيْثٌ شارِدُ
والحافظُ المُفْتي خزائنَ مالِه ... بالبَذْلِ لا مَنْ مالُهُ مُتَزايِدُ
جَمَّعتَ من شَمْلِ العُلوم مُفَرَّقاً ... فبكَ العُلومُ وأهلُها تَتَزايَدُ
فلَكَمْ حَديثٍ مُشكلٍ إسنادُهُ ... أَوْضَحْتَهُ وجَوابُه مُتَابِعُ
ومُصَنَّفاتٍ قد حَفِظْتَ بها لَنا ... أركانَ دينِ الله فهْيَ فرائدُ
وفَصاحَةً إنْ عُرِّيَتْ عَن مُشْكِلٍ ... فنَعَتُّها للنَّفْسِ ماءٌ بارِدُ
مَنْ كان يَنْثُرُ في الورَى دُرَّ العُلا ... نُظِمَتْ لهُ فيما يُنيلُ قلائدُ
قالوا الإمامُ الحافظُ العَلَمُ الهُدَى ... فأَجَبْتُهُم هُوَ للسَّماحِ الواحدُ
هَذي مَناقِبُه تبدَت في الضُّحَى ... شُهُباً وفي الإظلامِ صُبْحٌ صاعِدُ
عَذْبٌ وعَضْبٌ في النَّدَى أو في الرَّدَى ... رِدْءٌ فإمَّا مُوعِدٌ أو واعِدُ
لا يُدْرِكُ الماشي مَفازَةَ راكبٍ ... لا يَسْتَوي مَنْ جَدَّ لا والقاعِدُ
شِمتَ الكِرامَ . . . عَنْ فضْلِكُم ... وشُروقُ مَرآهُم إلَيْهِم قائدُ
عَزَّت صِفاتُكَ أيُّها الحَبْرُ الَّذي ... بيَمينِهِ للمَكْرُماتِ قَلائدُ
ومَهابةٌ لله جَلَّ ثناؤُه ... وعَقيدَةٌ تَزدادُ فَهْيَ عَقائدُ
نَدْبٌ لدينِ الله فيه حراسَةٌ ... وتَواضُعٌ وتَذَلُّلٌ وتَوَجُّدُ
/٢٠٩أ/ زُهْدٌ تبيَّنَ في تُقًى فَمَنامُه ... إنْ نامَ إمَّا راكعٌ أو ساجِدُ
عَلَّامَةٌ بل قُطْبُ أعلامِ الهُدَى ... عَدَدٌ كثيرٌ وَهْوَ شَخْصٌ واحِدُ
يا مَنْ شَرُفتُ به بأعْلَى مَنْزِلٍ ... إعْرِفْ مكاني إن وَشَى بي عانِدُ
واعْلَمْ بأنِّي إنْ مَدَحْتُ فَمَقْصَدي ... مَحْضُ الولاءِ ولي بذَلِكَ شاهِدُ
صَوْني القريضَ عَن الأنامِ ونظمُهُ ... لا في سُؤالِ أدلَّةٍ لَتُشاهَدُ
ولهمَّتي ولأنتَ تعلَمُ شأنَها ... تأبى شعارَ الشِّعْرِ وَهْيَ شَواهِدُ
لكنَّ من يُطْريكَ ليس بشاعِرٍ ... هُوَ عالمٌ بل عامِلٌ بل عابِدُ
إنْ كنتَ ذا شرفٍ بعلمٍ أو تقًى ... فالشِّعْرُ في عَلياكَ عِزٌّ زائدُ
يا مَن تنوَّعَ في المفاخرِ تارَةً ... قمراً وأخرى بحرَ علمٍ مائدُ
وتقسَّمَتْ أوصافُهُ وصِفاتُهُ ... نارٌ تشبُّ وبحرُ جُودٍ . . .

أهديتُها هَيْفاءَ رَوْداً طَفْلَةً ... للطَّيْفِ رقَّتُها يلينُ الجاحدُ
خُذْها موشَّحَةَ البُرود سنيَّةً ... تُدْعَى قَصيداً وهْي فيكَ قَصائدُ
وليَهْنَ عيدُ النَّحْرِ أنكَ سَالمٌ ... فَلِذاكَ جَادَ وعطْفُهُ يتَمايَدُ

وقال أيضًا يمدحه: [من الكامل]

لولاكَ ما بَسَطَ المقالَ لساني ... ولما تَهَذَّبَ خاطري وَجَناني
/٢٠٩ب/ ولما غُرِسْتُ فكنتُ غُصْنًا يانعًا ... يَزْهو بمَنْظَرِهِ علَى الأغْصانِ
وأنا الذي في بَحْرِ جُودكَ غارقٌ ... قد فُزتُ منْهُ بوابلٍ هَتَّانَ
ألبَسْتَني من عزِّ فَضْلكَ حُلَّةً ... فأنا أتيهُ بها علَى الأقرانَ
وإلَيْكَ يا فَخْرَ الأئمَّةِ أحمَدٍ ... أعزَى ولَولا ذاكَ ضَلَّ زَماني
ما كنتُ أوَّلَ مَنْ ألَمَّ ببابهِ ... فَغَدا يَميسُ مُفَوَّفَ الأرْدان
لِمْ لا أبوحُ بشُكْرِ ما أوْلَيْتَني ... وأذيعُهُ فِي السِّرِّ والإعلان ؟
وَجَميلُ رأيكَ قد بنَى لِيَ سُلَّمًا ... أعْدَدْتُهُ سَبَبًا إلى كيوان
قالُوا وكيفَ حَوَيْتَ مدحًا يرتقي ... سنَنَ الأكابرِ جاء بالبُهتانَ
أتُراهُمُ جهلوا غِراسَ مروءة ... لا والرَّحيم القادرِ الرَّحمنِ
ما يَعْرِفُونَ بفَيْضِ فَضْلكَ فيهِم ... ورضاعكَ الآدابَ لِلْولدانِ
ما قالَ قَطُّ صغارُ مَنْ آويتَهُم ... وكلأتَهُم كُبراءُ أهْلِ زَمانيِ
أمْ مُعْجَبونَ لشاعرٍ من مصْرِهم ... أربِى علَى مُتَباعدٍ أو دَاني
إن كنتَ فيهِم عَالمًا . . . ... أو كنتُ فيهِم داعيًا بِلِساني

[٢٧٧]

عبدُ الرَّحمنِ بنُ أحمد بنِ القَصْريِّ(١):

[من شعره]: [من السريع]

---

(١) في هامش الأصل «ينعت بصدر الدين وهو حنفي المذهب». ترجمته في: مجمع الآداب ٥/ ٥٦٧ نقلها عن القلائد وفيه هي: «المؤتمن، أبو جعفر، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن علي بن سعيد، ابن القصير الحلبي. ذكره ابن الشعّار في كتابه عقود الجمان وقال: كان من أبناء الفقهاء، وأنشد له في مدح الملك الظاهر ابن الملك الناصر يوسف بن أيوب من قصيدة: سقيًا لأيامي على حاجر. . . . إلخ.

/ ٢١٠أ/ سُقيًا لأيّامي على حاجر ... إذ ما على اللّذات من حاجر
وناظري يرتَعُ في روضةٍ ... أريضةٍ للزّمن النّاضر
وللهوى ربعٌ غدا عامراً ... بمن سباني من بني عامر
بحُسن دلٍّ عاد ذُلّي به ... من بعد عزٍّ طاهر ظافر
طاب الهوى العُذريُّ في حبّ من ... أصبح فيه عاذلي عاذري
ظبيٌ من الأعراب أعربَتْ في ... عشقي له عن عقلي الوافر
فحُسْنُه الطّائر ما وَكْره ... إلّا سُوَيدا قلبي الطّائر
قد ضلّ قلبي فيه حيث اهتدى ... لرُشده يا للرّشا الجائر
شكوتُ وَجْدي وشكرتُ الهوى ... فاعجبْ لشاكٍ في الهوى شاكر
خاطرتُ في عشقي له جاهلاً ... فما وهى من نظرة الخاطر
بحُسن قدٍّ قدَّ قلبي أسًى ... بلحظ طرفٍ فاتنٍ فاتر
أنا الّذي طُلَّ دمي عامداً ... من مُسْتَبيحٍ لدمي هادر
لمّا عتبتُ القلب في حُبّه ... أحال بالذّنب على النّاظر
وقال هذا الباعثُ الوجْدَ لي ... وكنتُ منه في حمًى ساتر
هذا الّذي أوقعني لحظُه ... في لُجِّ بحرٍ للهوى زاخر
/ ٢١٠ب/ قلبي وطرفي اشتركا في دمي ... الجورُ من قلبي ومن ناظري
قلبي مُحتاجٌ إلى قالبٍ ... وناظري أيضًا إلى ناظر
في هجره أوثرُ قتلي عسى ... أخلصُ لكن بيد الهاجر
وأشتهي طردَ همومي بكا ... سات عُقارٍ بيدي عاقر
صفراءُ لم تنزلْ بقلب امرئ ... بحادثات الهمّ من صافر
فهاتها يا صاح واشربْ ودعْ ... من لام يبغي صفقة الخاسر
ما طاعتي إلّا لمن أمرُهُ ... يُطاعُ في النّاهي وفي الآمر

وقال أيضًا يمدح كمال الدين أبا القاسم عمر بن العديم: [من المنسرح]

وأسمرٍ صرتُ في هواه قمر ... لو قامرَ البدرَ بالجمال قمرْ
أهيفُ تُزري الغصونَ قامتُه ... بحسن التّثنّي إذ تثنّى وخصرْ
قلوبُ عُشّاقه على خطرٍ ... منه إذا ماسَ مُعجبًا أو خطرْ

أحوىٰ حوىٰ مهجتي وتيَّمني مليحُ غنجٍ بطرفه وحَوَرْ
هاروتُ ماروتُ في لواحظه المرضىٰ الصحيحاتِ مُقلةً ونَظَرْ
الرِّدفُ عَبلٌ والخصرُ مختصرٌ فيه لحتفي والريقُ فيه خَصَرْ
/ ٢١١أ/ آه عليه ومنه واحربا واعُظْمَ وَجْدي كم ملَّني وهَجَرْ
أُقسمُ لو عاينَ العذولُ بلا علمٍ عليه حُسْنَ العذار عَذَرْ
فَجُلُّ ناري من جلّنار بخَدْ يه ووَجْهٍ كائنٍ أليفَ قَمَرْ
ظَبْيٌ من التُّرك لستُ أتركهُ عشقاً ولو نلْتُ في هواه سَقَرْ
فاعجَبْ لملكي وقد تملّكني وخلف أسري وللفؤاد أسر
عَقْربُ أصداغه وحيَّتُها تسعىٰ للسب القُلوبُ وهْيَ شَعَرْ
جَدَّ بوجْدي والهزْلُ شيمَتُه وَصينَ عنِّي بعفَّةٍ وَخَفَرْ
خاطرتُ في حُبِّه ولم أدر أنَّ العشقَ يَجْني علىٰ المُحبِّ خَطَرْ
فاقَ جمالاً كلَّ الملاح كما فاقَ كمالُ الدِّين الإمامُ عُمَرْ
بالعلم والحلم والسَّماح فقدْ شَيَّدَ أركانَ مَجْده وعَمَر
الأوحَدُ العالمُ العظيمُ تُقًى والحَبْرُ كاس منَ العفاف حبَر
أحيا لميْت العُلوم علماً وأحْيا ميِّتَ الجُود حيثُ كانَ غَبَرْ
مُفْتي الفَريقين لا يَرْجعُ في الفُتْيا ومُفْني الأموال لا بقَدَرْ
واللهُ قد خصَّهُ خصائصَ ما خصَّ بها قَبْلُ في الأنام البَشَرْ
/ ٢١١ب/ علماً وحلماً ونائلاً وعُلاً وعفَّةً نُورُها عليه ظَهَرْ
هذا ابنُ قاضي القُضاة سيِّدنا هذا أبو القاسم العظيمِ خَطَرْ
مَوْلايَ يا مَنْ يُولي الجميلَ لمَنْ والاهُ طَبْعاً منْهُ وحُسْنَ نَظَرْ
منَّا لكَ المَدْحُ حيثُ منْكَ لَنا المَنُّ الذي سيبُه العُفاةَ غَمَر
خُذْها عَرُوساً بكراً أَتاكَ بها كُفْواً بمدْحيكَ قُلِّدَتْ بدُرَرْ
مُنْسَرحٌ بَحْرُها لمُنْسرح الْـ جُود نَوالاً منْ كَفِّه ببِدَرْ
وَاهْنَأ بعيد الفطر السَّعيد فَلا زلْتَ مهنَّا بنَيْل كُلِّ وَطَرْ
وابقَ سَعيداً ما هَبَّ ريحُ صَباً وما صَبا سامرٌ لطيب سَمَرْ

[٢٧٨]
عبدُ الرَّحمن بنُ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ العَزيزِ بنِ سليمانَ بنِ مُحَمَّدٍ، أبو القاسم اللَّخْميُّ(١):

كانت ولادته بقوص في سنة خمس وخمسين وخمسمائة، كان فقيهًا حنفيًا، فاضلاً، شاعراً، متأدبًا، عالمًا حسن الشعر، استوطن مصر مدة مديدة.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيبيني بحلب قال: أنشدني أبو القاسم لنفسه: [من الكامل]

/ ٢١٢أ/ عَجَبٌ منَ الإيمان كيفَ يقرُّ في ... صَدْرِ الفَقيرِ المُقْترِ المُتَذَلِّلِ
مَنْ كانَ ذا صَبْرٍ عليهِ فَإِنَّهُ ... ذُو البرِّ والتَّقْوىٰ وذُو القَدْرِ العَلِي

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه يصف كتاب البسيط: [من البسيط]

خُصَّ البَسيطُ بمَجْدٍ ذاعَ وانْتَشَرا ... بينَ الأئمَّةِ والحُكَّامِ والوُزَرا
شَمِّرْ إلىٰ حفْظِهِ تَشْمِيرَ مُجْتَهِدٍ ... فقد حَوَىٰ بِاتِّفاقٍ ذائعٍ دُرَرا
كَذا المُهَذَّبُ أَهْلُ الدِّينِ كُلُّهُمُ ... مَضَوا عليْهِ فَمَنْ يَعْرِفْ لِذاكَ ذُرَا
ففيهِ سِرٌّ عَجِيبٌ فاعتَبِرْهُ تَرَىٰ ... ما قد رأىٰ وَرَوَىٰ مِنْ قَبْلِكَ الكُبَرا

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

الفَقْرُ بابٌ للمُروءَةِ والتُّقىٰ ... والصَّبْرِ والإيمانِ إلاَّ مَنْ كُفي
فَهُوَ الصَّبُورُ المؤمِنُ الوَرِعُ التَّقي ... طُوبىٰ لَهُ قَدْ خُصَّ بِاللُّطْفِ الخَفي

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه في كتاب كتبه لأبي إسحاق: [من البسيط]

يا مَنْ يَرُومُ صُعُوداً لازمًا أبدا ... في دِينِهِ ثُمَّ دُنياهُ ومَا قَصَدا
عليكَ بالحفْظِ للتَّنْبيهِ مُلْتَزِمًا ... تَعِشْ بِهِ في نَعِيمِ عيشَةً رَغَدا
/ ٢١٢ب/ نِعْمَ الذَّخيرةُ صُنْهُ صَوْنَ مُجْتَهِدٍ ... طَرِيقُهُ مَنْ نَحَاهُ يَقْتَبِسْ رشَدا

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ٢٥٩ وفيه: «توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة». الطالع السعيد ٢٩٥ ـ ٢٩٦. الجواهر المضية ٢/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥. حسن المحاضرة ١/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦. طبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥. كشف الظنون ٦٣٢. الأعلام ٣/ ٣٢٩.

فَرَحْمَةُ اللهِ تَغْشَىٰ رُوحَ جامِعِهِ مَدَىٰ الدُّهُورِ مَعَ الأَبْرارِ والشُّهَدا

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه: [من الطويل]

سَلامٌ عليكُم كُلَّ وَقْتٍ فَإنَّني أَتُوقُ إلىٰ تلْقائِكُمْ وأَوَدُّهُ
وأُوثِرُ تَخْفِيفاً مع الشَّوْقِ دائماً خُلاصَةُ قَلْبِي مُلْكُكُم وهْوَ وُدُّهُ

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه: [من السريع]

صَبْراً علىٰ الفَقْرِ لتَحْظَىٰ بما قَدْ نالَهُ خَيْرُ رِجالِ السَّلَفْ
فالفَقْرُ خَيْرٌ مِنْ غِنَىً مُقْتِرٍ أَدَّىٰ إلىٰ الكِبْرِ وقُبْحِ الصَّلَفْ

[٢٧٩]

عبدُ الرَّحمن بنُ يُوسُفَ بن عبد الرحمن بن عليٍّ بن محمدِ بنِ عبدِ الله بنِ الجَوْزِيِّ، أبو الفَرَجِ بنُ أبي محمد:[(١)]

من البيت المشهور بالعلم والدين والتصنيف في كل فن من الفقه، والتفسير، والحديث، والوعظ، والتاريخ، وأيام الناس.

وأبو الفرج هذا رُبِّيَ في حجر والده، فتأدب بآدابه، وبحلو أخلاقه، وتحلّىٰ بحليته، /٢١٣أ/ واتصف بصفته، وحذا حذوه، وسلك طريقته الواضحة، واقتدىٰ بأفعاله الصالحة، ونابه في الحسبة، ثم استقل بها، وخلفه في التدريس في المدرسة المستنصرية، فقام مقامه، وسدّ مسدّه، وكان أذن له في الوعظ في الأيام الظاهرية، وعمره إذ ذاك ثماني عشرة سنة.

وكان يجلس في كل أسبوع يومًا، ويحضره الخلق الكثير، واستمر ذلك وصارت له الملكة التامة، واليد الطولىٰ في الوعظ، وهو مليح العبارة، لطيف الإشارة، حسن

---

(١) حفيد علامة عصره، أبو الفرج ابن الجوزي. ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ٣١٠ رقم ٣٦١، وفيه: «ولد سنة ستمائة، وقتل مع والده في نوبة بغداد سنة ست وخمسين وستمائة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠هـ) ص٢٦٤ ـ ٢٦٥ رقم ٢٧٦ وفيه: «ولد سنة ست وستمائة». مرآة الجنان ٤/ ١٤٧. الحوادث الجامعة ٢٢٨. الدر المنضد ١/ ٣٩٧ رقم ١٠٨٢. البداية والنهاية ١٣/ ٢٠٣. ذيل مرآة الزمان ١/ ٣٤٠. شذرات الذهب ٥/ ٢٨٧، وفيه «قتل مع والده وأخويه عند دخول هولاكو إلى بغداد بظاهر سور كلواذا، وقد جاوز الخمسين».

الصورة، جميل الأوصاف، طيب الإنشاد، حلو الإيراد، وله نظم ونثر.

ومن شعره في المستنصر بالله أمير المؤمنين ـ أدام الله أيامه ـ: [من المتقارب]

حرام على مُقْلَتَيَّ المَنامُ ... وقد طَرَدَ الشَّوقُ عنها المَنَامَا
ومَنْ هامَ وَجْداً بطَيْفِ الكَرَىٰ ... يكُونُ علىٰ مُقْلَتَيْه حَرامَا
فآهِ علىٰ طِيبِ عَيْشٍ مَضَىٰ ... لنا بالمُحَصَّبِ لَوْ كانَ دَامَا
ألا ما لجيرانِ ذاكَ الجَنابِ ... رَحَلْنَ فأَسْكَنَّ قَلْبي غَرامَا
فَلَيْتَهُمُ حينَ سارَتْ بهم ... مَطايَاهُمُ وَدَّعُوا المُسْتَهامَا
/ ٢١٣ب/ لقد عادَ من بَعْدِ بُعْدِ الحَبيبِ ... فُؤادي في كلِّ وادٍ وَهامَا
فَهلْ مِنْ سَبيلٍ إلىٰ نَظْرَةٍ ... تَبُلُّ الغَليلَ وتَشْفي الأُوامَا
أيدري غزالُ الحِمَىٰ أنَّهُ ... بقَلْبيَ لا بالحِمَىٰ قد أقامَا
يُميطُ لثَامَ الأسَىٰ والجَوىٰ ... إذا زارَني وأَماطَ اللِّثامَا
بِرُوحي حَبيبٌ بَديعُ الجمالِ ... أَرَىٰ وَصْلَهُ فُرْصَةً واغتنامَا
ويُسْكِرُني بعَتيقِ الحَديثِ ... حتَّىٰ كأنِّي ارتَشَفْتُ المُدامَا
كما أنَّني لستُ أبغي النَّسيبَ ... إلَّا لأَمْدَحَ هذا الإمامَا
لقد بَذَّ آباءَهُ الرَّاشدينَ ... بأَجمَعِهم هِمَّةً واعتزامَا
وأولى الهِباتِ وأدَّىٰ الصِّلاتِ ... وأحيا العُفاةَ وَفاقَ الغَمامَا
وسَنَّ العَطايا وأسنَىٰ الصَّفايا ... وخَصَّ الرَّعايا بعَدْلٍ وَدامَا
أبا جَعْفَرٍ ثِقْ بفَتْحٍ قَريبٍ ... ونُجحٍ مَديدِ المَدَىٰ لا يُسامَىٰ
مَضَىٰ رَجَبٌ شاكراً جُودَكُمْ ... وأظهرَ شَعْبانُ حَمْداً مُدامَا
تَمَلَّ بشَهْرِ الصِّيامِ الَّذي ... أتَىٰ شاكراً بِرَّكَ المُستَدامَا
فكم لَكَ مِنْ نائلٍ في الصِّيامِ ... وَبِرٍّ غَزيرٍ يَعُمُّ الأنامَا
فلا وَجَدَ الرَّاضِعُونَ النَّدىٰ ... مَدَىٰ الدَّهْرِ مِنْ راحتيك الفِطامَا
/ ٢١٤أ/ فَعِشْ أبَدَ الدَّهْرِ يا مَنْ بِهِ ... تَهَنَّىٰ المَواسِمُ عاماً فَعامَا

[٢٨٠]

عبدُ الرَّحمنِ بنُ عبدِ المنْعِمِ بنِ نِعْمَةَ المَقْدسيُّ، أبو محمد[(١)]:

كانت ولادته في يوم عاشوراء، سنة أربع وتسعين وخمسمائة.

يروي عن عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي، وعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، وغيرهما.

أنشدني أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن النصيبيني، بحلب قال: أنشدني عبد الرحمن بن عبد المنعم المقدسي لنفسه: [من الطويل]

أَتَىٰ الرَّكْبُ مِنْ أَرْضِ الحجازِ مُخَبِّراً ... بأَخْبارِ أحبابٍ أَتَوا عَرَفاتِ
فَقُلْتُ وفي القَلْبِ المُعَذَّبِ جَمْرَةٌ ... مِنَ البُعْدِ إذْ لَمْ أَحْظَ بالجَمَراتِ:
ألا لَيْتَ أنِّي كُنْتُ بالقُرْبِ مِنْ منى ... فنلتُ المُنَىٰ بالوَصْلِ قَبْلَ مماتي
ويا لَيْتَني قد كنتُ بالخَيْفِ مِنْ منًى ... فما الخَيْفُ إلاَّ الخَوْفُ مِنْ تَبعاتي
سَعَيْتُم فَلاَ خَابَتْ مساعٍ سَعَيْتُمُ ... ولا زِلْتُمُ في أرْفَعِ الدَّرجاتِ

وأنشدني بالإسناد: [من البسيط]

وَحَقِّ ذِمَةِ ما بَيْني وبينْكُمُ ... مِنَ الوداد ومِنْ عَهْدٍ وميثاقِ
/ ٢١٤ب/ إنِّي مُقيمٌ علىٰ وَجْدي بكُمْ أبداً ... وإنَّ وُدَّكُمُ بينَ الحَشَا باقي

وله بالسند: [من الطويل]

أَضُمُّ يَدي مِنْ خَوْفِ حرصي إلىٰ الحَشَا ... فَيُعْرِضُ مِنْكَ الحِلْمُ لي فَأمُدُّها
فأذكُرُ ما في سالِفِ الدَّهْرِ أسلَفَتْ ... فأَقْبِضُها مِنْ خَوْفِهِ وأرُدُّها

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ١٧٨ رقم ٢٢٤، وفيه: «عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور بن رافع، الفقيه، الإمام، جمال الدين، أبو الفرج النَّابلسي الحَنْبَلي...، توفي سنة ست وخمسين وستمائة». المنهج الأحمد ٣٨٨. المقصد الأرشد رقم ٥٨٧. الدر المنضد ١/ ٤٠٠ رقم ١٠٩٠. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٥١ ـ ٦٦٠) ص٢٦٣ رقم ٢٧٣. ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ومختصره ص٧٦. شذرات الذهب ٥/ ٢٧٨.

[٢٨١]

عبدُ الرَّحمن بنُ الحُسَيْنِ بنِ عبدِ الله، أبو منصور النُّعْمانيُّ، المعروفُ بشُرَيْحٍ[(١)]:

قاضي النيل والنُّعمانية[(٢)].

كان فقيهًا فاضلاً، له أدب وشعر ورسائل، دمث الأخلاق، حسن العشرة، سجن ومات في سجنه يوم الخميس تاسع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وستمائة، ودفن في داره، وقيل عنه: إنَّهُ لمّا حضره الموت أُذكرَ اللهَ فقالَ: [من البسيط]

تــألّــقَ البَــرْقُ نَجْــدِيــاً فَقُلْــتُ لــهُ: يــا أيُّهــا البَــرْقُ إنِّــي عنْــكَ مَشْغُــولُ

[٢٨٢]

عبدُ الرحمنِ بنُ إبراهيمَ / ٢١٥أ/ بن نَصْر بن ظافر بن هلال، أبو القاسم بنُ أبي إسحاقَ، الحَمَويُّ أصلاً، المَصْريُّ مَوْلداً:

من بيت فيه علم ونباهة، وكان والده يتقلد القضاء بقوص[(٣)]، وقع إليّ هذه الأبيات، أنشدنيها عنه أبو المكارم فتيان بن محمد بن فتيان بن سمينة الجوهري قال: أنشدني أبو القاسم لنفسه: [من الطويل]

إذا لــم يَلَــذَّ الطَّــرْفُ منْكُــم بنَظْــرَةٍ فمــا ضَــرَّكُــم ذِكْــرٌ يَلَــذُّ بِــهِ سَمْعِــي

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ١٣٦ وفيه: «ولي قضاء النيل مدة، كان فاضلاً أديبًا، إتصل بالملك طاشتكين، وكتب الإنشاء له، وله رسائل مدوّنة في مجلدين، وكان كامل الرئاسة يصلح للوزارة، وكان كريمًا جواداً، وسجن بعد وفاة طاشتكين إلى أن مات في محبسه». مجمع الآداب ٥/ ٢٣٧. مرآة الزمان ٨/ ٥٣١ ـ ٥٣٢. الجامع لابن الساعي ٩/ ٢٠٧. ذيل الروضتين ص٥٨. التكملة للمنذري ٢/ ١٠٣: ٩٥٨. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص١١٧ رقم ١٢٩. البداية والنهاية ١٣/ ٤٦. توضيح المشتبه ١/ ٦٨٧. الوافي بالوفيات ١٨/ ١٣٦ رقم ١٦١.

(٢) النعمانية: مدينة تقع بين واسط وبغداد، في نصف الطريق على ضفة دجلة، وتجاورها مدينة النيل من جهة الطريق المؤدي إلى الكوفة. انظر: معجم البلدان/ مادة (النعمانية).

(٣) قوص: مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصية في صعيد مصرو شرقي النيل. معجم البلدان/ مادة (قوص).

فــوالله مــالــي بَعْــدَ بُعْــدكَ فَــرْحَــةٌ ولا بلَــذيــذِ العَيْــش بَعْــدَكَ مِــنْ نَفْــعِ
ولــو نلْــتُ مقصــوداً بطيــبِ وِصــالكُــمْ لمــا كنــتُ مُغْــرًى بــالكَئيــبِ وبــالجَــزْعِ
ولكنَّهَــا فَــرْعٌ وأنتُــم أُصُــولُهَــا ومــنْ لــم يَصِــلْ لــلأَصْــلِ حَــنَّ إلىٰ الفَــرْعِ
تَــذَرَّعــتُ فــي حَــرْبِ الغَــرامِ بعشْقكُــم ولكــنَّ سَهْــمَ الهَجْــرِ يَنْفُــذُ فــي رَوْعــي
وأصْبَحــتُ عبْــداً مُفْــرَدَ الاسْــمِ سَــالمــاً ولكنَّنــي أخْشَــىٰ أنْ أكسَــرَ بــالجَمْــعِ
وبــي ألــفٌ مِــنْ قَــدٍّ طيَّــاتِ لَفِّهَــا تكُــونُ إلــىٰ وَصْــلٍ ولَــمْ تَــكُ للْقَطْــعِ
واسمُــكَ اســمٌ مُعْــرَبٌ مُتَمَكِّــنٌ بقَلْبِــي ومنْــهُ النَّــاسُ فــي الضَّــرِّ والنَّفْــعِ
ولــولا بقَلْبــي مِــنْ هَــواهُ حَــرارَةٌ تُنَشِّــفُ طَــرْفــي كنــتُ أغْــرَقُ فــي دَمعــي
أقــولُ لِعُــذّالــي عليْــهِ أطَلْتُــمُ فمــا دِينُكُــم دِينــي ولا شَــرْعُكُــم شَــرْعِــي

[٢٨٣]

/ ٢١٥ب/ عبدُ الرحمن بنُ محمود بن بختيارَ بن عزيز بن محمد، أبو حامد، الكَاتبُ الإِربليُّ والداً، المَوْصَليُّ مَوْلداً ومَنْشأً[١]:

كان شابًا قصيراً، أسمر اللون، تفقه علىٰ مذهب الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ علىٰ أبي إسحاق إبراهيم بن عمر بن زبيدة الجزري، وكان متصلاً بالقاضي أبي منصور المظفر بن عبد القاهر بن الشهرزوري، وانقطع بأخرة إلىٰ أبي الكرم محمد بن علي بن مُهاجر الموصلي، يتولى خدمته.

لقيته غير مرة، ولم آخذ عنه شيئًا، أنشدني الإمام عماد الدين أبو المجد إسماعيل بن هبة [الله] بن باطيش الموصلي ـ أدام الله سعادته ـ قال: أنشدني أبو حامد لنفسه، لما مررنا بدير الحافر[٢]، قاصدين حلب، يتشوق إلىٰ الموصل: [من الطويل]

يَقُــولُ زَمِيلــي حيــنَ جَــدَّ بنــا السُّــرَىٰ وعــايَــنَ منِّــي فَيْــضَ دَمْــعِ المَحــاجِــرِ
أشَــوْقــاً إلــىٰ الأوطــانِ وهْــيَ قَــرِيبَــةٌ إلَيْــكَ فَمــا ألْفَــاكَ عنهــا بِصــابِــرِ ؟

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ٤/ ٣٦٧ نقلاً عن القلائد.
(٢) قرية بين حلب وبالس. انظر: معجم البلدان/ مادة (دير حافر).

فَقُلْتُ لَهُ: مَهْلاً وكُنْ لِيَ عاذِراً　　فأينَ رُبَى الحَدْباءِ مِنْ دَيْرِ حافِرِ؟

وأنشدني موفق الدين أبو الثناء / ٢١٦أ/ محمود بن يوسف بن إسماعيل بن مكي ابن الهائم الفقيه السنجاري، قال: أنشدني أبو حامد عبد الرحمن بن محمود بن بختيار بن عزيز بن محمد الكاتب الإربلي لنفسه: [من البسيط]

خَمْرٌ بثَغْرِكَ أَمْ ضَرْبٌ مِنَ الضَّرَبِ　　سَكِرْتُ مِنْهُ وهذا غايَةُ العَجَبِ
ما خِلْتُ أَنَّ رُضابَ الثَّغْرِ يَفْعَلُ في　　عَقْلِ الفَتَى أَبداً فِعْلَ ابنَةِ العِنَبِ
يا أَسمراً صِرتُ في حُبِّي لَهُ سَمَراً　　بينَ الأنامِ حَليفَ الهَمِّ والنَّصَبِ
سَلَلْتَ سَيْفَ لِحاظٍ حَدُّ مَضْرِبِهِ　　يَفُلُّ حُسْناً سَنَى الهِنْدِيَّةِ القُضُبِ
إِنْ دامَ لي مِنْكَ وَصْلٌ قَدْ حَصلتُ على　　صِفاتِهِ نِلْتُ أَقصَى غايَةِ الأَرَبِ

وأوائل هذه الأبيات إذا جمعت كانت اسم خميس.

ومن شعره قوله في سليمان بن جبرائيل الفقيه الشافعي: [من السريع]

قُلْ لِسُلَيْمانَ الَّذي جَهْلُهُ　　لو كانَ عِلْماً فاقَ كُلَّ الوَرَى
تَذْكُرُ لِلدَّرْسِ ولكنَّما　　ذِكْرُكَ إِيّاهُ شَبيهُ الخَرا

/ ٢١٦ب/ وقال أيضًا يمدح قاضي القضاة حجة الدين عند قفوله مترسلاً، ويهنيه بعيد النحر أيضًا: [من الوافر]

مُحِبٌّ لَيسَ يَثْنيهِ المَلامُ　　وقَلْبٌ باتَ يُغْرِيهِ الغَرامُ
ودَمْعٌ فوقَ خَدٍّ لَيسَ يَرْقَا　　وَجَفْنٌ ذُو سُهادٍ لا يَنامُ
فَبينَ الجَفْنِ والنَّومِ افتراقٌ　　وبينَ الدَّمْعِ والخَدِّ التِئامُ
بِنَفْسي صارِمٌ لِلوُدِّ طَبْعاً　　وَوُدِّي مالَهُ الدَّهْرَ انصِرامُ
غَرِيرٌ بِتُّ أَعْذُلُ فيهِ ظُلْماً　　وبينَ جَوانِحي مِنْهُ اضطِرامُ
أَلامُ عَلى هَواهُ ولَيسَ يَدْري　　بأَنِّي في هَواهُ لَهُ أُلامُ
أَرومُ وِصالَهُ في الدَّهْرِ يَوماً　　ودونَ وِصالِهِ الموتُ الزُّؤامُ
لَقَدْ لَذَّ التَّهَتُّكُ في هَواهُ　　كَما لَذَّتْ لِشارِبِها المُدامُ
كَلِفتُ بِهِ فأَعداني سَقامٌ　　لِجَفْنَيْهِ فَلَذَّ لِيَ السَّقامُ
رَمَى عَنْ قَوسِ حاجِبِهِ سِهاماً　　نَكَصْنَ لَها العَوالي والسِّهامُ

وأعْمَلَ لَحْظَهُ عَضْبًا حُسامًا ... فَدانَ لِحَدِّهِ العَضْبُ الحُسامُ
وفاقَ مَلاحَةً دُونَ البَرايا ... وبي بَرْحٌ يَطولُ لَهُ المَقامُ
/٢١٧أ/ كما في الفَضْلِ فاقَ الخَلْقَ طُرًّا ... حَليفُ المَجْدِ والنَّدْبُ الإمَامُ
فَتى خُلْقَ الحَيا مِنْ راحَتَيْهِ ... فَسَحُّهُما انسكابٌ وانسجَامُ
فَقُلْ لِمُؤَمِّليهِ وقَاصِديهِ: ... عُرَى نُعْمَاهُ لَيسَ لها انفصامُ
تَفَرَّدَ في خَلائِقِهِ وأضْحَى ... فَريدًا في الخَلائِقِ لا يُرامُ
رَضيعُ البَذْلِ قَبْلَ [يكونَ] طِفْلاً ... فما لِرَضاعِهِ أبَدًا فِطامُ
سَما أَهْلَ الدُّنَى عِلْمًا وحِلْمًا ... فَلا كَهْلٌ لَدَيْهِ ولا غُلامُ
لَهُ قَلَمٌ مَدَى الأَيّامِ طَوْلاً ... لِزاخِرِ بَحْرِ سَطْوَتِهِ النِّظامُ
تَنُوبُ عَنِ القَواضِبِ شَفْرَتاهُ ... وَفي أَبْوابِهِ الجَيْشُ اللُّهامُ
فَحَدُّ غِرارِهِ مَاضٍ طَليقٌ ... وَحَدُّ سِواهُ مَفْلُولٌ كَهامُ
سَبَرْتُ النَّاسَ سَبْرًا بَعْدَ سَبْرٍ ... فكُنْتَ التِّبْرَ والنَّاسُ الرَّغامُ
فكُلُّ فَريدَةٍ نُثِرَتْ لَدَيْهِمْ ... لها في سِلْكِ عَلْيَاكَ انتظامُ
حِمَاكَ حِمًى مَنيعٌ لا يُبارَى ... وَجارُكَ لا يُذَلُّ ولا يُضامُ
وَرِفْدُكَ دائِمٌ في كُلِّ وَقْتٍ ... دَوامًا لا يَضُرُّ بِهِ دَوامُ
فيا مَوْلًى لَهُ في كُلِّ وَقْتٍ ... يَدٌ تَهْمي كما يَهْمي الغَمامُ
ويا قاضي القُضاةِ أقُولُ حَقًّا: ... لقد شَرُفَتْ بِمَقْدَمِكَ الأَنامُ
/٢١٧ب/ نَأَيْتَ فَحَلَّ بالحَدْباءِ هَمٌّ ... لِنَأْيِكَ لا يُضاهِيهِ اهتمامُ
وبانَ ضِياءُ نُورِكَ عَنْ رُباها ... فَحاقَ بِجَنْبِ ساحَتِها الظَّلامُ
إلى أنْ أُبْتَ في أَمْنٍ ويُمْنٍ ... فعادَ بِها ابتهاجٌ وابتسامُ
لَنا عِيدانِ عِيدٌ حَيْثُ وافَى ... قُدُومُكَ لِلإلَهِ بِهِ سَلامُ
وعِيدُ النَّحْرِ فانْحَرْ لِلأَعادي ... فَحَشْوُ جُسومِهِمْ خَوفًا ....
ومَنْ عَمَّ الأَنامَ بِكُلِّ فَضْلٍ ... فأنَّى يَنْتَهي فيهِ الكَلامُ؟

وقال أيضًا يهجو شخصًا وجماعة منتمين إليه، ومستند ذلك سَبَبٌ يطول شرحه، ويمتدح فيها الأمير الكبير الأصفهسلار بدر الدنيا والدين، والقاضي حَجة الدين:

[من مجزوء الكامل]

نَفْسـي فـداؤكَ مـن مُشيـر ... سَمْعـاً لـهذا العلـق الظَّهيـر
ذي حَلْقَـة مَطْـرُوقَـة ... أبـداً علـى مَـرِّ الـدُّهُـور
مَـنْ لـم يـزلْ .... مـن .... الأمُـور
لـو جئتُـه فـوجـدتُـه ... يبغـي الفسـوقَ مـع الفجـور
/ ٢١٨أ/ لَحَظيـتُ منْـه بمـا أرُو ... مُ مـنَ المَسـرَّة والحُبُـور
لكننـي وافيتـه ... بفَـرائـد الـدُّرِّ النَّثيـر
فَـوَجَـدتُـه فـي فَهْمهـا ... كـالتَّيْـس أو بعـض الحَميـر
بـالله أُقْسـمُ إنَّـهُ ... أزْرَى ببَيْـت الشَّهْـرَزُوري
رأسٌ بخفَّـة مُخِّـه ... والـرُّوحُ أثْقَـلُ مـنْ ثَبيـر
مُسْتَهْتَـراً بـالجَهْـل طُـو ... لَ الـدَّهْـر فـي شُـرْب الخُمـور
ولـهُ مـنَ الـوُزَرَاء مَـنْ ... يُـزْرُونَ بـالكَلْـبَ الحَقيـر
مثـلُ الشّقـرَّاق القَبيـ ... ـح الخُبْـر مـنْ بيـنَ الطُّيُـور
تَـالله لـولا خَـالقـي ... ألقيتُـهُ بيـنَ الصُّقُـور
تَنْتَـاشُـه بمَخـالـب ... تُنْسيـه أيَّـامَ السُّـرُور
وكـذا المـوزِّرُ .... تَبّـاً لـذلـكَ مـنْ وَزيـر
ذُو الحكمتيـن الفَيْلَسُـو ... فُ وصـاحـبُ العَقْـل الغَـريـر
لا تَبْـغِ شيئـاً عنـدَهُ ... لا كـانَ ذلـكَ مـنْ نَظيـر
ولقـد أتـانـا نَجْلُـهُ ... يَخْتـالُ مـا بيـنَ القُـدُور
أضحَـى حَـوائـجُ كيسـه ... لشـرا الطُّبـول أو الـزُّمُـور
/ ٢١٨ب/ وكـأنَّـهُ فـي الجبَّـة الـ ... خَضْـرَاء جـاءَ مـنَ الحَضيـر
وكـذاكَ سقـف .... كَهَيْـأة التَّيْـس الكَبيـر
بسَـواد وَجْـه كـالغُـداف ... ولحْيَـة كخَـرَا النُّسُـور
فَلْتَنْقُـرَنَّ قفيَّهُـم ... نَقْـر الـدُّفُـوف بـلا فُتُـور
فَلْيَـأخُـذُوهـا كـالسِّهـا ... م تُغيـرُ عـن شَخْـص غَيُـور
لا يَـرْتَـدي ثَـوْبَ الهَـوا ... نِ ولـو تَجَلْبَـبَ بـالحَصيـر
إنْ كنـتُ مِـنْ قصَـري أهنـ ... ـتُ فليـسَ شِعْـرِي بـالقَصيـر

أو كنتُ أُظْلَمُ في البَريَّـ ـة فانتصاري بالأمير
مولًى يَخافُ سَطاهُ أرْ بابُ المَمالِكِ والثُّغُور
لَيْثٌ وغَيْثٌ في الوَرَى وحَليفُ مَعْروفٍ وَخير
بَدْرٌ ببَهْجَةِ وَجْهِه يَزْهُو على كُلِّ البُدُور
لم يُبْقِ فَيْضُ يَمينِه في النَّاسِ مِن شَخْصٍ فَقِير
أضْحَتْ قَلائدُ بِرِّه تَسمُو على كُلِّ النُّحُور
وغَدَتْ تَميسُ لِذِكْرِه الأيَّامُ كالغُصْنِ النَّضير
ذِكْرٌ تَضَوَّعَ عَرْفُه كالمِسْكِ فاحَ أو العَبير
/٢١٩أ/ مَوْلايَ يا حِلْفَ النَّدَى سَمْعًا كَلامًا غيرَ زُور
لمَّا أمَرتَ بنَفْيِه ومَنَعْتَه سُكْنَى القُصُور
شَكَرَتْكَ أبناءُ الدُّنَى وأُثِبْتَ مِن رَبٍّ غَفُور
أنتَ المُبَخِّلُ حاتمًا كَرَمًا وذُو البأسِ الخَطِير
مَوْلايَ بَدرَ الدِّينِ أُقْـ ـسِمُ بالمصاحِفِ والزُّبُور
لو شِئْتَ كنتَ جَعلْتَه في الحالِ مِنْ أهْلِ القُبُور
لكِنْ رَعَيْتَ حُقُوقَ هـ ـذا البيتِ بالصَّدْرِ الكَبير
قاضي القُضاةِ أخو النَّدَى كَهْفُ الطَّرِيدِ المُسْتَجِير
لازالَ مُلْكُكَ شامِلاً لَهُم على كُلِّ الأُمُور

[٢٨٤]

عبدُ الرَّحمَنِ، أبو القاسمِ القَلْيُوبي:

أنشدني وجيه الدين الإسكندري قال: أنشدني أبو القاسم لنفسه: [من الطويل]

تَجلَّى الَّذي أهوَى عن الشِّبْه والمِثْل فيا عاذلي دَعْني وَخَلِّ مِنَ العَذْل
وَرَقَّ لِما ألقاهُ مِنْ فَرْطِ حُبِّه ولا تَحْسَبَنَّ العذْلَ لي في الهوَى يُسلي
/٢١٩ب/ وكُنْ لِمَعاني حُسْنه مُتأمِّلاً تَجِدْ كلَّ جُزْءٍ فيه معنًى مِنَ الكُلِّ
فبدرُ الدُّجَى والشَّمْسُ من نُورِ وَجْهِه فَمَنْ لي بأنْ أقْضي على حُبِّه مَنْ لي
وكلُّ صِفاتِ الحُسْنِ بعضُ صِفاتِه فَواحَسْرَتي قد حارَ في وَصْفِه عَقْلي

خَضَعتُ لهُ في مَوْقف الحبِّ طائعًا   وقابلتُ عزِّي في المحبَّة بالذُّلِّ
فَهمتُ به إذ قد فَهِمْتُ جمالَهُ   وأصْبَحتُ عن كلِّ البَريَّة في شُغْلِ
تَعلَّمتُ فيه النَّوحَ والحُزْنَ والبُكا   وأمسَيْتُ منْ علْم اصطباريَ في جَهْلِ
تَهتَّكَ سَتْري فيه بعدَ تَسَتُّري   فَواخَيْبَتي إنْ لم أفُزْ منْهُ بالوَصْلِ
ولستُ أخافُ الموتَ في الحُبِّ إذ أمُتْ   غَراماً فقد ماتَ المُحبُّونَ من قَبْلي

[٢٨٥]

عبدُ الرَّحمن بنُ عيسىٰ بنِ أبي الحَسَنِ بنِ الحُسَيْنِ، أبو الفَرَجِ البُزوريُّ الواعِظُ(١)

كان يعظ بالجانب الغربي بجامع المنصور.

وكانت ولادته في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، وقرأ القرآن، وسمع الحديث، وقرأ شيئًا من الفقه.

وكانت وفاته يوم الإثنين لستٍ مضين من شعبان سنة أربع وستمائة، ببغداد /٢٢٠أ/ ، ودفن بمقبرة أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ.

قال أبو الحسين القطيعي: أنشدني أبو الفرج البزوري لنفسه: [من الرجز]

إذا ذَكَرْتُ ما مَضَىٰ مِنْ وَصْلِهِمْ   بينَ الرِّياض فالنَّقا فالمُنْحَنَىٰ
أهَجتُ بَلْبَالي فَفَاضَتْ أدمُعي   وأصبَحَ القَلْبُ عليْهم حَزِنا
للهِ درُّ الوَصْلِ لو عاوَدَني   بَذَلتُ نَفْسي في هَواهُ ثَمَنا

(١) ترجمته في: مرآة الزمان ٨/ق٢/ ٥٣٧. التكملة للمنذري ٢/ ١٣٧ رقم ١٠٢٨. المختصر المحتاج إليه ٢/ ٢٠٨ـ٢٠٩ رقم ٨٦٣. ذيل الروضتين ٦٢. الجامع المختصر ٩/ ٢٤٩. البداية والنهاية ١٣/ ٥٠. الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٤١ ـ ٤٣ رقم ٢٢٢. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٠١ ـ ٦١٠) ص١٤٩ ـ ١٥٠ رقم ١٨٦ وفيه: «عبد الرحمن بن عيسى بن علي بن الحسين الحنبلي». شذرات الذهب ٥/ ١٧. التاج المكلل ٢١٨.

[٢٨٦]

عبدُ الرَّحمن بنُ عبد المُحْسن بن عبد الله بنِ أحمدَ بن مُحَمَّد بن عبد القاهر بن هشَام بنَ أحمَدَ بَن مُحَمَّد بن المَظفَّر، أبوَ أحمد بن أبي القاسِم ابنِ الطُّوسيِّ، المَوْصليُّ المَوْلِد والمَنْشأ(١):

كانت ولادته علىٰ ما أخبرني من لفظه ليلة الأربعاء سادس عشر رمضان سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.

وتوفي يوم الإثنين مستهل ربيع الآخر سنة ست وعشرين وستمائة بالموصل ـ رضي الله عنه ـ.

من أبناء الخطباء، ومن بيت عريق في الخطابة أيام الجُمع، بعد أبيه بالموصل، بجامعها العتيق، وسمع الحديث على والده، وحفظ / ٢٢٠ب/ الكتاب العزيز، وقرأ شيئًا من فقه الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وهو أحسن الناس قراءة وترنُّمًا بالقرآن، وأطيبهم صوتًا، خصوصًا في المحراب.

وكان مقبول الشهادة عند الحكام، متواضعًا ورعًا، من المتدينين، حسن الخطابة والتفوة بالكلام، شاعراً عذب الشعر. ومن شعره يمدح المولىٰ المالك الرحيم بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام والمسلمين، أبا الفضائل، نصير أمير المؤمنين ـ أعزّ الله أنصاره ـ: [من الكامل]

المُلْكُ ما عُقِدتْ لَكُمْ تيجَانُه ... والمَدْحُ ما نُظِمَتْ لَكُمْ أوزانُه
والبأسُ ما شَهِدَتْ بِه لَكُمْ ظُبَا ... يَوْمِ الطِّعانِ وَسَهْمُهُ وسنانُه
والجُودُ ما هَطَلَتْ بِه أيديكُمُ الـ ... ـهَطِلاتُ لا كَفُّ الحَيَا وَبَنانُه
أنْتُم بُحورُ نَدًى وغَيرُكُمُ إذا ... وُصِفُوا وبُولِغَ فيهِمُ غُدْرانُه
عَجَبًا لِكَفٍّ لا يُبارِحُهُ نَدَى ... بَحْرٍ ولا تُطْفَىٰ وَغَىٰ نيرانُه

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ١٧٥. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٣٤٩ رقم ٥١٢.
ترجم المؤلف لوالده (عبد المحسن بن عبد الله بن أحمد) في الجزء الرابع برقم ٣٥٥.

ولمركب غاد عليه ورائح … غيثٌ ولم تُورقْ به عيدانُه
بأبي الفضائل أسعدَ اللهُ الورَى … وبراح راحته ارتوت غلمانُه
وبأيما بدر كبدر الدين أضـ … ـحى ابنُ الخطيب صقيلةً أذهانُه
/ ٢٢١أ/ يا مالكاً يكفي وليّاً جامعاً … يحوي الصفاطَ لمُصطفاهُ عيانُه
ومن الذي للجود أضحى بابه … بيتاً تُقبّلُ دائماً أركانُه
يَهَبُ الجرائمَ قُدْرةً فكأنما … ثَمَرُ الجرائم عندَهُ غُفرانُه
ما قابلتْ فُرسانُ جيش جاشَهُ … إلاّ أتتْهُ فريسةً فُرسانُه
شُكراً لرأي خليفة الله الذي … أبداً يسيحُ تعطُّفاً سيحانُه
لمّا رأى ديوانَهُ قُرَحَ الورَى … داوى بكم قُرحَ الورَى ديوانُه
ولمَنْ حباكَ إمارةَ المُلْك الذي … لولاكَ ما جَمَعَ السُّعودَ قِرانُه
ولأكَ مُلْكاً ما سواكَ ظَهيرُه … ونَصيرُهُ وقرابُه وصُوانُه
لا كانَ مُلْكٌ ما إليكَ مَرَدُّهُ … وتَسلُّطٌ ما في يَدَيْكَ عنانُه
كمْ باتَ حينَ أبيتَ إلاّ عِزّةً … عبدٌ إلى الله التَّضَرُّعُ شانُه
وانسَلَّ ذئباً عنكَ صارمُ دعْوةٍ … ممَّنْ جَفَتْ فيكَ الكَرَى أجفانُه
كَذَبتْ ظُنُونُ الحاسدينَ وطابَ منْ … ذي الغَمْر ما غمرَ النَّدى إحسانُه
وغدا المُثبَّتَ بينكم إيمانُه … مَنْ كان ثابتةً بكمْ أيمانُه

وأنشدني لنفسه في التجنيس[1]: [من مجزوء الكامل]

ما لاحَ ناظرُ مُقْلَتَيْـ … ـه لناظرٍ إلاّ وشامَه[2]
/ ٢٢١ب/ للصُّبح يُشْبِهُ والظَّلا … م إذا بَدا خَدّاً وشامَه[3]
فاقتْ محاسنُه الحسا … نَ عراقه فينا وشامَه[4]
يا لَيْتَهُ مثلي يقُو … لُ لِمَنْ إليه بنا وَشَى: مَه[5]

---

(١) الأبيات في الوافي ١٨/ ١٧٥. تأريخ الإسلام ٣٤٩.
(٢) شام البرق.
(٣) الشامة على الخدّ.
(٤) الشام، البلد المعروف.
(٥) وشى: من الوشاية، مَهْ: أكفف.

وله ما كتبه صدر كتاب تعزية: [من البسيط]

لـو كـان يَنْفَـعُ فيمـا يُجْـزَعُ الجَـزَعُ لكنـتُ أوّلَ مَـنْ بـالحُـزْنِ يَـدَّرِعُ
لله أقْضِيَـةٌ فـي الخَلْـقِ واقعَـةٌ مـا فـي خَـلاصِ امـرىءٍ مـن أمْرِهـا طَمَـعُ
النَّـاسُ كلُّهُـمُ مَـوْتـى ومـا أحَـدٌ يَبْقَـى ولكنَّهُـم مَـاضٍ ومُتَّبِـعُ
فـانظُـرْ لنَفْسِـكَ واعمَـلْ مـا تَنَـالُ بـه الـزُّلْفَـى فـذاكَ بـه فـي الحَشْـرِ يُنْتَفَـعُ
واعلَـمْ بـأنَّ ضَمـانـاتِ المُنَـى خِـدَعٌ تُلهِـي وأقطَـعُ مـا لـلأخْـدَعِ الخُـدَعُ

وقال وقد خُلِعَ علىٰ القاضي أبي منصور المظفر بن عبد القاهر الشهرزوري خلعة بيضاء: [من الرمل]

أيُّهـا المَـوْلَـى الـذي بَحْـرُ النَّـدَىٰ مِـنْ يَـدَيْـه فـي جَمِيـعِ الأرض جـاري
لـم يَغِـبْ عـن مَلِـك الأرض الَّـذي للبَـرايَـا عَـدْلُـه أمْنَـعُ جـارِ
إنَّ لـلأهْبَـةِ مِـنْ هَيْبَتِكُـمْ لا خَلَـتْ عـن دَسْتِكُـم أبهَـى شِعـارِ
/ ٢٢٢أ/ عَلِمُـوا أنَّـكَ شَمْـسٌ فـاصطَفَـوا لَـكَ دُونَ الخَلْـقِ ثَـوبـاً مِـن نَهـارِ
أبـداً تَجْـرِي سَعـاداتُكُـمْ مِـنْ سَمـاءِ المَجْـدِ فـي أعْلَـى المجـاري

وقال أيضًا: [من الطويل]

ونَـوْرُ زُهُـورٍ مثْـلُ نُـورِ زَواهِـرٍ تَبَـرّجْـنَ حُسْنـاً فـي بُـروجِ ريـاضِ
فلـم نَـدْرِ مـا أسْنَـى إذا مـا تَقَـابَـلا نُجُـومُ سَمـاءٍ أمْ نُجُـومُ أرَاضِـي

وقال أيضًا ما كتب به إلىٰ بعض الشرفاء: [من مجزوء الرمل]

أيُّهـا المَـوْلَـى الَّـذي يَمْـ ـلأُ جُـوداً كُـلَّ عَيْـنِ
والَّـذي أضْحَـى علـى كُـ ـلِّ عَنـاءٍ أيَّ عَـوْنَ
والَّـذي بيْـنَ أيـادِيْـ ـهِ وشُكْـرِي أيُّ بَـوْنَ
غَيَّـرَتْ ألـوانُ آلا ئِـكَ بـالتَّحْجيـلِ لَـوْنـي
يـا جَمـالَ الـدِّيـنِ حَسْبِـي يـا كَـريـمَ الحَسَبَيْـنِ
أيُّ دَيْـنٍ لَـكَ أقضيـ ـهِ بمَـدْحِـي أيُّ دَيْـنِ؟
لَيـسَ يُسْتَغْـرَبُ إحسـا نٌ مِـنِ ابـنِ الحَسَنَيْـنِ

[٢٨٧]

عبدُ الرَّحمن بنُ عبد الله / ٢٢٢ب/ بن رَشيد بن عليٍّ، أبو مُحَمَّد بنُ أبي الغَريبِ التَّمِيْميُّ، المعروفُ بالصَّيْقَلِ، المَوْصِليُّ مولداً ومنشأ:

كانت ولادته فيما أخبرني ليلة الجمعة، سابع ذي الحجة سنة اثنتين وستين وخمسمائة بسكَّة أبي نجيح.

وتوفي بالموصل ظهر يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، ودفن بالصحراء الكبيرة بباطن المدينة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

وكان أبوه من حلم سريا، قرية من نواحي دجيل، ورد الموصل، وسكنها، وولد أبو محمد ولَدهُ بها، وأحب الأدب والشعر من صغره، وحضر مجالس أهل العلم والفضل، وعاشر العلماء، وخالط الأدباء، وأغري بقول الشعر، وحَفظَ آلته، وبرز فيه على نظرائه، وسلك قديماً في ابتدائه مسلك الشعراء المتقدمين، واستعمال اللفظ الحوشي في أشعاره، فأعرض عن ذلك، ونهج طريقة المولدين في الرقة والسهولة، وحذا حذو شعراء بلده الخالديين[١]، والسري الرفاء[٢]. وغيرهم، وهو واسع الحفظ لأشعار / ٢٢٣أ/ العرب والمحدثين، ويحفظ في كل فن عجيب من فنون الشعر يهذّه هذّاً، وكأنه يقرأه من وراء كفه، وهو حسن الاستخراج لمعاني الشعر، لا يصعب عليه شيء منها، من أحسن الناس، إنشاداً، وأعذبهم ألفاظاً وإيراداً، وكثيراً ما يذاكر بشعر

---

(١) الخالديان: سعيد بن هاشم، ومحمد بن هاشم، شاعران، أديبان، موصليان، معروفان، لهما نظم مشترك، ومصنفات أشهرها «الأشباه والنظائر»، توفي سعيد سنة ٣٧١هـ، ومحمد سنة ٣٨٠هـ، وأخبارهما كثيرة، لهما «ديوان شعر» جمعه وحققه د. سامي الدهان، ط بدمشق.
ترجمتهما في: فوات الوفيات ٢/ ٢٧١. فهرست ابن النديم ٢٤٠.

(٢) السري الرفاء: السري بن أحمد بن السري الكندي، أبو الحسن، شاعر، أديب، من أهل الموصل، كان في صباه يرفو ويطرّز في دكان بها فعرف بالرفّاء. توفي ببغداد سنة ٣٦٦هـ.
ترجمته في: تاريخ بغداد ٩/ ١٩٤. وفيات الأعيان ١/ ٢٠١. معاهد التنصيص ٣/ ٢٨٠. يتيمة الدهر ١/ ٤٥٠ ـ ٥٣٠. كشف الظنون ١٦١١. الأعلام ٣/ ٨١.

أبي تمام، وشعر البحتري، وشعر مسلم بن الوليد[١]، وعلىٰ خاطره جملة كثيرة من أقاويلهم، وإلىٰ غير ذلك من الأخبار والسير وأيام الناس.

ومع ذلك لم يزل حظه ناقصًا من الزمان وأهله، كتبت عنه كثيراً من قوله ورواياته.

ومما أنشدني يمدح مولانا السلطان المالك الملك الرحيم بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام، غياث المسلمين، سيد أمراء المشرق والمغرب، أتابك [أبا] الفضائل، نصير أمير المؤمنين ـ أنفذ الله أمره ـ: [من البسيط]

تِـه كيـفَ شئْـتَ علـىٰ العُشَّـاقِ يـا قَمَـرُ ... وصُـلْ فكـلُّ دَمٍ أجْـرَيْتَـهُ هَـدَرُ

يـا قـامَـةَ الغُصُـنِ الميَّـالِ كـم مَلَـلٍ ... صِلْنـي فـإنَّـكَ أنـتَ الـرُّوحُ والبَصَـرُ

أَفْـديـكَ مِـن رَشَـأٍ يَلْـويـهِ مِـنْ تَـرَفٍ ... مَـرُّ النَّسيـمِ ويُـدْمـي خَـدَّه النَّظَـرُ

/ ٢٢٣ب/ مُقَلَّـدٌ بحُسـامٍ مِـنْ لَـواحظـه ... يكـادُ منْـهُ فُـؤادُ الصَّـبِّ يَنتشـرُ

تُصْمـي لَـواحظُـه العُشَّـاقَ عـن أَمَـمٍ ... بـأَسْهُـمٍ مِـنْ لحـاظٍ مـا لَهـا وَتَـرُ

مُبَلْبَـلُ الصُّـدْغِ قـد أوْهَـىٰ قُـوَىٰ جَلَـدي ... كـأنَّمـا قَلْبُـه القـاسـي لَنـا حَجَـرُ

عَـذْبُ المَراشـفِ مُخْضَـرُّ السَّـوالـفِ رَيْـ ... ـيانُ المَعـاطـفِ فـي أجفـانـه حَـوَرُ

نَـمَّ العـذارُ بخَـدَّيْـه فـأعـرَبَ عـن ... وَجْـدي بـه وبَـرَىٰ أجفَـانـي السَّهَـرُ

كـم لَيْلَـةٍ بـتُّ أجنـي وَرْدَ وَجْنَتـه ... والعَيْـشُ لا رَنَـقٌ فيـه ولا كَـدَرُ

وبـاتَ لا تَحْتَمـي عَنِّـي مَـراشِفُـه ... أيَّـامَ غَـضٌّ شَبـابـي يـانـعٌ نَضِـرُ

يَسْعَـىٰ وفـي كَفِّـه حَمْـراءُ صـافِيَـةٌ ... علـىٰ النَّـدامـىٰ ولـي مِـنْ ريقـه سَكَـرُ

مَشْمُـولَـةٌ مِـنْ بَنـاتِ الكَـرْمِ مـا بُـرِزَتْ ... إلاَّ وَفَـاحَ علينـا نَشْـرُهـا العَطِـرُ

---

(١) مسلم بن الوليد: الأنصاري بالولاء، أبو الوليد المعروف بصريع الغواني (ت ٢٠٨هـ)، شاعر غزل، هو أول من أكثر من «البديع»، وتبعه الشعراء فيه، وهو من أهل الكوفة، نزل ببغداد، فأنشد الرشيد العباسي قوله:

«ومـا العيـش إلاّ أن تـروح مـع الصبـى ... وتغـدو صـريـع الكـأس والأعيـن النجـل»

فلقبّه بصريع الغواني، فعرف به.

ترجمته في: النجوم الزاهرة ٢/ ١٨٦. سمط اللآلي ٤٢٧. معجم الشعراء للمرزباني ٣٧٢. تاريخ بغداد ١٣/ ٩٦. شرح الحماسة للتبريزي ٣/ ٥. الشعر والشعراء ٣٣٩. الأعلام ٧/ ٢٢٣.

تخالُها وهْيَ في الكاسات يَحملُها أنَّ السُّقاةَ لِمَا في خَدِّه عَصَرُوا
يا سالبي جَنَّةً قد كنتُ مُسْتَتِراً بها فمن بَعْدها بالسُّقْم أَسْتَتِرُ
لا تَحْسبَنَّ غرامي فيكَ يا أَمَلي يَفْنَى وإنْ قَلَّ عُذَّالي وإنْ كَثُرُوا
لا والمَشاعر والبَيْت الحَرام ومَن عليه أُنزلَت الآياتُ والسُّوَرُ
وحَقِّ ما حازَ بدْرُ الدِّين من كَرَم جَمٍّ به تَخْجَلُ الأنواءُ والمَطَرُ
الباذِلِ المالَ والأعوامُ مُجْدبَةٌ لطالبي رِفْده والضَّيْغَمُ الهَصِرُ
/ ٢٢٤أ/ إذا الوُفودُ أناخُوا حَوْلَ حُجْرَته في حادث الدَّهْر يُعْطي وهْوَ مُعتَذرُ
هو المَليكُ الذي جَلَّت صَنائعُهُ بينَ البَرِيَّة والإحسانُ والسِّيَرُ
مَلْكٌ حَوَى قَصَبات السَّبْق عن كَرَم مُوف ولازالَ مَقْسُوماً لهُ الظَّفَرُ
مازَالَ يُعطي اللُّهَى في كلِّ نازلَةٍ حَلَّتْ وكان لما يُوليه يَحْتَقِرُ
هذي سِمَاتُ المعاني فيه لائحَةٌ تُثْني على فعْلَه الأَملاكُ والبَشَرُ
إذا الحُرُوبُ بَدَتْ أبطالُها وغَدَتْ نيرانُها بالمَنايا وهْيَ تَسْتَعِرُ
بكلِّ سابحَة تَدْمَى شَكائمُها وكُلِّ سابغَة كأنَّها غُدُرُ
والبيضُ مُحَمَّرَةُ الأطراف تُخْضَبُ من دَم الهَوادي وليلُ الخطْب مُعْتكِرُ
والسَّمْهَرِيَّةُ ما بينَ القَتام تُرَى كأنَّها في الدَّياجي أنْجُمٌ زُهُرُ
سَقَى ينابيعَها ماءُ الكُلَى فتَرَى هامَ العدا وهْيَ في أغصانها عُثُرُ
لا يَنْثَني عَزْمُ بدر الدِّين حيثُ سَطا على الكَتائب إلَّا وهْوَ مُنْتَصِرُ

وقال أيضًا يمدحه: [من مجزوء الكامل]

يا مَنْ غَدا بالمُلْك أحْرَى ما بالُهُم سَمَّوكَ بَدْرا؟
وعليكَ من نُور الإلَه دَلائلٌ تُوليكَ فَخْرا
ولقد أبانَ اللهُ يا رَبَّ المكارم فيكَ سِرّا
/ ٢٢٧ب/ وغَدَتْ مكارمُكَ الجسامُ على بَني الآمال تَتْرَى
سِرْ حيثُ شئْتَ فإنَّ رَبَّ العالَمينَ حَباكَ نَصْرا
واجْعَل أعاديكَ الطُّغاةَ لَدَيْكَ في الأصفاد أَسْرَى
يا كافلَ الأيتام عن آبائهم جُوزيتَ أجْرا
يا مَنْ غَدا وكأنَّ فَوقَ جَواده لَيْثاً وبَحْرا

يَـــا مَـــنْ صنـــائعُـــه سَـــرَتْ بيـــنَ الـــوَرَىٰ ســـرّاً وجَهْـــرا
كـــم يطمَعُـــونَ عَـــداكَ فـــي أنْ يُـــدْرِكُـــوا مَسْعـــاكَ قَهْـــرا
وَيخيـــبُ سَعْيُهُـــمُ فمـــا نـــالُـــوا بـــه دُنْيـــا وأُخْـــرىٰ
رامُـــوا مَسـاعيـــكَ التـــي قـــد هَجَّنت فـــي العَـــدْلِ كِسْـــرىٰ
وتـــأمَّلُـــوكَ فَصـــادَفُـــو كَ لَـــدَىٰ الـــوَغـــىٰ لَيْثـــاً هِـــزَبْـــرا
يـــا مَـــنْ إذا أكْـــدىٰ السَّحَـــا بُ وكـــانَـــت الأعْـــوامُ غُبْـــرَا
تَهْمـــي أنـــامِلُـــه الجسـا مُ علـــىٰ بَنـــي الآمـــالِ نَهْـــرا
وإذَا المَنَـــايَـــا أوقَـــدَتْ نيـــرانَهـــا لَهَبـــاً وَجَمْـــرا
وغَـــدَتْ مُتُـــونُ البيـــضِ فيْـ ـهـــا مـــنْ دَمِ الأبطـــالِ حُمْـــرا
/ ٢٢٥أ/ والخَيْـــلُ تَعْثُـــرُ فـــي القَنَـــا الـ ـخَطِّـــيِّ والأبطـــالُ حَسْـــرىٰ
تَسْعَـــىٰ بكُـــلِّ مُـــدَجَّـــجٍ بـــالحَـــرْبِ مَشغُـــوفـــاً ومُغْـــرىٰ
فَعَـــزيمَـــةُ المـــاضـــي لَـــدَىٰ أعـــدائـــه أمْضَـــىٰ وأبـــرا
أأبـــا الفضـــائـــلِ دُمْ إلـــىٰ كـــم تُـــوَسِـــعُ الجـــانيـــنَ عُـــذْرا ؟
وإلـــىٰ مَتَـــىٰ تُغْنـــي الـــزَّمـــا نَ علـــىٰ المَـــدىٰ صِلَـــةً وَبِـــرّاً ؟
قُـــمْ بـــاكـــرِ اللَّـــذَّاتِ فـــالـ أيَّـــامُ مـــا تَعصيـــكَ أمْـــرا
واشْـــرَبْ معتَّقَـــةً كَـــأ نَّ بكـــأسِهـــا ذَهَبـــاً وَدُرّا
حَمْـــراءَ قَـــد صـــاغَ المِـــزَا جُ لِـــرأسِهـــا عِقْـــداً وَشَـــذْرا
أوَمـــا تَـــرَىٰ وَجْـــهَ الـــرَّبيـ ـعِ الطَّلْـــقِ يكســـو الأرْضَ زَهْـــرا ؟

وأنشدني لنفسه يمدح الوزير الصاحب شرف الدين أبا البركات المبارك بن أحمد بن المبارك المستوفي، بإربل ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من الخفيف]

قُـــلْ لِمَـــنْ لامَ فـــي هَـــواهُ وفَنَّـــد وَغَـــرامـــي بـــه غـــرامٌ مُجَـــدَّد
كيـــفَ يُصْغـــي إلـــىٰ المَـــلامَـــةِ صَـــبٌّ مُسْتَهـــامٌ بـــادي الصَّبـــابـــةِ مُكْمَـــدْ
/ ٢٢٥ب/ كَلَّمـا شـامَ بـارقـاً يـومَ حَزْوَىٰ شـــاقَـــهُ بـــالبُـــراقِ رَسْـــمٌ ومَعْهَـــدْ
بـــاتَ يَسْتَنْجِـــدُ الـــدُّمـــوعَ علـــىٰ رَسْـ ـمٍ مُحيـــلٍ بـــالـــرَّقْمَتيْـــنِ تَـــأَبَّـــدْ
واقفـــاً فـــي معـــالـــمٍ طـــالَ مـــا غـــا زَلَ فيهـــا لَـــدَىٰ المعـــاطِـــفِ أغْيَـــدْ
شَـــادِنـــاً كلَّمَـــا تَبَسَّـــمَ أبـــدىٰ مِـــن ثنـــايـــا فيـــه جُمَـــانـــاً مُنَضَّـــدْ

كَقَضِيبِ الأراكِ قَدّاً إذا ما ... هَزَّ أعطافَه الصبا وتأوَّدْ
بابليِّ اللّحاظِ سَلَّ على العُشّـ ... ـاق من مُقْلَتَيْهِ سيفاً مهنَّدْ
تَمَّ عُذري في حُبِّه حين خَطَّ الـ ... ـمسْكُ في خَدِّهِ عذاراً مُقَيَّدْ
كم سقاني من ريقه وثنايا ... هُ على الحالَتَيْن قَهْوَةَ صَرْخَدْ
من مُدامٍ إذا سقاها النّدامى ... خلتها من خدّيه يُجنى زَبَرْجَدْ
في زمانٍ صفا ورقَّ فأضحى ... وهْوَ غَضٌّ يَحْكي خِلالَ ابن أحمدْ
الجوادِ الّذي إذا جادَ غيثٌ ... وهْوَ لَيْثٌ إذا سَطا وتَهَدَّدْ
والوزيرِ الأريبِ والفاضلِ النّدْ ... بِ المرجَّى والأريحيِّ المُمَجَّدْ
كلّما أخْلَفَ السّحابُ وأكدى ... أمْطرتْ كفُّهُ لُجَيْناً وعَسْجَدْ
جادَ حتّى خلْنا ندى راحتَيْه ... من مَسيلِ الأَتيِّ أندى وأجْوَدْ
كُتْبُهُ تَفْتَحُ الحُصونَ العوالي ... وهْيَ للمُلْتَجينَ حصْنٌ مُشَيَّدْ
/ ٢٢٦أ/ والّذي في يراعه للمُوالي ... والمُعادي جُودٌ وعَيْشٌ منكَّدْ
هُوَ في كفِّه وبينَ يدَيْه ... للبَرايا من بأسه تَتَوَقَّدْ
أيُّها السَّيِّدُ الّذي لأياديـ ... ـه على النّاس مِنَّةٌ ليس تُجْحَدْ
أنتَ أخجلْتني بجُودك حتّى ... صارَ شُكري عليكَ وقفاً مُؤَبَّدْ
وبألفاظكَ اهتَدَيتُ فأهْدَيْـ ... ـتُ إلى ظلِّكَ المديحَ المُردَّدْ
من قوافٍ كأنّها حين تُنْشَدْ ... يتغنّى بها الغَريضُ ومَعْبَدْ
فابقَ واسلَمْ على الزّمانِ وما نا ... حَ على غُصْنه الحَمامُ وغَرَّدْ

وقال فيه أيضاً يمدحه: [من الكامل]

حُيِّيتِ من دمَنٍ ومن عَرَصاتِ ... بالأبْرَقَيْنِ مُحيلةَ الآياتِ
وسَقى معالمَكِ الحَيا وغَدَتْ بعَرْ ... صَتِكِ الرِّياحُ عَليلةَ النَّفَحاتِ
فلكَمْ قَضَيْتُ بكِ اللُّبانَةَ لاهياً ... بأوانسٍ مثلِ الدُّمى خَفِراتِ

ومنها يقول:

لاحَظْتُه والكأسُ في يَدِه وقد ... لَعِبَتْ بمشْيَتِه يَدُ النَّشَواتِ
في لَيْلَةٍ جُمِعَ النَّعيمُ بها وما ... أذِنَتْ كَواكِبُ أُفْقِها بشَتاتِ
فكأنّما الجَوزاءُ فيها قَيْنَةٌ ... باتَتْ تُساعِدُنا على اللّذّاتِ

/ ٢٢٦ب/ والبدرُ في كَبدِ السَّماءِ كأنَّهُ ... في حُسْنِ طَلْعَتِهِ أبو البَرَكاتِ

وأنشدني لنفسه أيضًا: [من الكامل]

دارَ السَّلام فَقُلْ هُديتَ سَلامُ ... فيها لمُرْتادِ النَّدى إنعامُ
ومَواقفٌ نَبَويَّةٌ قُرَشيَّةٌ ... في ظلِّها التَّبْجيلُ والإعْظامُ
وَمَكارمٌ ومَحامدٌ ورزانَةٌ ... منْها تَعلَّمَ يَذْبُلُ وشَمامُ
فإذا وَصَلتَ قِبابَ خَيْرِ خَليفَةٍ ... شَرُفَتْ بهِ الأخوالُ والأعمامُ
قَبِّلْ تَرَى عَزَماتِهِ وحِياضَهُ ... فُرُعًا بها للمُقْتَفينَ مَرامُ
هُوَ حُجَّةُ اللهِ الَّتي نَزَلَتْ على ... أبياتِهِ الآياتُ والأحكامُ
ومَلاذُ كُلِّ مُؤمِّلٍ يُثْني على ... إحسانِهِ ونَوالِهِ الأيتامُ
وهُوَ الصِّراطُ المستَقيمُ فَمَنْ هَوَى ... عَما يَرُومُ هَوتْ بهِ الأيَّامُ
وسَماحُهُ أحيا الأنامَ وجُودُهُ ... رَوَّى مُتُونَ الأرْضِ وهيَ حَرامُ
أقْنَى الإمامُ مكارمًا ومَحامداً ... ما تَنْقَضي أو تَنْقَضي الأيَّامُ
مَلأَ البِلادَ رَفائداً وكتائبًا ... بهما العِراقُ مُزَلْزَلٌ والشَّامُ
وعليهِ مِنْ نُورِ النَّبيِّ دَلائلٌ ... ما تَنْطَفي أنوارُها وَوِسامُ
فإذا سَطا أو صالَ يومَ كريهَةٍ ... خَرِسَ القَضاءُ وَدَقَّتِ الأقلامُ
/ ٢٢٧أ/ فَخْراً بني العبَّاسِ إنَّكُمُ على ... رَغْمِ العِدا الخُلَفاءُ والحُكَّامُ
وأبوكُمُ أسقَى الحَجيجَ على الظَّما ... وَبِهِ استُهِلَّ على البلادِ غَمامُ
مَنَعَتْ حِمَى البَيْتِ الحَرامِ سُيُوفُكُمْ ... وحِماكُمُ في اللهِ ليسَ يُرامُ
أعْزَزْتُمُ الدِّينَ الحَنيفَ وقُمْتُمُ ... في نَصْرِهِ والعالَمُونَ نِيامُ
يا أبنَ الخَلائفِ والَّذينَ بهَدْيهِم ... عُرِفَ الهُدَى وَتَمَهَّدَ الإسلامُ
هذا حُسامُكَ مِثْلُ عَزْمِكَ مُرْهَفٌ ... تُفْرَى الخُطُوبُ بهِ وهُنَّ جِسامُ
فاستَبْقِ للمَهْديِّ منْهُ مَضارِبًا ... فَلأنْتَ زَنْدٌ للهُدَى وإمامُ
فَتُكا أميرَ المُؤمنينَ بهِ على ... أعْدائكُمْ ولِباسُكَ الإقدامُ
وإذا الحُرُوبُ تَوَقَّدَتْ أنفاسُها ... وَعَلا بها بينَ الكُماةِ ضِرامُ
والخَيْلُ تَعْثُرُ بالصَّوارمِ والقَنا ... ولها بأعلى الخافقَيْنِ قَتامُ
يَسْعَى بكلِّ مُدَجَّجٍ يُفْني الوَغَى ... فَحْلِ البَوارِقِ والصُّفُوفُ قِيامُ

قابَلْتَها بعزيمةٍ قُرَشيَّةٍ ... للنّاكثينَ بها رَدًى وحِمامُ
إنّي أتيتُكَ والحَوادِثُ جَمَّةٌ ... عندي ومَنْ يأتيكَ كيفَ يُضامُ؟
مُسْتَنْصِراً بخَليفَةٍ مُسْتَنْصِرٍ ... باللهِ ليسَ لَنَصْرِهِ إحجامُ

وأنشدني أيضًا من قصيدة أوّلها: [من المديد]

/ ٢٢٧ب/ ما على الحادينَ لو وَقَفوا ... ساعَةً بالرَّكْبِ أوْ عَطَفوا
فَعَسَى يَشْفي بَلابِلَهُ ... مُسْتَهامٌ مُغْرَمٌ دَنِفُ
فلهُ في الرَّكْبِ مُعْتَدِلٌ ... قَدُّهُ قد زانَهُ الهَيَفُ
وقَضيبٌ فوقَ قامَتِهِ ... بدرُ تمٍّ ليسَ يَنْخَسِفُ
راشَ مِنْ ألحاظِ مُقْلَتِهِ ... أسْهُماً قَلْبي لها هَدَفُ
وغَدا يَفْتَرُّ عن بَرَدٍ ... طابَ رَشْفاً حينَ يُرْتَشَفُ
قُلْتُ لمَّا راحَ يُنْهِلُني ... راحَهُ واللَّيْلُ مُعْتَكِفُ
أسَنَى بَرْقٍ يُديرُ لنا ... أمْ تَبَدَّى في الدُّجَى الشَّرَفُ

وقال فيه أيضًا يمدحه: [من الطويل]

لَكَ الخَيْرُ يا ابنَ السَّابقينَ إلى العُلا ... وخَيْرَ فَتًى سارَتْ إليهِ الركائبُ
ومَنْ بنَدَى كَفَّيْهِ إنْ أخْلَفَ الحَيا ... مَصَائرُنا لَوْ أعْوَزَتْنا المَطالِبُ
تَعَلَّمَتِ الأنواءُ منكَ فأسْبَلَتْ ... على النَّاسِ حتَّى ما تُرامُ المَذاهِبُ
فَجُودُكَ يُحْيي العَالَمينَ وهذه ... تُجاذِبُها هامُ الرُّبَى والمَذانِبُ
لَشَتَّانَ ما بينَ النَّوالَيْنِ فالحَيا ... يَجُودُ وأحياناً يُرَى وهْوَ ناضِبُ
/ ٢٢٨أ/ وأنتَ على برِّ الزَّمانِ مُواصِلٌ ... عُفاتَكَ بالنُّعْمَى وَجُودُكَ ساكِبُ
أتاكَ بَنُو الآمالِ حَسْرَى لَواغِباً ... فَعَمَّتْهُمُ مِنْ راحَتَيْكَ المَواهِبُ
(فعاجُوا فأثنَوا بالّذي أنتَ أهلُهُ ... ولَو سَكَتُوا أثْنَتْ عليكَ الحَقائبُ)(١)
فلا زالَ مَغْناكَ المَلاذَ لمن أتى ... إلى ساحَتَيْهِ وَهْوَ في الجودِ راغِبُ
فَزَوِّدْهُ عَبْداً ما يَزالُ ثَناؤُهُ ... عليكَ مُقيماً وهْوَ حَقٌّ وواجِبُ

(١) البيت لنصيب بن رباح، انظر: مجموع شعره ص٥٩.

وأنشدني لنفسه يعاتب النقيب جمال الدين أبا طالب المعمر بن أحمد بن زيد بن محمد بن عبيد الله الحسيني الموصلي، وهو يومئذ يتولّى نقابة العلويين بالموصل:

[من الوافر]

إذا نَــزَلَــتْ جَسيمَــاتُ الخُطــوب ... بنــا فَــزَوالُهــا بيَــد النَّقيــب
كَــريــمٌ مــا يُمــاثلُــه كَــريــمٌ ... جَــوادٌ مــا يُقــاسُ إلــى قَــريــب
نــؤمِّــلُ منْــهُ بَحْــراً فــاضَ حَتَّــى ... طغــا بَيْــنَ السُّهــولِ إلــى السُّهُــوب
شَمــائلُــهُ شَمــائــلُ حَيْــدَريٍّ ... نَمــا مــنْ ذَلــكَ البَطَــلِ الحَّبيــب
ألا يــا ابــنَ الأكــارمِ مــنْ قُــرَيــش ... ويــا مَــنْ شَعْبُــه خَيْــرُ الشُّعُــوب
أراكَ غَفَلْــتَ عــن عَبْــد مَــريــض ... سَــلامَتُــه مــنَ العَجَــب العَجيــب
/ ٢٢٨ب/ تَمُــتُّ إليــكَ بــالأدَب المصَفَّــى ... مَــدائحــهُ وبــالعَهْــد القَــريــب
علــى أنَّ الأديــبَ إذا لَحَتْــهُ ... يَــدُ الأيَّــام بــالجَــدِّ الخَشيــب
وحَــلَّ بــه عَظيمــاتُ الــرَّزايــا ... جَفــاهُ الأقــربُــونَ بغَيْــر حُــوب
وكيــفَ أخــافُ مــن غَيَــر اللَّيــالــي ... وَجُــودُ يَــدَيْــكَ فــي الــدُّنيــا نَصيبــي

وكتب إليه أيضًا، يمدحه ويعاتبه: [من المجتث]

يــا قــامَــةَ القَضيــب ... يــا نُــزْهَــةَ القُلُــوب
فــي القَلْــب منْــكَ داءٌ ... أعْيــا علــى الطَّبيــب
ومَــنْ إذا تَثَنَّــى ... بقَــدِّه الــرَّطيــب
أيــا ابــنَ بَــدْر تــمٍّ ... مُــوفٍ علــى كَثيــب
رقَّ لمُسْتَهــام ... مُتَيَّــم كَئيــب
إلَيْــكَ يــا مُنــاهُ ... يَشْكُــو جَــوَى الــوَجيــب
فَفــي حَشَــاهُ نــارٌ ... مُضْــرَمَــةُ اللَّهيــب
عَلَّلْــهُ بــالتَّــلاقــي ... فــي غَفْلَــة الــرَّقيــب
ألا ومَــنْ يَــراهُ ... يَشْكُــو إلــى النَّقيــب
/ ٢٢٩أ/ الطَّــاهــر السَّجــايــا ... والفــاضــل اللَّبيــب
فطــالَمــا تَــردَّى ... بجُــوده الخَصيــب
وجَــرَّ ذَيْــلَ لَهْــو ... فــي ظلِّــه الــرَّحيــب

وسَلَّ سَيْفَ عَزْمٍ — مِنْ بأسه الصَّليبِ
فَهْوَ لِمُرْتَجيهِ — مُفَرِّجُ الكُروبِ
آراؤُه المَواضي — تَفْري شَبَا الخُطُوبِ
وجُودُ راحَتَيْهِ — في عامنا الجَديبِ
طَغَا ففاضَ بينَ الـ — ـسُّهُولِ والجُدُوبِ
يا ابنَ النبيّ غشْني — بآيَةِ الذُّنُوبِ
وشَى إليكَ واشٍ — يا ابنَ أبي الغَريبِ
حتَّى رَفَضْتَ عَمْداً — لصَيْقَلٍ أديبِ
ألولاهُ فيكُمْ — يُجْفَى بغَيْرِ حُوبِ ؟
أمْ حالَتِ اللَّيالي — بعَهْده القَريبِ
عَلَّلْتَهُ بخَطٍّ — كَبارقِ الجَنُوبِ
فَعادَ عن قَريبٍ — مُمَنَّعَ الشُّؤْبُوبِ
/ ٢٢٩ب/ فاسلَمْ مَعَ اللَّيالي — فَرْداً بلا ضَريبِ

وقال أيضًا يمدحه، ويصف الروض: [من مجزوء الرجز]

رَقَّ نَسيمُ السَّحَرِ — وطابَ نَشْرُ الزَّهَرِ
واكتَسَتِ الأرْضُ بنَوْ — رِ حَلْيِها المُنَوَّرِ
فانْظُرْ إلى ما صَنَعَتْ — بالرَّوْضِ أيدي المَطَرِ
قَدْ دَبَّجَتْهُ فَغَدا — في حُلَلٍ مِنْ عَبْقَرِ
أمَا تَرَى الجوَّ غَدا — في مُطْرَفٍ مُعَنْبَرِ ؟
يَبْكي فَتَفْتَرُّ الرُّبى — عن أبيَضٍ وأصْفَرِ
فَقُمْ بنا نَشْرُبُها — على حَنينِ المِزْهَرِ
وانتَهِزِ الفُرْصَةَ مِنْ — قَبْلِ فَواتِ العُمُرِ
مِنْ كَفِّ ساجي المُقْلَتَيْـ — ـنِ كالغَزالِ الأحْوَرِ
يُميلُهُ الدَّلُّ إذا — ماسَ كَغُصْنٍ نَضِرِ
لَمْ أنْسَهُ وراحُهُ — في كأسِهِ المُصَوَّرِ
في لَيْلَةٍ بِتُّ بها — ونَجْمُها لَمْ يَغُرِ

يُنْهِلُنــــي مــــن ريقــــه بــــرْدَ رُضــــاب خَصــــر
/ ٢٣٠أ/ يَقُــولُ إذْ مــالَ بــه الـ ـــدَّلُ وجُـــودُ السَّكَـــر
واللَّيْــلُ قــد قــابَلَــهُ ضَــوْءُ الصَّبــاحِ المُسْفِـر
أمَــا تَــرىٰ الصُّبْــحَ بَــدا كَطَلْعَــةِ المُعَمَّــر ؟
الهــاشمــيِّ الأحْمَــد يِّ الفــاطمــيِّ الحَيْــدَري
هُــبَّ إلَــىٰ مَــديحــه فَهْــوَ جَمــالُ السِّيَــر

وأنشدني لنفسه يمدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ:

[من الوافر]

نَــديمــي هُــبَّ مــن سنَــة المَنــام ويــاكــرْ صُبْــحَ يــومــكَ بــالمُــدام
فقــد هُــزمَــتْ جُيُــوشُ الصُّبْــح لَمَّــا تــراءَىٰ مَشــرقــاً جَيْــشُ الظَّــلاَم
وقــد رَقَّ النَّسيــمُ وقــد تَبَــدَّىٰ عَبيــرُ الــزهْــر مَفْضُــوضَ الختــام
وقــد خَلَــعَ الــرَّبيــعُ علــىٰ رُبُــوعِ الـ ـحَمَــىٰ وعلــىٰ الــرُّبَــىٰ خلَــعَ الغَمــام
يُبــاكــرُهــا النَّــدىٰ غَلَســاً فَتُضحــي عُقُــودُ الــدُّرِّ واهيَــةَ النِّظــام
ألَــمَّ [بهــا غيــثُ] السَّمــا ءِ مُعَنْبَــرَ الأطــراف هــامــي
إذا ابتَسَمَــتْ ثُغُــورُ الــزَّهــر فيــه بَكَــتْ بغَــزيــر أدْمُعــه السِّجــام
وَقــد أضْحَــتْ غُصُــونُ الــدَّوْح فيــه نَشــاوىٰ مــنْ أغــاريــد الحَمــام
/ ٢٣٠ب/ وصَفَّقَت المُدامَةُ في القَناني علــىٰ صَخَــب الأغــانــي والــزنــامــي
فَبــاكــرْ فُــرْصَــةَ الأيّــام إنَّ الـ ـــزَّمــانَ هبــاتُــه هبــةُ اللِّئــام
وخُــذْهــا مــن يَــدَي رَشــأ غَــريــر عَليــل اللَّحْــظ مَمْشُــوق القَــوام
أقُــولُ وقَــد غَــدا يَسْعَــىٰ علينــا بهــا فــي الكــأس مــنْ نَسْــج الفــدام[1]
أنــارٌ فــي الكُــؤوس تُــديــرُ أمْ قــد تَبَــدَّىٰ فــي الــدُّجَــىٰ نُــورُ الإمــام؟[2]

وأنشدني أيضًا لنفسه يمدح الملك الأشرف مظفر الدين موسىٰ بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ـ رحمه الله ـ: [من الكامل]

(١) الفدام: المصفاة.
(٢) لعل بعد هذا البيت سقط، حيث لم يرد المدح كما أشار في صدر القصيدة.

دَعْ ذُكْـرَ زَيْنَبَ والمحَلِّ الصَّفْصَفِ ... وَتَوَلَّ عن وَصْفِ المُدامِ القَرْقَفِ
ودَعِ النَّسيبَ وخَلِّ أبكارَ الدُّمى ... وصفاتهنَّ لكلِّ صَبٍّ مُدْنَفِ
واثْنِ العنانَ عن الحسانِ مُجانباً ... وَصْفاً لكلِّ مُرَنَّحٍ ومُهَفْهَفِ
قَوِّضْ رِكابَكَ طالباً نَيْلَ العُلا ... فالذُّلُّ للمُتقاعسِ المُتَخَلِّفِ
فالعِزُّ بين أسنَّةٍ وأعنَّةٍ ... لا بين لَثْمِ مُقَرْطَقٍ ومُشَنَّفِ
واعلَمْ بأنَّ ذُرَى المكارمِ لا تُرى ... مَبْنيَّةً إلاّ بمدحِ الأشْرَفِ
/ ٢٣١أ/ مَلِكٌ إذا عايَنْتَه في دَسْتِهِ ... أو سَرْجِهِ لعَدُوِّهِ والمُعْتَفي
عايَنْتَ لَيْثَ وَغىً وبدرَ دُجُنَّةٍ ... ذا لَمْ يَذُلَّ سَطاً وذا لَمْ يُخْسَفِ
يَجْفُو لذيذَ الزادِ من عِزِّ التُّقَى ... والمالَ من عِزِّ القَنا والمَشْرَفي

ومنها قوله:

لكنْ ذئابُ البَرِّ واثقةٌ به ... وتخافُ في إكرامها أنْ لا يَفي
وتَرَى طُيُورَ الجوِّ عاكفةً على ... مَغْزاهُ بين مُحَلِّقٍ ومُرَفْرِفِ
ثقةً به في كلِّ يومِ كريهةٍ ... والخَيْلُ تَعْثُرُ بالقَنا المُتَقَصِّفِ
ألاّ تعودَ بغَيْرِ شبْعٍ من قِرَى ... أسيافُ مالكها المَليكِ المُسْعِفِ
يا أيُّها المَلِكُ الرَّؤوفُ ومَنْ بما ... يُوليه من بعضِ المكارمِ نكْتَفي
يا بدرُ بل يا بحرُ بل يا لَيْثُ بل ... يا غَيْثُ زدتَ على الغُيوثِ الوُكَّفِ
إنِّي أتيتُكَ والحوادثُ جَمَّةٌ ... حولي ورَيْبُ الدَّهْرِ منِّي مُشْتَفي
ويدُ الزَّمانِ تَنُوشُني بمخالبٍ ... هاضَتْ جَناحَ مذاهبي وتَصَرُّفي
فرَضيتُ من زَمَني بما أوْلَيْتَني ... إذ كان في لُقْياكَ غيرَ مُسَوِّفي
فَخْراً بني أيُّوبَ بالمَلِكِ الَّذي ... أحْيا لكُم في العَدْلِ سيرةَ يُوسُفِ
إنْ كان يا مُوسى سَميُّكَ أبْهَرَتْ ... آياتُهُ بعَصاهُ عند تَلَقُّفِ
/ ٢٣١ب/ فَيَمينُكَ البَيْضاءُ صيغَتْ للنَّدَى ... والبأسِ يومَ تَخَوُّفٍ وتَعَطُّفِ

وأنشدني لنفسه من قصيدة أولها: [من المديد]

باكِرِ اللَّذاتِ مُصْطَبِحا ... واعْصِ مَنْ في تَرْكِها نَصَحا
فلقدْ رَقَّ النَّسيمُ على ... مَرِّهِ والدِّيكُ قد صَدَحا
والدُّجَى ولَّتْ عساكرُهُ ... هَرَباً من بعد ما جَنَحا

وَتَخالُ الصُّبْحَ حينَ بَدا ... راهباً بالمسح مُتَّشحا
وغُصونُ الدَّوْحِ مائلَةٌ ... في نَواحي رَوْضها مَرَحا
كلَّما طلَّتْ خَمائلُها ... مالَ سُكْراً بانُها وصَحَا
وإذا ناحَتْ حَمائمُها ... هاجَت الأشْواقَ والبُرحَا
فاسقنيها يا نَديمُ فقد ... قَهْقَه الإبْريقُ إذ رَشَحا
واقتَبِسْ منْ نورها قَبَساً ... فَزنادُ الدَّنِّ قد قَدَحا
بنْتُ كَرْمٍ كلَّما سُكِبَتْ ... خلْتَ بَرْقاً في الدُّجَى لَمَحا
صُوِّبَتْ في كأسها فَغَدا ... نَشْرُها كالمسْك إذ نَفَحا
لم يَدَعْ فيها الزَّمانُ على ... مَرِّه منْ رُوحها شَبَحا
وإذا طافَ السُّقَاةُ بها ... خلْتَها في الكأسِ شَمْسَ ضُحَى

/ ١٢٣٢/ وأنشدني لنفسه ما كتبه إلى صديق له يلقب بالجمّال يتشوقه:

[من المتقارب]

سَلامُ شَجٍ مُدْنَفِ القَلْب بالٍ ... بَراهُ التَّفَرُّقُ بَرْيَ الخلال
يَجِنُّ إذا ما دَجَا لَيْلُهُ ... ويَرْقُبُ في النَّوم طَيْفَ الخيالَ
فما شاقَه عَذَباتُ الغُوَيرِ ... [وما بالحمى من] ذوات المطال[1]
ولا شاقَهُ شادنٌ أَهْيَفٌ ... بلين القَوام وبيض الحَجال
ولكنْ تَذَكُّرَ أيَّامَهُ ... وعَيْشاً تَقَضَّى بقُرْبِ الجَمالَ
مُعيني على نَكَبات الزَّمان ... وذُخري على النَّائبات العُضالَ
وكَنْزي وحرْزي وعزِّي إذا ... تَوالَت عليَّ صُروفُ اللَّيالي
أيا صاحبي دُونَ كلِّ الصِّحابِ ... ويا عُدَّتي في الوَرَى يا أمالي
سَقَى اللهُ دَهْراً نَعمنَا بهِ ... وَعُودُ الصِّبا خَضِلُ الغُصْن حالي
لَهَوْنا بكلِّ رَشيق القَوامِ ... وغَضِّ الصِّبَا حَسَن الاعتدال
عَليل اللِّحاظ بَديع الجَمال ... رَخيم التَّثَنِّي مَليح الدَّلالَ
إذا ما انثَنَى فَقَضيبٌ وإنْ ... أماطَ اللِّثامَ فَوَجْهُهُ الهلال

(١) عجزه في الأصل: «ولا الحمى والمطال» وما أثبتنا من د. القيسي والدليمي.

يَطُوفُ بِراحٍ حَكَىٰ نَشْرُها … نَسيمَ الخُزامىٰ وَرِيحَ الشَّمالْ
/ ٢٣٢ب/ كأنَّ بكاساتها جَذْوَةً … إذا صُوِّبَتْ من فَدامِ البُزالْ
وقد غَفَلَ الدَّهْرُ عن شَمْلِنا … وما خَطَرَ البَينُ منَّا ببالْ
فلمَّا رَمَتْنَا صُروفُ الزَّمانِ … ووَشْكُ البعادِ بسَهْمِ النِّضالْ
بَكَيتُ علىٰ ما مَضَىٰ آسفاً … وعَصْرِ الوصالِ بدَمْعٍ مُذالْ
لَكَ الخَيْرُ يا ابنَ الكرامِ الأُلَىٰ … تَسامَوا إلىٰ هَضَباتِ المَعالي
ويا مانحي غُرَرَ المُشْكلاتِ … وحُسْنَ المعاني وَدُرَّ المقالْ
أعطَّلْتِ الكُتْبُ بينَ الأنامِ … أَبِنْ لي هُدِيتَ أَمِ النِّقْسُ غالي[1]

وأنشدني أيضًا لنفسه ابتداء قصيدة: [من الوافر]

فَدَتْكَ النَّفْسُ كم هذا التَّجنِّي … لقد أسْهَرْتَ بالهجْرانِ جَفْني
وكيفَ رأيْتَ سفْكَ دَمي حَلالاً … بغَيْرِ جنايةٍ بَلَغتْكَ عَنِّي
أيا صَنَمَ المَلاحةِ فُقْتَ حُسْناً … علىٰ كُلِّ الأنامِ بكُلِّ فَنِّ
ويا غُصُنَ النَّقا المَيَّالِ أفْدي … بما مَلَكَتْ يَدي ذاكَ التَّثَنِّي
ويا قَمَرَ السَّماءِ غَدا لتَمٍّ … ويا شَمْسَ النَّهارِ ليومِ دَجْنِ
شَهَرْتَ مِنَ اللَّواحظِ مَشْرَفِيًّا … ومِنْ لِيْنِ القَوامِ قَوامَ غُصْنِ
يعنفني العَذولُ عليكَ جَهْلاً … وقَدْ كَرِهَتْ سَماعَ العَذْلِ أُذْني
/ ٢٣٣أ/ وحُبُّكَ غايَتي وسُرورُ قَلْبي … وأنتَ بمَوْضعِ العَيْنَيْنِ منِّي
سَقَىٰ لَيْلاً نَعمْتُ بجانبَيْهِ … وأنتَ إلىٰ فَمي بالكأسِ تُدْني
وقد غَفَلَتْ صُروفُ الدَّهْرِ عَنَّا … لما نَخْشاهُ مِنْ فَرَحٍ وحُزْنِ

وأنشدني لنفسه وقد حاجَّهُ شخص في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ: [من البسيط]

يا عائبًا شيعَةَ المُخْتارِ أنتَ بمَنْ … تُقْتادُ أمْ مَن بهِ في الحَشْرِ تَعْتَلِقُ ؟
زَعَمتَ أنَّ بَني الزَّهْراءِ طامسَةٌ … أنوارُهُم كيفَ يَخْفَىٰ الصُّبْحُ والفَلَقُ
هُمُ المَيامينُ إنْ عُدَّ الفَخارُ وَهُمْ … أئمَّةُ الدِّينِ إنْ فاهُوا وإنْ نَطَقُوا

---

(١) النقس: الحبر.

وأنشدني لنفسه في غلام قصد الحجّ: [من البسيط]

يا قاصدَ الحَجَرِ المُسْوَدِّ يَلْثُمُه ... ولَثْمُه للْورَىٰ يُشْفَىٰ به السَّقَمُ

مُقَلَّداً بَحُسام مِنْ لَواحظِه ... يَبْغي النِّضالَ وهذا الرّكنُ والحَرَمُ

إذا تَقَلَّدتَ وزْراً مِنْ دمائهِم ... وليسَ يُسْفَكُ فيه للأنام دَمُ

فأَيْنَ أجْرُكَ والحُجّاجُ شاخِصَةٌ ... أبصارُهُمْ فيكَ ما حَجُّوا ولا استَلَمُوا

إغمِدْ لحاظَكَ عنهم إنَّهُم حُرُمٌ ... فقد سَفَكْتَ دماءَ القَوْمِ يا صَنَمُ

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ بعض الأمراء: [من الكامل]

/ ٢٣٣ب/ قَسَمًا بربِّ اليَعْملات إلىٰ منًى ... مِنْ مُتْهِم بمَحَلِّه أو مُنْجِدِ

إنَّ الخُطُوبَ فَتَكْنَ بي فَتْكَ الظُّبَا ... بيدِ الأميرِ أخي المكارمِ أحمدِ

مَلِكٌ لهُ في كلِّ يوم كريهَةٍ ... رَأيٌ يَفُلُّ بهِ غِرارَ مُهَنَّدِ

ولَهُ إذا عُدَّ الفَخارُ مكارمٌ ... وعَزائمٌ مَقْرونَةٌ بالفَرْقَدِ

وإذا تَواتَرتِ الخُطُوبُ علىٰ الورَىٰ ... فَيَمينُه مُنْهَلَّةٌ بالعَسْجَدِ

يا أيُّها المَلِكُ الَّذي في كَفِّه ... بحرٌ لمَنْ وافاهُ عَذْبُ المَوْرِدِ

أمِنَ السَّويَّةِ أنْ أكونَ مُحَلأً ... عن مَطْلَبي ولَدَيْكَ غايةُ مقْصَدي[1]

وعليكَ متّكلي وأنتَ وَسيلَتي ... وإلَيْكَ قَصْدي يا غياثَ الوُفَّدِ

فاسمَحْ بجاهِكَ لا بَرِحْتَ علىٰ المَدَىٰ ... في كلِّ نائبَةٍ مَلاَذَ المُجْتَدي

وأنشدني لنفسه يهجو العميد أبا نصر الحنائي بالموصل، حين عمل صهريجًا ظاهر البلد بمشهد الرأس، واحتبس في تلك السنة الغيث، وتأخر مجيئه:

[من الخفيف]

يا صحابي إنْ أعوزَ الماءُ غَوْراً ... أوَرأيْتُم أيّامَنا البيضَ سُودَا

أو تَنشَّا غَيْمٌ فلا غَرْوَ إنْ أصـ ... ـبَحَ عَنّا مُوارَيًا مَطْرُودا

/ ٢٣٤أ/ كيفَ نَرجُو السَّحابَ منْ بَعْدما أضْـ ... ـحَىٰ أبُو نَصْرٍ في البرايا عَميدا

أو نُرَجِّي أنْ يُرْخِصَ الملكُ العَلاَّمُ سعْراً وفَضْلُهُ أنْ يَجُودا

---

(١) المحلأ: الممنوع المدفوع عن الورد.

حاشَ لله أن نَرَىٰ لَكَ صِهْرِيـ ـجًا تروِّي به الظَّماءَ الشَّديدا
لو رَوانا فيه من البارد السَّلْـ ـسَال أضحَىٰ مُهَلًا وعادَ صَديدا
إنَّما يَعْمُرُ المصانعَ مَنْ كا نَ جَواداً بماله مَقْصُودا
لا كَمَنْ صارَ عِرْضُهُ هَدَفًا للنْـ ـناس لم يَدَّخِرْ سماحًا وجُودا
يا أبا نَصْرِ كَمْ رأينا من النَّا س مَلِيكًا صَعْبَ المَرام عَنيدا
كانَ لا يَتَّقي الحَوادثَ إنْ را مَتْ حِماهُ ولا يَهابُ الجُنُودا
خَطِفَتْهُ يَدُ المَنيَّةِ حَتَّىٰ غادَرَتْهُ تحتَ الثَّرىٰ مَلْحُودا
ولذا أنْتَ صِرْتَ تُنْهِي لكَ الأيْـ ـامُ سَهْمًا مِنَ المنايا سَديدا

وأنشدني لنفسه يهجو المجد النشابي[١] كاتب الإنشاء بإربل في الأيام المظفرية المعظميّة: [من الرمل]

عُدْ إلىٰ النُّشَّاب يا مَجدُ فقد ضَجَّ ممَّا تَمْتطيه القَلَمُ
راحَةٌ مِن شأنِها اليُبْسُ فلو قَطَعُوها ما جَرَىٰ فيها دَمُ

/ ٢٣٤ب/ وأنشدني لنفسه فيه ايضًا: [من المتقارب]

يَصُونُ أبو المَجْدِ مِنْ لُؤمِه خَزائِنَ أسخَىٰ الوَرَىٰ كُكْبُري
ويَبْذُلُ أعراضَهُ دُونَها فعِرضٌ مُصابٌ ومالٌ بَري

وأنشدني أيضًا فيه يهجوه: [من المتقارب]

أبو المَجْدِ قالوا به أُبنَةٌ تَدُلُّ علىٰ أنَّه كاتبُ
وقالوا لَهُ مَنْزِلٌ فارِغٌ وحاجِبُه دُونَه حاجِبُ

[٢٨٨]

عبدُ الرحمن بنُ مُحَمَّد بن محمد بن عُمَرَ بنِ أبي القاسم بن بَخْمَش، أبو المظفَّر بنُ أبي سعيدٍ الواسِطيُّ المعروفُ بابنِ سُنَيْنيرة[٢]:

(١) أسعد بن إبراهيم، ترجم له المؤلف في الجزء الأول برقم ١٤٧.
(٢) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ٢٦٢ ـ ٢٦٤. وفيات الأعيان ١/ ٢١٥ ـ ٢١٦. فوات الوفيات=

شاهدته بمدينة الموصل سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وهو شيخ كبير، وسألته عن ولادته، فذكر أنه ولد بواسط سنة سبع أو تسع وأربعين وخمسمائة، وبلغني أنه توفي بواسط سنة ست وعشرين وستمائة.

وكان ينتجع الناس بأشعاره، ويطوف البلاد، وكان من عوامّ الشعراء / ٢٣٥أ/ قليل الآلة في صناعة القريض، ذا بضاعة في الأدب مزجاة، إلاَّ أنَّ له طبعًا يعينه في إنشاء الشعر لاغير.

وكان مع ذلك عنده دعاوى كثيرة، وافتخار بالنظم مفرط. قلت له يومًا في أثناء كلام، وقد جرى ذكر شعراء العراق ورقة طباعهم في الشعر، وسهولة ألفاظهم في المنظوم والمنثور ـ أتروي لأبي الغنائم بن المعلم[1] والأبله[2] شيئًا من شعرهما؟ فالتفت إليّ كالمُغْضَب الحاد المزاج وقال: من هما حتى أروي عنهما من أشعارهما، أنا أسحب ذيلي عليهما فضلاً ومزية.

وكان شيخًا شرسًا فيه حدّة مفرطة، ولم أرَ من الشعراء الذين ينتمون إلىٰ هذا الشأن أعسر منه أخلاقًا، ولا أجفىٰ في إنشاد الأشعار، له ولغيره، وربما كان يتبسط في بعض الأوقات، ويسلك سبيل المجون والمداعبة.

وكان قد أقام بمدينة إربل مدة، فقصد زيارته صدرها ووزيرها المفضال الصاحب شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد المستوفي ـ كبت الله أعاديه ـ فلم يجده في منزله، فجاء أبو المظفر منزله، وأُخبر بمجيء الصاحب / ٢٣٥ب/ إلى زيارته، فحينئذ عزم على المصير إلى خدمته، فجاء الغيث متواليًا، وكثرت الوحول في

= ١/ ٥٥٠ ـ ٥٥٢.

(١) ابن المعلم: محمد بن علي بن فارس، أبو الغنائم الهرثي، شاعر رقيق، من أهل واسط، مولده سنة ٥٠١هـ بالهرث، ووفاته فيها سنة ٥٩٢هـ.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ٢٢. النجوم الزاهرة ٦/ ١٠٢ و١٤٠. ذيل الروضتين ٩. المختصر المحتاج إليه ٩٥ ومستدركه ٢٦. مرآة الزمان ٨/ ٤٥١. الأعلام ٦/ ٢٧٩.

(٢) الأبله: محمد بن بختيار بن عبد الله البغدادي، شاعر، من أهل بغداد، كان ينعت بالأبله لقوّة ذكائه، توفي سنة ٥٧٩هـ.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٢/ ١٨. مرآة الزمان ٨/ ٣٧٩، الأعلام ٦/ ٥٠.

الطرق، فحجبته عن الذهاب إلى حضرته، فأنشأ فصلاً يشتمل على نظم ونثر، وصَدَّره بهذه الأبيات، وكتبها لي بخط يده: [من الكامل]

يـا لَحْظَـةً سَنَحَـتْ بهـا طَيْـرُ المُنَـىٰ ... وجَـرَتْ لنـا بسُعـودهـا الأفـلاكُ
عجْلِيَّـةُ الأَسْـرِ الـوَثيـق فَمـا لمَـنْ ... أَسَـرَتْ وإنْ بَـذَلَ الفَـداءَ فَكـاكُ
سَمَحَـتْ بهـا كَـفُّ اللَّيـالـي فَلْتَـةً ... وطبـاعُهـا التَّجْعيـدُ والإمسـاكُ
فكـأنَّمـا وَهمَـتْ بهـا واستَـدْرَكَـتْ ... غَلَطـاً فَـرَدَّ فَـواتَهـا الإدراكُ
ولقـد رَجَـوتُ بـأنْ تُثَنِّـي فـانثَنَـتْ ... وسَبيلُهـا التَّـوحيـدُ والإشـراكُ
فكـأنَّهـا طَيْـفٌ تَعَـرَّضَ مُعْـرِضـاً ... نُصِبَـتْ لـهُ بيَـدِ الكَـرَىٰ أشـراكُ
مـا شئـتَ فـاصنَـعْ يـا زمـانُ فـإنَّمـا ... أفتَـاكَ فينـا صَـرْفُـكَ الفَتَّـاكُ

ثمّ أورد نثراً، وعقبه بهذه الأبيات: [من الطويل]

وكـم عَـزْمَـةٍ أمْضَيتُهـا للقـائكُـمْ ... فـأصبَـحَ فيهـا للخُطُـوب فُلُـولُ
ومُهـرِيَ شَـوْقٌ سَـارَ بـي نَحْـوَ أرْضكُـمْ ... كـأنَّ أبـاهُ شَـدْقَـمٌ وجَـديـلُ
إلـىٰ أنْ بَـدا للعَيْـنِ آرامُ رامَـةٍ ... وَهَـوَّمَ حـادٍ واستَـراحَ دَليـلُ
/٢٣٦أ/ دَنَـوْتُ فحـالَ الـوَحـلُ بَيْني وبَيْنكُـمْ ... وكيـفَ احتِيـالـي والـوحـولُ تَحـولُ

وقال أيضًا: [من الكامل]

إذهَـبْ شبـاطُ فقـد أتَـىٰ آذارُ ... وصَفـا العُقـارُ وسـامَـح الخمَّـارُ
وَدعَـا لشَـاربهـا وأمَّـن إذ دَعَـا ... غـبَّ الـدُّعـاء العـودُ والمـزْمـارُ
وبَكىٰ السَّحابُ علىٰ الرِّياض فَزُخرِفَتْ ... لبُكـائهـا وتَبَسَّـمَ النُّـوارُ
وتَضَـرَّجَـتْ وَجنـاتُ وَرْد شَقيقَـه ... واصفَـرَّ مـنْ حَـذَر القطـاف بَهـارُ
وتَلَفَّعَـتْ تلْـكَ التِّـلاعُ مُـلاءَةً ... رَقَشَـتْ وَشـائـعَ وَشْيهـا الأمطـارُ
مـنْ أزرَق فـي أصفَـر ومُعَصْفَـر ... فـي أحْمَـر قـان حَكـاهُ نُضـارُ
ومُفَضَّـضٍ فـي مُـذْهَـبٍ فكـأنَّـهُ ... صُحُـفٌ لهـا مـنْ عَسْجَـد أعشـارُ
قـد زمّكَـت بـالـلاَّزَوَرْد ومَسَّهـا ... الإبـرنـجُ والـزَّنجفْـرُ والـزِّنجـارُ
نَفَحـاتُهـا داريَّـةٌ فكـأنَّهـا ... سَحَـقَ العَبيـرَ لجـوِّهـا عَطَّـارُ
وبَنَفْسَـجٌ بـادي الحَيـاء ونَـرْجـسٌ ... وَقـحٌ وَنَمَّـامٌ نَمَـىٰ وَعَـرارُ
مـنْ دُونهـا بِـرَكٌ بهـا نَيْلُـوفَـرٌ ... كَـرؤوسِ بَـطٍّ مـا لَهُـنَّ مَطـارُ

حاوَلْنَ فَلْيَ صُدورهنَّ تحرُّشًا فبكلِّ جُؤجُؤ بطّة منْقارُ
ما العيشُ إلاَّ خمْسَةٌ لا سادسٌ لهُمُ وإنْ فُطرت لها الأعمارُ
/ ٢٣٦ب/ زَمَنُ الربيعِ وَشَرْخُ أيّام الصِّبا والكأسُ والمَعْشُوقُ والدِّينارُ
فاشرَبْ مُشَعْشَعَةً إلى لألائها يُعْزَى الضِّياءُ وتُنْسَبُ الأنوارُ
جسمًا تألَّفَ من نُضار مائعِ فالماءُ من أجزائه والنَّارُ
تغشى بجوهرها البَصائرَ مثلما تَغْشَى بنُور شُعاعها الأبصارُ
مُذْ خُلِّدَتْ في الدَّنِّ لم يُكْشَفْ لها بأنامل الخَمّار قَطُّ خمارُ
بكْرٌ بخاتَمِها لَنا في شُرْبِها مَحْضُ السُّرورُ وللهُموم سَرارُ
فلَها إذا رَقَصَتْ لصَفْق مزاجها في الكأس منْ دُرَر الحُباب نثارُ
من كفِّ ريم في مَطاوي طَرْفه نَبْلٌ يُسَنُّ وصارمٌ بتَّارُ
رَيشَتْ بأهداب الجُفُون [فأعْمَلَتْ] رَشْقًا وما لقسيِّها أوتارُ
تَرْمي فتُصْمي العاشقينَ ولا لها أثَرٌ وللرامي عليه ثارُ
طَلَعَتْ لنا في ذَيْل ليل [أليل] شَمْسٌ فَلَيْلُ العاشقينَ نَهارُ
دلَّتْ محاسنُه الطَّريقَ إلى الهُدَى وتَتَبّعوا تيهَ الدَّليل فَحارُوا
كم قد أخَذتُ يَدَ السُّلُوِّ لتَوبَة منْ حُبِّه فيقُودُني الإصرارُ
غُصْنٌ على دِعْص يَضيقُ بما جَرَى منْهُ الإزارُ وتُثْمرُ الأزْرارُ
ويكادُ يَدْمَى بالغلائل جسْمُه تَرَفًا ويجرحُ خَصْرَهُ الزنَّارُ
/ ٢٣٧أ/ يا مَنْ أراقَ دَمي لغَيْر جَريمَة مَنْ قالَ إنَّ دَمَ المُحبِّ جُبارُ ؟
قَسمًا بحَقِّكَ إنَّ حَقَّكَ واجبٌ إنِّي عليكَ منَ النَّسيم أغارُ
هَبْني أسأْتُ فكُنْ لذَنْبي غافرًا إنَّ الكَريمَ مُسامحٌ غَفَّارُ

وقال غزلاً من قصيدة: [من مجزوء الكامل]

لو كَفْكَفَ الهجْرانَ قاتلُه ونَفَى القِلَى قَلَّتْ بلابلُه
شَهدَتْ بصدْقَ الحُبِّ عَبْرَتُه طَلٌّ وزكّى الطَّلَّ وابلُه
والحُبُّ أطهَرُ ما يكونُ إذا هَجَرَ المُحبُّ ولجَّ عاذلُه
أخْفَى الغَرامَ فلا جَوارِحُه شَعَرتْ بذاكَ ولا مَفاصلُه
كالسَّيْف يَصْحَبُه الحِمامُ ولم يَعْلَمْ بما حَمَلَتْ حَمائلُه

صَبٌّ رَهينٌ في صَبابتِه ... دَنِفٌ نَحيفُ الجِسْمِ ناحِلُه
يَهْوَىٰ الصِّبا ويَوَدُّ لو حُمِلَتْ ... فيها لِذي وَصَبٍ رَسائِلُه
مَطَلَ الدُّيونَ ولا ادَّعىٰ عَدَمًا ... يَسْتَوْجِبُ الإنظارَ ماطِلُه
لو قابَلَ البدرِ المُنيرَ دُجًى ... بجَمالِه استَحْيا يُقابِلُه

ومنها قوله:

/ ٢٣٧ب/ أيَحِلُّ قَتلي كم أُبحتَ حمًى ... قَلْبٍ قَطينٌ هَواكَ نازِلُه؟
حَرَمًا عَزيزَ الجارِ يُسلِمُه ... للحَيْنِ تَغْلِبُه وَوائِلُه
لولا الأُلىٰ هَجَروا وما وَصَلُوا ... ما باتَ ذا سَقَمٍ يُواصِلُه
صَدُّوا فما أُبدَتْ شَفاعَتُه ... نَفْعًا ولا قُبِلَتْ وَسائِلُه
هل وَقْفَةٌ تَشْفي رَسيسَ جوًى ... يومًا علىٰ الوادي نُسائِلُه
لو بُكائي علىٰ شَفائي لَما ... حُمَّتْ لِوارِدِه مَناهِلُه
ما الجِزْعُ ما رَمْلُ العَقيقِ وما ... بانُ اللِّوىٰ لولا مَطافِلُه
عَقَلَتْ عُقولَ العاشِقينَ به ... يومَ النَّقا أَسْرًا عَقائِلُه
من كُلِّ ذي قَدٍّ يَميدُ كَمَنْ ... سَرَتِ الشَّمولُ به تُمايِلُه
وأَغَنَّ ما نَطَقَتْ مَراسِلُه ... إلاّ وقد خَرِسَتْ خَلاخِلُه
للرَّمْلِ ما سَتَرَتْ مَآزِرُه ... والغُصْنِ ما ضَمَّتْ غَلائِلُه
قَمَرٌ يَهيجُ لي البَلابِلَ إنْ ... ماسَ عَلىٰ صُدْغٍ بَلابِلُه
أَمْسَتْ مَنازِلَهُ القُلوبُ فيا ... لله ما تَحوي مَنازِلُه

وقال يمدح الملك الظاهر غياث الدين / ٢٣٨أ/ غازي بن يوسف بن أيوب صاحب حلب، وقد امتحنه، وسأله أن يركّب من أعجاز أبيات البحتري الميمية، على صدور أبيات ينظمها، ويصف فيها القناة التي أخرجها بحلب[1]: [من الكامل]

دُونَ الصَّراةِ بَدَتْ لنا صُوَرُ الدُّمَىٰ ... لا أُدْمَ صيرانِ الصَّريمِ ولا الحَمَىٰ
غيدٌ هَزَزْنَ مِنَ القُدودِ ذَوابِلاً ... لُدْنًا ورُشْنَ مِنَ اللَّواحِظِ أَسْهُما

(١) القصيدة في الوافي ١٨/ ٢٦٣ ـ ٢٩٤. والفوات ١/ ٥٥١.

عَنَّت وكم دُونَ الحَريم أحلَّ من ... دَم عاشق عان وكان محرَّما ؟
فَنَهَبْنَ أنقاءَ الصَّريم رَوادفاً ... ووَهَبْنَ إيماضَ البُروق تبَسُّمَا
وأعَرْنَ أنفاسَ الصَّريم من الصَّبا ... أرَجاً أبَتْ أسراره أنْ تُكْتَمَا[1]
وعلىٰ أواناكم ونَىٰ يومَ النَّوى ... جَلْدُ وعَهْدُ هَوًى وَهَىٰ وتَصَرَّمَا[2]
أأمَيْمُ لولا فَرْطُ صَدِّكِ لم أهِمْ ... ظَمأً ولا أظْمأ إلىٰ رَشْف اللَّمَىٰ
ولَما وَقَفتُ بسَفْحِ سلمَىٰ مُنْشِداً ... أمَحَلَّتي سَلْمَىٰ بكاظمةَ اسْلَما
خَلَّفتني بينَ التَّجَنِّي والقِلَىٰ ... لا ممعَناً هَرَباً ولَا مُسْتَسْلما
وتَركتني أقني الزَّمانَ مُعَلِّلاً ... نَفْسي بذكر عسىٰ وسوفَ ورُبَّما
/ ٢٣٨ب/ ولكَمْ طَرقَتْكِ زائراً فَجَعلْتِ لي ... دونَ الوِسَادة والمَها والمعْصَما
وَمَنَحْتني ضَمّاً ولَثْماً لم يكُنْ ... حَوضُ العَفاف بوِرْده مُتَهَدِّما
فاليَومَ طيْفُكِ لو ألَمّ لبُخْله ... بالصَّبِّ في سِنَة الكَرَىٰ ما سَلَّما
يا سَعْدُ إنَّ حَلاوةَ العَيْش الَّتي ... قد كنتَ تَعْهَدُها استحالَتْ عَلْقَما
سرْ بي فلي في السِّرْب قَلْبٌ سارَ في ... إثْر الفَريق مُقَوِّضاً ومُخَيِّما
قَد فازَ بالقِدْح المعَلَّىٰ من أتَىٰ ... نَهْرَ المُعَلَّىٰ زائراً ومُسَلِّما
لو لم تكُنْ تلْكَ القبابُ منازلاً ... ما قابلَتْ فيها البُدُورُ الأنْجُما
يا ساكني دار السَّلام عليكُم ... منِّي التَحيَّةُ مُعْرِقاً أوْ مُشْئِما
وعلى حمَى حَلَب فإنَّ مليكَها ... ما زال صَبّاً بالمكارم مُغْرَما
قَرْمٌ تَرَىٰ في الدِّرْع منهُ لَدَى الوَغَىٰ ... ذا لُبْدَة قَرْماً وَصِلّاً أرْقَما[3]
ويَضُمُّ منه الدَّسْتُ في يومِ النَّدَى ... بحراً طَمَىٰ كَرَماً وَطَوْداً أيْهَما

ومنها في ذكر القناة:

روَّىٰ ثَرَىٰ حَلَب فَصارَتْ رَوْضَةً ... أُنُفاً وكانَتْ قَبْلَه تَشْكُو الظَّما[4]
أحْيَا رفاتَ مَواتِها فكأنَّهُ ... عيسىٰ بإذن الله أحْيَا الأعْظُما

---

(١) الأرج: طيب الرائحة.
(٢) وهى: ضعف. تصرّم: تقلع.
(٣) الصل: الحيّة.
(٤) روضة أُنُف: لم يرعها أحد.

لا غَـرْوَ إنْ أجْـرَى القَنَـاةَ جَـداولاً   ولَطالَما بقَناتِه أجرىٰ الـدِّمـا
/ ٢٣٩أ/ وبكَفِّـه لـلآمليـنَ أنـامِـلٌ   منْها العُبابُ أوِ السَّحابُ إذا هَمَىٰ

وقال يهجو الوزير ابن أبي يعلىٰ: [من السريع]

إنَّ اللَّئيـمَ ابـنَ أبـي يَسْفُـلِ   ولا أقـولُ ابـنُ أبـي يَعْلَـىٰ
رأيٌ علـىٰ ديـنِ نُصيـرٍ يَـرىٰ   أنَّ عَليّـاً ربُّـه الأعْلَـىٰ
عمـامَـةٌ مـنْ تَحْتِهـا قَـرْعَـةٌ   فـارِغَـةٌ تَحْسَبُهـا سَطْـلا
شيعتُـه مـا شَهِـدَتْ مَشْهـداً   لـم تَلْـقَ فيـه الكَـفَّ والنَّعـلا
قـد هَجَـرَ الطـاهـرُ فِعْـلَ النَّـدىٰ   بـه وعـافَ الجُـودَ والبَـذْلا
وكـانَ يَهْـواهُ قَـديمـاً فَمُـذْ   قـدَّمَـهُ علَّمـه البخـلا
مَـنْ جَعَـلَ الخطَّـافَ بـازِيَّـهُ   صـادَ لـه الـذُّبـانَ والنَّمـلا

وقال يهجو الوزير الجلالي وزير إربل: [من الخفيف]

وثَقيـلٍ علـىٰ الفُـؤاد ولا التُّخـ   ـمَـةُ وافـىٰ بثقلِهـا شَـوَّالُ
قَـرَأتْ عنـدَ ثِقْـلِ وَطْـأتِـه الأرْ   ضُ لِمَمْشـاهُ أوِّبـي يـا جبـالُ
وقَصيـرٍ ولا المُبـارَكُ فـي الهِمَّـةِ لكِـنْ لـهُ قُـرونٌ طِـوالُ
ذي دِمـاغٍ حَـوَىٰ مِـنَ الطَّيْـشِ والخِفْـ   ـفَـةِ مـا حـازَهِ الـوَزِيـرُ الجَـلالـي

/ ٢٣٩ب/ وقال يهجو الناصح يحيى بن سعيد بن الدهّان النحوي الموصلي:

[من الطويل]

يَقُـولـونَ للـدَّهَّـانِ يَحْيَـى حَليلَـةٌ   تَخَيَّـرهـا دُونَ النِّسـا مِـنْ صحـابِـه
حَصـانٌ ولكِـنْ مِثْـلُ مـا هُـوَ نـاصِـحٌ   لأصحـابِـه والغَـدْرُ تَحْـتَ إهـابِـه
إذا مـا خَـلا الشَّيْـخُ الجَليـلُ بـأمـرَدٍ   تَخَلَّـتْ بـأصحـابِ اللِّحـىٰ فـي جَـوابِـه

[٢٨٩]

عبدُ الرَّحمنِ بنُ أبي الفَضْلِ بنِ عبدِ الله، أبو مُحَمَّد الأوانيُّ[(١)]:

من أهل أوانا، وهي أشهر قرايا مدينة السلام، وهي فوقها بعشرة فراسخ، بجانبها الغربي.

رأيته بالموصل مراراً كثيراً، وكان نازلاً برباط الصوفية، وذكر لي أنه ينظم الأشعار في الغزل والنسيب، ولم ينشدني شيئًا، ثم لقيته بمدينة السلام، ووعدني أن يعلق لي جزءً من قيله، فما عدت إليه لتوان لحقني، وبعد مدّة طالعت مجموع أشعار كبير، فوجدت فيه أَقطاعًا من شعره، وهي مكتوبة بخط يده، فنقلت منها قوله:

[من المتقارب]

/ ٢٤٠أ/ أشاقَكَ إذ عَنَّ بَرْقٌ لَمُوعُ ... وأغراكَ إذ حَنَّ وُرْقٌ سَجُوعُ

وما كنتُ أحْسَبُ أنَّ الهوَىٰ ... لَهُ بذَوي الحلْم يومًا وُلُوعُ

إلىٰ أنْ رأيتُكَ في أسْرِه ... تُقَادُ وأنتَ سَميعٌ مُطيعُ

وأنتَ حَفيٌّ بِربْعٍ خَلَتْ ... مَرابعُه وَهْوَ نَاءٍ شَسُوعُ

تُسائلُ هل مُطرت أرْضُه ... وهل فيه بَعْدَ نَواهُمْ رَبيع ؟

وتَعْنو إذا الرّكبُ الفَيتَ في ... حَقائبهِمْ منهُ نَشْرٌ يَضُوعُ

ألم تَكُ ذا خلَّةٍ لا تَهي ... لخَطْبٍ فكَيفَ اعتَراكَ الخُضُوعُ ؟

وأنَّىٰ استَفَزّكَ حَتّىٰ جَزِعْـ ... ـتَ علىٰ الجزْعِ يوم استَقَلُّوا الهُلُوعُ

هُوَ الحُبُّ أسهُمُه لا تَني ... لمَوقعها تَتَشَظَّىٰ الدُّرُوعُ

فكيفَ إذا ساعَدَتْها نَوًى ... تَنُوءُ بصَبْري وَشَمْلٌ صَديعُ

وإنِّي أرَى الصَّبْرَ فيما زَعَمْتَ ... جَميلَ العَواقِبِ لو أستَطِيعُ

ونقلت أيضًا من خطّه شعرَه: [من الكامل]

وأبيكُما إنَّ الذي تَريانه ... مَغْنَىٰ الهَوَىٰ فَسَلاهُ عن سُكّانِه

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ١/ ٢١٧ نقلها عن القلائد.

إنْ تُنْكِـــراهُ فَفــــي ثَـــراهُ لطيبهـــم ... عَـــرْفٌ يَـــدُلُّكُمـــا علـــىٰ عِـــرْفـــانِـــه
/٢٤٠ب/ وأسيل خَدٍّ ما السُّلُوُّ بِمُمْكِن ... عنــــه لأنَّ القَلْــــبَ مِــــن أعــــوانِــــه
حَجَبُــوهُ يَــومَ سَــرَوا بِــأسمَــرَ مِثْلِــهِ ... لَـــدْنٍ وأبيَـــضَ سُـــلَّ مِـــن أجفـــانِـــه

وله من قطعة أولها: [من الكامل]

دَارَ الهَـوَىٰ بيـنَ الصَّـرِيـم وحـاجِـرٍ ... هـل فيـكِ مُنْتَجَـعٌ لِصـادٍ صَـادِرِ؟
عَهْـدِي بِـرَبْعِـكِ عـامِـراً ولَطـالَمـا ... عَقَلَـتْ بِـهِ لُبِّـي عَقَـائِـلُ عـامِـرِ

[٢٩٠]

عبدُ الرحمَن بنُ أبي القاسم بن غَنائمَ بن يُوسُفَ بن أحمدَ بن عبْدِ الله، أبو مُحَمَّد الكنانيُّ، المعروفُ بابنِ المسَجِّف[١]:

أصله من عَسقلان[٢]، ومولده بمصر، ونشأ بدمشق، شاعر محسن بذيء اللسان، هجّاء متهجم علىٰ الهجاء، متسلط علىٰ أعراض الكبراء من الناس، وذوي الجاه منهم، وعرف بالهجاء حتىٰ عزي إليه ما ليس له، اكتسب بالشعر ثروة واسعة، ورزق منه حظًا وافراً.

لقيته بالموصل في شهر جمادى الأولىٰ سنة أربع وعشرين وستمائة، وردها من بلاد الروم، فوجدته شابًا ذا نعمة /٢٤٠أ. م/ ظاهرة، وحسن حال، وغلمان ظراف.

ثم سافر إلى دمشق، فتوفي بها في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وستمائة، وخلف مالاً جزيلاً، نحو ثلثمائة ألف درهم، وغيرها من الأثاث والبضائع، ولم يكن له وارث، ولا تزوّج قط، وسمعت أنه كان بخيلاً ساقطًا مقتراً على نفسه. فاستنشدته من أشعاره، فأنشدني كثيراً منها، فمن ذلك قوله في ابن كساء الشاعر

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ٢٢٠ ـ ٢٢٣ رقم ٢٦٧، وفيه: «ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة». فوات الوفيات ١/ ٥٣٧ ـ ٥٤٢. المختار من تأريخ ابن الجزري ١٧١. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٤٠هـ) ص٢٤٦ ـ ٢٤٧ رقم ٣٤٤. التكملة للمنذري ٣/ ٤٩٣ رقم ٢٨٤٢. المغرب في حلى المغرب ٣٥٢. المقفى الكبير ٤/ ٥١ رقم ١٤٣٨. ديوان الإسلام ٤/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨ رقم ٢٠١٢. النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة لابن سعيد ٣٥٢. الأعلام ٣/ ٣٢٣.

(٢) عسقلان: مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر. معجم البلدان/ مادة (عسقلان).

المصري، يهجوه حين قدم الموصل، وسار عنها إلىٰ العَقْر: [من الطويل]

أرَى ابنَ كساء قد تقدَّمَ حالُه … وذلكَ بالحدباء منْ عَجَبِ الدَّهْرِ
تردَّىٰ رداءَ الجَهْلِ والنَّقْصِ فانْثَنَىٰ … تَدُرُّ لهُ الأرزاقُ مَنْ حيثُ لَا يَدْري
كذلكَ أفعالُ اللَّيالي قديمةٌ … وشيمَتُها مع كلِّ مُنْتَحِلِ الشِّعْرِ
ولو كانَ مَشْهُوراً بأدنىٰ فَضيلَةٍ … لأَصْبَحَ فيها ناقصَ الحظِّ والقَدْرِ
ولو لم يكُن يَحْكي الذُّبابَ قَذارةً … لخِسَّةِ مقْدارٍ لمَا صارَ بالعَقْرِ

وأنشدني أيضًا لنفسه فيه يهجوه: [من الوافر]

أرىٰ ابنَ كسا يُسَرِّقُ كلَّ شيْءٍ … مُجَاهَرَةً ويكْذب حيثُ كانا
/ ٢٤٠ب. م/ فلو أنَّ الزَّمانَ قَصيدُ شعْرٍ … يُصادمُنا بها سَرَقَ الزَّمانا
ولولا أنَّهُ رَجُلٌ جَبانٌ … لَساءَ الفعْلُ وانتَحَلَ القُرانا

وأنشدني لنفسه يهجو ابن عُنَين[1] الشاعر: [من السريع]

يا علَّةَ القُولَنْجِ لا تَتْرُكي … منْ صحَّةِ العالَمِ في سُقْمِه
ولا تُخَلِّي درهماً واحداً … مَنْ نَجْوِه يَخْرُجُ مِنْ سُرْمِه
حُلِّي قُواهُ واشْدُدي طَبْعَهُ … حَتىٰ تَرُوحَ الرُّوحُ مِنْ جسمِه
لِتَسْلَمَ الأعْراضُ مِنْ شَتْمِه … ويَسْتَريحَ النَّاسُ مِنْ ظُلْمِه

وأنشدني لنفسه يصف الخمر: [من الكامل]

ومُدامةٍ رَقَّت فَعَيْشُ نَديمِها … ممَّا يُكَدِّرُه الزَّمانُ مُرَوَّقُ
مُدِحَتْ علىٰ ذَمِّ الزَّمانِ لأنَّها … للشَّمْلِ تَجْمَعُ والزَّمانُ يُفَرِّقُ

وأنشدني لنفسه فيها أيضًا: [من الكامل]

ومُدامةٍ في الكأسِ يُشْرِقُ نُورُها … فَيكادُ يُغْنينا عَنِ المصْباحِ
حمراءَ تُعْقِبُ شاربيها راحَةً … فَلأَجْلِ ذَلكَ سُمِّيَتْ بالرَّاحِ
طافَ السُّقَاةُ بها علينا في الدُّجَىٰ … فَجَمَعْنَ بينَ اللَّيْلِ والإصباحِ

/ ٢٤١أ/ وأنشدني لنفسه في صديق له يلقب بالكمال، وعبد الرحمن يلقب البدر

---

(١) (محمد بن نصر بن مكارم الأنصاري الدمشقي)، ترجم له المؤلف في الجزء السادس برقم ٦٤٠.

فقال في ذلك : [من مخلَع البسيط]

يـا أبـنَ هـلال الكمـال أضْحَـىٰ ... قَـدْري وَضيعـاً وكـان عـالـي
صـاحَبْتُـه فـاكتَسَبْـتُ ذُلاً ... وكنـتُ مِـنْ قَبْـلُ ذا دَلال
والبـدرُ لا يَعْتَـريـه نَقْـصٌ ... إلا إذا لاذَ بـالكمـالَ

وقال في إنسان يعرف بكُتَيع، وله غلام اسمه شمعة، كتبها علىٰ طريق المداعبة إلىٰ صديق له : [من الكامل]

هـامَ الكُتَيْـعُ بشَمْعَـةٍ فَنَهـارُهُ ... مَـعَ لَيْلـه عـن ظَهْـره لـم يَنْـزل
فـاعجَـبْ لأسفَـلِ شَمْعَـةٍ يُطْفَـا بـه ... طـولَ الـزَّمـانِ لَهيـبُ ذاك المشْعَـلِ

وله وقد أحالوه بحوالة علىٰ إنسان يعرف بالقمر : [من الكامل]

قُـلْ للصَّفـيِّ ومَـن أنـامـلُ كَفِّـه ... تُغْنـي إذا بَخِـلَ الغَمـامُ عـن المَطَـرْ
كيـفَ السَّبيـلُ إلـىٰ الشَّعيـرِ وَدونَـهُ ... الشِّعـرىٰ وأخْـذُ حَـوالَـةٍ عنـدَ القَمَـرْ ؟

/ ٢٤١ب/ وقال يهجو : [من السريع]

وكيـلُ بَيْـت المـال قـد أصْبَحَ النَّـ ... ـجْمَ وكـمْ مِـنْ حَـوْلـه حـامَـا
فَهْـوَ لبَيْـت المَـال أهـلٌ إذا ... أسقَطْـتَ مِـنْ آخـره لامَـا
واخيْبَـةَ الآمـال فـي عَصْـرِه ... وَضَيْعَـةَ الأمـوال إنْ دَامَـا

وقال يهجو أهل الموصل : [من المتقارب]

تَجَنَّـبْ مُصـاحَبَـةَ المَـوْصلِّـي ... فـإنَّـكَ مِـنْ تَـرْكهـا تَـرْبَـحُ
فلـو قيـلَ للكَلْـبِ يـا مَـوْصلـي ... لمـا عـادَ مِـنْ بَعْـدهـا يَنْبَـحُ

وله في ابن عنين الشاعر، حين تقلد الوزارة للملك المعظم عيسىٰ ابن أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق، وفي البهاء ابن المتنبي، لما تولّىٰ دار الزكاة : [من الطويل]

أرىٰ ابـنَ عُنَيْـنِ والبهـا مُـذْ تَـوَلَّيـا ... علـىٰ النَّاس وَلَّـىٰ الخَيْـرُ عن كـلِّ مُسْلـمِ
فـوالله يـا عيسـىٰ بمـن شئـت منهمـا ... بعثـت ولـو كنـت المسيـحَ بـنَ مـريـمِ

وقال يهجو أصحاب الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن أبي بكر :

[من البسيط]

/ ٢٤٢أ/ جَمَاعَةٌ عندَ مُوسىٰ ليسَ عِنْدَهُمُ ... فَضْـلٌ ولا فيهـمُ خيْـرٌ لِمَخلـوقِ

ابـنُ المحـوّرِ والـدُّخـوارُ والفَلَـكُ الـ ـمِصْـريُّ وابـنُ جَـريـرٍ وابـنُ مَـرْزُوقِ

وقال يهجو مدينة إربل[1]: [من السريع]

إربـلُ دارُ الفسْـقِ حقّـاً فـلا يعْتَمِـدِ العـاقـلُ تَعْـزيـزَهـا
لَـو لـم تكُـن دارَ فُسـوقٍ لمـا أصْبَـحَ بَيْـتُ النَّـارِ دهْليـزَهـا

وقال فيها أيضًا: [من السريع]

إربـلُ دارُ الظُّلْـمِ لا أخْصَبَـتْ ولا أشـادَ اللهُ بُنْيـانَهـا
لَـو لـم تكُـنْ بَلْـدَةَ سـوءٍ لَمـا أصْبَـحَ بَيْـتُ النَّـارِ عُنْـوانَهـا

وقال يهجو الفصيح الشاعر: [من الخفيف]

إنْ يَشَـا رزْقُنـا الـذي نَحْـنُ فيـه عُـدمَ الظِّـلُّ عنْـدَهُ والهـواءُ
مِثْـلُ وَجْـهِ الفَصيـحِ أسْـوَدُ مَـذْمُـو مٌ قَبيـحُ الصِّفـاتِ مـا فيـه مـاءُ

وقال: [من البسيط]

رأسُ الضِّيـا بلسـان الحـال يُخْبِـرُنـا بما جَنَت كَفُّ مُحْيي الدِّين في الماضي
فـاعجَـبْ لِـرأسِ وَزيـرٍ دأبُـهُ أبـداً يَـرْوي أحـاديـثَ صَفْـعٍ عـن يَـدَي قـاضي

[٢٩١]

عبدُ الرَّحمن بنُ وثَّاب بن نَصْر الله / ٢٤٢ب/ بن وَثَّاب بن أبي المنيع زمامِ بن هبَةِ الله بنِ أحمدَ بنِ سَعيد بن أحمَد بن سَعيَد بن العبَّاسَ بنِ سَعيَدَ بنَ مَشرف بنُّ مُعاذَ بنَ مُعَارك بنِ عامرَ الصَّيهانَ بنَ كَعْبً بن عبد بنَ أبي بكرٍ بن كلابَ بنَ رَّبيعَةَ بنَ عامر بن صَعْصَعَةَ بنَ مُعاوَيةَ بن بكْر بنَ هوازنًَ بن منصور بنَ عكرَمَةَ بن خَصْفَةَ بنَ قَيسَ بنَ عيلاَنَ بن إليَاسَ بَنِ مُضَرَ بنَ نزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ، أبو القَاسَمَ البُزاعي[2]:

---

(١) البيتان في الوافي ١٨/ ٢٢٢.
(٢) ترجمته في: مجمع الآداب في معجم الألقاب ١/ ٢٢١ نقلها عن القلائد. في هامش الأصل: «وفاته سنة ست وخمسين وستمائة».

وبزاعا قرية قريبة من حلب، وهي أشهر قراها.

وجدّه سعيد بن العباس بن سعيد هو أخو أبي موسىٰ محمد بن العباس بن سعيد، كان الأمير المستولي على حلب وأعمالها في زمن أحمد بن طولون(١)، وقد امتدحه أبو عبادة البحتري بالقصيدة السينية التي أولها:

«أقام كلّ مُلِثّ الودق رجّاس»(٢)

وهي من فرائد قصائده وأشهرها، وأبو القاسم أخبرني بحلب المحروسة أنَّه ولد ببزاعا في شهور سنة ست وثمانين وخمسمائة، وسمع الحديث الكثير بحلب، ودمشق، وبيت /٢٤٣أ/ المقدس، والموصل، وحرّان، ومكة ـ حرسها الله تعالىٰ ـ والمدينة، وبغداد، من أصحاب أبي الوقت، وحفظ القرآن الكريم، ودرس فقه الإمام الشافعي علىٰ الشيخ فخر الدين بن عساكر الدمشقي، حتى أتقن معرفته دراسة وفهمًا، وقرأ الخلاف والأصول، وتولىٰ القضاء ببزاعا في سنة إحدىٰ عشرة وستمائة، وأقام بها أيامًا قلائل، ثم عزل نفسه منها، ثم قدم حلب، وتولىٰ الحسبة بظاهرها بالحاضر السليماني من سنة أربع وعشرين وستمائة، وكفّ بصره في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، ولم يعزل عنها، ثم أقام نائبًا عوضه في الحسبة، ثم رُتِّب معيد درس الإمام عماد الدين أبي المجد إسماعيل بن هبة الله بن سعيد بن باطيش الفقيه المدرس الموصلي، بالمدرسة النورية المعروفة بالعِزِّيَّة، ويختلف إليه جماعة من الفقهاء يشتغلون عليه، وهو رجل قصير، أشيب، ضرير، عالم فاضل، شاطر مناظر، له أشعار، أنشدني منها، وأنا سألته ذلك، وزعم أنَّه [قال] ذلك ارتجالاً: [من الطويل]

/٣٤٣ب/ نُدبتُ إلىٰ نَظْمِ القَرِيضِ تأسِّيًا ... بأهلِ النُّهىٰ والعلْمِ والجُودِ والفَضْلِ
فقلتُ ارتجالاً ليسَ لي رُتْبَةُ النُّهىٰ ... ولا ليَ شِعْرٌ يَجْتَنِيهِ أخو النَّقْلِ

---

(١) أبو موسى، محمد بن العباس بن سعيد الكلابي: قائد من قوّاد أحمد بن طولون، حارب بكار الصالحي من ولد عبد الملك بن صالح بنواحي حلب سنة ٢٦٨هـ ولكنه هزم. ولما هرب لؤلؤ في جمادى الأولى سنة ٢٦٩هـ من مولاه ابن طولون إلى العراق، اجتاز ببالس وبها محمد بن العباس الكلابي أبو موسى وأخوه سعيد فأسرهما، ولما ولي أبو الجيش خمارويه ولّى في حلب أبا موسى محمد بن العباس في سنة ٢٧١هـ.

(٢) وتكملته: «على ديار بعلو الشام أدراسي». انظر: ديوان البحتري ٢/ ١١٤٧.

ولكنَّنـي صـاحَبـتُ قَـوْمـًا أفـاضـلاً بهـمْ يُقْتَـدَى فـي كـلِّ عَقْـد وفـي حَـلِّ
فـأجهَـدتُ نَفْسـي فـي اقتبـاس عُلـومهـم لَعَلِّـيَ أُنجـي النَّفْسَ مـن ورْطَـة الجَهْـلِ
فمَـنْ رامَ منِّـي غَيْـرَ هـذا فـإنَّـهُ كَطـالـبِ خَفْـضِ العَيْشِ في زَمَنِ المَحْـلِ

[٢٩٢]

عبدُ الرَّحمن بنُ أبي بَكْر بن يوسُفَ بنِ بَختيارَ، أبو سُلَيمان البَلْخيُّ والداً، الكَرخينيُّ مَولداً ومنشأً:

اعتنىٰ بعلم الحديث وسماعه، فتوجه إلى مدينة السلام سنة أربع عشرة وستمائة، فسمع علىٰ مشايخها كثيراً، وحصل منه جملَة، وكان متعلقًا بخدمة بعض أمراء إربل، فارتحل أستاذه إلى مرت من ولاية إربل، وهو في صحبته، فبقي بها مدة إلى شوال سنة إحدى وعشرين وستمائة. فحين جاء التتر ـ خذلهم الله تعالىٰ ـ بنواحي إربل، فقتلوا خلقًا عظيمًا، وسَبَوا، فاستشهد في جملة من كان / ٢٤٤أ/ في ذلك الوقت، وذلك في التاريخ المذكور ـ رحمه الله تعالىٰ ـ

أنشدني لنفسه بإربل من قصيدة أولها: [من الكامل]

بَـرِحَ الخَفـاءُ وَبـانَ صَبْـرُ الـوَالـه فـإلـى مَ قَلْبُـكَ لا يَـرِقُّ لحـالـه ؟
حَمَّلْتَـه عِـبءَ الغَـرام وجُـرتَ فـي شَـرْعِ الهَـوَىٰ وعَـدَلـتَ عَـن آمَـالـه
يـا أيُّهـا الـرَّشَـأُ الـرَّشيـقُ ومَـنْ بـه عَـذُبَ العَـذابُ وطـابَ مُـرُّ دَلالـه
عِـدْ بـالـوصـال وَعَـدِّ عَـن هَجْـري وَجُـدْ بـالـوُدِّ وارث لمُـذْنَـف بخَيـالـه
حَتَّـى مَ تَمْنَحُنـي البعـادَ تَعَمُّـداً وَيظَـلُّ طَـرْفُـكَ راشقـي بنبـالـه
وعَـلامَ تَقْتُـلُ عـاشقـاً هَجَـرَ الكَـرىٰ لمّـا هَجَـرتَ وَصَـدَّ عَـنْ عُـذَّالـه
يَصْفُـو إذا هَبَّـتْ صَبـاً فَتَـزيـدُه وَصَبـاً فَصَـبُّ الـدَّمْـع أحسـنُ حـالـه
ويَشُـوقُـه مَـرُّ النَّسيـم إذا سَـرىٰ عَبقـاً بنَشْـر ربـىٰ العقيـق وَضـالـه
يـا صـاحِ عُـج بـالظَّعْـن مُنْعَـرج اللِّـوىٰ وَرِد العُـذَيـبَ سُقيـتَ عَـذْبَ زُلالـه
واستَعْطِـف الـرَّشَـأ الأغَـنَّ لمُغْـرَمٍ ظَـامٍ إلـىٰ مـا رَقَّ مـن سَلْسـالـه

وأنشدني لنفسه في الخمر: [من البسيط]

قُـم هـاتِهـا قهْـوَةً تَجْلـو دُجـىٰ الظُّلَـمِ وسقِّنيهـا ولـو فـي الأشهُـرِ الحُـرُمِ

/ ٢٤٤ب/ ذَرِ المَلامَ فقد لَجَّ الغَرامُ بها ... هاتِ المُدامَ وسَلْ ما شئتَ واحتكمِ
بِكْرٌ تُحَدِّثُ عن عادٍ بلا كَذِبٍ ... وعن ثَمُودَ بلا شَكٍّ وعن إرَمِ
حَمراءُ قانيةٌ تُعطيكَ إن قُرِعَتْ ... بالمَزْجِ دُرّاً نظيماً غيرَ مُنْفَصِمِ
ليس السُّرورُ الذي [تُعطي] بمُنْقَطِعٍ ... ولا النَّعيمُ الذي تُولي بمُنْصَرِمِ
تَقَدَّسَتْ ذاتُها عن أنْ يُحيطَ بها ... وَصْفٌ ونَعْتٌ سوى المَوصوفِ في القِدَمِ
يُديرُها خَنِثُ الأعطافِ ذُو هَيَفٍ ... مَشْمُوبةً بِرُضابٍ سَلْسَلٍ شَبِمِ
أحوى حَوى الحُسْنَ والإحسانُ شيمَتُهُ ... تُغْنيكَ نَغْمَتُهُ عن سائرِ النَّغَمِ

[٢٩٣]

عبدُ الرَّحمنِ بنُ منصور بن أبي بكْرِ بنِ منصورِ بنِ الحُسَينِ بنِ ثامرٍ القَنْطَريُّ الإربليُّ(١):

والقنطرة قرية من سواد إربل.

شاب طويل أبيض اللون مُشْرَبٌ حمرةً، من أبناء القضاة، اعتنى بقول الشعر وعمله، من غير أن يشتغل بالأدب، فصار له طبع في إنشائه.

أنشدني لنفسه يمدح الصاحب الوزير شرف الدين أبا البركات المستوفي / ٢٤٥أ/ بإربل ـ أدام الله سعادته(٢) ـ ويعتذر إليه من شيء بلغه عنه: [من البسيط]

أَمَا وأيامِ وَصْلٍ بالحِمى سَلَفَتْ ... وما مَضى من لَيالي الشِّعْبِ والعَلَمِ
ومَنْزِلٍ باللِّوى أقْوَتْ معالِمُهُ ... منَ الغَواني ذوات الدَّلِّ والنِّعَمِ
وما عَلا فوقَ أكوارِ المَطيِّ ومَن ... لَبَّى ومَنْ طافَ حَوْلَ البيتِ والحَرَمِ
لو أنَّ لي كَبِداً تَشْتاقُ غَيرَكُمُ ... خَرَجْتُ عنها وهذا أعظمُ القَسَمِ
فقد حَمَلْتُ منَ الأشواقِ جُلَّ هَوًى ... لو قامَ رَضْوى بجُزءٍ منه لم يَقُمِ
أُكابِدُ النَّومَ في تِلْقاءِ طَيفِكُمُ ... لولا رَجا طَيْفكم في الحُلْمِ لم أنَمِ

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ٥/ ٢٠ نقلها عن القلائد، وفيه «.... بن الحسن بن ثامر....».
(٢) فوق عبارة: «أدام الله سعادته» مكتوب: «رحمه الله».

ومنها في المدح:

مـولايَ يـا شَـرَفَ الـدِّيـن الـذي شَـرُفَـتْ ... بـه الأمـاجـدُ مـنْ عُـربٍ ومـن عَجَـمِ

يـا مَعْـدنَ الجُـود قـد وافـاكَ عَبْـدُ وَفَـا ... مُعَـوَّدٌ منْـكَ بـالإحسَّـان والكَـرَمِ

مُعَفِّـراً فـوقَ تُـرْبِ الأرض وَجْنَتَـهُ ... خَـزْيـانَ يَقْـرَعُ أسنَـانـاً مـنَ النَّـدَمِ

ومُنْشِـداً بَيْـتَ شعـرٍ كـانَ فـاهَ بـه ... نَجْـلُ النُّمَيْـريِّ فـي أيـامـه القُـدُمِ

إقبَـلْ مَعَـاذيـرَ عَبْـدٍ جـاءَ مُعْتَـذراً ... يُثْنـي عليـكَ بمـا أوْلَيْـتَ مـنْ نعَـمِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

أحِـنُّ إلـىٰ رَنْـد الحمَـىٰ ويَشُـوقُنـي ... عَـرارٌ بنَعْمـان علـىٰ العَلَـمِ الفَـرْدِ

/٢٤٥ب/ يُذَكِّرُني أيامَ وَصْلٍ تَصرَّمَتْ ... ونَحْـنُ علـىٰ شـاطي الأُجَيْـرِع مـنْ نَجْـدِ

ولسـتُ كمَـنْ يَشتـاقُ دَعْـداً وَزَيْنَبـاً ... ولا أنـا مَشْغُـوفٌ بمَيْـلٍ إلـىٰ هنْـدِ

ولكنَّنـي أهـوَىٰ عـذاراً مُـزَرَّداً ... وأزْهَـدُ فـي سُعْـدَىٰ وأرغَـبُ فـي سَعْـدِ

وَضَـمِّ رَشـاً عَـذْبِ المَـراشـفِ أشْنَـبٍ ... إلـىٰ وَجْنَتَيْـه تَنْتَمـي حُمْـرَةُ الـوَرْدِ

لَـذيـذِ التَّجنِّـي مـائـسِ القَـدِّ أهْيَـفٍ ... مَليـحِ التَّثَنِّـي مُشْـرِقِ الثَّغْـرِ والخَـدِّ

نَعِمْـتُ بـه عَصْـراً مَضَـىٰ لَيْـتَ أنَّنـي ... قَضَيْـتُ نَحْبـي قَبْـلَ أنْ يَقْضيَـنْ بَعْـدي

فللَّـه كَـمْ عـانقتـه فـي عشيَّـةٍ ... وكَـم بـاتَ يَسقيـني حَسَـا رِيقـه الشَّهْـدِ

وأنشدني أيضًا لنفسه(١) لنفسه: [من الرمل]

حَبَّـذا حَـيٌّ علـىٰ كـاظمَـةٍ ... صَـرَعَـتْ غـزلانُـه أُسْـدَ الشَّـرَىٰ

عُـوِّدَتْ آرامُـه سَفْـكَ الـدِّمـا ... فَتَقَلَّـدْنَ عَقيقـاً أحْمَـرا

[٢٩٤]

عبدُ الرَّحمنِ بنُ عُمَرَ بنِ بَرَكاتِ بنِ شحانَة، أبو مُحَمَّدٍ الحرَّانيُّ(٢):

---

(١) البيتان في التمييز والفصل لابن باطيش ص٣٩٥، نقلها عن القلائد.

(٢) ولد سنة ٥٨٩. ترجمته في: تأريخ إربل ١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٧ رقم ٢٣٢. سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢١٤ رقم ١٣١. الوافي بالوفيات ١٨/ ٢٠٠ ـ ٢٠١ رقم ٢٤٥، وفيه: «توفي بميافارقين سنة ثلاث وأربعين وستمائة». ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١ رقم ٣٤٦. ومختصره ص٧٢. شذرات الذهب=

المحدِّثُ المؤرِّخُ.

سمع الحديث الكثير بالشام، والعراق، وديار مصر، ولقي مشايخ العلم، والأدب، والحديث، وأخذ عنهم، واستفاد منهم، وكتب، وحصل /٢٤٦أ/ وجمع، وألّف بحرّان تاريخًا كبيراً ذا مجلدات عدة، وله شعر، وكتب لي إجازة بخطه.

أنشدني أبو الفتح محمد بن بدل التبريزي النيسابوري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ قال: أنشدني أبو محمد عبد الرحمن بن شُحَانة لنفسه: [من الكامل]

يا قاتلي لو أنَّ قَلْبَكَ جَلْمَدُ ... وَشَكَوتُ أشواقي لَرَقَّ الجَلْمَدُ
فيك اكتَسيتُ الذُّلَّ بَعْدَ مَهابَة ... وبكَ اشتَفَىٰ منِّي العدى والحُسَّدُ
وسَهرتُ في حُبِّكَ لَيْلي لم أنَمْ ... أتُراكَ مثْلي ساهراً لا تَرْقُدُ؟
وَيْلاهُ من نار بقَلْبي أُضْرِمَتْ ... ما إنْ لها إلا رُضابُكَ أبردُ
وَقسيِّ سحر منْ لحاظكَ فُوِّقَتْ ... فأُصيبَ قَلْبي المُسْتَهامُ المكمَدُ(١)
وَدَمي بخَدِّكَ قد أقَرَّ بقَتْلَتي ... فعلامَ يا مَوْلايَ جَفْنُكَ يَجْحَدُ؟

[٢٩٥]

عبدُ الرَّحمنِ بنُ حَمَدٍ الإسعِرْديُّ:

شاعرٌ من أهلِ إسعِرْد، ضعيف الشعر، مشهور ببلده.

أنشدني خاصبك بن غازي بن طغلي قال: أنشدني عبد الرحمن لنفسه من جملة أبيات أولها: [من البسيط]

/٢٤٦ب/ ما شمتُ بالجِزْعِ بَرْقًا أو شَمَمتُ صَبا ... إلّا وهيَّجَ لي تَذْكارُكُم وَصَبا
يا نازحًا عن جُفُونٍ قَلَّما رَقَدتْ ... وَمَدْمَعٍ مُذْ نَأيْتُم قَلَّما نَضَبا

= ٥/ ٢٢٠. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٢. تكملة الإكمال لابن نقطة ٣/ ١٤٩ ـ ١٥٠ رقم ٢٩٧١. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٤١ ـ ٦٥٠) ص١٧٦. الإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٨. المعين في طبقات المحدّثين ٢٠٢ رقم ٢١٣٣. المقصد الأرشد رقم ٥٨٥. المنهج الأحمد ٣٨٠. توضيح المشتبه ٥/ ٦٤. المنهل الصافي ٧/ ١٧١ رقم ١٣٨٠. تبصير المنتبه ٢/ ٢٧٦. الدر المنضد ١/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦ رقم ١٠٦٢.

(١) هذه الأبيات الخمسة في تأريخ إربل ١/ ٣٣٥.

أُنْهِنُهُ الدَّمْعَ كَيْ أُطفي بِهِ حُرَقِي   فلا يَقُلُّ ولا يَنْفَكُّ مُنْسَكِبا
وما سَمِعنا بنارٍ كلَّما طُفِيَتْ   بالماءِ تَزْدادُ إلاَّ زَفْرَتي لَهَبا
أحبابَنا بلَيالينا بخَيْفِ مِنًى   بالأبْرَقَيْنِ بعَيْشٍ بالحِمَى ذَهَبا
هُبُّوا لنا مِنْ هُبُوبِ الرِّيحِ رائحَةً   مِنْ نَشْرِكُم نَفْحَةً نُشْفي بها الكُرَبا

ومنها يقول يخاطب الممدوح:

ظَنَنْتَهُم لَكَ نُوَّاباً وما بَرِحُوا   في جَمْعِ مالِكَ لمَّا حُكِّمُوا نُوَبا
فاستَكْشِفِ الأمْرَ يا ابنَ الأكرمينَ فما   مِنَ الجماعةِ إلاَّ مَنْ شَنَا وَسَبا
لا يخدَعوكَ بما صاغُوهُ مِن مَلَقٍ   وزَخْرَفُوهُ على أغراضِهم كَذِبا
قد أضْرَموا في الوَرَى بالظُّلْمِ مُسْعَرَةً   فاجعَلْهُمُ لسَعيرٍ أضْرَمُوا حَطَبا
لا تَتَّقِ اللهَ يوماً في عُقُوبَتِهم   فليسَ يُهْزَمُ مَنْ للهِ قد رَقَبا

[٢٩٦]

عبدُ الرَّحمن بنُ محمد بن عبد العَزيز بن نَصْر بن عبد العَزيز بن نَصْر بن عبدَ الله /٢٤٧أ/ بن إسماعيلَ بن إسحَقَ بنَ مُحمَّدَ بن أحمَدَ بَن إسَماعَيلَ بنِ سُوَيْدَ بَنِ مالكٍ، أبوَ المحاسَنِ الخَطيبُ المَرَنْدي(١):

هكذا أملىٰ عليَّ نسبه.

كان أجداده خطباء مرند علىٰ المنابر، وخطابته في عقبهم تتردد إلى زماننا هذا.

رأيت أبا المحاسن بمدينة إربل سنة ست وعشرين وستمائة، وردها مستميحًا نوال سلطانها الملك المعظم مظفر الدين أبي سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين ـ رضي الله عنه ـ ومنتجعًا جدواه.

وأنشدني لنفسه في التاريخ [المذكور] قصيدة في الملك المعظم مظفر الدين، وسمعت مَن لا أشكّ في حديثه، أنَّ الشعر الذي يأتي به ليس له، إلاَّ أنَّه يسرقه ويمدح به الناس، والله أعلم.

---

(١) مَرَنْد: من مشاهير مدن أذربيجان، بينها وبين تبريز يومان. معجم البلدان/ مادة (مرند).

ثم شاهدته بحلب، وبدمشق، وكان رجلاً من أشد الناس حرصًا علىٰ حطام الدنيا، يجول البلاد، ويرحل إلىٰ الملوك يسألهم ويدخل معهم في الأمور الجدية والهزلية بكل طريق فيختارون حينئذ منادمته، لما يشاهدون منه، فتارة يوهمهم أنه خطيب، يخطب علىٰ المنبر أيام الجمع /٢٤٧ب/ ومرّة بصنعة الطرب، والغناء، وأخرىٰ بقول الشعر والاستجداء به، وغير ذلك.

وكان يزعم أنَّ له فصولاً وعظية من إنشائه، ولم يكن عنده مما يزعم شيء، وذكر لي أنه ولد بمرند في سنة تسع وثمانين وخمسمائة. ومات بحلب في صفر سنة أربعين وستمائة.

ومما أنشدني وزعم أنه له، القصيدة التي تقدم ذكرها، وأوّل القصيدة:

[من البسيط]

السَّعْيُ في طَلَبِ العَلْياء لا الغَزَل ... والمَجْدُ يُبْنَىٰ علىٰ الخطِّيَّة الذُّبُل
والعزُّ ما قادَ نَحْوَ الهَمِّ صاحبه ... وما عداهُ فأنفاسُ علىٰ عَلَل
إنْ كنتَ تَشْكُو إلىٰ وِرْد الحمىٰ ظمأ ... فاسق الحُسامَ دماً رَطْباً على نَهَل
مَنْ لم يَخُضْ لُجَّة الأخطار مُبْتَدراً ... عَدَّتْه أقرانُه في مَعْشَر عُطُل
إذا تَدرَّعَ جُنْحُ اللَّيْل ظُلْمَتَهُ ... نَضَوْتُ كالصُّبْحِ عَزْماً غَيْرَ مُرْتَحِل
أَنَّىٰ أجوبُ علىٰ هَوْجَاءَ جائية ... ظَلَّتْ يَضِلُّ بها هادي بَني ثُعَل
وَجناءُ جِنِّيَّةُ الأخلاق طائشَةٌ ... تُلاحقُ الوَحْشَ إدراكاً علىٰ كَلَل
وقد تَمَطَّيْتُ للإدْلاج يَعْمَلَةً ... حَنَّت علىٰ كَلَلٍ وَجْداً إلىٰ كَلَل
أجتابُ بيداً مِنَ الأيّامِ مُلْتَمساً ... مِيَامِنَ الغَزْلِ لا بيْتاً مِنَ الغَزَل

/٢٤٨أ/ ومنها قوله:

حتّىٰ إذا عالَجَ النُّورُ الدُّجَى سَحَراً ... تُعانقُ الصُّبْحَ منهُ نَفْسُ مُرْتَحِل
وأقْبَلَ الأشْهَبُ الخَفّاقُ مُلْتَقطاً ... [يجري] على حَدَقِ الجوزاء والحَمَل
والشَّمْسُ تَمْحُو مِنَ الظَّلماءِ آيَتَها ... كَمَحْوِ كهفِ المَعالي كُكْبري بنِ عَلي

[٢٩٧]

عبدُ الرَّحمَن بنُ أبي الحسنِ بنِ عليٍّ بنِ عيسىٰ بنِ أحمد بنِ يَعْرُبَ البَوازيجيُّ:

رأيته بإربل سنة ثلاثين وستمائة، شابًا طويلاً أشقر، ذا هوج وطيش، كثير الدعاوى في فن النظم والنثر، مفتخراً بنفسه:

أنشدني له يمدح الصاحب الوزير شرف الدين أبا البركات المستوفي ـ رحمه الله تعالىٰ ـ [من الخفيف]

بـاكـرِ اللَّهْـوَ يـا أخـا اللَّـذات ... واغتَنِـم غَفْلَـةَ الـزَّمـان المُـواتـي
قُـمْ بنـا نَصْـرفِ الهُمُـومَ بصْـرفَ ... مِـنْ عَصيـرِ الـرُّهْبـان والـرَّاهبَـات
قَبْـلَ أنْ يَفْطُـنَ الـزَّمـانُ ومـنْ قَبْـ ... ـلِ وُقُـوعِ المَشيـبِ بـالشَّعَـراتَ
خُـذْ مـنَ اللَّهْـو مـا استَطَعْـتَ ومـنْ أيْـ ... ـيَـامِ شَـرْخِ الشَّبَـابِ قَبْـلَ الفَـوات
/٢٤٨ب/ لا تُؤَخِّر يومَ السُّرور ففي مقْـ ... ـدارِ لَحْـظٍ تَنَبُّـهُ الحـادثـات
فَـإلـىٰ كـم أرىٰ تَـوانيـكَ فـي الشُّـرْ ... بِ مَـعَ الشَّـرْبِ يـا أخـا التُّـرَّهَـات[1]
إنْ تَكُـنْ تُبْـتَ يـا نَـديمـي وأقْلَعْـ ... ـتَ عـن الخَمْـرِ بَعْـدَ هـاكَ وهـات
فَـانقُـضِ التَّـوبَـةَ التـي تُبْـتَ واطلُـبْ ... حـانَـةَ الخَمْـرِ بـالفَتَـىٰ والفَتـاة
واصْطَبِـحْ كـالعَقيـقِ لَـوْنـاً وكـالعَنْـ ... ـبَـرِ نَشْـراً يَفُـوحُ بيـنَ السُّقـاة
قَهْـوَةً تَجْلُـبُ السُّـرُورَ وتَنْفـي ... الهَـمَّ قَسْـراً وتَطْـرُدُ الكُـرُبـات
مُـرَّةً تُسْتَطـابُ طَعْمـاً ومـنْ عَجَـبْ ... شَـيءٌ مُـرٌّ مِـنَ الطيِّبـات
بَـزَلـوهـا واللَّيْـلُ داجٍ فَـلاَحَـتْ ... مِـنْ بَعيـدٍ كـالنَّجْـمِ فـي الظُّلُمـات
طـافَ يَسْعَـىٰ بهـا علينـا مـنَ التُّـرْ ... كِ غَـريـرٌ مُـوَرَّدُ الـوَجَنـات
حـازَ كُـلَّ الصِّفـات حُسْنـاً كَمـا حـا ... زَ المعـالـي طُـرّاً أبـو البَـرَكـات
قـد هَـزَزْنـاهُ للنَّـدى فَـانْثَنـىٰ غُصْـ ... ـنـاً رَطيبـاً عَـذْبَ الجَنَـىٰ للجُنـاة
وقَصَـدْنـا جنَـابَـه فَـوَجَـدْنـا ... هُ غَـزيـرَ العَطـا كَثيـرَ الهِبـات
جَـلَّ فـي الجُـودِ عَـن شَبيـهٍ فقـد أصْـ ... ـبَـحَ فَـرْداً فـي الجُـودِ والمكـرُمـات

---

(١) الشَّرْب: جمع شارب.

وتَعَالىٰ عَنِ المَدِيحِ فقد جا ... وَزَ حَدَّ الثَّنا وحَدَّ الصِّفاتِ

[٢٩٨]

عبدُ الرَّحمنِ بنُ أبي الفَوارِسِ / ٢٤٩أ/ المَخْزُوميُّ:

خبِّرت أنَّه من عَقْر الحُمَيدية، من أعمال الموصل، ولم أعرف من حاله شيئًا لأثبته عليه، وقع إليّ من قوله قصيدة طويلة يمدح بها المولىٰ المالك الرحيم، بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام، سلطان المسلمين، شرف الملوك، تاج السلاطين، أبا الفضائل أتابك طغرلتكين بُلكا، نصير أمير المؤمنين ـ أنفذ الله أمره، فما رأيت إيرادها بجملتها لطولها، وتعسف ألفاظها، وركة نظمها، فاقتصرت منها علىٰ ما اخترته من أبياتها، فإنني لم أرَ الإخلال بها، لكونها نظمت في معاليه، ففيها يقول: [من البسيط]

يا أيُّها المَلِكُ العالي مناقبُه ... وصاحبَ الفَضْلِ هاكَ الفَضْلَ فانتَقِدِ

واسرَحْ بطَرْفِكَ في أطراف جنته ... فأنتَ واللهِ فينا بَيْضَةُ البَلَدِ

أنتَ الذي هَجَرَ الياقُوتَ مُفْتَخِراً ... بأحمدٍ وكَذاكَ البحرُ ذو المَدَدِ

أبو الفَضائلِ بدر الدِّينِ حاتمُ هذا ... العَصْرِ بلْ كَعْبَةٌ في البَذْلِ والصَّفَدِ

أعطيتَ حتَّىٰ فَضَلْتَ البحرَ مَوْهِبَةً ... وصُلْتَ حتىٰ فَضَحْتَ الصِّيدَ فاقتَصِدِ

مآثِرٌ لَكَ لا تُحْصَىٰ فَضائلُها ... عَدَّ النُّجُومِ ومن بيضِ العَطا تَسُدِ

/ ٢٤٩ب/ والحَقْ بِدَوْحَتِكَ الغَنَّاءِ واسمُ إلىٰ ... العُلا واعلُ إلى ما شئْتَ من أمَدِ

واجلسْ علىٰ تَخْتِكَ المَيْمونِ سدَّتُه ... واقصِ العدا واعتَصِبْ بالتَّاجِ واستنِدِ

واحكُمْ ومُرْ وانْهَ واسلَمْ ما عليكَ يَدٌ ... مُحَسَّدَ المَجْدِ مأمونًا مِنَ العَنَدِ

ولا تَخَفْ حَدَّ نابٍ نابَ أو ظُفُرٍ ... فَسَعْدُ جَدِّكَ ما يَنْفَكُّ في صُعُدِ

واستَعْبِدِ النَّاسَ بالإحسانِ سالمَكَ الـ ... ـزَّمانُ فالدَّهْرُ ما يُبْقي علىٰ أحَدِ

فَخَيْرُ ما ادَّخَرَ الإنسانُ مِنْ حُصُنٍ ... حَمْدٌ يَضُوعُ سَناهُ آخرَ الأَبَدِ

فأنتَ يا خَيْرَ مَنْ تُحذَىٰ النِّعالُ لهُ ... عَيْنُ الكمالِ التي لم تُرمَ بالرَّمَدِ

[٢٩٩]
عبدُ الرَّحمن بنُ أبي غانم بن إبراهيمَ بنِ سِنْديّ بنِ أبي الحُسَينِ بنِ منصورٍ، أبوَ الفَضْلِ الخَفَاجيُّ:

من أهل حلب، هكذا نسب لي نفسه لما سألته عنه، وأنَّ أصله كان من بني خفاجة، من عرب الشام.

روى عن أبي الحسن علي بن الحسن المعروف بشميم الحلي، وحماد بن خليفة، وأبي الحسن الفراء الدمشقي وغيرهم من الشعراء الشاميين.

شاهدته بحلب المحروسة، شيخًا / ٢٥٠أ/ كبيراً، وروىٰ عن جماعة من الذين أدركهم، وأخبرني أنَّه ولد يوم الأربعاء ضاحي نهاره سنة ست وخمسين وخمسمائة، وتوفي في أوائل شهر صفر سنة أربعين وستمائة بحلب، وزعم أنه لم يشتغل بشيء من علم العربية والأدب والإقراء، [ولكنه مع ذلك كان] ينظم الأشعار بصحة ذوقه، وسلامة طبعه، ووجدته إذا أنشد يَتَحَرَّى من اللحن، قلّ أن يلحن.

وكان رجلاً تاجراً، يسافر في البلاد للتجارة من الشام إلى العراق، وديار مصر، وهو ذو طبع حسن في إنشاء الشعر، وخاطر سهل، من المشايخ الظراف، يحكي الحكايات النادرة من حفظه، ويتشيع، ويذهب مذهب الإمامية.

أنشدني من شعره قوله بحلب المحروسة: [من الطويل]

ولَمّا بَرَزْنا للوَداعِ وأُحدِجَتْ ... جِمالٌ وزُمَّتْ للتَّرَحُّلِ نُوقُ
وبانَ خَليطٌ عن خَليطٍ ورَجَّعَتْ ... حُداةُ المَطايا واستَقَلَّ فَريقُ
ولم يَبْقَ إلاَّ ظاعنٌ أو مُشَيِّعٌ ... جَرَىٰ من جُفُوني في العَقيقِ عَقيقُ
وعُدتُ كأنِّي مُنْتَشٍ من مُدامَةٍ ... وسَكْرانُ خَمْرِ الوَجْدِ لَيسَ يُفيقُ
/ ٢٥٠ب/ أُرَدِّدُ طَرْفي في رُبوعِ دِيارِهِمْ ... وإنسانُ عَيْني بالدُّموعِ غَريقُ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الطويل]

أشاقَكَ رَبْعٌ بالغُوَيرِ مُحيلُ ... عَشيَّةَ زُمَّتْ للقَطينِ حُمُولُ
سَرَوا فأذابَ القلبَ حَرُّ فِراقِهِمْ ... فأصبَحَ دَمْعًا في الخُدودِ يَسيلُ

أحبّتَنا لا حُلْتُ عن حفْظ عَهْدكُمْ ... ولو لامَ فيكُم كاشحٌ وعَذُولُ
وكَم يدَّعي مثْلي هَواكُمْ تَصَنُّعاً ... يَقُولُ لدىٰ قاضي الهَوَىٰ وأقُولُ
وأشتاقُ رَيَّا أَرْضكُم فعَسَىٰ بها ... يُبَلُّ عَليلٌ أو يُبَلُّ غَليلُ
وأنْتُم وإنْ شَطَّت بكُم غُربةُ النَّوىٰ ... بقَلْبيَ لا وادي العَقيق نُزُولُ
وإنْ أوحشَتْ منْكُم ديارٌ أنيسَةٌ ... فأنْتُمُ إذاً بينَ الضُّلُوع حُلُولُ
وأجفانُ عَيْني مُذْ بَعُدْتُم قَصيرَةٌ ... وليليَ مُذْ شَطَّ المزارُ طَويلُ
ولا القَلْبُ تَهدا مُذْ هَجَرتُم جُفُونُه ... ولاَ الصَّبْرُ منْ بَعْد الفراق جَميلُ

وأنشدني لنفسه: [من الرمل]

عَدِّ عن لَوْمكَ لي يا مَنْ عَذَلْ ... حُسْنُ صَبْري مُذْ نَأىٰ الحبُّ رَحَلْ
وغَدا قَلْبيَ في إثْرهم ... حَاملاً ثقْلَ الهَوى فيما حَمَلْ
ولَكَم نَادَيْتُ في الحَيِّ وقد ... فَعَلَ الشَّوْقُ بقَلْبي ما فَعَلْ
/ ٢٥١أ/ يا لَقَوْمي طُلَّ في الحُبِّ دَمي ... بقُدُود السُّمْر لاَ سُمر الأَسَلْ
ولحَاظ عَجَبي من سَيْفها ... لم يُفَارقْ جفْنَه كيفَ قَتَلْ؟
حَرَّمَ الشَّرْعُ الدِّما في حُكْمه ... فَدَمي يا لَيْتَ شعْري كيفَ حَلْ؟
يا حُداةَ العيس إنْ سرْتم بهمْ ... فاعدلُوا بالظَّعْن عن سَفْح الجَبَلْ
وإذا جُزْتُم علىٰ كاظمَة ... فانشُدوا قَلْبيَ في تلْكَ الحُلَلْ
فبها سربُ ظباً آجالُها ... راتعاتٌ بعدُها يُدْني الأَجَلْ
فيهمُ بَدرُ جَمال ما بَدا ... للْوَرَىٰ إلاَّ علىٰ البَدر الخَجَلْ
قَد تَقَضَّىٰ العُمْرُ فيه بعَسَىٰ ... وبسَوفَ وبرُبَّ ولَعَلْ

وأنشدني أيضًا لنفسه من قصيدة أولها: [من الكامل]

يا دارُ جادَتْك الدُّمُوعُ سجامُ ... وسقاكَ من سُحُب الجُفُون غَمامُ
وحَباك خَفَّاقُ النَّسيم مَسَرَّةً ... ورَعىٰ أُناساً كانَ فيك أقَامُوا
عَهْدي بهمْ مثْلَ الأَهلَّة ما بَدوا ... إلاَّ تَجلَّىٰ غَيهَبٌ وظَلامُ
أنأتْهُمُ أيدي الفراق فأصبحوا ... بَعْدَ النَّوىٰ وكأنَّهم أحْلامُ
واستَوطَنوا داراً بمُنْعَرَج اللِّوىٰ ... منِّي عليها ما حييتُ سَلامُ
حلّوا بها فتأرَّجَتْ أكنافُها ... طيباً وحالَتْ دُونَها الأيَّامُ

/ ٢٥١ب/ وأنشدني أيضًا لنفسه من أبيات يصف فيها مجلسًا في يوم ثلج :

[من الكامل]

وكـأنَّ وَجْـهَ الأَرْض وَجْـهُ خَـرِيـدَةٍ ... بَــرَزَتْ لنـا فـي حُلَّـةٍ بَيْضَـاءِ

والنـارُ يَحكـي لَـوْنُهـا مـا بيننـا ... شَمْسًـا هَـوَتْ للغَـرْبِ عنـدَ مَسـاءِ

وكـأنَّ نَـرْجسَنـا عُيـونُ جـآذرٍ ... يَسْـرِقْنَنَـا نَظَـراً مِـنَ الـرُّقَبـاءِ

وكـأنَّمـا الأُتْـرُجُّ يَحكـي لَـوْنُـهُ ... لَـوْنَ المُحـبِّ إذا رُمـي بتنـاءِ

ولنـا مُغَـنٍّ إن شَـدا كحَمـامـةٍ ... وإن انثنـى كـأراكـةٍ خَضْـراءِ

يَسْقـي النَّـدامـى مِـنْ كُـؤوس رُضـابـهِ ... خَمْـراً تَنُـوبُ لهُـمْ عَـنِ الصَّهْبـاءِ

كَـمْ قَـدْ أمـاتَ العـاشقيْـنَ بهَجْـرهِ ... وأعـادَهُـمْ بـالـوَصْلِ فـي الأَحْيـاءِ

مَـعْ فتْيَـةٍ وَقَفُـوا علـى كَسْـبِ الثَّنـا ... أرواحَهُـم فلهُـم بـذاكَ ثنـائـي

غُـرَرُ الـزَّمـانِ وُجُـوهُهُـمْ وأَكفُّهُـمْ ... تُغْنـي العُفـاةَ بهـا عـنِ الأنـواءِ

جـادُوا وقَـد ضَـنَّ الـوَرَى بنَـوالِهِـمْ ... سَمَحُـوا وقَـد بَخِـلَ السَّحـابُ بمـاءِ

[٣٠٠]

عبدُ الرَّحمنِ بنُ إبراهيمَ بنِ أبي عليٍّ بنِ إبراهيمَ الحَلَبيُّ :

كان جنديًا في خدمة الأمير حسام الدين / ٢٥٢أ/ طُمان بن غازي بن بُلمن بن تنجول[(١)]، من جبل سلور بحلب، رأيت له أرجوزة تاريخية لمدة ستين سنة هجرية، أولها سنة تسع وستين وخمسمائة، وآخرها إلى سنة ثمان وعشرين وستمائة، تدخل في مجلدين، وأولها: [من الرجز]

أقُـولُ بـاسْـمِ الـواحـدِ الحَميـدِ ... الصَّمَـدِ المُهَيْمـنِ المَجيـدِ

أحمَـدُهُ حَمْـداً كثيـراً لـم يَـزَلْ ... مُتَّصِـلاً بيـنَ الغُـدوِّ والأُصُـلْ

ثُـمَّ صَـلاةُ الله والسَّـلامُ ... علـى الـذي قـامَ بـه الإسـلامُ

مُحَمَّـدَ الهـادي إلـى الـرَّشـادِ ... قـامـعِ أهـلِ الشِّـركِ والإلحـادِ

---

(١) طمان بن غازي النوري: صاحب الرّقة، كان شجاعًا جواداً محبًا للخير، كثير الصدقات، يحب الفقهاء والعلماء، بنى مدرسة بحلب للحنفية، توفي في عكا سنة ٥٨٥هـ.

ترجمته في: النجوم الزاهرة ٦/ ١٠٩ وفيه: «طمان بن عبد الله».

سألَتني يا أيُّها الرَّفيقُ ... والصَّاحبُ المُساعدُ الشَّقيقُ
عن الَّذي عايَنَهُ عِياني ... وكُلِّ ما سَمعتُ في زَماني
وكُلِّ ما شاهَدتُه من العَجَبْ ... فيما تَقَضَّى من زَماني وذَهَبْ
ومَا تهَيَّا لي من المُشاهَدَه ... عندَ لقَا الحُروب والمُطارَدَه
فاسمَعْ حَديثاً يَسْتَفِزُّ السَّامعا ... يَعْرِفُه مَنْ شاهَدَ الوَقائعا
أقُصُّه عليكَ بالتَّاريخِ ... مطَّرِّدَ النَّاسخِ والمَنْسُوخِ
وذاكَ عندَ صُحْبَتي طُمَانا ... وقد وَجَدْتُ عندَهُ إحسانا
/ ٢٥٢ب/ وذاكَ في العامِ الَّذي صَحِبْتُه ... في جِلِّقٍ أوَّلَ ما خَدَمْتُه
وكانَ ذاكَ العامُ في البِدايه ... تسعاً وستِّينَ وخَمْسمايَه
والنَّاسُ يُثْنُونَ على بَراعَتهْ ... وعُظْمِ ما أظهَرَ منْ شَجاعَتهْ
ثَنَوا على ثَنائهِ الخَناصِرا ... وعَطَّرُوا بشُكْرِه المَحاضِرا
وذِكْرُهُ يَلَذُّ للمَسامِعِ ... ونَحْوَهُ يُشارُ بالأصابعِ

وهي طويلة جداً، عدد أبياتها أربعة آلافٍ وسبعمائة وبيت. وقال لما ختمها هذه الأبيات: [من البسيط]

الحَمْدُ لله ربِّي فهْوَ يسَّرَني ... لنَظْمِ أُرجوزَة جاءَت على قَدَرِ
وَسَمتُها بطُمانَ إذ أشارَ بها ... ثَمَّ استَمَرَّت فكَانَتْ سيرَةَ السِّيَرِ
وشَّحتُها بفُنونٍ من حَوادثها ... منَ المَواعظ والآداب والعِبَرِ
فلو رآها وقد جاءَتْ موافِقَةً ... نَظْمَ الجُمانِ معَ المَرْجَانِ والدُّرَرِ
ألفاظُها لمَعانيها مُجانسَةٌ ... في الاتِّحادِ امتزاجَ النُّورِ بالبَصَرِ
وكالهيولَى الأوالي وهْي واحِدَةٌ ... عندَ القُبولِ لأنواعٍ منَ الصُّوَرِ
إذا تَحقَّقَ أنَّ اللهَ أنْطَقَهُ ... بما يكُونُ قُبَيْلَ الكَوْنِ في البَشَرِ
/ ٢٥٣أ/ واللهُ يَهْدي القُلُوبَ المُسْتَنيرَة بالإ ... شْراقِ كالشَّمْسِ تُهدي النُّورَ للْقَمَرِ
فَيُدْرِكُونَ بنُورِ الحَقِّ عَن كَثَبٍ ... بُعْدَ الحَوادثِ في مُسْتَقْبَلِ العُصُرِ

[٣٠١]

عبدُ الرَّحمنِ بنُ عثمانَ بنِ منصورِ بنِ أبي الفوارسِ الإربليُّ، أبو زيد(١):

كانت ولادته في حدود سنة ست وثمانين وخمسمائة، شيخ من أهل إربل، خرج عنها، وأقام بحلب المحروسة، يتعيش في سوق البز، له قريحة في عمل الشعر، وطبع، وكنت أغشى حانوته كثيراً، وينشدني من أشعاره.

ومما أنشدني لنفسه، وكتبها إلى تاج الدين الوزير يوسف بن عبد الله بن علي بن شكر يعاتبه: [من الكامل]

يا سيِّدَ الوُزَراء إنَّ قَضيَّتي ... قد أشْكَلَتْ وعليكَ حَلُّ المُشْكلِ

أبعَدْتَني وأنا القَريبُ وليس لي ... ذَنْبٌ يُقالُ فكيف لي لَو أنَّ لي؟

لكنَّما عثمانُ كان مُصاحبي ... فرَفَضتهُ وَعَدَلتُ عنه إلى عَلي

وأنشدني لنفسه أيضًا ما كتبه إليه: [من الخفيف]

/٢٥٣ب/ كم رقاعٍ كَتَبتها لكَ نَظْمًا ... وَرقاعٍ كَتَبْتُها لكَ نَثْرا

ودُعاءٍ حَفظتُه لكَ سرّاً ... ودُعاءٍ رَفعتُه لكَ جَهْرا

وشَكَاوىً فَضحتُ فيها وأوضحـ ... ـتُ ولم أحتشم وألمعتُ عُذْرا

لم تُفدني شيْئًا وغالبُ ظَنّي ... أنَّ مَولايَ مُضْمرٌ ليَ شرّا

ودَليلي الحِرْمانُ منكَ وإحسا ... نُكَ عَمَّ البِلادَ بَرّاً وبحرا

وأنشدني لنفسه في صديق كان له، واتفق أنه كان مسجونًا، ومنع الناس عن زيارته: [من الخفيف]

لا تُرَعْ إنْ حُجبتَ عن أعيُنِ النَّا ... سِ فهذا الزَّمانُ تفنَى قُطُوعُهْ

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ٢/ ٢٧١، نقلها عن القلائد. ورد ذكره في تأريخ إربل ١/ ١٩٧.
ستردُ الإشارة إليه في ترجمة أخيه عبد الجليل. انظر: الجزء الرابع، ترجمة رقم ٣٧٩.
ترجم المؤلف لأخيه (عبد العزيز بن عثمان) في هذا الجزء برقم ٣٢٢.
ولأخيه (عبد الجليل بن عثمان) في الجزء الرابع أيضًا كما تقدم.

=

إِنَّ بـدرَ السَّمـاءِ يَنْقُصُ حيناً ... فـإذا مـا استَسَرَّ يُـرجـىٰ طُلُوعُـهْ

[٣٠٢]

عبدُ الرَّحمن بنُ عليِّ بنِ يحيىٰ بنِ خالدِ بنِ عمرانَ الأُمَويُّ الغِماريُّ السَّبتيُّ:

ومولده في شوال سنة سبع وثمانين وخمسمائة، ببادية سَبْتَة[١].

الفقيه المالكي، المدرس المفتي.

تفقه بفاس، وبها تأدب علىٰ /٢٥٤أ/ الأستاذين زيدان، وابن خروف[٢] الأديب النحوي، وبالديار المصرية، وببغداد، والشام، وسمع البخاري، والموطأ، والسنن، ومسلم بفاس، وتفنّن في علوم شتّىٰ من الأصولين، والخلاف، والحساب، والفرائض، وعلوم أخر، وقيل إنَّه استظهر على ثلاثين ألف بيت من الأشعار العربية.

فمن شعره: [من البسيط]

وَافـىٰ بلَيْـلٍ ولَيْـلُ الشَّعْـرِ سـاتـرهُ ... ظَبْـيٌ غَـريـرٌ غَضيـضُ الطَّـرْفِ فـاتِـرُهْ
علـىٰ قَـوَامٍ يكـادُ اللِّيـنُ يَمْحَقُـه ... لـولا الكَثَيـبُ الَّـذي ضَمَّـتْ مـآزِرُه
حُلْـو الشَّمـائـلِ مكْحُـولٌ مَـدامعُـه ... ولـم تُغمِّضْ علـىٰ كُحْـلٍ نَـواظِـرُه
كغُـرَّةِ البـدرِ إشـراقـاً مَحـاسِنُـه ... ولَمْحـةِ البَـرْقِ إيمـاضـاً سَـوافِـرُه
إذا رَنَـا فسُيُـوفُ الهنْـدِ نَـابيَـةٌ ... فـي مَضْـرِبيهـا ولـم تَنْـبُ بَـواتِـرُه
وَإنْ سَطَـتْ فعلـىٰ الأجسـادِ سَطْـوَتُهـا ... وسَيْفُـه فـي صَميـمِ القَلْـبِ شـاهِـرُه
كـأنَّمـا بـابـلٌ مـنْ سحْـرِ مُقْلَتـه ... وقـد حشـاهـا بـه هـاروتُ سـاحِـرُه
كـأنَّ فـاحِمَـه والطِّيـبُ غـامِـرُهُ ... ريـشُ الغُـرابِ إذا التفَّـتْ غَـدائِـرُه
يُقبِّـلُ الأرْضَ مـنْ اجـلالِ سـاحِبـه ... إذا تَعَثَّـرَ فيـهِ وهْـو نـاشِـرُه
ووَجْنَتـاهُ كـرَوْضِ الـوَرْدِ بـاكَـرَهُ ... طَـلٌّ فلـم يَعْـدُ أنْ راقَـتْ بشـائـرُه
/٢٥٤ب/ والثَّغْـرُ كـالـدُّرِّ لا بـل مـنْ مَـلاحَتـهِ ... الـدُّرُّ النَّفيـسُ إذا مـا عُـدَّ فـاخِـرُه

---

(١) سبتة: بلدة مشهورة، من قواعد بلاد المغرب، مرساها أجود مرسًى على البحر، وهو على برّ يقابل جزيرة الأندلس. معجم البلدان/ مادة (سبتة).

(٢) ابن خروف النحوي: علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي، أبو الحسن، عالم بالعربية، أندلسي، من أهل إشبيلية، نسبته إلى حضرموت، ولد سنة ٥٢٤هـ، وتوفي في إشبيلية سنة ٦٠٩هـ.
ترجمته في: جذوة الاقتباس ٣٠٧. وفيات الأعيان ١/ ٣٤٣. فوات الوفيات ٢/ ٧٩، ٤/ ٣٣٠.

والرِّيقُ كالشَّهْدِ أو طَعْمِ العُقارِ إذا ... ما عاقَرَ اللُّبَّ يوماً فهْوَ عاقِرُهُ
لو أنَّ مَنْ في حَبيسِ الدَّارِ أسْمعَهُ ... منْهُ حَديثاً لأضحى وهْوَ آسِرُهُ
أو راءَ مَيْتاً وذاكَ المَيْتُ في كَفَنٍ ... في قَعْرِ لَحْدٍ لأمسى وهْوَ ناشِرُهُ

وأنشدني لنفسه في الحمّى: [من الطويل]

سَرَتْ كالخيالِ لا حَسيسٌ ولا نَبْحُ ... فَوافَتْ فراشي عندَما اتَّضَحَ الصُّبْحُ
وقد سَمَحَتْ بالوَصْلِ والصُّبْحُ مُسْفِرٌ ... وَنَجْمُ السِّماكِ طاحَ مِن كَفِّهِ الرُّمْحُ
وألقَتْ عصاها واستَقَرَّ بها النَّوَى ... وحَلَّت بجسمي فاستَبانَ لهَا البُرْحُ
تُعانِقُني بالرَّغْمِ لا عن مَوَدَّةٍ ... عناقاً يُرى كالذَّبحِ أو دُونَه الذَّبحُ
وقد صارَ وَصْفي الخَفْضَ والضمُّ وَصْفَها ... وَلم يَقْتَرِبْ منّا سُكُونٌ ولا فَتْحُ
وأصْبَحتُ مَنْكُوحاً لها وهْيَ ناكِحٌ ... ويا مَنْ رأى أُنثى يكُونُ لها نَكْحُ
أجازَتْ نِكاحَ العُهْرِ مِنْ غَيرِ شِرْعَةٍ ... كَفِعْلِ النَّصارى لا طَلاقٌ ولا صُلْحُ

وأنشدنا لنفسه: [من الكامل]

عَبَثَ النَّسيمُ ببانِهِ وبَهارِهِ ... واستَمطَرَ الكافُورَ مِن نُوَّارِهِ
/ ٢٥٥أ/ وَجَلا عَرُوساً طيبها وَحليُّها ... مِنْ مُزْنِهِ ورَبيعِهِ وقِطارِهِ
فسوارُها وعُقُودُها وحُجولُها ... وَبهاؤها مِن راحَتَي آذارِهِ
مِن أحمَرٍ شَرِقٍ وأبيضَ ناصِعٍ ... ظَهَرَتْ صفاتُ الحقِّ في أنوارِهِ
مِنْ نَرْجِسٍ وَشَقائِقٍ وبَنَفْسَجٍ ... يَجْلُو ثيابَ العُجْبِ مِن أزهارِهِ
واليَاسَمينُ بها إلى نَيْلُوفَرٍ ... تَرْنُو لَواحظُهُ عَلى أنهارِهِ
عُرْسٌ جَنَتْ ثَمَرَ السُّرورِ شُهودُهُ ... لمَّا تشابَهَ لَيْلُهُ بنَهارِهِ
فالمسْكُ والجاديُّ مِن مَشْمُومِهِ ... والدُّرُّ والياقُوتُ بعضُ نِثارِهِ
وغَدا بِهِ الشُّحرورُ يُنْشِدُ مُعْرِباً ... بلُحونِهِ ما رَقَّ مِنْ أشعارِهِ
يَشْدُو على غُصْنِ الأراكِ تَعَجُّباً ... مِن صَوْتِهِ ومُجاوِباً لهَزارِهِ
حتَّى بكى قُمْرِيُّهُ للبُعْدِ عن ... مَعْشُوقِهِ أو إلفِهِ أو جارِهِ
فبكُلِّ قُطْرٍ جئتَ مِنْ أقطارِهِ ... داودُ مُعْتكِفاً على مِزْمارِهِ
وتَرى الحُبابَ على الجَداولِ مائساً ... فعْلَ المتيَّمِ مِن شَذا أطيارِهِ
يَجْلُو علينا الرَّاحَ أحْوَرُ شادِنٌ ... طَلَعَتْ شُموسُ الحُسْنِ مِن أزرارِهِ

فالمسْكُ مِنْ أنفاسه وكأنَّها ... مِنْ طيبها وَقْفٌ علىٰ عَطَّاره
بدرٌ [يضيءُ فيختفي مَنْ دُونَه] ... بأُفُولِه وكُسُوفِه وسِرارِه
/٢٥٥ب/ لا تَهْتَدي أَنْ تَعْلَقَ الشَّمْسُ المُنيـ ... ـرَةُ منْ مَلاَحته بذَيْلِ غُبارِه
والفكْرُ إمَّا قامَ بينَ ثيابِهِ ... مُسْتَغْرِقٌ عن خَمْرِه بخُمَارِه
فالرِّيُّ كُلُّ الرِّيِّ في أرْدَافِهِ ... والمَحْلُ بينَ نطاقِهِ وإزارِه
يَفْتَرُّ عن بَرَدٍ نَضيد نَظْمُهُ ... كالبَرق حالَ وميضه ومَطارِه
وإذا دَنا فالسَّيْفُ يَقْصُرُ فعْلُهُ ... حالَ الضَّريبَة عن فَعالِ شفارِه
غَازَلْتُه حتَّىٰ إذا وَخَطَ الدُّجىٰ ... بالشَّيْب فَوقَ جَبينه وعذارِه
فَرمىٰ بسَهْمِ ما تكَامَلَ نَزْعُه ... حَتَّىٰ أصابَ القَلْبَ في أعْشارِه
ومَضَىٰ هَزيمُ اللَّيْلِ يَنْهَضُ خَلْفَهُ ... جَيْشُ الصَّباحِ فعاثَ في أقطارِه
فَفَرىٰ أديمَ اللَّيْلِ عن شَمْسِ الضُّحَىٰ ... فمحا به ما اختطَّ منْ آثارِه
حتَّىٰ إذا طَلَعَتْ لغرَّة أيْبَك ... شَمْسُ الضُّحَىٰ أَخَذَ النَّهارُ بثارِه

ذكر من اسمه عبد الرحيم

[٣٠٣]

عبدُ الرَّحيم بنُ أحمد بن قائد بن محمد بن عبد الرحمن، الحموني القَائديُّ، أبو المكَارمِ، وقَيل أبو المظفَّرِ بنُ أبي نَصر:

من أهل خُوَيّ[١]، ومن بيت الرئاسة المشهورة بها، الرئيس الفاضل الصدر، وكانت وفاته /٢٥٦أ/ فيما أخبرني عبد السلام بن أحمد الحموني، يوم الثلاثاء ثالث ذي الحجة من سنة ثلاث وستمائة بخُوَي، ودفن بظاهر البلد بسوق دشنبه، جوار المدرسة التي أنشأها والده مجد الإِسلام أبو نصر أحمد بن قائد.

أجرىٰ ذكره الإمام محمد بن محمد الكاتب في خريدته، وقال: «هو الرئيس بعد أبيه، الوارث مجده وفَضله»[٢]، ثم قال: «أنشدني له الحكيم يوسف ابن القطب الخونجي، وقد قدم بغداد سنة اثنتين وستين وخمسمائة أبياتًا كتبها عبد الرحيم رئيس خُوَيّ إلىٰ أخيه الأكبر يستهدي شرابًا: [من الكامل]

بَلِّـغْ جَمـالَ الـدِّيـنِ عبـدَ الـواحـد ... صَـدْرَ الأنـام المـاجـدَ ابْـنَ المـاجـد
بَـرَدَ الهَـواءُ وزادَ فـي قَلبـي الهـوىٰ ... فـانعِـمْ علـيَّ بقَلْـبِ ضَـدِّ البـارِدِ

ضد البارِدِ، الحار، وقَلْبُهُ: الراح»[٣].

وله في شمعة: [من الطويل]

تُسـاهـرُنـي فـي ظُلْمَـةِ اللَّيْـلِ شَمْعَـةٌ ... تُشـارِكُنـي فـي لَـوْعَتـي وسُهـادي
لهـا ذَوْبُ جِسْـمٍ وانسكـابُ مَـدامعـي ... وصُفْـرَةُ لَـونـي واحتـراقُ فُـؤادي

/٢٥٦ب/ وقال أيضًا: [من الطويل]

---

(١) خُوَيّ: بلد مشهور من أذربيجان، حصين، كثير الخير. انظر: معجم البلدان/ مادة (خوي).
(٢) خريدة القصر وجريدة العصر/ ٣ قسم فارس/ ١٢٠.
(٣) ن.م.

يَقُولُونَ: لا تَجْفُ القَوافِيَ بَعْدَما ... إلىٰ فِكْرِكَ الوَقّادِ أَلْقَتْ زِمامَها
فَقُلْتُ: الثُّرَيا لَو تَشَتَّتَ شَمْلُها ... أَنِفْتُ لِنَفْسِي أَنْ أُعِيدَ نِظامَها

[٣٠٤]

عبد الرحيم بنُ النَّفيس بن هبة الله بن وَهبانَ بن رُوميّ بن سلمان بن محمد بنَ سَلمانَ بن صَالح بنَ محمد بنَ وهْبانَ، أبو نَصْرِ بنُ أَبي جعفرِ البُزُوريُّ السُّلَميُّ الحَديثيُّ[(١)]:

كان من حديثه النورة، علىٰ فراسخ من الأنبار، قلعة حصينة في وسط الفرات، والماء محيط بها[(٢)].

كان كثير الطلب للحديث وسماعه، سمع أبا السعادات المبارك عبد الرحمن القزاز، وأبا منصور عبد الله بن محمد بن عبد السلام[(٣)]، وأبا الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، وغيرهم.

طاف البلدان، وسمع بمصر، والحجاز، والشام، ودخل إلى خراسان، وأقام بمرو، وكان طالبًا، ثقة، حافظًا، متقنًا، عارفًا باللغة، قيِّمًا بها، تفقّه علىٰ مذهب الإمام الشافعي /٢٥٧أ/ رضي الله عنه.

وله رسائل وشعر، صحبه أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، في القراءة علىٰ جماعة وافرة من مشايخ مرو وخوارزم، وتركه في خوارزم في سنة سبع عشرة

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨ وفيه: «توفي سنة ثمان عشرة وستمائة». التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٦٥ رقم ١٨٥٨. ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ١٢٨ ـ ١٣٠. شذرات الذهب ٥/ ٨٠. تأريخ إربل ١/ ٢٣٤. معجم البلدان ٢/ ٢٣١. خريدة القصر/ ٣ قسم فارس/ ١٢٠. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ١٤٨ ـ ١٤٩ رقم ٩٧. تأريخ الإسلام (السنوات ٦١١ ـ ٦٢٠).
سترد ترجمة أخيه (عبد العزيز) في هذا الجزء برقم ٣١٧.

(٢) انظر: معجم البلدان/ مادة (الحديثة).

(٣) عبد الله بن محمد بن علي بن هبة الله بن عبد السلام بن عبد الله بن يحيى الكاتب، من بيت كتابة ووزارة، لد سنة ٥٠٦هـ. سمع من معاصريه وحدّث عنهم، توفي ببغداد سنة ٥٨٩هـ.
ترجمته في: المختصر المحتاج إليه ٢/ ١٦١. التكملة للمنذري ١/ ١٨٤ رقم ١٩٠. النجوم الزاهرة ٦/ ١٦٣.

وستمائة، فقتله التتر شهيداً[١].

وكانت ولادته علىٰ ما أخبرني القاضي الإمام أبو القاسم بن أبي الحسن الحلبي قال: أخبرني إبراهيم الصريفيني [في] عاشر ربيع الأولَ سنة سبعين وخمسمائة بالحديثة.

أنشدني أبو بكر محمد بن عبد الغني بن نقطة البغدادي[٢] قال: أنشدني أبو نصر عبد الرحيم بن وهبان لنفسه: [من البسيط]

لـي صـاحـبٌ لـم أُؤكِّـدْ عَقْـدَ خُلَّتـه ... إلاَّ وقـابَلَنـي فـي حَلِّهـا دَأْبـا

يَـزُورُ عـن جهَـة الإنصـاف مَقْصَـدُه ... جَهْـلاً فـإنْ سمْتُـه حفْـظَ الـودَاد أبـىٰ

دَارَيْتُـه زَمَنـاً رَعْيـاً لـذمَّتـه ... رَجـاءَ أنْ يَـرْعَـوي عـن غَيِّـه فَنَبَـا

فحيـثُ عيْـلَ بـه صَبْـري وأعجَـزَنـي ... قَطَعـتُ مـن وُدِّه المخلَـوْلـق السَّبَبَـا

وقُلـتُ: رُحْ غيـرَ مَصْحـوب إلـىٰ سَقَـرٍ ... فكـم أكـابـدُ فيـكَ الـوَيْـلَ والحَـرَبـا

وأنشدني أيضًا قال: أنشدني أبو نصر لنفسه، وكتبها إلى المفيد يونس / ٢٥٧ب/ بن أبي بكر البغدادي الفقيه الحربي، يتقاضاه بوعد الاجتماع:

[من المجتث]

مـا هكـذا كـان ظَنِّـي ... مـعَ المفيـد الأجَـلِّ

أنجَـزتَ وعْـدَ التَّـلاقـي ... لكـنْ بلَـيٍّ ومَطْـلِ

وَعَـدْتَنـي منْـكَ قُـرْبـاً ... يُنْسـي الهُمُـومَ ويُبْلـي

فبـتُّ أرْقُـبُ طَيْـفَ الـ ... ـخَيـال جَهْـدَ المُقـلِّ

أُجفَـىٰ وأُقصَـىٰ ويَحْظَـىٰ ... غيـري بلَـذَّة وَصْـلِ

يـا قَـوْمَنـا نـاصِفُـونـا ... مـاذا قَضيَّـةُ عَـدْلِ

---

(١) انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٣١.

(٢) معين الدين، أبو بكر، الحنبلي (٥٧٩ ـ ٦٢٩هـ) عالم بالأنساب، حافظ للحديث، من أهل بغداد، سئل عن «نقطة» التي ينسب إليها، فقال: هي جارية ربّت جدّ أبي.
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٥٢٠. الوافي بالوفيات ٣/ ٢٦٧. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٩٧ ـ ١٩٨، ٦/ ٢١١.

حدثني القاضي الإمام أبو القاسم عمر بن أبي الحسين العقيلي قال: خرجت يومًا من سماع الحديث على شيخنا أبي هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي الحلبي[١]، ومعي أبو نصر عبد الرحيم بن وهبان، فناولني في الطريق رقعة بخطه من شعره في فضل أصحاب الحديث، فتأملتها فإذا فيها، وكتبتها من خطه[٢]: [من الكامل]

عِلْمُ الحديث أَجَلُّ علم يُذْكَرُ ... ولهُ خصائصُ فَضْلُها لا يُنْكَرُ
/٢٥٨أ/ رُكْنٌ من أركان الشَّريعة موثَقٌ ... وبنصِّه آيُ الكتاب يُفَسَّرُ
وهُوَ الطَّريقُ إلى الهدى وضياؤهُ ... لظَلام إشكال الأمور مُنَوِّرُ
وهُوَ الذَّريعةُ في معالم ديننا ... وبه الفقيهُ اللَّوذعيّ يُعَبِّرُ
لولاهُ لم يُعْرَفْ لقوم سيرةٌ ... فلسانُه عن كلِّ قَرْنٍ يُخْبِرُ
ورجالُه أهلُ الزَّهادة والتُّقى ... وهُمُ بتحقيق المناقب أَجْدَرُ
وَقَفُوا نُفُوسَهُمُ عليه فَجِدُّهُمْ ... لا يَنْثَني ودؤوبُهم لا يَفْتُرُ
يَنْفُونَ عنهُ إفكَ كلِّ مُعاند ... بدلائل متلألئات تُزْهِرُ
ويقونَه شُبَهَ الشُّكُوكِ بجَهْدِهم ... فيظلُّ بَعْدَ الشَّكِّ وهْوَ مُشَهَّرُ
ويُمَيِّزونَ صَحيحَهُ وسَقيمَهُ ... بمقالة تبيانُها لا يَقْصُرُ
لله دَرُّهُمُ رجالاً ما لَهُمْ ... في هذه الدُّنيا مغانٍ تُعْمَرُ
في الله مَحْياهُمْ وفيه مَماتُهُمْ ... وهُمُ على كَلَفِ المَشَقَّةِ صُبَّرُ
قَنَعُوا بمُجرى قُوتهمْ من دارهمْ ... ورَضُوا بأطمارٍ رثاثٍ تَسْتُرُ
ما ضَرَّهم ما فاتَ من دُنْياهُمُ ... فَلَذيذُ عَيْشهمُ الهَنيُّ مُؤخَّرُ

وأنشدنا القاضي الإمام الكامل زين الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن /٢٥٨ب/ بن عبد الله ابن علوان الأسدي ـ رحمه الله ـ بمنزله المعمور، يوم الثلاثاء،

---

(١) عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب بن حسين الهاشمي البلخي، من سلالة عبد الله بن عباس، افتخار الدين، فقيه، ولد في بلخ سنة ٥٣٩هـ ونشأ بها، وانتهت إليه رئاسة الحنفية في حلب، وتوفي بها سنة ٦١٦هـ. شَرَحَ الجامع الكبير في الفقه للشيباني.
ترجمته في: الجواهر المضية ١/ ٣٢٩. الأعلام ٤/ ١٥٤.

(٢) القصيدة في تأريخ دنيسر ٩٩ ـ ١٠٠.

ثاني عشر رجب سنة أربع وثلاثين وستمائة قال: أنشدني عبد الرحيم بن وهبان لنفسه:

[من المجتث]

أراكَ تَنْظُرُ قَولي ... فَتَزْدَريني لأَجْلِه
وقد حَوىٰ لو ذَعِيًا ... شَاعَتْ مَحاسِنُ فَضْلِه
يكْفيكَ فعْلاً وَقَولاً ... في عَقْدِ أَمْرٍ وحَلِّه
إمَّا بَلَوتَ حُسامًا ... فانظُرْ إلى حَدِّ نَصْله
ولا يَغُرَّكَ منْهُ ... غمْدٌ جَديدٌ لصَقْلِه
بل اختبِرْ ظُبَتَيْه ... تُحِطْ بكُنْهِ مَحَلِّه
وأَوْلِهِ من شَفيقٍ ... حَمْداً وَذَمًّا بفعْلِه
هذا هُوَ الرُّشْدُ فاسلُكْ ... منْهُ مَناهِجَ عَدْلِه

[٣٠٥]

عبدُ الرَّحيم بنُ عليِّ بن إسحَقَ بن شيثَ بن مُحَمَّد بن إبراهيمَ بن مُحَمَّد بن مَروانَ بن مُحَمَّد الحَمَّار، أبو القاسمَ بنُ أبي الحَسَنِ الكاتبُ الصَّعيديّ المصَري / ٢٥٩أ/ القُرَشي[١]:

بقيّة الشيوخ الكتاب البلغاء، وأصحاب الدواوين الفضلاء، وكان ذا فضائل كثيرة، ورسائل شهيرة، وتصانيف حسنة في أصول الدين والرقائق.

---

(١) في هامش الأصل: «جمال الدين»، الإسنائي المولد، القوصي النشأة.
ترجمته في: مجمع الآداب ١/ ٢٢١. مرآة الزمان ٨/ ٦٥٢. التكملة للمنذري ٣/ ٣١٧ رقم ٢١٨١ وفيه: «عبد الرحمن بن علي بن الحسين بن شيث..». الطالع السعيد للأدفوي ٣٠٥ ـ ٣٠٨ رقم ٣٣٦. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص٢٣١ رقم ٣٠٦. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢ رقم ١٧٩، وفيه: «الأشنائي» مصحفًا. فوات الوفيات ١/ ٥٦٠. صبح الأعشى ٦/ ٣٥٢، وهو فيه «عبد الرحيم بن شيت». الوافي بالوفيات ١٨/ ٣٧٩ ـ ٣٨٣ رقم ٣٩٥. ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٢٥، ١٣٠. ذيل الروضتين ص١٥٣. العبر ٥/ ١١١. شذرات الذهب ٥/ ١١٧. الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٢٩. مرآة الجنان ٤/ ٩٥. البداية والنهاية ١٣/ ١٣٠. الدارس في تأريخ المدارس ٢/ ١٢٧. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٧٠. صبح الأعشى ٦/ ٣٥٢. القلائد الجوهرية ص٢١٧. تأريخ إربل ١/ ٣١٤ ـ ٣١٥. الأعلام ٤/ ١٢١. معجم المؤلفين ٥/ ٢٠٩.

كتب الإنشاء بديوان مصر للملك العزيز عماد الدين عثمان بن يوسف بن أيوب بن شاذي، وبعد الملك العزيز رحل إلىٰ دمشق، وصار منشئًا لسلطانها الملك المعظم عيسىٰ بن أبي بكر بن أيوب ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وتوفي فيما بلغني في المحرم(١) سنة خمس وعشرين وستمائة(٢)، وكانت ولادته في سنة ثلاث وستين وخمسمائة(٣).

حدثني القاضي أبو القاسم ـ أدام الله سعادته ـ قال: كان يكتب بين يدي القاضي الفاضل، وقدم علينا مدينة حلب في صفر من سنة ثلاث عشرة وستمائة في دولة الملك الظاهر، فأنزله، وأكرمه، وعرض عليه الإقامة بحلب ليستخدمه، ورشحه لوزارته، فأقام مدَّة، ولم يتهيأ له ما أراد، فتجهز للرحيل عن حلب، فصدّه الملك الظاهر، ووعده بوعود كثيرة / ٢٥٩ب/ ، وطالت إقامته بحلب، وكان متشوقًا إلىٰ التوجه إلىٰ الملك الأشرف موسىٰ بن الملك العادل، وقد كان بينه وبينه معرفة أكيدة، وخدمة سالفة، حين كان الملك الأشرف بالبيت المقدس، فتوجه إليه، فلم يحظ عنده بما يريد، فأقام مدة، ثم عاد، واجتاز بحلب بعد موت الملك الظاهر، وتوجه إلىٰ حماة، فأقام بها مدة في ضيافة الملك المنصور محمد بن عمر، ثم سار عن حماة إلىٰ دمشق، وعاد إلىٰ خدمة الملك المعظم عيسىٰ بن الملك العادل أبي بكر بها.

وكنت اجتمعت به بالبيت المقدس في سنة تسع وستمائة، وهو إذ ذاك يتولىٰ الديوان بها، فأنشدني شيئًا من نظمه، ووهبني كتابًا من تأليفه، قرأته عليه، وأنشدني بحلب أقطاعًا كثيرة من شعره، وكان حسن النظم والنثر، بليغًا في الكتابة، وسألته عن مولده فقال: في محرم سنة ثلاث وستين وخمسمائة، وكان قد ترشح قبل موته بأيام لوزارة الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم بن أبي بكر بن أيوب.

أنشدني القاضي أبو المآثر عبد الصمد / ٢٦٠أ/ بن عبد الله بن أحمد المصري قال: أنشدني أبو القاسم بن شيث لنفسه: [من الطويل]

---

(١) في هامش الأصل: «سابع محرم».
(٢) في التكملة: «ودفن في تربة له بجبل قاسيون».
(٣) أشارت أكثر المصادر التي ذكرت ولادته أنها كانت في سنة ٥٥٠هـ.

وما قَلَمي في شَرْحِ ما أنا واجِدٌ ... وإنْ كانَ في كَفِّي يَنُوبُ مَنابي

فلستُ أرىٰ يومي كتابيَ بالغًا ... مُرادي وَمَنْ هذا قطَعْتُ كتابي

وأنَّ الذي بَيْني وبَيْنكَ خالِدٌ ... لَيُؤنِسُني في البُعْدِ عندَ غِيابي

وأنشدني أبو المجد أسعد بن إبراهيم الكاتب الإربلي قال: أنشدني أبو القاسم ابن شيث لنفسه: [من الطويل]

إذا نَحْنُ أهْدَينا إليكَ فَإنَّما ... بفعْلِكَ نُهدَى لا بجُودكَ نَهْتَدي

وما عندَنا إلاَّ عَطَاياكَ فالَّذي ... يُوافيكَ منّا بعضُ مالَكَ مِنْ يَدِ

وأنشدني قال: أنشدني أبو القاسم من شعره: [من الكامل]

ثقَتي بفَضْلكَ تُوجِبُ استرْسالي ... ومَحَبَّتي لَكَ تَقْتَضي إدْلالي

وكَفَىٰ بأنَّكَ صافِحٌ في ذا الَّذي ... أُبديه مِنْ قَولي ومِنْ أفْعالي

وقال أيضًا: [من الطويل]

وقد كنتُ أرجُو مِنْ زَماني لقَاءَهُ ... وأهْواهُ مِنْ قَبْلِ اللِّقَاءِ سَماعا

فَلَمّا تَلاقَيْنَا وَمَتَّعتُ ناظِري ... برُؤْيَتِه كانَ اللِّقَاءُ وَداعا

[٣٠٦]

عبدُ الرَّحيم بنُ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن يُونُس بن مُحَمَّد بن مَنَعَةَ بنِ مالك، أبوَ القاسم بنُ أبي عبد الله المَوْصليّ(١):

من أبناء الفقهاء المدرسين، ومن بيت العلم والفقه، وأبو القاسم كانت ولادته في سنة أربع وستمائة.

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ٣٩١. طبقات السبكي ٥/ ٧٢، ط الرياض ٨/ ١٩١ ـ ١٩٢، وفيه: «مولده بالموصل، سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وكان بها إلى أن استولت عليه التتار فانتقل إلى بغداد، وولي قضاء الجانب الغربي بها، وببغداد مات سنة إحدى وسبعين وستمائة». البداية والنهاية ١٣/ ٢٦٥. شذرات الذهب ٥/ ٣٣٢. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٦٣. طبقات الإسنوي ٢/ ٥٧٤. الحوادث الجامعة ٣٧٤. مرآة الجنان ٤/ ١٧١ ـ ١٧٢. ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٤ ـ ١٦. هدية العارفين ١/ ٥٦١.

تفقّه علىٰ عمٍّ والده الشيخ العلاَّمة أبي المعالي موسىٰ بن يونس بن محمد بن منعة، وتميّز علىٰ أبناء زمانه، وصار معيد درسه بالمدرسة المولوية البدرية ـ خلّد الله ملك منشئها ـ.

وهو شاب جميل، مناظر، فاضل، ذو كياسة ولطافة، وله أشعار رقيقة غزلة، أنشدني منها قوله: [من مجزوء الكامل]

قَسَماً بنَرْجِسِ مُقْلَتَيْهِ ... وشقائقٍ في وَجْنَتَيْهِ
وَسَنَى أقاحِي ثَغْرِهِ ... وبنَفْسَجٍ فِي عارِضَيْهِ
وبنُورِ صُبْحِ جَبِينِهِ ... وظَلامِ لَيْلِ ذُؤَابَتَيْهِ
إنِّي لأَهْوَىٰ أنْ أَمُوتَ مُتَيَّماً كَلِفاً عليهِ

وأنشدني أيضاً قوله: [من الرجز]

يا شادناً نَفَّرَنِي ... عن السُّلُوِّ إذْ نَفَرْ
/ ٢٦١أ/ فَتَّرْتَنِي إذْ فَتَرَتْ ... عَيْناكَ عن كُلِّ البَشَرْ
هَجَرْتَنِي فالنَّوْمُ مُذْ ... هَجَرْتَني جَفْني هَجَرْ
يا مَنْ لهُ قَدٌّ قَضِيـ ... ـبِيٌّ وخَصْرٌ مُخْتَصَرْ
سَحَرْتَ لَيْلي بالجَفَا ... فَما لِلَيْلي مِنْ سَحَرْ
أقْصِرْ عن الفَتْكِ فإنَّ كُلَّ مُسْتَطَرْ
أحَلَّ قَتْلُ الصَّبِّ في التَّنْبِيهِ أمْ في المُخْتَصَرْ؟
لمَّا بدا شارِبُهُ ... مَعَ العَذارَيْنِ وَطَرّ
أيْقَنْتُ أنِّي في الهَوَىٰ ... أقْضِي ولا أقضي وَطَرْ

[٣٠٧]

عبدُ الرَّحيم بنُ عُمَرَ بن شَهنْشاهَ بن أيوبَ بن شاذَى بن مَرْوانَ بن يَعْقُوبَ، الملكُ الفائزُ، أبو منصورِ بنُ الملكِ المُظفرِ أبي المناقب[1]:

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ٢/ ٤٩١.

كانت ولادته بحماة في حدود سنة ستّ وثمانين وخمسمائة، هكذا ذكر لي لما سألته عن ذلك فقال: كان لنا من العمر سنة ونصف، لما توفي والدي، وكانت وفاة والده في سنة /٢٦١ب/ ثمان وثمانين وخمسمائة، وكان اجتماعي بالملك الفائز في شهر ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ترك ما كان عليه من امور الإمارة والخدمة، وصار صوفيًا يطلبُ الصوفية، ويعاشرهم، ويعاني قول الشعر الحجازي، ويلقيه علىٰ المغنين فيغنون به، ويتداولونه.

وشعره سهل الألفاظ سلس، وهو كثير العناية بصنعة الدوبيت، وحضور السماعات، ومعاشرة الفقراء.

أنشدني بحلب المحروسة في شهر ذي القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة لنفسه[1]:

[من الطويل]

إذا نَفَحَتْ ريحُ المُحَصَّب مِنْ نَجْد ... طَربتُ لمَسراها بما هاجَ مِنْ وَجْدي
ثَملتُ بَريَّاها وحَمَّلتُ نَفْحَها ... غرامي بلُقْيا جيرَةَ العَلَمِ الفَرْدِ
ألاَ يا صَبا نَجْد بحَقِّك بَلِّغي ... أحبَّتَنا مِنْ شِدَّةَ الشَّوْق ما عنْدي
أُسائلُها عن سَاكني الحَيِّ سُحْرَةً ... فَتُخْبرُ أنَّ الظَّاعنين علىٰ عَهْدي
فيا لَكِ مِنْ ريحٍ إذا هَبَّ نَفْحُها ... تَزيدُ الَّذي في القَلْب مِنْ شِدَّة الوَقْد
تُحَدِّثُ أخْبارَ الغَرام عَنِ الحِمَىٰ ... وتُسْنِدُهُ نَقْلاً عَنِ البَارقِ النَّجْدي
لها بأسانيد المحَبَّة شَاهِدٌ ... صَحيحٌ بما تَرْويه في الحُبِّ عَن عَهْد
/٢٦٢أ/ عسىٰ زَائرٌ يأتَمُّني مِنْ بلادهمْ ... أُسائلُه مَنْ حَلَّ دارَهُمُ بَعْدي
أحِنُّ إلىٰ الأوطان مِنْ رَبْعِ لَعْلَعٍ ... وأعشَقُ نَشْرَ الشِّيحِ والبانِ والرَّنْد
ولَولا قُدُودُ الهيف ما كنتُ مولعًا ... بتَرْنيح بانٍ مُذْكرٍ أهْيَفَ القَدِّ
فلا عَيْشَ إلاَّ ما قَطَعْناهُ في الحِمَىٰ ... بأيَّامِ لَهْوٍ أشْبَهَتْ زَمَنَ الوَرْد

(١) بعض أبياتها في مجمع الآداب ٢/ ٤٩١.

[٣٠٨]

عبدُ الرَّحيم بنُ عبد المَلك بنِ عليٍّ بنِ عبدِ الكَريمِ بنِ المُفَضَّلِ بن أبي شَيْبَةَ القُرَشيُّ العَبْدَرِيُّ:

من أهل مَنْبِج[١]، يكنّى أبا شيبة، رجل من أهل الرئاسة والجلالة، أخبرني أنَّه ولد في شهر رجب سنة أربع وتسعين وخمسمائة.

حافظ للقرآن الكريم، وكانت وفاته بحلب في شهر الله رجب سنة ثمان وثلاثين وستمائة، في العشر الوسطى منه.

أنشدني لنفسه: [من الخفيف]

مـا لصَـرْفِ الهُمُـومِ غيـرُ المُـدام ... فـاسقنيهـا مُعَـرِّجـًا عـن مَـلاَمـي

واغتَنَـمْ سـاعـةً تُـريـكَ سُـرُوراً ... إنَّ عُمْـرَ الإنسـان بـالأحـلامِ

واتَّخِـذْ فـي زمـانـكَ الآنَ خـلاًّ ... فَلقـد عَـزَّ كـلُّ خـلٍّ مُحـامـي

/٢٦٢ب/ واصطَبِح في غَبُوقِ كأسكَ واعلَمْ ... أنَّ كـلاًّ تُـرديـه كـاسُ الحِمـامِ

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الوافر]

بَلَـوْتُ النَّـاسَ فـي عَقْلـي وَلُبِّـي ... فَلَـمْ أرَ شـافيـًا منْهـم لكَـرْبـي

وعِشْـتُ إذاً وَحيـداً فـي خُمُـول ... وملْـتُ إلـى القَنَـاعَـة فَهْـيَ حَسْبـي

وألجيـتَ الأمُـور إلـى إلَهِـي ... إلـى أنْ يَنْقَضِـي رِزْقـي وَنَحْبِـي

---

(١) مَنْبج: بلد قديم واسع، بينه وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وإلى حلب عشرة فراسخ. انظر: معجم البلدان/ مادة (منبج).

ذكر من اسمه عبد السلام

[٣٠٩]

عبدُ السَّلامِ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ يُوسُفَ، أبو محمد البُوبَانيُّ:

من أهل المغرب.

حدثني الصاحب أبو البركات المستوفي - رضي الله عنه - بأربل قال: كان أبو محمد ينسخ ويكتب واضحًا، قدم إِربل غير مرة، وتوفي بها سنة أربع وستمائة، وأخذ عامل التركات تركته.

وكان شاعراً، قصد بشعره الملوك.

أنشدني - رحمه الله - لنفسه في شهر رجب من سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بإِربل، وهي أول قدوماته: [من الوافر]

/ ٢٦٣أ/ رُوَيْدَكَ أيُّها الرَّشَأ الغَرِيرُ ... فَكَمْ أغْرَى بغُرَّتكَ الغُرُورُ

وبرِّدْ يا فَديتُكَ حَرَّ وَجدي ... بوَصْلكَ إنَّ هَجْرَكَ لي مُبيرُ

أما إن آنَ أنْ تُحيي [مُعَنًّى] ... قَتيلَ هَوًى رضاكَ له نُشُورُ

إذا جَنَّ الدُّجَى جُنَّ اشتياقًا ... فليس سوى النُّجومِ لهُ سَميرُ

حَكَى يَعْقُوبُ قَبْلاً مثْلَ وَجْدي ... إلى أنْ جاءَ يُنْذرُه النَّذيرُ

وأقْسَمَ لا يَذُوقُ النَّومَ حتَّى ... يَجيءَ بثَوبِ يوسُفِه بَشيرُ

فوالَهْفي على زَمَنٍ تَقَضَّى ... وغُصْنُ شَبيبَتي غَضٌّ نَضيرُ

سَقى صَوْبُ العهادِ عُهودَ لَهْوٍ ... عَهدْنَاهَا وشاهدُها السُّرُورُ

ديارٌ للفُؤادِ بها غَرامٌ ... مُقيمٌ ما لهُ عنها مَسيرُ

قَضى صَرْفُ القَضا عنها بصَرْفٍ ... ولِلأقدارِ أحكامٌ تَجُورُ

تُرى الأيَّامُ تَسْمَحُ واللَّيالي ... فَيُقْضى لي إلى مصْرٍ مَصيرُ ؟

فقد ضاقَ الصَّعيدُ عليَّ حَتَّى ... كأنِّي بينَ أُسْرَتهِ أسيرُ

[٣١٠]

عبدُ السلامِ بنُ المُطَهَّر بن عبد الله بن مُحَمَّد بن هبة الله بن عليٍّ بن أبيَ عَصْرون، أبو العَبَّاس /٢٦٣ب/ بن أبي المَعَالي التميمي[١]:

الفقيه المفتي.

من أبناء العلماء، والقضاة، وبيت الفقه، والعلم، والرئاسة الظاهرة في الدين والجاه العريض والتقدم عند الملوك والسلاطين.

سمع أبا الفرج الثقفي، وجدَّه القاضي أبا سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون[٢]، وكان فقيهًا حبراً، قرأ الخلاف والأصول، ودرّس الفقه بحلب، بالمدرسة التي أنشأها الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي بن آقسنقر ـ رضي الله عنه ـ المنسوبة إليهم.

وكان مع ذلك رجلاً عاقلاً، هيوبًا، صيِّنًا، ذا سمت ووقار، ورئاسة وجلالة، سمح اليدين، كريم النفس، باراً بالفقراء والمساكين، لا يردّ قاصداً يفد عليه، وله إيثار ومعروف يصل إلى جماعة يردون عليه، ولم يكن يدّخر شيئًا من عرض الدنيا، وتوفي وعليه دين.

وكانت ولادته في سنة ثمان وستين وخمسمائة، وكانت وفاته بدمشق في ليلة

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ٤٣٦ ـ ٤٣٧، وفيه: «عبد السلام بن المطهّر ابن قاضي القضاة أبي سعد عبد الله بن أبي السري بن هبة الله بن المطهَّر بن علي بن أبي عَصْرون، الفقيه شهاب الدين، أبو العباس التميمي الدمشقي الشافعي. . ». مرآة الزمان ٨/ ٦٩٤، وفيه: «ابن المظفر. . . ». التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٨٢ رقم ٢٥٧١. ذيل الروضتين ١٦٢. العبر ٥/ ١٢٨. النجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٧. شذرات الذهب ٥/ ١٤٩. الحوادث الجامعة ٧٥. سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٧٨. تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص١٠٣.
ترجم المؤلف لولده (محمد بن السلام) في الجزء السابع برقم ٨١٣.

(٢) عبد الله بن محمد بن هبة الله التميمي، شرف الدين، أبو أسعد، ابن أبي عصرون (٤٩٢ ـ ٥٨٥هـ)، فقيه شافعي، من أعيانهم.
ترجمته في: وفيات الأعيان ١/ ٣٣٩. طبقات الشافعية للسبكي ٤/ ٤٣٧. نكت الهميان ١٨٥. الأعلام ٤/ ١٢٤.

الثلاثاء، الثامن والعشرين / ٢٦٤أ/ من المحرم سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، ودفن بجبل الصالحية ـ رحمه الله تعالىٰ ـ.

عثرت لـه بقصيدة مطوّلة سمّاها بالزكية في مدح سيد البرية ﷺ، عدد أبياتها مائة وثمانية وثمانون بيتًا، ليست من جيّد الشعر ورائقه، بل هي متكلفة الألفاظ، وفيها تعسّف، وذلك لأنه لم يكن نظم الشعر من شأنه، أنشأها في مدح النبيّ ﷺ، وهي تشتمل علىٰ مناقبه، وفضائله، ومعجزاته التي ظهرت وانتشر ذكرها في أقطار الدنيا، وأنشدها عند قبره عليه السلام لما حجَّ، وسمعها منه خلق كثير، ولم يقل من الأشعار سواها، فلم أرَ الإخلال بها، فأثبتُّ بعضها تبركًا بذكره عليه السلام، وكونها في مدحه، واعتمد فيماَ ضمنها من المعجزات والمناقب على «كتاب الشِّفا في شرف المصطفى»، تصنيف القاضي أبي الفضل عياض بن موسىٰ السبتي[١]، ثم علىٰ «كتاب الروض الأُنُف» للسهيلي[٢]، ثم على سفر[٣] ابن عبد ٱلبَرّ[٤]، ثم سيرة ابن هشام[٥]/ ٢٦٤ب/ وغيرهم، نطق بذلك متأخراً في عجز القصيدة، أنشدنيها الشيخ العارف الأمين أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن عبد القاهر بن النصيبيني بحلب المحروسة، يوم الخميس ثالث عشر شوال سنة سبع وثلاثين وستمائة، بدار الشيخ

---

(١) عياض بن موسى بن عياش بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (٤٧٦ ـ ٥٤٤هـ)، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، له عدة مصنفات منها: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ ط».
ترجمته في: قلائد العقيان ٢٢٢. قضاة الأندلس ١٠١. بغية الملتمس ٤٢٥. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ١/ ٢٣. الأعلام ٥/ ٩٩.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي (٥٠٨ ـ ٥٨١هـ)، حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير، نسبته إلى سهيل إحدى قرى مالقة. له عدة مصنفات منها: «الروض الأنف» في شرح السيرة النبوية لابن هشام ـ ط.
ترجمته في: المغرب في حلى المغرب ١/ ٤٨٨. نكت الهميان ١٨٧. زاد المسافر ٩٦. تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣٧. الأعلام ٣/ ٣١٣.

(٣) يعني: «الدرر في اختصار المغازي والسير» الذي نشره د. شوقي ضيف.

(٤) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النمري القرطبي المالكي، أبو عمر (٣٦٨ ـ ٤٦٣هـ)، من كبار حفّاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة، يقال له حافظ المغرب.
ترجمته في: بغية الملتمس ٤٧٤. وفيات الأعيان ٢/ ٣٤٨. المغرب في حلى المغرب ٢/ ٤٠٧. الديباج المذهب ٣٥٧ وفيه: «يوسف بن عمر بن عبد البر». الأعلام ٨/ ٢٤٠.

(٥) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ) مؤرخ، كان عالمًا بالأنساب واللغة وأخبار العرب، وهو صاحب «السيرة النبوية».
ترجمته في: الروض الأنف ١/ ٥. وفيات الأعيان ١/ ٢٩٠. إنباه الرواة ٢/ ٢١١. البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٧. الأعلام ٤/ ١٦٦.

الأجلّ المحترم الكبير محيي الدين بن صالح بن عبد الكريم بن عثمان بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن العجمي ـ أدام الله تأييده؛ وقرن بالسعادة توفيقه وتسديده بمحمد وآله أجمعين ـ أولها: [من الطويل]

سَأُذْكُرُ مَجْداً لا أطيقُ لَهُ حَصْراً ... وأُنشِدُ فَضْلاً أَعْجَزَ البدوَ والحَضْرا
لخَيْرِ نَبِيٍّ أَظْهَرَ اللهُ دينَهُ ... بإرسالِهِ بَرّاً وإظهارِهِ بَحْرا
نَبِيٌّ كَسَاهُ اللهُ عِلماً ورِفْعَةً ... وأعلَىٰ لَهُ شَأْناً وأسمَىٰ لَهُ قَدْرا
مُحَمَّدٌ المُخْتارُ مِنْ آلِ هاشِمٍ ... فأنعمُهُ [مَوفُورَةٌ أبداً] تَتْرَى
مُخالِفُهُ قد بَاءَ بالذُّلِّ والشَّقَا ... وناصِرُهُ قد أحرَزَ العِزَّ والنَّصْرا
وآباؤه سادوا وكان .... وفضلُهمُ عَمُّوا العِمارةَ والقَفْرا
ومِنْ فَضْلِهِم أنَّ الذَّبيحَيْنِ مِنْهُمُ ... أطاعا لأمْرِ اللهِ إذْ فَهِما الأمْرا
/ ٢٦٥ب/ وأعمامُه ساداتُ فهرٍ ومالكٍ ... بهم شَرَّفَ اللهُ السِّقايةَ والنَّصْرا
فأوَّلُهم ذكراً أبو طالبِ الَّذي ... حَمَىٰ ابنَ أخيهِ ما أرادوا بهِ المَكْرا
وحَمْزَةُ والعَبَّاسُ عَمّا نَبِيِّنا ... أشادا لَهُ عِزّاً وكانا لَهُ ظَهْرا
فَجازاهُما الرَّحمنُ خَيْرَ جَزائِهِ ... وآتاهُما نُوراً وأتْبَعَهُ شُكْرا
وَعِتْرَتُهُ حازوا المكارمَ والعُلاَ ... فحَسْبُهُمُ فَضْلاً وحَسْبُهُم فَخْرا
فَعِزُّهُمُ إرثٌ لهُمْ عن أكابِرٍ ... ومَجْدُهُمُ أعلى مِنَ الفَلَكِ المُجْرى
وأصحابُهُ خَيْرُ البَرِيَّةِ كلِّها ... وأنصارُه ساداتُ مَنْ وَطَأَ الغَبْرَا
هُمُ جاهَدوا في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ ... وقاموا بهِ سِرّاً وقاموا بهِ جَهْرَا
بهِمْ أيَّدَ اللهُ النَّبيَّ وَشَرْعَهُ ... فَسُرُّوا بهِ دُنْيا وفازوا بهِ أُخْرَى
فَعَمَّهُمُ اللهُ الكَريمُ بفَضْلِهِ ... وجازاهُمُ خَيْراً وآتاهُمُ بِرَّا
وبلَّغَهُم مِنْهُ سَلاماً ورَحْمَةً ... يَدُومانِ في الأفلاكِ ما دامَتِ الخَضْرا
وأربعَةٌ مِنْ صَحْبِهِ خَيْرُ صَحْبِهِ ... بهم شَرَّفَ اللهُ الخِلافَةَ والعَصْرَا
فأوَّلُهُم صِدِّيقُهُ وَصَفِيُّهُ ... وثانيهمُ الفاروقُ ما افتَرَقا دَهْرَا
ويتلوهُما عُثْمانُ ثُمَّ ابنُ عَمِّهِ ... أبو حَسَنٍ قد أوْهَنَ الشِّرْكَ والكُفْرا
فَحيَّاهُما الرَّحمنُ خَيْرَ تَحِيَّةٍ ... فقد أحرَزوا مِنْهُ القَرابَةَ والصِّهْرَا
/ ٢٦٥ب/ وفاطِمةُ الزَّهراءُ خَيْرُ نِسائِها ... وأولادُها ساداتُ مَنْ رَكِبَ الظَّهْرَا

بِـهِ بَشَّـرتنـا الـرُّسْـلُ مِـنْ قَبْـلِ بَعْثِـهِ وَرَدُّوا جَميعــاً أنْ يَشُــدُّوا لَــهُ أَزْرا

وهذا القدر فيه كفاية من أبياتها.

[٣١١]

عبدُ السلام بنُ جَعْفَر بن أبي مُحَمَّد عبد الله بن أبي طاهر مُحَمَّد بن مُحَمَّد، أبو الغنائم التكريتيّ، المعروف بابن الكُتُبيّ[١]:

قرأ في صغره وفي كبره بتكريت علىٰ قاضيها أبي زكريا يحيىٰ بن القاسم[٢]، وسافر إلى الموصل، وأقام بها مدّة، ولقي بها جماعة من المشايخ والفضلاء وأهل العلم، وصحبهم، وقرأ عليهم، ثم إلى مدينة السلام، وأقام بها واشتغل بفنون من علم الأدب، ورأىٰ بها جماعة من العلماء، ولما قدم القاضي ضياء الدين القاسم بن يحيىٰ الشهرزُوري إلىٰ بغداد، وولي قضاء القضاة بها، وأمْرَ الوقوف، آستنابه في الوقوف العامة، وبعد ذلك اَستنابه عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء علىٰ الإشراف بالمنائر المعمورة.

/ ٢٦٦أ/ وكان جميل الأمر، ظاهر الديانة، معروفًا بالثقة والأمانة، ريّانًا من العلوم، يكتب الرسائل الحسنة، وينظم الأشعار المهذَّبة.

فمن أشعاره إلىٰ القاضي تاج الدين التكريتي: [من الطويل]

ومـانِـحُ تـاجِ الـدِّيـنِ كـلَّ فَضِيلَـةٍ ومُصْفِيـهِ أوْصـافـاً مُضَـوَّعَـةَ النَّشْـرِ

---

(١) ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ٢/ ٤٤١ رقم ٢٧١٩، وفيه: «ولد في ٢٤ ربيع الآخر ٥٦٢هـ، وسمع من أبي الفتح عبيد الله بن عبد الله بن شاتيل وغيره. توفي ببغداد في ٢٨ ربيع الأول ٦٣٤هـ ودفن من الغد بمقبرة باب البصرة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص١٩٨. المختار من تأريخ ابن الجزري ١٦٤.

(٢) يحيى بن القاسم بن مفرج بن درع، أبو زكريا التغلبي التكريتي: فاضل، أديب، من فقهاء الشافعية، ولد بتكريت سنة ٥٣١هـ، وولي القضاء بها، ثم انتقل إلى بغداد، فولي تدريس النظامية، وتوفي ببغداد سنة ٦١٦هـ.

ترجمته في: طبقات الشافعية ٥/ ١٤٩. مرآة الزمان ٨/ ٦٠٨. معجم الأدباء ٧/ ٢٨٨. الأعلام ٨/ ١٦٢.

ومُوليه أسْبابَ السِّيادَةِ والعُلا ... ورافعُه أوْجَ السِّماكَيْنِ والنَّسْرِ
وناظِمُ شَمْلِ الفَضْلِ بَعْدَ شَتاتِه ... بهمَتِه العَلْيا وآرائه الزُّهْرِ
وجاعلُه رِدْءاً لكلِّ مُؤمِّلٍ ... مُجيباً لمَنْ نادىٰ نَداهُ بلاَ عُذْرِ
لوقتٍ أرَىٰ فيه مُحَيّاهُ قِبْلَتي ... وأهْنا بحُبِّيه لَخالِصَةُ الدَّهْرِ
وأنَّ انقضاءَ الوقْتِ دُونَ تَيَمُّني ... وأُنْسي به لا أرْتضيه مِنَ العُمْرِ
وقد كنتُ أرجُو أنْ أُسَوَّغَ قُرْبَه ... ومَنْ لي بقُرْبِ السَّيِّدِ السَّنَدِ الذِّكْرِ
وإنْ كنتُ لم أُنْه الأُمُورَ تَفَضُّلاً ... فلا رَيْبَ أنَّ الحالَ تَشْهَدُ بالعُذْرِ
ومِنْ قَبْلِ ما تَغْدو الغَزالَةُ أغْتَدي ... وبينَ العشائيْنِ الرَّواحُ إلىٰ الوَكْرِ
فَيَا رَبِّ رَوِّ القَلْبَ مِنْ قُرْبِ مَجْدِه ... وأُورِ به زَنْدَ السِّيادَةِ والفَخْرِ

وقوله فيه: [من الكامل]

/٢٦٦ب/ مَوْلايَ مَسَّاكَ الإلَهُ بنعْمَةٍ ... غرَّاءَ دائمَةٍ علىٰ الإيثارِ
بُلِّغْتُ في عَلْياكَ غايَةَ بُغْيَتي ... يا سَيِّدَ العُلَماءِ والأبرارِ
واشتَدَّ أزْرُ العِلْمِ منْكَ بصائبِ الـ ... آراءِ في الإيرادِ والإصدارِ
وأُقيمَ مُنآدُ الأُمُورِ بعَزْمِكَ الـ ... ـماضي الشَّبا المشكورِ في الأخْبارِ
وسَرَتْ فَضائلُكَ الشَّهيرَةُ في الورىٰ ... حتَّىٰ تُؤَرِّجَ سائرَ الأمْصارِ
حُيِّيتَ مِنْ مَولىٰ الأنام بكلِّ ما ... تَخْتارُهُ مِنْ رفعَةٍ وفَخارِ
وخُصِصْتَ مِنْ آلائه بمَواهبٍ ... مَشْكُورَةٍ مَوْفُورَةِ المقدارِ
لا زِلتَ تحتَ رضاهُ يا مَنْ لم يَزَلْ ... تُرضيه في الإعلانِ والإسرارِ
لمَّا رآكَ مُؤَهَّلاً لمَراتبٍ ... ما إنْ لها إلاَّكَ في الأقطارِ
أدْنَىٰ مَحلَّكَ واجتباكَ ولم يَزَلْ ... نَظَرُ الخَليفَةِ في رضَا الجَبَّارِ
لازالَ مَنْصُورَ الكَتائبِ بالغاً ... أقْصَىٰ المآربِ باهرَ الأنوارِ
وأراكَ أُولىٰ النَّاسِ قاطبَةً بما ... أوْلاكَ فاشكُرْ نعْمَةَ المُخْتارِ
هذا هُوَ الشَّرَفُ الذي أضحَىٰ به ... رَبْعُ الفضائلِ ناضرَ الآثارِ
زِنْتَ الفضائلَ والعُلومَ بأسْرها ... وفَرَعْتَ أوْجَ المَجْدِ باستظْهارِ
ما كلُّ مَنْ نالَ العُلومَ بهمَّةٍ ... عُلْويةٍ كَمُكاثرٍ مِكْثارِ
/٢٦٧أ/ لَيْسَ اتِّفاقُ الأمْرِ كاستحقاقه ... والحقُّ أبلَجُ لائحُ الإسفارِ

فَتَيَمَّمَتْ بكَريم مَقْدَمكَ العُلا ... وفَداكَ كُلُّ مُبايِن خَوَّار
قد كنتُ يا صَدْرَ الورَىٰ مُتأخِّراً ... مِنْ عارض وضُحَتْ به أَعْذَاري
فَهُوَ الَّذي مَنَعَ الحُضُورَ وَصَدَّ عن ... ذَاكَ الجَنابِ الفاغِم المعْطار
ولقد ظَمِئتُ إلىٰ اللِّقاء وهكذا ... الأشواقُ تَنْمَىٰ عندَ قُرْبِ الدَّار
ولو استطَعتُ أَطَعتُ شَوقي إنَّهُ ... شَوقٌ يَتُوقُ إلىٰ أَجَلِّ مَزار
لكنَّ ضَعْفي ظاهرٌ مِنْ وَعْكَةٍ ... أَرْجُو إزالَتها بلُطْفِ الباري
والبُرْءُ قَد وافىٰ وتَمَّ وإنَّهُ ... عندَ اللِّقاء يَتُمُّ باستمرار
ولقد عَجِبتُ منَ الزَّمان وكيف لم ... أَرَ سائلاً عَنِّي وعن أَخْباري
وتَأخُّري مِنْ أَعْجَب الأشياء لو ... لا ما بَدأتُ به مِنَ الأخبار
ولِيَ الهَناءُ علىٰ الخُصُوص وسائرِ الـ ... جُمْهور أَمنَحُهُم مَن استبْشاري
هذا الَّذي قد كنتُ آمُلُهُ وقد ... نلتُ المُنَىٰ ونِهايَةَ الأوطار
فبطالعِ السَّعْدِ القُدُومُ [مباركٌ] ... واسلَمْ وَدُمْ في أَسْوَغِ الأعمار

وأنشدني الشيخ العالم، تاج الدين أبو طالب علي بن النجيب بن عثمان بن عبد الله البغدادي /٢٦٧ب/ بها في سنة تسع وثلاثين وستمائة قال: أنشدني أبو الغنائم عبد السلام بن جعفر بن عبد الله [قال: أنشدني]، أبو محمد بن محمد التكريتي لنفسه من قصيدة يمدح بها المستنصر بالله ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من الكامل]

أُبدي التَجَلُّدَ والضَّنَىٰ ما يَسْتُرُ ... وأَرُومُ كتمانَ الغَرام ويَظْهَرُ
وأَظَلُّ مَحْنيَّ الضُّلُوع علىٰ أَسًى ... ورَسِيس شَوْق نارُهُ تَتَسَعَّرُ
وأُحاوِلُ الصَّبْرَ الجَميلَ وَمَنْ يكُنْ ... صَبًّا وحلْفَ صَبابَة لا يصْبرُ
وأُسرُّ ما بي ثُمَّ أُظهِرُ ضِدَّهُ ... جَلَداً وبَاعي في التَّجَلُّد يُقْصُرُ
وإذا ذَكَرتُ لَياليًا سَلَفَتْ لنا ... زَمَنَ الوصال يُهيجُني ما أُذْكرُ
وإذا مَرَرْتُ علىٰ الدِّيار ولم أَجِدْ ... مَنْ كُنتُ أَعْهَدُهُ بها أَستَعْبِرُ
ولَطالَما حَلَّ السُّرورُ لنَابَه ... فيها ومَاسَ بها الحَبيبُ الأحْوَرُ
وأَباحَ فيها ما حَمَىٰ مِنْ ريقِه ... وهُوَ السُّلافُ البَابليُّ المُسْكرُ
وثَنَىٰ قَواماً قامَ عُذْرُ مُحبِّه ... لمَّا غَدا في حُسْنه يَتَبَخْتَرُ
وأَحُومُ حَولَ حِمَى رِضاهُ لَعَلَّهُ ... يوماً إليَّ بعَيْنِ عَطْفٍ يَنْظُرُ

مــازلــتُ مُتَّبعــاً رضــاهُ وطــالبــاً ... إعــراضَــهُ فيمــا يُحــبُّ ويــؤثــرُ
/٢٦٨أ/ ما كانَ لي ذَنْبٌ فأحْرَمَ وَصْلَه ... وعلــى مَحَبَّتِــه أمــوتُ وأُحشَــرُ
وهُــوَ العَليــمُ بكــلِّ مــا عــانَيْتُــه ... فــي حُبِّــه وبمــا أُســرُّ وأُجهــرُ
إنْ عــادَتِ الأيّــامُ لــي بطُــوَيْلــعٍ ... أو ضَمَّنــي والهــاجــريــنَ مُحَجَّــرُ
لأُخبِّــرَنَّ بمــا لَقيــتُ مــنَ الهَــوَىٰ ... ولأشكُــونَّ بــأدمُــعٍ تَتَحــدَّرُ
ولأعتبَــنَّ علــىٰ أُنَــاسٍ لــم أخَــلْ ... مــنْ بَعْــدِ حُسْــنِ وفــائهــم أنْ يَغْــدروا
عَهْــدي بنــا زَمَــنَ التَّصــابـي والهَــوَىٰ ... غُصْــنٌ نَضيــرٌ والهَــواءُ مُعَنْبَــرُ
والشَّمْــلُ مُلْتَئِــمٌ وإخْــوانُ الصَّفــا ... يَتَــراضَعُــونَ مَــوَدَّةً لا تَكْــدُرُ
فَتَفَــرَّقَــتْ تلــكَ الجُمُــوعُ وأُوحشَــتْ ... تلْــكَ الــدِّيــارُ وعــاثَ فيهــا العِثْيَــرُ
وبَقيــتُ مُنْفَــرداً أُســامِــرُ سَــوْرَةَ الــ ... ــبُــرَحــاءِ فــي اللَّيْــلِ الطَّــويــلِ أُفَكِّــرُ
مَــازالَــتِ الأيّــامُ مُــوحِشَــةً لِمَــنْ ... قَــدْ آنسَتْــه وَفعْلُهــا لا يُنْكَــرُ
فــاستَجْــلِ أبكــارَ الثَّنــاءِ بكُــلِّ مــا ... تَجْنــي بــه ثَمــرَ الثَّــواب وتَــذْخَــرُ
هــاجِــرْ إلــىٰ الحَــرَمِ الشَّــريــفِ وَطُــفْ بــه ... لتَنَــالَ غــايَــةَ مــا بفكْــرِكَ يَخْطُــرُ
وتَعُــودَ مَــوْفــوراً تُصيــبُ مِــنَ الغِنَــىٰ ... تَخْتــالُ فــي حُلَــلِ الحَبــاءِ وَتَخْطُــرُ
فهُنــاكَ أبلَــجُ مــنْ أسِــرَّةِ وَجْهِــه ... يَتَــلألأُ الكَــرمُ الأرِيــجُ ويُسْفِــرُ
مَلِــكٌ تَــولاّهُ الإلَــهُ بلُطْفِــه ... واختَصَّــهُ بــأجَــلِّ وَصْــفٍ يُــؤْثَــرُ
/٢٦٨ب/ المــالــيءُ الآفــاقِ عَــدْلاً نــائــبُ اللّــه الإمــامُ المــالِــكُ المُسْتَنْصِــرُ
خَيْــرُ الخَــلائــفِ صَفْــوَةُ الله الــذي ... كــلُّ الــوَرَىٰ فــي عَصْــره قَــدْ أيسَــرُوا
مــا أنْضَــرَ الــدُّنيــا بمــالــك رقِّ مَــنْ ... فيهــا وَمَــنْ بــولائــه نَسْتَبْشِــرُ..!
لازالَ فــي حِــرْزِ السَّــلامَــةِ خــالِــداً ... تُــزهَــىٰ بــه الــدُّنيــا ويَسْمُــو المِنْبَــرُ

[٣١٢]

عبدُ السلامِ بنُ أبي عليٍّ بنِ يَحْيَى بنِ مناحيم.

وهو الرابع عشر من أجداده.

أُبو الغَنائمِ اليَهُوديُّ.

من أهل حلب.

كانت ولادته علىٰ ما أخبرني من لفظه يوم السبت ثالث عشر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

رجل متصرف في الأعمال الديوانية، فيه ذكاء وفطنة، ويعمل الشعر الصالح طبعًا، ولم يكن عنده شيء من علم العربية، ولا اشتغل به، وربّما مرّ له أبيات لا بأس بها، ويضاف إلىٰ ذلك معرفته بعلم الحساب، وبالتصرف في إيراد أنواعه [وكان] يتولى بحلب الاستيفاء بديوانها العالي، وله أشعار / ٢٦٩أ/ كثيرة في المقطعات الغزلية وغيرها.

أنشدني لنفسه: [من مجزوء الرمل]

إنَّ يوماً أنتَ فيه لستَ تَدْري ما وراهُ
لا تُضِعْ حَقَّكَ فيه لفَقيدٍ لن تَراهُ
ليسَ بالحُزنِ عليه يَمْنَحُ الدَّهرُ لقاه
لا ولا يَلْقَىٰ شَقاءً أقْرَبُ النَّاسِ سَلاهُ
فاغْنَمِ العُمرَ ولو فا رَقتَ في الغُنْمِ رِضاهُ

وأنشدني لنفسه: [من المتقارب]

ولمّا حَكَىٰ مُسْتَديرُ العِذار علىٰ صُبْحِ خَدِّكَ خَيْطَ الظَّلامِ
تَوَهَّمَهُ مُزرِياً بالجَمَال مَتَىٰ نَزَّهَ الوَهْمَ طِيبُ المنامِ ؟
ولم يَدْرِ ـ أفديك ـ أنَّ العِذارَ طِرازُ الجَمالِ ومِسْكُ الختامِ

وأنشدني لنفسه: [من الكامل]

يا لائمي في حُبِّ مَعْسول اللَّمىٰ لو بالهَوىٰ يَقْضي عليكَ الأوْجَسُ
لعلمتَ أنَّ اللوم مرٌّ في الهوىٰ وَعَرَفْتَ ما فيه إذاً أتوجَّسُ
وتَركتَني وهَوايَ مَنْ في حُبِّه سَمْعي الأصَمُّ ودَمْعيَ المتبجِّسُ
قَمَرٌ لعَيني ما يَلَذُّ بوَجْهه فبخاطري سُلوانُه لا يَهْجُسُ
/ ٢٦٩ب/ الخَدُّ وَرْدٌ والشِّفاهُ شَقائقٌ والخَطُّ آسٌ واللَّواحظُ نَرجِسُ
والثَّغرُ دُرٌّ في العَقيقِ وخَصْرُه ما إنْ به ما يأكُلَنَّ الجِرْجِسُ
والصُّدْغُ عَقْرَبُه فلا رَاقٍ لها واللَّفْظُ سِحْرٌ ليسَ مِنْهُ مَحْبِسُ

وأنشدني لنفسه: [من الخفيف]

قُمْ بنا نَجْتَلي كُؤوسَ العُقار ... فهْيَ تَجْلُو وَساوسَ الأفكار
ولئن كانَ ذا وُجُومُكَ أفديـ ... ـكَ لحَرٍّ اجتناب شَمْس النَّهار
ففي بَهْجَةِ المُدام غَنَاءٌ ... عَن ضِياءِ الشُّموسِ والأقمار

وأنشدني لنفسه: [من الكامل]

يا حاديَ الأظعان إنْ جئتَ اللِّوىٰ ... سلِّم علىٰ اللَّاوي ذُنُوبي في الهوىٰ
حَدِّثْهُ أنَّ مَدامعي مِنْ بَعْده الـ ... ـبحرُ الخضَمّ وفي الحَشَا نارُ الجَوىٰ
وبأنَّ سُقْمي قد تَجاوزَ حَدَّهُ ... لفراقه المُوهي العَزائم والقُوىٰ
ولَعَلَّهُ يَرْعىٰ العُهودَ ويَرْعَوي ... وَلَئن رَعَىٰ أبْرَىٰ الضَّناءَ أو ارعَوىٰ
قَمرٌ حَوَىٰ في الحُسْن أوصافًا لها ... بل دُونَها الصِّدِّيقُ يوسُفُ ما حَوَىٰ
سُلْوَانُهُ قبلَ النَّوىٰ قلبي نَوىٰ ... وقد انثنىٰ بَعْدَ النَّوىٰ عَمَّا نَوَىٰ
فكأنَّما بينَ الحَبيبِ مُقَوِّمٌ ... عُودَ الغَرامِ إذا التَوىٰ بَعْدَ النَّوىٰ

/ ٢٧٠أ/ وأنشدني أيضًا لنفسه: [من المتقارب]

أيا مَنْ تَعَرَّضَني في الكَرىٰ ... وإعراضه نفْطُهُ يُحْرِقُ
تَعَهَّد عُهُودي عُهُودَ الهَوىٰ ... بماء الوَفاء عسىٰ تورقُ
. . . . . . بَدَّلَتْهُ عُذَّالي ... فما هُوَ مِنْ شَمْسه يُشْرِقُ
ولا بَرْقُهُ غيرَ ما خُلَّب ... ولا سُحْبُهُ ماؤُها يُهْرَقُ
نَصَحْتُكَ فاقبَلْ وإلاَّ فَعَنْ ... قَريبٍ كذا الدَّمْعُ قد يَشْرَقُ

وأنشدني لنفسه: [من مجزوء الرمل]

صاحِ دُنْيانَا كبحر ... مَنْ أذَى فيه نَعُومُ
إنْ تَجِد فيها نَعيمًا ... فَالشَّقا ذاكَ النَّعيمُ

وأنشدني لنفسه أيضًا من شعره: [من مجزوء الرمل]

صاحِ دُنيانا مُقامٌ ... ما بها شيءٌ يَدُومُ
ولِذي الجَهْلِ جِنانٌ ... ولِذي العَقْلِ جَحِيمُ

وأنشدني لنفسه تهنئة . . بولاية: [من الكامل]

كم مِنْ أُناسٍ للولايةِ شَرَّفوا ... وأرى الولايةَ شُرِّفَتْ بإِياسِ
القَرْمُ فَخرُ الدِّينِ خَيْرُ بني الدُّنَى ... اللاَّبِسُ العَلْياءَ خَيْرَ لِباسِ
/٢٧٠ب/ قُطْبُ العُلا رَبُّ التُّقَى حِلْفُ النُّهى ... حَتْفُ العدا خِدْنُ النَّدى والباسِ
سارَتْ بِسَعْدِ فُلْكُهُ ونُجُومُهُ ... تَسْرِي بِعِزٍّ ثابِتِ الآساسِ

وأنشدني لنفسه: [من مجزوء الكامل]

عَنَّ ادِّكارُكُمُ فَعَنَّى ... يا مُدمِنَ الإِعراضِ عَنَّا
كم ذا الجفا منكُم لنا ... ولكُمْ حَميمُ الوُدِّ مِنَّا
إِنْ كان ذا حُكْمُ الهَوى ... فلقد قَضاهُ اللهُ عَنَّا
عَزَّ العَزاءُ على شَجٍ ... بهَواكَ هانَ وما تَهَنَّا
أَنْضاهُ صَدُّكَ صَبْرَهُ ... وفؤادُهُ والجسمَ أَضْنَى
فامْنُنْ عليه بالرِّضا ... نلتَ المُنَى وامنَحْهُ أَمْنَا
واحْنُنْ وَحِنَّ فَحِينُهُ ... قد حانَ إِلاَّ أَنْ تحِنَّا

وأنشدني لنفسه: [من مجزوء الكامل]

يا أَيُّها الرَّشَأُ الَّذي ... أَمْسَى الأَسَى فيه سَميري
أَسْرَفْتَ في جَوْرٍ عَلَـ ... ـيَّ ولم تكُنْ لي بالمُجيرِ
أَتَظُنُّ أَنِّي في الهَوَى ... ـ أفديكَ ـ خَوَّانُ الضَّميرِ؟
قَسَماً بِنَرْجِسِ مُقْلَتَيْـ ... ـكَ وخالِ أَقْنَاكَ العبيري
/٢٧١أ/ وبنفْسَجٍ في عارِضَيْـ ... ـكَ وَوَرْدِ خَدَّيْكَ النَّضيرِ
والأُقْحُوانَةِ في الشَّقيـ ... ـقِ بفيكَ والرِّيقِ النَّميرِ
ما لي نَظِيرٌ في الوَفَا ... ءِ ولا لِحُسْنِكَ مِنْ نَظِيرِ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

وأسمَرَ كالخَطِّيِّ همتُ به وَجْداً ... ضَنَا خَصرُهُ جِسْمي وأخفَى به عَدَّا
إذا اهتَزَّ عِطفاهُ ومادَ قَوامُهُ ... حَسِبتَ قَضيبَ البانِ من قَدِّهِ قُدَّا
تَخالُ إذا ما ماسَ مِنْ ثِقْلِ رِدْفِهِ ... بساقَيهِ قَيْداً جاءَ في ثِقْلِهِ إِدَّا
لهُ نَبْلُ لَحظٍ في قِسِيِّ حَواجِبٍ ... على غُرَّةٍ منهُ بَرتْ مُقْلَتي عَمْدَا

وَجيـدٌ غَـزالـيٌّ وَصُـدْغٌ مُعَقْـرَبٌ | نكـايَتُـهُ فـي القَلْـبِ جـاوزت الحَـدَّا
ولاَمُ عِـذار مُسْتَـديـر مُنَمْنَـم | بـذائـب مِسْـك مِـنْ ذوائبـه مُـدَّا
وشـارِبُـه الآسـيُّ نَقْشَـةُ خـاتَـم | كَحُـقٍّ عَقيـق ضَـمَّ مِـن لُـؤلُـؤ عِقْـدا
وَريقَتُـهُ شَهْـدٌ يُشـابُ بقَـرْقَـف | ووَجْنَتُـه الـدِّكنَـاءُ مِسْـكٌ عَـلا وَرْدا
أُكـاتمُـه حُبِّيـه خـوفَ نفـاره | لَعَلِّـيَ بـالكتْمـان أَنْ أَبلُـغَ القَصْـدا
رَشـاً إسْمُـهُ هُـو خلقـه ثُـمَّ أصلُـه | وحـانُـوتُـه فُـوه وَفُـوهُ لنـا أَجْـدَىٰ
لئِـنْ سـاعَـفَ الـدَّهْـرُ الجَمُـوحُ بـوَصلـه | لأُضْعِفُـه أضْعـافَ ذَمِّ الـوَرَىٰ حَمْـدا

[٣١٣]

/٢٧١ب/ عبدُ السَّلام بنُ يحيى بن عبد الله بن المفرِّج بن درْع بن الحَسَن بن الخَضر بن حَامد التَّغلَبيُّ القَاضي، أبو مُحَمَّد بنُ القاضي أَبي زَكَريا التكريتيُّ[(١)]:

آخر أولاد أبيه، يفوقهم فضلاً، وفهمًا، وذكاءً.

ولد يوم الخميس بعد الظهر، وهو الثامن عشر من شعبان سنة سبعين وخمسمائة.

قرأ القرآن العزيز في صغره، وحفظ فصولاً وعظية، ورتب له والده مجالس الوعظ، فحفظ منها عدة مجالس، وتكلم في دارهم حتىٰ تمرّن وصارت له فيه دربة جيّدة، ولون حسن، فعقد له المجلس في بعض مشاهد تكريت، حيث يتكلم الوعاظ، وتكلم ووعظ الناس وعمره يومئذ تسع سنين، فكان يتعجب من يسمعه من جودة كلامه علىٰ صغر سنه، وكلّما قدم تكريت واعظ أو أحد من أهل العلم والأدب يحضر مجلسه.

ولما قدم البلْخي الواعظ، حضر مجلسه وقال: هذا عنده استعداد حسن، ثم انحدر صحبة والده إلىٰ بغداد، واستحضر والده بالديوان العزيز عند الوزير معز الدين

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨. فوات الوفيات ٢/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦، وفيهما: «عبد السلام بن يحيى بن القاسم بن المفرج التكريتي». وفي الفوات: «توفي سنة خمس وسبعين وستمائة». الأعلام ٤/ ١٠.

أبي المعالي سعيد بن علي بن أحمد بن الحسين بن حديدة واستصحبَ / ٢٧٢أ/ أبا محمد معه، ورتب له مجلسًا حسنًا، ودعا لأمير المؤمنين الناصر لدين الله ـ رضوان الله عليه ـ فاستأذن والده الوزير في أن يتكلم أبو محمد، ويدعو للخليفة، فأذن له، وحين شرع في الكلام، أشار إليه صاحب الحجاب فخر الدين بن الدوامي بأن يقوم ويتكلم قائمًا على عادة من يتكلم بحضرة الوزير، فقال له الوزير: تكلم علىٰ حالك، وإذا وصلت إلى الدعاء للخليفة قم قائمًا فشرع وتكلم بكلام حسن، وكان المجلس حافلاً بالصدور والحجّاب والأمراء، وذلك في العشر الوسطىٰ من ذي الحجة من سنة أربع وثمانين وخمسمائة. وبعد ذلك سافر والده إلى تكريت، فتقدم الوزير إلىٰ المدرس بالنظامية، وهو يومئذ أبو طالب بن الخَل بتسليم غرفة لأبي محمد يسكنها، فسلَم إليه مفتاح الغرفة، فأقام علىٰ أمر العمارة، وما يخرج عليها، واستمر الحال علىٰ ذلك إلىٰ أن عَزل الوزير ابن مهدي عن الوزارة، وولي بعده نيابة الوزارة ابن مسينا فولاّهُ الأشراف مَن جانب الديوان علىٰ تكريت، / ٢٧٢ب/ وجميع أعمالها، وخلع عليه كما جرت العادة، وكتب له التوقيع بذلك فاستمر علىٰ هذه الولاية يشارف ما يفعله النواب بالمدرسة، وبمعاملاتها، ويضبط القيام بوظائفها، وتولي بيع المشاعات في أوقاتها، وما أجرى له من حاصلها، إلى أن صرف عن ذلك في أواخر سنة ثمان وستمائة، وأقام عند أبيه في النظامية إلىٰ أواخرَ سنة عشر وستمائة، وأنفذه والده إلىٰ تكريت، وفوض إليه النظر في بعض الوقوف التي بها هناك، وتولي أمرها، وما كان يتعلَق هناك بوالده وبه منَ أسباب، إلى أن تقدّم الديوان العزيز إلىٰ مستحفظ قلعة تكريت بالنظر في أمر الوقوف فتسلم ما كان بيده ويد غيره، فرجع إلى مدينة السلام في سنة اثنتي عشرة وستمائة.

من بيت القضاء والخطابة ببلده، والدين والعلم، وهو فاضل أديب، شاعر خطيب، له مؤلفات من الخطب والرسائل والأشعار، وقفت علىٰ جملة كبيرة منها.

وهو الآن بالنظامية، في غرفة من غرفها، لقيته بها في سنة تسع وثلاثين وستمائة، ويختلف / ٢٧٣أ/ إليه جماعة من المستفيدين يقرأون عليه أنواعًا من الأدب والفقه والقرآن وغير ذلك.

فمما أنشدني لنفسه قوله : [من الطويل]

خَليلــيَّ قــد بــانَ الكَئيــبُ ولَعْلَــعُ ... وسَحَّــت لتَــذْكــار الأحبَّــة أدْمــعُ
قفَا فاعجَبا من جَفْن عَيْني تَواصَلَتْ ... بــه عَبَــراتٌ والفُــؤادُ مُفَجَّــعُ
هُــمُ فـارَقـونـي واستَقَلَّـت ركـابُهم ... وَوَدَّعَ نَــومــي مُقْلَتــي يــومَ ودَّعــوا
وأصبَحــتُ ذا شَجْــو بغَيــر مُــؤانــس ... وَحيــداً وقــد أقْــوَتْ ديــارٌ وأرْبــعُ
أحــنّ إلــىٰ رُؤيــاهُــمُ كــلَّ ســاعَــةٍ ... وأشتـاقُهُـمْ والشَّـوقُ بـالقَلْـب مـولَـعُ
وأذكُــرُ أيــامــاً تَقَضّــت بــوَصْلهــمُ ... يكــادُ لــذكــراهــا الفُــؤادُ يُصَــدَّعُ
فقــد كــانَ لــي عَيْــشٌ هَنــيٌّ بقُــربهــم ... تُــرَىٰ هَــلْ لَنــا فــي عَــوْد ذلــكَ مَطْمَــعُ ؟
قَضَــىٰ اللهُ بــالبَيْــن المُفَــرّق بينَنــا ... ومــا لقضــاء الله فــي الخَلْــق مَــدْفَــعُ
تُــرَىٰ تُــرْجِــعُ الأيّــامُ بَعْــدَ تَفَــرُّق ... تَجمُّعَنَــا هيهَــاتَ هيهــاتَ تَجْمَــعُ

وأنشدني ـ أسعده الله ـ قال : كُتب إليه هذان البيتان ، وهما لبعض الشعراء في صدر كتاب من بغداد إلىٰ تكريت : [من الطويل]

ولـي بَعْـدكُـم مِـن بُعْـدكُـم فَـرْطُ لَـوْعَـة ... لهــا فــي صَميــم القَلْــب لَــذْعُ شهــاب
/ ٢٧٣ب/ سـأغفـرُ لـلأيّـامِ كـلَّ خَطيئَـةٍ ... إذا بشَّــرَتنَــي منكُــمُ بكتَــاب

فأجاب لنفسه : [من الطويل]

لَئــن كــانَــت الأيّــامُ ضَنَّــت بقُــربنــا ... فقــد سَمَحَــتْ فــي وَصْلنــا بكتــاب
وَقــد يَعْقُــبُ الصَّبْــرَ الجَميــلَ مَسَــرَّةٌ ... فَــدونَــكَ فــاكتُــبْ واستعِــدَّ جَــوابــي

وأنشدني عبد السلام لنفسه : [من البسيط]

أنْهنَـه الــدَّمْـعَ جَهْـدي وهْـوَ مُنْـذَرفُ ... فـالقَلْـبُ فـي تَعَـب والصَّـدْرُ مُـرْتَجـفُ
وأوْحَشَـتْ رُحُـلُ الأحبـاب وانصَـرَفـوا ... دَع الــدُّمـوعَ علـىٰ وَجْـدي بهِـمْ تكَـفُ

وأســأل حُــداةَ المَطــيِّ إنْ هُــمُ وَقَفُــوا

يــا غــائبــاً أثّــرت فــي القَلْــب غيْبَتَــهُ ... وأنبَتَــتْ عنــديَ الأسقــامَ غُــرْبتُــه
مَــنْ دَاؤهُ البَيْــنُ قــد عَــزَّتْ أطبَّتُــهُ ... فــلا تَلُــمْ مَــنْ نــأتْ عنــهُ أحبَّتُــه

وَغَــالَبَتــه يــدُ الأسقــام واللَّهَــفُ

قــد كنــتُ مِــن بَينِهــمْ مُسْتَشعــراً حَــذَراً ... لــو كــانَ فَــرْطُ حِــذاري يَــدْفَــعُ القَــدَرا

بانُوا فَبانَ سُروري مَعْهُمُ وسَرىٰ ... سار وأسْرت بهم بُزلُ النَّوىٰ سَحَرا

للهِ ما ضَمَّتِ الأكوارُ والسُّجُفُ

لو كنتَ يومَ استقَلَّ الظَّاعنُونَ معيَ ... لكنتَ تَعْجَبُ من ذُلّي ومن جَزَعي

/ ٢٧٤أ/ حَثُّوا المَطَايا وسارَ القَلْبُ في التَّبعِ ... وما بَرِحْتُ أُناديهم علىٰ طَمَعِ

مِنَ الجوابِ فما حَنُّوا ولا عَطَفُوا

رفقًا بصَبٍّ يدُ الأسقامِ تُهلكُه ... يُخْفي الغَرامَ وفَيْضُ الدَّمعِ يَهْتكُه

يَرومُ قُربَهُمُ لو كانَ يَمْلكُهُ ... أُريدُ من زَمَني ما لستُ أُدركُهُ

فما احتيالي وَوَجْهُ الدَّهْرِ مُنْصَرِفُ ؟

وأنشدني لنفسه يمدح المستنصر بالله ـ رضي الله عنه ـ: [من الكامل]

ما عُذْرُ مَنْ شَرْخُ الشَّبابِ مُعينُه ... وزَمانُه صافٍ لَدَيْهِ مَعينُه

بادر إلىٰ اللَّذاتِ ما دامَ المُنَىٰ ... في بحرِ إقبالٍ تَسيرُ سَفينُه

وانهَضْ إلىٰ عَيْشٍ يَمُرُّ زَمانُه ... قصَراً فَعَيْشُ المَرْءِ يَبْعُدُ حِيْنُهُ

فالوَقْتُ يَمْضي لا يَعودُ وكلُّ حَـ ... ـيٍّ سوفَ تَعْدمُه الحَياةَ مَنونُه

وانهَبْ مِنَ العُمْرِ القَصيرِ مَسَرَّةً ... فالموتُ في طَيِّ الزَّمانِ كَمينُه

في نَهْرِ مَن قد . . . لي . . . فَعُم ... فيه إذا ما عامَ فيه سَفينُه

سر فيه في سَيَّارةٍ حَيْزُومُها ... يَفْري الفُراتَ كَفَرْيِ ماءٍ نُونُه

فالماءُ فِضِّيُّ القَميصِ تَزَرَّدَتْ ... بعَبيرِ أنفاسِ الرِّياحِ مُتُونُه

/ ٢٧٤ب/ وعلىٰ الجَوانبِ منه نَبْتُ بَنَفْسَجٍ ... والزَّهرُ زاهٍ في الرِّياضِ فُنُونُه

والبانُ يرقُصُ كلَّما هبَّ الصَّبا ... وتَبوسُ ثَغْرَ الأرضِ منْهُ غُصُونُه

والطَّيْرُ بينَ مُجاوبٍ لقَرينه ... ومُفارقٍ يُدْني الغَرامَ حَنينُه

وتَرَنُّمُ الدُّولابِ يَحكي عاشقًا ... لَجَّ الغَرامُ به فَرَقَّ أنينُه

فالقَلْبُ منْهُ كَقَلْبِ مهجورٍ به ... قَلَقٌ وكالماءِ السحوحِ شؤونُه

وأرقُّ من نَوْحِ المُفارقِ نَوْحُهُ ... وأصحُّ من كلِّ النَّشيدِ لُحُونه

مع أغيدٍ قد عَلَّمَتْ هاروتَ سحْـ ... ـراً لا يَحلّ مَدَىٰ الزَّمانِ جُفُونُه

يَحكي سَوادَ اللَّيلِ حالكُ فَرْعِه ... طُولاً ولَوْنًا والهلالَ جَبينُه

وإذا استقرّ بكَ المكانُ وقابَلَتْ ... عيناكَ صادَ فَتى الجمالِ ونونَه
وَجَلا هُمومَكَ لينُه ورَواؤه ... ودَعا الدَّعابَةَ لُطْفُه ومُجُونُه
فاخلَعْ إذاً ثوْبَ الوَقارِ فَخيرُ مَنْ ... عَقَلَ الفَتى عمَّا ذَكَرْتُ جُنُونُه
واقطِفْ جَنَىٰ لينِ الشَّبابِ فإنَّهُ ... إنْ عشْتَ سَوفَ يَصيرُ يَبْسًا لينُه
واظُنَنْ بربِّكَ رَحْمَةً فالعَبْدُ تَنْـ ... ـفَعُه لَدَىٰ رَبِّ العِبادِ ظُنُونُه
لا تيأَسَنَّ مع المتابِ وَصِدْقِه ... مِنْ مَحْوِ ذَنْبٍ فالإلهُ ضَمينُه
وكذاكَ لا تَجْزَعْ لعَجْمِ مُلِمَّةٍ ... فَخَليفَةُ الله المكارمُ دينُه
/٢٧٥أ/ مولَىٰ علىٰ رُكْني عَطاءٍ واسِعٍ ... وعُمُومِ عَدْلٍ في العِبادِ رُكونُه
مولَى إذا ضَنَّ السَّحابُ بقَطْرِه ... أغْنَتْ عنِ الغَيْثِ المُغيثِ يَمينُه
لازالَ يَرْفُلُ في ثيابِ سَعادَةٍ ... ما سَحَّ مِنْ دَمْعِ السَّحابِ هَتُونُه
دامَ الخَليفَةُ في الأنامِ خَليفَةً ... ما لازَمَ القَلْبَ السَّليمَ وَتينُه
فدُعاؤهُ فَرْضٌ عليَّ وواجِبٌ ... أبداً فلا زالَتْ عليَّ دُيُونُه

وأنشدني أيضًا لنفسه، وذلك بالمدرسة النظامية، في العشر الأواخر من جمادىٰ الأولىٰ سنة تسع وثلاثين وستمائة: [من البسيط]

لي فيكَ قَلْبٌ علىٰ وَجْدي يُطاوِعُني ... وإنْ أَرَدْتُ سُلُوّاً منكَ يَعْصيني
وعاذِلٌ دأبُه عَذْلي يؤنِّبُني ... وعاذرٌ مُسْتَهامُ القَلْبِ يُغْريني
فالشَّوقُ والعَذْلُ قَتْلي في اجتماعِهِمَا ... بل واحِدٌ منْهُما في ذاكَ يكفيني
فإنْ أَمُتْ فاجعَلوا قَبْري علىٰ جَدَدِ الـ ... ـطَّريقِ كَيْما يَمُرُّوا بي فَيَبْكُوني
وَسَدُّوا التُّربَ خَدِّي واكتُبوا بدَمي ... علىٰ الجَوانبِ هذا قَبْرُ مِسْكينِ
قَتيلُ شَوقٍ أذابَ الحُبُّ مُهْجَتَهُ ... كَما يموتُ ويَقْضي كلُّ مَحْزُونَ
وإنْ أعِشْ فَحَياةٌ غيرُ طَيّبَةٍ ... لاسيَّما وغَريمُ العَذْلِ يُؤذيني
/٢٧٥ب/ دَعْني أُجَنُّ فعَقْلُ المرءِ يَعْقِلُه ... ما لَذَّةُ العَيْشِ إلَّا للمَجانينِ

وقال وعظيّة وأنشدنيه: [من الكامل]

يا نَفْسُ أنتِ عنِ الرَّشادِ بمَعْزِلِ ... لا تُبصِري غيرَ المَماتِ وتَغفلي
وتُؤَمِّلي طولَ الحَياةِ وهَلْ سَمِعْـ ... ـتِ بأنَّهُ طالَتْ حياةُ مُؤَمِّلِ؟
غَرَّتْكِ مِن دُنْياكِ وهْيَ غَرُورَةٌ ... خُدَعٌ فبغْتِ معجّلاً بمؤَجَّلِ

لا تَغْفَلي عمَّا يُؤاتي بَغْتَةً ... وسهامُه لا تَنْثَني عن مَقْتَلِ
أَوَ ما مَصارِعُه لَدَيْك تَرَيْنَها ... أَوَ ما شَرابُ كؤوسها كالحَنْظَلِ ؟
وكما حَمَلْتِ إلى القُبور جَنازَةً ... فَتيقَّني لأُبدَّ مِنْ أَنْ تُحْمَلي
والموتُ مَنْهَلُ كلِّ حيٍّ فاعلَمي ... لا مَصْرِفٌ لكِ عن وُرود المَنْهَلِ
ولكم مَنازِلُ بَعْدَ مَوْتِك صَعْبَةٌ ... تَلْقَينها والقَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلِ
إِنْ كانَ سَهْلاً كانَ سَهْلاً بَعْدَهُ ... أو كان صَعْبًا كانَ أَصْعَبَ مُبْتَلي

وقال في إحماد عاقبة الصبر: [من البسيط]

لا تَيأَسَنَّ وإِنْ مسَّتْكَ ضائقَةٌ ... فآخِرُ الضِّيق مَقْرُونٌ به الفَرَجُ
واصبِرْ فإِنَّ زَمانَ الصَّبْرِ منصَرِمٌ ... ما دامَ قَطُّ اتِّساعٌ لا ولا حَرَجُ

وله في التعجب ممن يتناسى الموت: [من الطويل]

/ ٢٧٦أ/ عَجِبتُ لمُلْتَذٍّ بطيبِ رُقادِه ... ومُخْتَلِسُ الأرواحِ ضَيفُ وِسادِه
يُحِبُّ بأَنْ يُدعى حَكيمًا ومَنْ يكُنْ ... حَكيمًا يكُنْ ذا هِمَّةٍ لِمَعادِه

وقال في صدر كتاب جوابًا، وأنشدنيه: [من الكامل]

أَفْدي الذي بُشرايَ في مكْتُوبِه ... وافَى فَرَوَّى غلَّتي بنَسيبِه
فكأَنَّهُ في العَيْنِ حُلَّةُ يُوسفَ ... وكأَنَّهُ في القَلْبِ وَصْلُ حَبيبِه

وقال في ذمّ اللجاج والعُجب والتكبر واتباع الهوى: [من الطويل]

وأَرْبعةٌ فيها لذي العَقْلِ راحَةٌ ... إذا ما تَوقَّاها وإِصلاحُ شانِه
لَجاجٌ وإِعجابُ الفَتى وتكَبُّرٌ ... ومَنْ يتبَعِ الأَهوا يَعِشْ بهَوانِه

وقال في الصديق، وأنشدنيه: [من الوافر]

صَديقُكَ مَنْ تُجافيه فيُغْضي ... ويَحْفَظُ عَهْدَكَ الماضي ويَرْعى
وليسَ صَديقُكَ المُولي ثَناءً ... مِنَ الحُسْنى وإِنْ قاطَعْتَ أَفْعى

وقال في فعل الشوق، وأنشدنيه بمدينة السلام: [من البسيط]

/ ٢٧٦ب/ أَشْكو مِنَ اللَّيْلِ طُولاً إِذْ شَكا قِصَرا ... مُهَفْهَفٌ عنهُ قَلْبي قَطُّ ما انزَجرا
كأَنَّما الأَسمَرُ الخَطّيُّ قامَتُه ... والسحرُ مَعْ لَحْظِه هاروتُ قد سَحَرا
يَصُدُّ عنّي الكَرى مَهْما يصدُّ وإِنْ ... أَبدى الوصالَ يَعودُ العَيْشُ لي نَضِرا

يـا ذا الَّـذي وَصْلُـه لـي جَنَّـةٌ قَـرُبَـت ... وهَجْـرُه بضِـرام الشَّـوْق قـد سُعِـرا
إنْ كـانَ قَصْـدُكَ قَتْلـي فـي الهـوىٰ فـأنـا ... لَـم يُبْـق لـيَ الشَّـوقُ لا سَمْعـاً ولا بَصَـرا
مـا زلـتُ فيـكَ أُعـانـي كـلَّ لائمَـة ... ومـا رأيـتُ لمثلـي قَـطُّ مَـنْ عَـذَرا
لـولا تَمنِّـي وصـالَ منْـكَ آمُلُـه ... قـد كـانَ قَلْبـي بطُـولِ الهَجْـرِ مُنْفَطِـرا

وقال في الاعتذار، وأنشدنيه: [من الطويل]

أرجِّـي لَـدَيْـكَ العُـذْرَ فيمـا أقـولُـه ... ومثْلـي إذا يَشْكُـو إليـكَ لـهُ عُـذْرُ
لقـد كنـتُ فـي عَيـش رَغيـد ونعمَـة ... وصُحبـة إخـوان بهـم عُسْـري يُسْـرُ
فقـد عـادَ حَظّـي بعـدَ طـول بيـاضـه ... مـنَ الـوقـت والأحـوال يَسْمَعُـه الحُـرُّ
وأنَّ الـذي أرجـو وآمُـل أنَّـهُ ... يَبِّيـضُ بـالإحسـانِ مـا سـوَّدَ الـدَّهْـرُ

وقال في ذم الكلام، وأنشدنيه: [من الكامل]

لا تُكْثِـرَنَّ مـنَ الكـلامِ فَطـالَمـا ... جَلَـبَ الكـلامُ أذًى علـىٰ المُتَكَلِّـمِ

/ ٢٧٧أ/ وقال غزلاً، وأنشدنيه: [من البسيط]

بيـنَ العَقيـق وبيـنَ الضَّـال والسَّمُـر ... تَمَلَّـكَ القَلْـبَ منِّـي أحـورُ النَّظَـر(١)
مُهَفْهَـفُ القَـدِّ سـاجـي اللَّحْـظ أكحَلُـه ... مـا إنْ رأيـتُ لـه شبهـاً مـن البَشَـر
كـأنَّمـا الغُصُـنُ الميّـاسُ قـامتُـه ... والفَخْـرُ للّيـل فـي التشبيـه بـالشَّعَـر
لطيـفُ خَلْـق وخُلْـق شـأنُـهُ خَفَـرٌ ... مُنَـزَّهُ القَـدِّ عـن طـول وعَـن قِصَـر
يَـزُورنـي والـدُّجـىٰ مُـرْخٍ غَـلائلَـهُ ... فـأكتَفـي بمُحيَّـاهُ عـن القَمَـر
يكـادُ مـن حُسنـه العُميـانُ تُبصـرُهُ ... ومـن سَنَـى نُـوره يَعْمـىٰ ذَوو البَصَـر
لـهُ مـنَ الـريـم جيـدٌ والمهـا مُقَـلٌ ... والسحـر لَحْـظٌ وجنـحُ الليـل فـي الطـرر
كـم مـن ليـال تقضَّـت فـي مُنـادَمـة ... وفـي محـادَثَـة تُـرْضـىٰ وفـي سَمَـر
وأعيـنُ البَيْـن والحسّـاد غـافلـةٌ ... عَنّـا وصَفْـوُ اللِّقـا خـال مـن الكَـدَر
فبينَمـا نحـنُ فـي رَوْض الـوصـال إذا ... سَهْـمٌ مـن البَيْـن يَقفُـو مُسْـرعـاً أثَـري
فلَـم أُسَـرَّ بشـيءٍ بَعْـدَ مَـوْقعـه ... وصِـرْتُ للبَيْـنِ ذا وِرْدٍ وذا صَـدَر

(١) السَّمُر: شجر العضاه.

فَدَعْ غُرورَ الأماني فهْيَ كاذِبَةٌ … وكُنْ علىٰ وَجَلٍ منْهَا وَفي حَذَرِ
فكُلُّ جَمْعٍ إلىٰ التَّشتيتِ مَوْئِلُه … وكُلُّ حُلْوٍ فَعُقْبَاهُ إلىٰ مَقَرِ

وقال: [من الكامل]

/ ٢٧٧ب/ رفقًا بمَن أمسىٰ لَدَيْكَ قَتيلا … يَشْكُو الضَّنَىٰ وصَبابَةً ونُحولا
وحُسامِ بَيْنٍ مولَعٍ بشَباتِه … ماضي المَضاربِ لم يَزَلْ مَسْلولا
يا عاذِلَيَّ علىٰ الغَرامِ إليكُما … عنِّي فإنِّيَ لا أُطيعُ عَذُولا
أظَنَنتُما أسلُو هَواهُ وحُبَّهُ … أو أنَّني أرْجُو إليهِ سَبيلا
فَقِفَا علىٰ وادي الأراكةِ والنَّقَا … فَعَسَى الوُقوفُ بهِ يَبُلُّ غَليلا
فَلَعَلَّ مَن جَلَبَ السَّقامَ فِراقُه … يَحْنو ويَسْعَىٰ بالوِصالِ قَليلا
فالقلبُ مِن ألمِ الفراقِ مُوَلَّهٌ … والطَّرْفُ أصبحَ بالسُّهادِ كَليلا
عُوجا علىٰ تلكَ الخِيامِ فَرَبْعُها … فيهِ لِذي الداءِ الدَّواءُ . . .
فلقد وَقَفتُ علىٰ رُباها حائراً … والعيسُ تَطْوي البيدَ ميلاً ميلا
صارَ السُّهادُ لجَفْنِ عَيْني مألَفًا … يُلْقي مع السَّاعاتِ فيهِ مَسيلا

وقال بتكريت، وعرض في المعنىٰ إلى شدَّة شوقه إلىٰ والده ببغداد، وأنشدنيه:

[من الخفيف]

دَمْعُ عَيْني مِنَ الجُفونِ سَكوبُ … وحَشًا حَشْوُها أسًى ولَهيبُ
/ ٢٧٨أ/ وسَقامٌ لهُ تَرِقُّ الأعادي … وغَرامٌ بهِ تَذُوبُ القُلُوبُ
إنَّ بينَ الضُّلوعِ نارًا تَلَظَّىٰ … فالهَوَىٰ واقِدٌ وشَوقي حَطوبُ
ما تُريدُ النَّوىٰ بنا كلَّ يَومٍ … منْهُ تأتي فَجائعٌ وخُطوبُ ؟
فَرَّقَتْنا يَدُ الشّتاتِ فما العَيْـ … ـشُ بحُلْوٍ ولا الحَياةُ تَطيبُ
كيفَ بالعَيْشِ للمَشوقِ ألِيفًا … فاتَه الصَّبْرُ حيثُ غابَ الحَبيبُ ؟
يا غَريبَ الدِّيارِ كن ليَ أنيسًا … إنَّما يألَفُ الغريبَ الغَريبُ
يَتَشاكَىٰ سِهامَ بَيْنٍ إذا ما … نَدَبَتْها يَدُ الفراقِ تُصيبُ
فَلَكَمْ بالفَراقِ سَحَّتْ جُفُونٌ … وَلَكَمْ بالنَّوىٰ قلوبٌ تَذُوبُ
لا تَلُمْني إنْ نَمَّ بالسِّرِّ دَمْعي … ما يُلامُ المُفَجَّعُ المكرُوبُ
فهُيامي بهِم بهِ ضجَّ جاري … وسقامي قَدْ حارَ فيهِ الطَّبيبُ

سادَتي بَعْدَكُم عَدِمْتُ سُروري ... وبَقائي مع البعاد عَجيبُ
مِنْ نَواكُم أَخَذْتُ أَوْفَى نَصيب ... أَتُرى لي مِنَ اللِّقاء نَصيبُ ؟
أَتُراه يُعيدُ شَمْلي قَريباً ... ألريح اجتماع شَملي هُبُوبُ ؟
إنْ يَسُرُّ الشَّمالُ قَوماً فإنّي ... أَشتَهي أينَما تَهُبُّ الجَنُوبُ

/ ٢٧٨ب/ وقال أيضًا: [من البسيط]

صَبٌّ مُعَنّى بمَعْسول اللَّمَى كَمِدُ ... لم يَبْقَ فيه على حَمْل الضَّنَى جَلَدُ
لهُ مِنَ السُّقم ثَوْبٌ دامَ لابسُه ... حَلَّ القُوى لُبْسُهُ مُذْ أَنْحلَ الجَسَدُ
يَبيتُ مِن طول هَمٍّ ساهراً ولهُ ... جَفْنٌ قَريحٌ بترداد البُكا رَمِدُ
سقياً لأيّامنا بالجزْع إذْ غفَلَتْ ... عَنّا الحَوادثُ والواشونَ قد رَقَدُوا
إذ باتَ مِن ريقه لي قَهْوَةٌ ومِنَ الـ ... ـخُدود وَرْدٌ ودُرُّ الثَّغر مُنْتَضِدُ
ومِن ذُؤابته ليلٌ وَجَبْهتهُ ... صُبْحٌ وقَدٌّ كغُصن ما به أَوَدُ
فَذلكَ العَيْشُ لا شيءٌ يُعادلهُ ... عليه نارُ الجوى في القَلب تتَّقِدُ
تُرى تَعُودُ ليالينا بمُنْعَرج الـ ... ـلِّوى وهذا الجفا يُقْضَى لهُ أَمَدُ ؟
هَيْهاتَ هَيْهاتَ ما في عَوْدها طَمَعٌ ... وَدُونَ هذي الأماني يَنْفَدُ الأمَدُ
لا تأمَلَنَّ صَفاءً قَطُّ مُطّرداً ... وإنّما الرَّنْقُ والأكدارُ تَطَّرِدُ
وكُنْ مع الوَقْت فاقطُفْ منهُ راحتَهُ ... فما ليَوْم التَّهاني والسُّرور غَدُ
فَبِسْمَةُ الدَّهرِ لا تُبقي على أحَدٍ ... وإنْ شَكَكْتَ فَقُلْ لي هَل نجا أَحَدُ ؟

وقال أيضًا: [من الخفيف]

طالَ لَبْثي بدارهم وَوُقوفي ... باكياً فَقْدَ مُؤنسي وأَليفي
/ ٢٧٩أ/ وزَماناً بَلْعلع لستُ منه ... في رياض مِنْ تالد وطَريف
لستُ أَلقى مِنَ الوَرى غير لَوْم ... أو سماع [يُبكي] وعَذْل عنيف
وَرَقيباً أَمَرَّ مِنْ فَجْعة البَيْـ ... ـن ولَذْع القَنا وضَربِ السُّيوف
كانَ بدرُ السُّعودِ في بُرجِ وَصْلي ... ولَحَظّي أمسى ببُرجِ الكُسوفِ

وقال: [من الخفيف]

ليسَ يَثْني الفُؤادَ عنهُ مَلامُ ... فلماذا يَلُومُني اللُّوّامُ ؟

فَحــرامٌ علــىٰ الجُفــونِ كَــرَاهــا ... مثْلَمــا أنَّـــهُ الــوِصــالُ حَــرامُ
سيِّــدي أنــتَ كــم تَلــومُ وفــي القَلْــ ... ــبِ لهــذا الكَــلامِ منْــكَ كَــلامُ
كــم تَــرانــي أرومُ صَبْــراً عليــه ... وَهَــلِ الصَّبْــرُ فــي هَــواهُ يُــرامُ ؟
رَشَــأٌ للعُيــونِ فيــه ريــاضٌ ... مُــزْهِــراتٌ وفــي القُلــوب ضِــرامُ
ومِــنَ الــوَجــهِ لَــوْنُ وَرْدٍ وآس ... ومِــنَ الــرِّيــقِ قَهْــوَةٌ ومُــدامُ
ومِــنَ العَيــنِ نَــرْجِــسٌ ومِــنَ الشَّعْــ ... ــرِ سَــوادٌ وحُلْكَــةٌ وظَــلامُ
مــا القَضيــبُ الــرَّطيــبُ منْــهُ بشَــيءٍ ... فــي التَّثَنِّــي ولا القَــوامُ قَــوامُ
لا ولا الــدُّرُّ كــالثَّنــايــا إذا مَــا ... ثَغْــرُهُ العَــذْبُ بــانَ منــهُ ابتســامُ
/ ٢٧٩ب/ فعلىٰ العَيْشِ والحياةِ جَميعًا ... بَعْــدهُ أيُّهــا العَــذُولُ سَــلامُ

وقال في الفراق: [من الطويل]

تَــرَحَّــلَ عنِّــي الإلــفُ فــالعَيــنُ تَهمُــرُ ... ونــادَيْتُــه والعيسُ تُحْــدىٰ وتُــزْجَــرُ
أيــا ســادَتــي مُنُّــوا علــيَّ بنَظْــرَةٍ ... أبُــلُّ بهــا نــارَ اشتيــاقٍ تَسَعَّــرُ
ففــي كَبِــدي للْبَيْــنِ وخــزُ أسنَّــةٍ ... إذا أحْــدَقَــتْ بــالقَلْــبِ زالَ التَّصبــرُ
فــأدمُــعِ عَينــي لا يُنــالُ غَــريقُهــا ... ونــارُ غَــرامــي فــي الجــوانــحِ تَسْجُــرُ
فَمَــن لِقَتيــلٍ بيــنَ نــارٍ وأبحــرٍ ... لَــواعجُــه مــا تــأتَلــي قَــطُّ تَفْتُــرُ

وقال أيضًا: [من الوافر]

إذا لــم ألْــقَ مَــنْ يُهْــدي سَــلامــي ... ويَشْكُــو مــا لَقيــتُ مِــنَ الغَــرامِ
أشيــرُ إلــىٰ الخيــامِ وأيُّ شــيءٍ ... يفيــدُ لمَــنْ يشيــرُ إلــىٰ الخيــامِ ؟
نــأوا عنِّــي وكــانَ الطيــفُ إلفــي ... فــأشكُــو مــا بقَلْبــي فــي المنــامِ
فَلَمّــا قــاطَعُــوا وجَفُــوا وصَــدُّوا ... جَفَــا جَفْنــي الكَــرَىٰ والــدَّمــعُ هــامــي
هُــمُ رَحَلُــوا فــزادَ بهــم هُيــامــي ... وقَــلَّ تَصَبُّــري والشَّــوقُ نــامــي
فَخَــلِّ العَــذْلَ لســتُ وإنْ جَفَــونــي ... وَصَــدُّوا قَــطُّ أُصغــي للمَــلامِ

/ ٢٨٠أ/

ذكر من اسمه عبد الصمد

[٣١٤]

عبدُ الصَّمَدِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحُسَينِ المُراغِيُّ[(١)].

المنشِيءُ الكاتِبُ.

كان يكتب الإِنشاء بمراغة للملكة ألغ خاتون بنت ركن الدين أقطاي، صاحبة مُراغة.

كان من الموصوفين بالفصاحة والكتابة، ولم يُرَ في زمانه أفصح لسانًا منه مع حسن خط، وسهولة عبارة، وأخذ من الأدب أوْفىٰ حظ، وله رسائل وأشعار.

أنشدني من شعره أبو عبد الله محمد بن جعفر بن محمد الإِربلي قال: أنشدني عبد الصمد الكاتب لنفسه، ولهذه الأبيات قصة: [من الطويل]

أَلَــم تَــرَ للكُفَّــارِ فَــوزاً ونُصــرةً ... كــأَنَّ زمــانَ المُسلميــنَ قــد انتهــىٰ ؟

وغــارَتْ نُجــومُ الــدِّيــنِ وهْــيَ طــوالــعٌ ... وَهُــدِّمَ مــن إِســلامنَــا المجــدُ والبَهــا

تــولّــىٰ مِــنَ الآفــاقِ دِيــنُ مُحَمَّــدِ ... سَــلامٌ علــىٰ الإِســلامِ حيــثُ تــوجَّهــا

[٣١٥]

عبدُ الصَّمد بنُ عبد الله بن أحمدَ / ٢٨٠ب/ بن مسعود بن عبد الله بن إِسمَاعيل بنَ أبَي نَصرِ بنِ مُحَمَّدٍ، أبو المآثر الأَنصَاريُّ المِصْرَيُّ[(٢)]:

فقيه شافعي فاضل، حافظ للمذهب، مناظر، وله معرفة بأصول الفقه، وصنَّف فيه كتابًا سمّاه: «أرواح الحقائق»، وعى ذهنه قطعة صالحة من التواريخ وأشعار أهل ديار مصر.

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ١/ ٢٢٤ رقم ٢٦٨ منقولة عن القلائد.

(٢) في هامش الأصل: «توفي بدمشق. . . سنة اثنتين وثلاثين وستمائة».

ولم يكن له في قرض الشعر حظ، إلَّا أنَّه يقول منه شيئًا نزراً، ولم يتعدَّ البيتين أو الثلاثة، فأحببت أن أنبه علىٰ فضله ومعرفته، ولا أخلي الكتاب من ذكره.

وكان يتولّىٰ قضاء قليوب ونواحيها من أعمال ديار مصر، وبلغني أنَّه تولّى الوكالة بنصيبين، وظهر منه ظلم أوجب عزله عنها.

لقيت القاضي أبا المآثر بإربل سنة خمس وعشرين وستمائة، وسألته عن ولادته فقال: ولدت في شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وروىٰ لي جملة من أشعار أهل بلده، واستفدت منه.

أنشدني لنفسه ما كتبه إلى جمال الدين أبي القاسم عبد الرحيم شيث الكاتب:

[من الوافر]

/ ٢٨١أ/ جَمال الدِّين شَوْقُ العَبْد شوقٌ ... يُقصِّرُ عن عبارته اللِّسانُ
ولكنْ في ضميركَ لي شُهُودٌ ... عُدولٌ لا يُجرِّحها العيانُ
بقلبي منْكَ حُبٌّ ثَبَّتَتْهُ ... أيادٌ سابغاتٌ وامتنانُ
فلاَ تَخْطُبْ بقطعِ الكتبِ عُتبي ... فَمثلُكَ عن معاتبتي يُصانُ

[٣١٦]

عبدُ الصَّمَد بنُ مُحَمَّد بن المجلِّي بن مُحَمَّد بنِ المجلِّي بنِ المنصورِ بنِ المُبارَكِ أبو عليٍّ بنُ أبي عبدَ الله:

كانت ولادته بنصيبين ليلة النصف من شعبان سنة عشر وستمائة.

وكان جدّه المجلّي بن محمد إليه رئاسة نصيبين، والحكم فيها.

وأبو علي شاب يتوقد ذكاءً، متأدب في نفسه، لطيف، قرأ طرفًا من علم العربية علىٰ الرشيد أبي حفص عمر بن محمد الفرغاني، ويرجع إلىٰ سلامة عقيدة، [و] قريحة في صناعة القريض، وله أشعار حسان، ومديح جيد، ومدح الملك الأشرف مظفر الدين موسىٰ بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، فأنعَمَ عليه إنعامًا سنيًا.

قدم الموصل قاصداً شيخها الإمام / ٢٨١ب/ كمال الدين أبا المعالي موسى بن يونس بن محمد بن منعة بنِ مالك الفقيه الشافعي، ليقرأ عليه الفقه ونزل بالمدرسة

المولوية البدرية المطلة علىٰ دجلة ـ حرس الله ملك منشئها ـ وهو ذو فضل واف وبشر وكياسة وسَجاحة، وكان كثير التردد إلىٰ مجلس الأمير الأصفهسلار، أمين الدين ابي المكارم لؤلؤ بن عبد الله البدري السلطانَ، فيقبل عليه، ويبالغ في إكرامه، ويرفع من قدره.

أنشدني لنفسه يمدح المولىٰ الملك الرحيم، بدر الدنيا والدين، عضد الإسلام والمسلمين، أبا الفضائل أتابك، غرس أمير المؤمنين ـ خلّد الله ملكه ـ وأنشده إياها بظاهر البلد، بالجوسق المحروس، في جماديٰ، سنة إحدىٰ وثلاثين وستمائة من حفظه: [من الوافر]

[ألا] يا مالكاً أمسَتْ سطاهُ ... يذلُّ لعزِّها الخَطْبُ الجَسيمُ
ومَنْ أضحَتْ به الدُّنيا إذا ما ... دهىٰ عوَجٌ تَقَرُّ وتَسْتَقيمُ
بكَ افتَخَرت مُلوكُ الأرضِ طُرّاً ... فأنتَ البدرُ حيثُ همُ النُّجُومُ
سَموتَ عُلاً علىٰ كلِّ البَرايا ... فما لَكَ في النَّدىٰ يوماً قَسيمُ
/ ٢٨٢أ/ وَجُدتَ علىٰ رَقيقٍ نَداكَ عَفْواً ... ببُرْءٍ عنده يَشْفَىٰ السَّقيمُ
فيَمَّمَ بابَكَ المحروسَ لمّا ... غَدا يَحْدو به الحُبُّ القَديمُ
وباتَتْ نَفْسُه تَشكو إليه ... غَراماً لا يَقَرُّ لها غَريمُ
فَقالَ لَها رُوَيدك فاستَقِرِّي ... فهذا المالكُ المَلِكُ الرَّحيمُ
بلغتِ بقُربِه أقصَىٰ الأماني ... ونالَكَ عِزُّ دَوْلَتِه المُقيمُ
فَبُشرَىٰ بالَّذي قد نلْتِ بُشرَىٰ ... فهذا الفَخْرُ والشَّرَفُ العَظيمُ

وأنشدني لنفسه من قصيدة أولها: [من الطويل]

أيا ساكناً بينَ الحَشا والضَّمائرِ ... تَعَطَّفْ فإنَّ الصَّبْرَ ليسَ بضائرِ
ويا مَن إذا ما شاءَ فَتَّر لَوْعَتي ... بنَظْرَةِ وَصْلٍ بالجُفون الفَواترِ
تصدَّق بوَعْد يجعَلُ اليأسَ قُرْبَةً ... منَ الوَصْلِ أو طيف لكَسْريَ جابرِ
فَوَجدي مُقيمٌ والتَّجلُّدُ راحلٌ ... وَعُمْري مَضَىٰ والسِّتْرُ ليسَ بسائرِ
ويا عاذلي لا تَلْحَني في مُعَذِّبي ... فإنِّي علىٰ السُّلوان لستُ بقادرِ
يَجُورُ علَىٰ ضَعفي لأنِّيَ في الهوىٰ ... وَحيدٌ ولكنْ [ليس] عندي بجائرِ
ويَقْتُلُني بالهَجْرِ مِنْهُ تَغَلُّباً ... وإنْ كنتُ أزري في القتال بعامرِ

وكـم كَسَـرَ الأبطـالَ لا بمُثَقَّـف ... ولا بـالسُّيوف المرهَفـات البَـواتـر
/ ٢٨٢ب/ ولكـن بسحـرٍ فـي الجفـون كمينُـه ... بيـاضُ خُـدودٍ لا بيـاضُ خَنـاجِـرِ

وأنشدني لنفسه وقد ودّع أهله وصديقًا، فبكىٰ عند ذلك: [من الطويل]

تَـرَحَّلـتُ عـن صَحْبـي وقَلْبـي لَـدَيْهِـمُ ... رَهيـنٌ ونـارُ الشَّـوق فـي القَلْـب تَلْـذَعُ
وَوَدَّعـتُ صَفْـوَ العَيْـش عنـدَ وَداعهِـمْ ... فَـلا عُضـوَ إلاَّ وهْـوَ منِّـي مُجَـدَّعُ
أيُنكَـرُ هـذا أو أُلامُ علـىٰ البُكَـا ... وقَلبـيَ مـنْ فَـرْط الصَّبـابَـة مُـوْجَـعُ ؟
وأعظَـمُ مِـن هـذا الـذي قـد ذَكَـرْتُـهُ ... فِـراقُ فُـلانِ الـدِّيـنِ والعيـنُ تَـدْمَـعُ

وأنشدني لنفسه وقد طلب منه بعض أصحاب الأمير أمين الدين أبي المكارم لؤلؤ بن عبد الله البدري، أن يعرِّض بذكره عند الأمير، وكان الأمير قد وعد ذلك الشخص أن يزوجه، فنظم هذه الأبيات في المعنىٰ المقترح عليه: [من الطويل]

أمـالـكَ رقِّـي مَـنْ لـهُ النَّهْـيُ والأمْـرُ ... ومَـنْ نُطْقُـه دُرٌّ وإنعـامُـهُ بَحْـرُ
ومَـنْ هـو كَهْـفٌ للعُفـاة ومَلْجـأٌ ... إذا نـابَهُـم خَطْـبٌ ومـالَ بهـم دَهْـرُ
/ ٢٨٣أ/ تصدَّقْ علىٰ المَمْلُوك واسمَعْ مَقالَه ... فـأنـتَ الـذي يَسْمـو بـه النَّظـمُ والنَّثْـرُ
عُبَيْـدُكَ يَـرْجـو منـكَ إنجـازَ وَعْـده ... فليـسَ لـه عَمّـا وَعَـدْتَ بـه صَبْـرُ
ولا يَـرْتَجـي إلاَّ سمـاحَـكَ شـافعـاً ... لِيَشْفَعَـه إذ قـد أضـرَّ بـهِ الـوِتْـرُ

وأنشدني لنفسه جواب كتاب، ورد من صديق له: [من الكامل]

وَصَـلَ الكتـابُ فَمَـرْحَبـاً بـوُصُـولـه ... فَنَفَـىٰ هُمـومَ القَلْـب عنـدَ حُلُـولـه
وقَـرأتُـه فـوجَـدتُ فيـه فَصـاحَـةً ... تـزْري علـىٰ قُـسٍّ بحُسـن فُصـولـه
واشتَقْـتُ كـاتِبَـه فصـارَ مَصُـونَ مـا ... ءِ العيـنِ حيـنَ قَـرأتُ مِـنْ مَبْـذُولـه

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

ومـا كنـتُ أرجـو مـن عـدوٍّ إذا جَـرَت ... نَـوًى بينَنَـا نَجْفُـو فكيـفَ مـنَ الخِـلِّ
فـإنْ يَكُـنِ التَّقصيـرُ منِّـي فَتَـائـبٌ ... إليـهِ وإلاَّ فهـو فـي أوسَـعِ الحِـلِّ

وأنشدني قوله: [من الطويل]

وحَـقِّ عهـودٍ بيننـا مـا تـأخَّـرَتْ ... مُكَـاتَبَتـي عنكُـم مَـلالاً ولا جَفـا
ولكـنَّ شَـوقـي حِيـنَ أشـرَحُـه لَكُـمْ ... لَهيـبٌ ونـارٌ والفِـراقُ قَـدِ انْتَفَـىٰ

ولـم يَجْتَمـعْ شَـوْقٌ مَـعَ الطّـرسِ لَحْظَـةً ... وهــذا هــو العُــذْرُ الــذي لــن يُكيِّفـا

/ ٢٨٣ب/ وأنشدني لنفسه وقد جاءه من صديق له كتاب: [من المتقارب]

أتـانـي كتـابُـكَ يـا مـالكـي ... فَهَيَّـجَ قَلْبـي لِـذكـراكُـمُ
وضـاعَـفَ شَـوقـي وزادَ الغَـرامُ ... جُنـونـاً إلـىٰ حُسْـنِ رُؤيـاكُـمُ
فـأنشـدتُ حيـنَ تـأمَّلتُـه ... ولـم أكُ والله أنسـاكُـم
لئـن غبـتُ عنـكَ فـإنَّ الفُـؤادَ ... مَشُـوقٌ إلـىٰ طيـبِ لُقْيـاكُـمُ

وأنشدني لنفسه: [من الطويل]

بنَفسـي أُفـدِّي كـلَّ ضَيْـمٍ بمُـؤمنَـه ... وإنْ حَـرمَتْنـي لَـذَّةَ النَّـوم والسِّنَـه
وإن قَبُحَـتْ بـالهَجْـرِ يـومـاً فطـالَمـا ... أتَـتْ بـوصـالٍ لـم تَـزَلْ فيـه مُحْسِنَـه

وأنشدني لنفسه يرثي عمَّه، ويعزي والده، وأنفذها إليه، ووالده بنصيبين، وعبد الصمد يقيم بالموصل: [من الطويل]

ولمَّـا أتـىٰ مـا صُـمَّ سَمْعـي بـذكـره ... وإنْ كنـتُ فـي حـال الحقيقـة أسْمَـعُ
شَقَقْـتُ ردائـي حَسْـرةً ونَـدامـةً ... ولَـو شُـقَّ منِّـي القَلْـبُ مـا كنـتُ أقنَـعُ
وأضحَـىٰ بـهِ صَبْـري يَغيـضُ وأدمُعـي ... تَفيـضُ ونـارُ الحُـزْن فـي القَلْـب تَلْـذَعُ
/ ٢٨٤أ/ وذاكَ قَليـلٌ فـي فـراقِ أحبَّتـي ... وقَـد كنـتُ أرجُـو الاجتمـاعَ وأطمَـعُ
وكنـتُ إذا حَـدَّثْـتُ قَلبـي ببعُـدهـم ... يكـادُ مـنَ الـوَجـد المبـرحِ يُصـدَعُ
فكيـفَ نَـوًى لا أستَلِـذُّ لأجلهـا ... بعُمْـرٍ ولَـو كـانَ الَّـذي أتَـوقَّـعُ
ولكـن أُسَلِّـي النَّفـسَ عَمّـا أصـابَهـا ... بَقـاؤُكَ لـي إذْ مـنْ بَقـائـكَ مَقْنَـعُ

وأنشدني لنفسه ما كتبه إلىٰ والده بنصيبين، وعبد الصمد بسنجار: [من الكامل]

وافـىٰ الكتـابُ وفـي فـؤادي لَـوْعَـةٌ ... لـم يَلْقَهـا أحَـدٌ مـنَ العشّـاقِ
فَقَـرأتُـهُ والنـارُ تُحْـرِقُ مُهْجَتـي ... والـدَّمـعُ منسَكـبٌ مـنَ الآمـاقِ
وَشَكَـوتُ مـن ألَـمِ الفـراقِ وبعـضَ مـا ... لاقيتُـه مـن شـدَّة الأشـواقِ
وسـألـتُ مَـنْ جَـرَتَ النَّـوىٰ بقضـائـه ... مـا بيـنَ مُشتـاقٍ إلـىٰ مُشْتـاقِ
دَعْـوَىٰ غَـريـبٍ طـالـبٍ لقَبُـولِـهِ ... أنْ يَعْقُـبَ الإبعـادَ يـومُ تَـلاقِـي

وأنشدني أيضًا لنفسه: [من الوافر]

أروحِـي كَـم يُعَنِّفُنِـي العَـذُولُ ... ومـا لـي عـن محبَّتكُـم نُصـولُ
فـوجـدي تُضْـرَبُ الأمثـالُ فيـه ... وحُسْنُـك لا يُعَـدّ لَـهُ عَـديـلُ
فيـا مَـن وَجْهُهـا شمـسٌ وبـدرٌ ... وقـامَتُهـا كغُصـن نَقـًا يَميـلُ
/ ٢٨٤ب/ وَخَـدٌّ يَخْجَـلُ التُّفّـاحُ منـهُ ... وَريـقٌ منْـهُ يَجْـري السَّلْسَبيـلُ
وطَـرْفٌ فـي الصِّنـاعَـة بـابلـيٌّ ... وخَصْـرٌ مثْـلُ عـاشقهـا نَحيـلُ
لئـنْ حـرَّمـت مـن وصلـي حَـلالاً ... فـإنِّـي فـي خيـامكُـم قَتيـلُ
فَيَـا لله مـن لَيْـلِ تَقَضَّـى ... وجـادَتْ بـاللِّقـاء بَـه الطُّلُـولُ
فـأحييـتُ الصَّبـاحَ بلَثْـم خَـدٍّ ... وَوَصْـل عنـدَهُ يُشفَـى العَليـلُ
وَبـتُّ أراقـبُ البـدريـن فيـه ... ولا واشٍ يَنُـمُّ ولا عَـذُولُ
فبَـدرٌ يقطَـعُ الأفـلاكَ سَيْـراً ... وبـدرُ الحُسْـن عنـدي لا يَـزُولُ
فلمّـا أنْ دَنـا التَّـوديـعُ منْـه ... وصَـدْري قـد أَحـاطَ بـه الغَليـلُ
أخـذتُ عُهـودَهُ قَسمـاً بـوَصْـلِ ... وأكّـدَ صِـدْقَـهُ وَعْـدٌ جَميـلُ

ذكر من اسمه عبد العزيز

[٣١٧]

عبدُ العزيز بنُ النَّفيسِ بنِ هبةِ الله بنِ وَهْبان بنِ روميٍّ بنِ سلمان البغداديُّ[١] :

وقد سيق نسبه بتمامه، عند ذكر أخيه أبي نصر عبد الرحيم[٢].

يكنّىٰ أبا القاسم، كان يعاني نوع الأدب، ويتعاطىٰ نظم الشعر، وكانَ لطيفًا مطبوعًا، ذا فضل وأدب ومروءة، / ٢٨٥أ/ وسماحة، فمن شعره قوله: [من المنسرح]

أَمْسَيْتَ صَبًّا ذا مَدْمَعٍ صَبَبِ — قد ذَهَبَتْ عنكَ طِيبَةُ الذَّهَبِ

[فـ]يا رَبيعًا خَلَتْ مَرابِعُهُ — مِنْ غُصْنِ بانٍ يهتزُّ في كُثُبِ

رُوميَّةٍ مَنْ يَرُومُها كَلِفٌ — مِثْلُكَ إلاَّ بكَثْرَةِ الذَّهَبِ

أعطَتْكَ لَوْنَ اسمِها فَوَجْهُكَ مُصْـ — ـفَرٌّ بِوَرْسِ الغَرامِ والشَّحَبِ

وأوقَدَتْ في حَشاكَ وجنَتُها الـ — ـحَمْراءُ ناراً شَديدَةَ اللَّهَبِ

أصبحتُ بالمَوْصِلِ الغَداةَ بلا — وَصْلِ حَبيبٍ مُسْتَعْذَبِ الغَضَبِ

كاسٍ مِنَ العِلْمِ والمَناقبِ والمجـ — ـدِ وعارٍ مِنْ حُلَّةِ النَّشَبِ

ما ذاتُ شَعْرٍ كالليلِ فَوقَ سَنَى — صُبحٍ بشِعْرٍ ينالُ أو خُطَبِ

أكُلَّ يومٍ تُصبيكَ غانيَةٌ — رُودُ الصِّبا ذاتُ منظَرٍ عَجَبِ

هَبْ أنَّ بغدادَ كُنتَ ماجِنَها — مُنْهَمِكًا في السُّرورِ والطَّرَبِ

فكيفَ تَرجو وأنتَ مُغْتَرِبٌ — إلفًا بلا عَسْجَدٍ ولاَ ذَهَبِ؟

في كُلِّ أرضٍ تَهوىٰ المِلاحَ وتلـ — ـقينا بشكوىٰ هَواكَ في العَطَبِ

كِلا الهَوائيَّيْنِ عندَكَ اجتَمَعا — للبارِدَيْنِ الشِّتاءِ والنَّشَبِ

خَمسونَ يومًا أقَمْتَ في بَلَدٍ — ولم تَنَلْ بُغْيَةً مِنَ الطَّلَبِ

---

(١) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٨/ ٥٦٤ رقم ٥٦٣. تاريخ الإسلام (السنوات ٦٢١ ـ ٦٣٠) ص١١٦، وفيه: «يعرف بشمس العرب. . .، توفي في حادي عشر ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وستمائة».

(٢) ترجم له المؤلف في هذا الجزء برقم ٣٠٤.

/ ٢٨٥ب/ وقد أتاكَ الشِّتاءُ تَبْعَثُه   مُقَدِّماتُ الرِّياحِ والسُّحُبِ
قُلْ لي بماذا تَلْقَى عَساكِرَهُ   إذا أغارَتْ في جَحْفَلٍ لَجِبِ
ماذا الخمولُ الذي دَهاكَ وما   زلتَ نبيهًا يا أفصحَ العَرَبِ ؟
وقد تَفَيَّأتَ ظِلَّ ذي نَسَبٍ   مُعَرِّقٍ في العَلاءِ والحَسَبِ
أُخَيَّ مُذْ صِرْتَ في جَنابِ جَما   لِ الدِّين عانَيْتَ حِرْفَةَ الأدَبِ
لا تيأسَنْ إنَّما عنايتُه   يأتيكَ منْها النجاحُ عن كَثَبِ
فارَقْتَ بغدادَ فهْي شَيِّقَةٌ   إلى بَديعِ المَديحِ والنَّسَبِ
كنتَ بها زَهْرَةَ الرَّبيعِ وقد   جيدَتْ بهامي الرَّبابِ مُنسَكِبِ
فاليومَ تشتاقُكَ المواسِمُ والـ   ـدُّولةُ والجالسونَ في الرُّتَبِ
سقيًا لأيامنا التي سَلَفَتْ   بنَهرِ عيسى وَمائِهِ السَّرِبِ
ونحنُ بينَ الرِّياضِ في زَهَرٍ   نُوَّارُه المستنيرُ كالشُّهُبِ
حيثُ المَخاليفُ لا تُخالِفُنا   يا سَعْدُ في لَذَّةٍ ولا أدَبِ
لهم قِسيٌّ مِنَ الجفونِ ومِن   عيونهم أسْهُمٌ لمُكْتَئِبِ
من كُلِّ ظَبْيٍ حُبوبُ مَغْرِزِه   لآلىءٌ أو تَراصُفُ الحَبَبِ
يحمى بسيفِ الجفاءِ مَجْلِسَهُ   إذا سَقانا سُلافَةَ العِنَبِ
/ ٢٨٦أ/ ذاكَ زمانٌ مَضَى بلَذَّتِه   فكيفَ أصبحتَ من جوى الكَرَبِ

أنشدني الشيخ الأجل، العالم نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العزّ بن أبي طالب الشيباني الدمشقي(١) بها في المحرَّم سنة أربعين وستمائة، قال: أنشدني أبو القاسم عبد العزيز بن النفيس بن هبة الله بن وهبان البغدادي لنفسه ما قاله بدمشق من قصيدة: [من الرمل]

هاجَ وَجْدي عند تَغْريدِ الحَمامِ   فَصَبا قَلْبي إلى دار السَّلامِ
بلدةٌ جانَبْتُها لا عَنْ قِلًى   وإليها جَذَبَ الشَّوقُ زِمامي

(١) يعرف بابن الشقيشقة، ولد في حدود سنة ٥٨٠هـ، وسمع من حنبل المكبر وابن طبرزد وغيرهما، وروى مسند أحمد، تولى عقد الأنكحة بدمشق، ووقف داره لتكون دار حديث، توفي فيها سنة ٦٥٦هـ.
ترجمته في: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٣٩. العبر ٥/ ٢٣٧. ذيل الروضتين ٢٠١. شذرات الذهب ٥/ ٢٨٥.

شـاقَنـي بـالكَـرْخِ مـن غَـرْبِيِّهـا رشـأ مـن سُقـم جَفْنَيـه سَقـامـي
مُخْطَـفُ القَـدِّ رَشيـقٌ راشـقٌ بسهـام اللحـظ أبنـاءَ الغَـرامِ
لُـؤلُـؤيُّ الثَّغْـرِ مَعْسُـولُ اللَّمـىٰ عَنْـدَمـيُّ الخَـدِّ عَسَّـالُ القَـوام
كيـفَ لـي بـالـوَرْدِ مـن ريقتـه وبـوَرْدٍ أجتنيـه بـالشـآمِ ؟
وهـو مَحْمـيُّ الحمـىٰ مـن قَـدِّهَ ومـنَ اللَّحـظ بـرُمْـحٍ وحُسـام
وَهَـبِ الطيَـفَ اهتَـدَىٰ حيـنَ سرىٰ هَـل تُـلاقـي الطَّيـفَ إلاَّ فـي المَنامِ ؟
/ ٢٨٦ب/ بَعْدَهُ طَرْفي وسَمْعي هَجَرا لمَنـام ذا وهـذا المَـلامِ
عقَّنـي إذْ عـاقَنـي عـن قَصْـده زَمَـنٌ مُغْـرًى بتَشتيـت التَـامـي
أبـداً يَـرْشقُنـي مـن صَـرْفِـهِ بسهـامٍ وَقْعُهـا فَـوْقَ سهـامِ

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه في غلام فقيه: [من مجزوء الرمل]

يـا فَقيهـاً طَـرْفُـهُ الفَتْـ ـتـانُ قـد أَفْتـىٰ بقتلـي
والـذي تُلقـي دُرُوسَ الـ ـسِّحْـرِ عَيْنَـاهُ وتُملـي
أيُّ شَـرْعٍ حَـلَّ هَجْـري فيـه أو حَـرَّمَ وَصلـي ؟
قَـد رَمـانـي لَحـظُ عَيْنَيْـ ـكَ مـنَ الغنْـجِ بنَبْـلِ
ولكَـمْ قـد قَتَلَـتْ مُقْـ ـلَتُـكَ الكَحْـلاءُ قَبْلـي
يـا بَـديعـاً يسجُـدُ البـد رُ لـهُ عنْـدَ التَّجلِّـي
مـا يـرىٰ مثلُـكَ فـي الحُسْـ ـنِ ولا فـي الحُـزْنِ مثلـي

وأنشدني قال: أنشدني أيضًا فيه لنفسه: [من مجزوء الكامل]

يـا قـاتلـي بصُـدوده لـكَ فـي الـوجيـز أجيـز قَتلـي
/ ٢٨٧أ/ أمْ طـرَفُـكَ الفَتـاكُ قـد أفتـاكَ فـي تَحـريـمِ وَصْلـي ؟

وأنشدني قال: أنشدني في غلام يرمي بالنشاب: [من مجزوء الكامل]

روحـي الفـداءُ لشـادن رُوحـي تُعَـذَّبُ فـي يَـدَيْـهِ
فـي كفِّـهِ سَهْـمٌ وقَـوْ سٌ غيـرُ محتـاجٍ إليـهِ
وسهـامُـهُ مـن لَحْظِـهِ وقسيُّـهُ مـن حـاجِبَيْـهِ
يمنَعْـنَ أن تَجتَنـي اللَّـحْـ ـظُ وَرْدَهُ مـن وَجْنَتَيْـهِ

إنْ أخطــــأت يَـــدهُ فَمــا تُخطــي رمـايــةُ مُقْلَتَيْــه

وأنشدني له قال: أنشدني يداعب شخصًا لقبه نجم الدين: [من السريع]

يـا أيُّهـا النَّجـمُ الـذي لـم نَـزَلْ فـي ظُلمـةِ الفِسْـقِ بـه نَهْتَـدي
النَّجـمُ ينقَـضُّ علـىٰ مـاردٍ وأنـتَ تنقَـضُّ علـىٰ أمْـرَدِ

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه من قصيدة: [من البسيط]

لا يطمَـعُ العَـذْلُ فـي إذْنٍ علـىٰ أُذُنِ فلسـتُ أُصغـي للـومٍ لا يـلائمُنـي
/ ٢٨٧ب/ ولا جُفونـيَ فـي طِيبِ الرُّقـادِ ولا فـؤاديَ الصَّـبُّ أنْ يَخْلُـو مـن الشَّجَـنِ
مـادامَ لـي نظـراتٌ تحتَهـا طَمـعٌ فـإنَّ لـي زفـراتٍ مـا تُفـارِقُنـي
وكيـفَ أعـدَمُ يـومًا مـن دمَشْقَ هَـوًى وقـد بُليـتُ بغـزلانٍ تُغـازِلُنـي
أيـنَ التفـتُّ رأتْ عينـايَ بـدرَ دُجًـى مـن كـلِّ نـاحيـةٍ فيهـا يُطـالِعُنـي
وقـد تملَّـكَ رقِّـي منهُـمُ رَشـأٌ أراقَ إعـراضُـهُ دَمعـي وأرَّقَنـي
إنْ صَـدَّنـي عـن لَمـاهُ العَـذْبِ عـذَّبني وإن حَمَـى رَشْـفَ ذاكَ الظَّلْـمِ يَظْلِمُنـي
فكيـفَ لـي بـوصـالٍ وهـو يُعْجِـزُني أم كيـفَ بـالصَّبْـرِ عنـه وهْـوَ يعـوزنـي ؟

وأنشدني قال: أنشدني لنفسه: [من الكامل]

هَجْـرُ الحَبيـبِ وهَجْـرُ قـولِ مُعنفـي قَـدَحـا بقَلبـي لَـوْعَـةً مـا تَنْطَفـي
عجبـًا أذُمُّ علـىٰ الهَـوىٰ الـواشـي بـه وتَشـي دُمـوعـي فيـه بـالسِّـرِّ الخَفـي
مـالـي أراعـي عَهْـدَ مـن لا يَـرْعَـوي وإلـىٰ وصـالـي لا يفـيءُ ولا يَفـي ؟
يـا صـاحبـي أودَىٰ هـواهُ بمُهجَتـي وظَمِئـتُ فـانقَـعْ غلَّتـي بـالقَـرْقَـفِ
قُـم فـاسقنيهـا خَمْـرَةً ذَهَبيَّـةً واذْهَـبْ بصـرْفِ الـراحِ هَمِّـي واصـرِفِ
مـن كـفِّ ذي غَيَـدٍ يَجُـودُ إذا سَقَـىٰ كـالغُصْـنِ معتَـدلِ القَـوامِ مُهَفْهَـفِ
ظبـيٌ مـن الأتـراكِ لـم تتـركْ ظُبـا أجفـانـه فعـلاً لَحـدِّ المُـرْهَـفِ
/ ٢٨٨أ/ شاكي السِّلاحِ إذا رَنا وإذا انثَنىٰ أرْدَىٰ الكَمِـيَّ بصـارمٍ ومُثَقَّـفِ
فـي دوحَـةٍ جـادَ السَّحـابُ رِيـاضَهـا فـالنَّبْـتُ بيـنَ مُـدَبَّـجٍ ومُفَـوَّفِ

[٣١٨]

عبدُ العَزيز بنُ مُحَمَّد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسَن بنَ عبد الرحَمنَ بن طَاهر بنَ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بنَ الحسَنَ بنَ عليٍّ بن زَيْد اَلكَرَابيسيُّ اَلنَّيسابُوريّ، أَبو مُحَمَّدَ بنُ جعفرِ بنِ اَلعَجْميِّ:

من أهل حلب، ومن بيت معروف بها في التقدُّم والرئاسة والثروة واليسار، كانت ولادته في شهر صفر سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، وتوفي يوم الجمعة، ثالث عشري جمادىٰ الآخرة سنة أربع وثلاثين وستمائة، ودفن بالقُرب من مقام إبراهيم عليه السلام في مشهد أنشأه والده شرقي المقام.

كان عدلاً علىٰ الخزانة، من قبل ولاة حلب، الملك العزيز غياث الدين، وبعده لولده الملك الناصر يوسف، وكان أوَّلاً قد قرأ فقهًا ونحواً وأدبًا، وسمع الحديث النبوي علىٰ جماعة منهم القاضي أبو المحاسن يوسف /٢٨٨ب/ بن رافع بن تميم الأسدي[(١)]، وأبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الأدمي[(٢)]، وابن روزبة، وغيرهم، من الذين قدموا محروسة حلب، وفهم طرفًا جيّداً من الفرائض، والحساب، وقال شعراً صالحًا من المقطعات النادرة.

وكان مع ذلك فيه مروءة وسماحة، يحبّ أهل الفضل، وأرباب العلم، أنشدني من شعره ولده كمال الدين أبو يوسف أحمد قال: سمعت والدي ينشد لنفسه:

[من الطويل]

سَقَىٰ اللهُ دَهْراً كانَ يَجْمَعُ بيننا ... إذ العَيْشُ غَضٌّ والحَبيبُ قَريبُ
نجرِّرُ أذيالَ الصِّبا في رِياضِه ... ويَدْعُو بنا داعِي الهَوىٰ فَنُجيبُ

---

(١) ترجم له المؤلف في الجزء العاشر برقم ٩٦٨.

(٢) يوسف بن خليل بن قَراجا بن عبد الله، أبو الحجاج: شمس الدين الدمشقي ثم الحلبي، محدّث حنبلي، ولد بدمشق سنة ٥٥٥هـ، وتفقه بها، كان كثير الرحلة، وكثير الكتابة، جمع لنفسه معجماً عن أزيد من خمسمائة شيخ، وكتب بخطه كثيراً، استوطن حلب وتوفي بها سنة ٦٤٨هـ.
ترجمته في: الذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٢٤٤. شذرات الذهب ٥/ ٢٤٣. الأعلام ٨/ ٢٢٩.

وأنشدني أيضًا ولده قال: أنشدني والدي من شعره: [من الطويل]

وقد كنتُ أرجو أنَّ عَهْدي دائمٌ ... وأنَّ مكاني من ودَادكَ لا يَخْلو
فأخلَقَتِ الأيّامُ ظَنِّي بعَهْدكُم ... وإنْ كان قَلْبي لا يَمَلُّ ولا يَسْلُو

وأنشدني نجم الدين عثمان قال: أنشدني ابن عمّي أبو محمد بن أبي جعفر لنفسه: [من الوافر]

/ ٢٨٩أ/ ألا لله من عَيْش تقَضَّىٰ ... عَساهُ يعيدُ لذَّتَهُ إليّا
وذه فيروزُ لمّا أنْ تَغَنَّت ... ظَنّنا مَعْبَداً قد عادَ حيّا
علَقْتُ بحُبِّها طفلاً صَغيراً ... وأسكَرني الهوىٰ سُكْرَ الحُمَيّا
إذاَ قبَّلتها قالَتْ بغُنَجٍ ... لقد أضْجَرْتَني فَتَنَحَّ هيَّا

ومن شعره أيضًا ما كتبه إلىٰ وزير الوقت، زين الدين عبد المحسن بن محمد بن عبد الواحد بن حرب، وهو يتولّىٰ يومئذ وزارة الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب، بمحروسة حلب: [من الوافر]

إذا ما طَاوَلَتْني الشُّهبُ يوماً ... رأت شَرَفاً يُنَزَّهُ عن عيانِ
بَقُربكَ لا بقُرْب سواكَ خلقاً ... وَجَدتُ مكانَتي أعلىٰ مَكانَ
وكيفَ أخافُ حَرْبَاً من فُلانٍ ... وأنتَ السِّلم لي أبدَ الزَّمانِ ؟

[٣١٩]

عبدُ العزيز بنُ مُحَمَّد بن أبي الفضائل بن أبي البَركات، أبو مُحَمَّد ابنُ أبي المَعالي / ٢٨٩ب/ البغداديُّ الواعظُ، المَعروف بابنَ الدِّيناري[١]:

كانت ولادته بمدينة السلام بباب المراتب[٢]، ليلة الجمعة العاشر من رجب سنة ستٍّ وخمسين وخمسمائة، وقرأ القرآن الكريم علىٰ أبي الحسن علي بن عساكر بن

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ٣/ ٣٩٨ نقلها عن القلائد. الوافي بالوفيات ١٨/ ٥٤٢.

(٢) باب المراتب: أحد أبواب دار الخلافة ببغداد، كان من أجّل الأبواب وأشرفها، له حاجب عظيم القدر، نافذ الأمر، داخله مملكة كبيرة كان يسكنها الأكابر والتجار والأشراف، وذوو البيوتات القديمة، وكانت الدور بها عالية لها قيمة. معجم البلدان/ مادة (باب المراتب).

المرحب البطائحي وغيره، وسمع الحديث علىٰ جدِّه لأمّه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن هبة الله بن أبي طالب[١] الفرغاني الديناري، وقرأ الأدب علىٰ الإمام أَبي البركات عَبد الرحمن بن مُحَمَّد الأنباري، وأبي محمد إسماعيل بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي النحوي، وأبي الحسن علي بن عبد الرحيم بن العصار اللغوي البغدادي، وأبي العز محمد بن محمد بن مواهب الخراساني، وأبي محمد الحسن بن عبيدة المقرىء الكرخي، وتفقه علىٰ الشيخ أبي طالب المبارك بن المبارك الكرخي المعروف بغلام ابن الخل الفقيه الشافعي.

ثم قدم الموصل، وتفقَّه بها علىٰ القاضي أبي الرضا سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري[٢]، وأبي المظفر / ٢٩٠أ/ محمد بن علوان بن مهاجر[٣]، وقرأ الفرائض علىٰ أبي الثناء الضرير الفَرَضي، واشتغل بالوعظ وتميّز فيه، واشتهر به.

وكان مليح الكلام، حلو العبارة، حسن الإيراد، أقام بالموصل يعظ بالمدرسة الأتابكية العتيقة، ثم توجَّه إلىٰ الشام، ودخل ديار مصر، وسكنها مدّة، يعظ ويفيد الناس، ثمَّ عاد إلىٰ الموصل في سنة أربع عشرة وستمائة، ومكث بها مديدة علىٰ عزم العودة إلىٰ الشام، ونزل دمشق، وتوفي بها يوم الجمعة، رابع ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وستمائة[٤].

وكان متميزاً متقناً، ينظم الشعر الرائق، أنشدني من شعره الإمام أبو المجد إسماعيل بن هبة الله بن باطيش الموصلي الفقيه الشافعي ـ أيّده الله تعالىٰ ـ بحلب سنة أربع وثلاثين وستمائة قال: أنشدنا أبو محمد عبد العزيز الديناري بالموصل في ثاني عشر المحرم سنة خمس عشرة وستمائة لنفسه في الغزل: [من مجزوء الكامل]

مازال يَمْطِلُني بدَيْني بدرٌ لهُ قَدُّ الرُّديني

(١) في مجمع الآداب ٣/ ٣٩٨: «محمد بن إسماعيل بن أسعد بن إبراهيم بن هبة الله. . .».
(٢) سعيد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري، ولد سنة ٥٠٦هـ، تفقه على محمد بن يحيى صاحب أبي حامد الغزالي، أجاز له بهاء الدين بن شدّاد سنة ٥٦٧هـ، ولا تعرف سنة وفاته على وجه التحديد.
ترجمته في: وفيات الأعيان ٦/ ٨٣.
(٣) ترجم له المؤلف في الجزء السادس برقم ٦٤٩.
(٤) في مجمع الآداب: «دفن بجبل قاسيون».

/ ٢٩٠ب/ ظبيٌ غريرٌ أحورٌ ... يَسبي بخدٍّ كاللُّجَيْن
ترمي سهامَ جُفُونِه ... فينا قسيُّ الحاجبين
كم يستَرقُّ مُتيَّماً ... بعذاره والسالفَيْن
سفكَتْ دمي ألحاظُه ... عمداً بسهم المُقْلَتَيْن
مالي ألومُ على الهوى ... قلبي وطرفي جرَّ حَيْني ؟
أنا كلَّ يوم معْهُما ... في حَرْب بدر أو حُنَيْن
أألامُ في قمرٍ على ... خدَّيه صُورةُ عقْربَيْن ؟
دبَّتْ على قَلْبي وما ... جَلَبَ البليةَ غيرُ عَيْني

وأنشدني أيضًا قال: أنشدني عبد العزيز بن أبي المعالي يرثي شيخنا الإمام أبا المظفر محمد بن علوان بن مهاجر، [وكان قد] توفي يوم الأحد، ثالث المحرّم من سنة خمس عشرة وستمائة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: [من الخفيف]

أوْحَشَتَنا لمَّا تولَّىٰ الدُّروسُ ... والفتاوىٰ بَكتْهُ والتَّدريسُ
آه واحَسْرَتا علىٰ شَرَف الدِّين ... ومَنْ كانَ صَمْتُه تَقْديسُ
/ ٢٩١أ/ وإذا فاهَ بالفوائد تُملىٰ ... صُحُفٌ من عُلومه وطُروسُ
ولكَمْ كانَ ينْشُرُ الدُّرَّ إنْ نا ... ظَرَ في مَحْفَل وتُجْلىٰ عَروسُ
ولكَمْ عَمَّ حُزْنُه وتَساوىٰ ... في عَزاهُ الرئيسُ والمرؤوسُ
كُلُّ عَيْن عَرَىٰ وكُلُّ فُؤاد ... فيه مِنْ حُزنه الطويل رَسيسُ
ولقد ألبسَ الزَّمانَ حداداً ... فهوَ بالحُزن ظُلْمةٌ خَنْدَريسُ
عَجَباً كيفَ حلَّ في اللَّحْد طَوْدٌ ... وهو في ضيق تُربه مَرْسُوسُ
ولَبَحْرٌ ثَوَىٰ بقَعر الثَّرىٰ فيه ... مِنَ المأثَرات دُرٌّ نَفيسُ
ولَقَبْرٌ حَوَى بضَيقته لَيْـ ... ـثاً هزَبراً لهُ ثَراهُ حَبيسُ
ولئن أظلمَتْ لُحودٌ ففي قَبْـ ... ـرٍ حَواهُ منَ العُلوم شُموسُ
أو شَكَتْ وَحْشَةً فقد حَلَّ في لحـ ... ـدٍ به حَلَّ من بقاهُ أنيسُ
وبه الدَّهرُ كانَ طَلْقَ المحيّا ... وهُوَ الآنَ حينَ بانَ عَبُوسُ
ولَوَ انَّ المصابَ يُفْدَىٰ بشيءٍ ... لَفَدَتْهُ منَ الحمام النُّفُوسُ

وأنشدني القاضي الإمام كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة الفقيه الحنفي

المدرس ـ أدام الله تأييده ـ بحلب في سنة أربعين وستمائة قال: أنشدني /٢٩١ب/ أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن أبي الفضائل بن أبي البركات الفقيه الشافعي البغدادي الواعظ المعروف بابن الديناري لنفسه بحلب سنة اثنتين وعشرين وستمائة:

[من الطويل]

غَزالٌ سَباني فاترُ الطَّرْف أحْوَرُ ... يقدُّ الردينيات بالقَدِّ أسْمَرُ

إذا ما رَنا أصْمَىٰ الرَّمِيَّةَ لَحْظُه ... وفي طَرْفه سَيْفٌ من اللَّحْظ أبتَرُ

وكم قَتلَتْ ألحاظُه من مُتَيَّم ... يُسَلُّ عليه باللواحظ خنْجَرُ

وقد أمْرَضَتْ جسْمي مراضُ جُفونه ... ومُذْ فَتَرَتْ سُقمي بها ليسَ يَفْتُرُ

بخَدٍّ نَقيٍّ كاللُّجَيْن بياضُهُ ... وَمِنْ فوقه وَرْدٌ مِنَ الحسن أحْمَرُ

وثَغرٌ هو الإغريضُ لا بَل لآليءٌ ... منضَّدَةٌ عندَ التَّبَسُّم تَبْهرُ

ترىٰ الدرَّ مَنْظوماً إذا كانَ باسماً ... ولكنَّه للدُّرِّ بالنُّطق يَنْثُرُ

ونكْهَتُهُ المسْكُ الذَكيُّ تخالُها ... بُعَيْدَ الكَرىٰ بل مازَجَ المسْكَ عنبَرُ

وريقَتُه يَشفي المتيَّمَ رَشْفُها ... ورائقُها عندَ الترشُّف يُسكرُ

بأجفانه إمَّا دَنا سحْرُ بابل ... ومِنْ لَفْظه أو لَحْظه الصَّبُّ يُسْحَرُ

إذا صَدَّ صَدَّ الصَّبْرُ عنّي بصَدِّه ... ويَهْجُرني طَيْفُ الكَرَىٰ حينَ يهجُرُ

/٢٩٢أ/ وأنشدني أيضاً قال: أنشدني لنفسه: [من المتقارب]

حَفظتُ العُهودَ وضَيَّعتُمُ ... فأينَ الحفاظُ وأينَ العهودُ؟

فَفي القَلْب منكُم جوًى نارُهُ ... لها في الحَشا مُذْ حَلَلْتُم وَقُودُ

أأكتُم ما بيَ من حُبِّكم ... وقد خُدِّدَتْ بالدُّموع الخُدُودُ

وإنْ أنا أنبأتُ سرَّ الهوىٰ ... فَها زَفْرَتي وَدُمُوعي شُهودُ

وقد كنتُ قبلَ الهَوىٰ صابراً ... جليداً وفي الحُبِّ يَفْنَىٰ الجَليدُ

سَقَىٰ اللهُ نَجْداً وأرضَ الحمَىٰ ... مُلِثًّا بتلْكَ المغاني يَجُودُ

أُحِبُّ زَرُوداً وتلكَ الربوعَ ... فكَم جَمعَتْنا قَديماً زَرودُ

وكم قد سَحَبتُ بُرودَ الشَّباب ... بها فازدَهَتني تلكَ البُرودُ

وكانَ الشَّبابُ شَفيعي ولي ... غدائر تَسبي المحبِّينَ سُودُ

فَشِبتُ وما شابَ وَجدي بكُم ... وإنْ كنتُ شِبتُ فَحُبي وَليدُ

وأنشدني أيضًا قال: أنشدني لنفسه أبياتًا عملها في طريق مكة، وقد حجَّ من العراق في سنة ثلاث وستمائة، وحجَّ في تلك السنة صدرجهان / ٢٩٢ب/ وكانت الوقفة الجمعة، وهلك من الحاج خلق كثير من العطش، ولاسيَّما في منزلة به تسمى العسيلة(١): [من مجزوء الكامل]

يــا سـائلـي عمّـا جَـرَىٰ إنِّـي اختصَـرتُ لَـكَ العبـارَه
إنَّ العُسَيلـةَ أصبحَـتْ فينـا حَـلاوَتُهـا مَـرارَه
وكـذا النُّقَيْـرَةُ قَبْلَهـا عُـدمَ الفَتَـىٰ فيهـا قَـراره
كَـم مِـن شبـاب شـاحـب بعـدَ المَـلاحَـةِ والنّضـارَه
أضحـىٰ بقَفْـرٍ عـادمًـا فيـه أقـارِبَـه وجَـارَه
مستَـوطنًـا بمفـازَةَ وفـراشُـه فيهـا الحجَـارَه
لا لَيْلَـه نَـدري بـه عنـدَ الظَّـلام ولا نَهـارَه
ولكـم رأىٰ مَـنْ يَسْتَجِيـرُ بـه ولكـنْ مـا أجـارَه
تَـرك النِّسـاءَ أرامـلاً وجَفـا لسَفْـرَتـه ديـارَه
كـم مِـن وَقـور عـادمٍ بـالمـوت بينَهُـم وَقـارَه
متـوسِّـد يُمنـاهُ فَـوْ قَ جَبينِـه ألقَـىٰ يَسـارَه
كـم مُـرضِـعٍ ورَضيعهـا تُـومـي إلينـا بـالإشـارَه
مَـن ذا يبـرِّدُ غُلّتـي بـالمـاء يَـرْبَـحُ بـالتِّجـارَه ؟
/ ٢٩٣أ/ كـم متـرَف ومُنَعَّـم والـرمـلُ قـد أضحَـىٰ دثـارَه
كـم مـاتَ منْهُـم جـالـسٌ بيـنَ الحجـارَة والمَحـارَه
كـم مِـن وجـوه سـوِّدَتْ مِـنْ قبـلُ كـانَـت مُسْتَشـارَه
كـم مِـن قطـارٍ مـاتَ والـ جمّـالُ متَّبِـعٌ قطـارَه
وجَميعُهـم صَـرْعَـىٰ كـأنَّ السُّكْـرَ ألبسَهـم خُمـارَه
وأتـاهُـمُ البيـتُ الحَـرا مُ إلـىٰ العُسَيْلَـة للـزِّيـارَه
إنَّ المـلائكـةَ الكـرا مَ أتَـت إليهـم بـالبشـارَه

(١) العسيلة: ماء في جبل القَنَان شرقي سميراء. معجم البلدان/ مادة (العسيلة).

إنَّ الإلــــهَ رَضــيْ لهــم — فــي جَنــة المـــأوىٰ جــوارَه
قــد كــان ينتفــعُ الفَتـىٰ — بــالــذِّكــر لــو أبــدىٰ ادِّكــارَه
أو كـــان يفتكـــرُ اللَّبيـ — ـــبُ ويُكثــرُ الــدَّهــرُ افتكــارَه
لــرأىٰ بعَيــنِ العَقْــلِ أنَّ — محــاســنَ الــدُّنيــا مُعــارَه
فــاتــرُك تجَــارَتهــا فــإنَّ — تجــارَةَ الــدُّنيــا خَســارَه
فــالمُلْــكُ فيهــا لا يَــدُو — مُ فكيــفَ يفــرَحُ بــالإمــارَه
واعـــدِلْ إذا وُلِّيـــت أمْـ — ــراً فــالإمــارَةَ بــالعمــارَه

وقوله:

وأتــاهُــمُ البيـــتُ الحَــرا — مُ إلــى العُسَيلَــة للــزِّيــاره

/ ٢٩٣ب/ قيل: رأىٰ بعض الحاج في منامه كأنَّ البيت الحرام مشىٰ، فقيل: إلىٰ أين؟ فقال: إلى زيارة الموتىٰ بالعسيلة.

[٣٢٠]

عبدُ العزيزِ بنُ قُرّى، ينعت بالقاضي الأمجد المصري:

كان من الفضلاء في زمانه أدبًا، وفضلاً، وعلمًا، وتبريزاً، له يدٌ في كتابة الإنشاء، مع حفظ للقرآن، وتدريس الفقه، وقول الشعر، والأدب الوافر.

ومن شعره: [من الكامل]

قــد كنــتُ أحــذَرُ مــن وُقــوعِ فــراقكُــم — وأعــافُــه وأخــافُــه حتَّــىٰ جــرَىٰ
سَبَــقَ القَضــاءُ بــه فقَــدَّرَ يــومَــهُ — حَتْمــًا فــلا رَدٌّ لمـــا قــد قُــدِّرا
ســارُوا فلــو أُلقــي يَسيــرُ تَشَــوُّقــي — يــومــًا علــىٰ الصَّخْــرِ الأَصَــمّ تفَطَّــرا
ولــو أنَّ بَحْــراً صــادَفَتْــهُ قَطْــرَةٌ — مــنْ دَمْعَتــي لَجَــرىٰ نَجيعــًا أحمــرا
يــا عــاذلَ العشَّــاقَ جهْــلاً بــالهــوىٰ — مــا كــانَ أحســنَ أن تَــرِقَّ وتَعْــذُرا
إن كنــت لــم تَــرَقــطُّ يــومــًا قيمــة الـ — ــدُّنيــا ففــارِقْ مَــنْ تُحِــبُّ لكــي تَــرىٰ

[٣٢١]

عبدُ العزيز بنُ مُحَمَّد بن عليٍّ بن حمزة بن القُبَّيْطيِّ، أبو البركات، الحَرَّانيُّ الأصَلِ، البغداديُّ المولد(١):

شيخ فاضل حافظ للقرآن العظيم، متقن له، مجيد لأدائه، حسن التلفّظ به، شيخ صالح، ذو سكون ظاهر، سمع الحديث، وكان فيه فضل وأدب، سمع شُهْدَة بنت الإَبري(٢)، ومن بعدها، وحدث وسمع، وكانت وفاته في منتصف ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة بمدينة السلام.

أنشدني أبو طالب علي بن الحسن بن عثمان بن عبد الله البغدادي، بمدينة السلام سنة تسع وثلاثين وستمائة [قال] أنشدني عبد العزيز بن محمد بن القبيطي لنفسه من قصيدة طويلة في المستنصر بالله ـ رضي الله عنه ـ: [من الطويل]

حَمَىٰ شرْعَةَ الإسلامِ من كلّ باطلٍ ... إمامُ هُدًى برٌّ كريمُ الشمائلِ
إمامُ هُدًى أعطىٰ الخلافةَ حَقَّها ... وقامَ بمَفْرُوضاتها والنوافلِ
وأعلى منَ الإسلام كلَّ دعامَةٍ ... وشَيَّد من أركانه كلَّ مائلِ
يَذبُّ عنِ الإسلامِ منهُ حَمِيَّةً ... يُبيدُ أعاديه عَديدُ الجَحافلِ

---

(١) ترجمته في: التكملة للمنذري ٣/٤٣٨ رقم ٢٧١١ وفيه: «عبد العزيز بن محمد بن علي بن حمزة بن فارس بن محمد بن عبيد... مولده ببغداد في السادس والعشرين من شوال سنة ثلاث وستين وخمسمائة، قرأ القرآن الكريم بالروايات على عمه أبي يعلى حمزة بن علي، وسمع بإفادته من فخر النساء بنت أبي نصر الكاتبة، وأبي نصر عبد الرحيم بن عبد الخالق بن أحمد بن يوسف، وأبي الفتح عبيد الله بن عبد الله بن شاتيل، وحدّث، وكان من أعيان القرّاء المجوّدين، حسن الأداء، طيب النغمة، وللمنذري ـ صاحب التكملة ـ إجازة منه كتب بها إليه من بغداد في جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وستمائة. توفي في ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول وقيل في منتصفه، سنة أربع وثلاثين وستمائة». تأريخ الإسلام (السنوات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ص١٩٩. الوافي بالوفيات ١٨/ ٥٤١ ـ ٥٤٢ رقم ٤٥٦. معرفة القراء الكبار ٢/ ٦٤١ رقم ٦٠٥. غاية النهاية للجزري ١/ ٣٩٦.

(٢) شهدة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج بن عمر الإبري: فقيهة، من العلماء في عصرها، أصلها من الدينور، مولدها ببغداد سنة ٤٨٢هـ، ووفاتها بها سنة ٥٧٤هـ، روت الحديث وسمع عليها خلق كثير، واشتهرت وطار صيتها، عرفت بالكاتبة لجودة خطّها.
ترجمتها في: وفيات الأعيان ١/ ٢٢٦. مرآة الزمان ٨/ ٣٥٢. الدر المنثور ٢٥٦. الأعلام ٣/ ١٧٨.

/ ٢٩٤ب/ ويَحمي ثُغُورَ الدِّينِ في كلِّ وِجْهَةٍ ⁂ ويَدْفعُ عنها بالرِّماحِ الذَّوابلِ
يَسحُّ علىٰ العافينَ سَيْبُ نَوالِه ⁂ كما سَحَّ هطَّالُ العُيونِ الهَواطِلِ
بِرحمَتِهِ عَمَّ الخَلائقَ كلَّهُم ⁂ ونالَ المُنىٰ مِنْ بِرِّهِ كلُّ آمِلِ
بِمُسْتَنْصرٍ باللهِ نَسْأَلُ رَبَّنا ⁂ فَيكْشِفُ عنَّا كلَّ لأواءَ باطِلِ
بِهِ تكشَفُ البَلْوىٰ ويُسْتَنْزَلُ الحَيا ⁂ وتَدنو الثُّرَيا من يَدِ المُتَطاوِلِ
لقَدْ مَنَحَ اللهُ الخِلافَةَ راحِماً ⁂ رَؤوفاً جَواداً جامِعاً للفَضائِلِ
فنسألُ رَبَّ العَرْشِ تطويلَ عُمْرِهِ ⁂ علىٰ مَرِّ دَهْرٍ دائِمٍ مُتطاوِلِ

[٣٢٢]

عبدُ العزيز بنُ عثمانَ بنِ منصورِ بنِ أبي الفوارسِ، أبو أحمد الفَزَاريُّ الإِربليُّ[(١)]:

كان شابًّا، لَهَجَ بقول الشعر، وأكثر النظم، وادّعى أنَّه من بني فزارة، وكثيراً ما يذكر ذلك في شعره ويردِّده مفتخَراً به، خرج من إربل قاصداً ملوك الشام أبناء أيوب، فامتدحهم، وأخذ صِلاتهم وحسنت حاله، ثم توجه نحو إربل، فوصل نصيبين في أوائل صفر سنة ست وعشرين وستمائة، وكانت / ٢٩٥أ/ ولادته في حدود سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وكان معه غلامان له، فتحاملا على قتله، وأخذا الموجود من ماله ومتاعه، وهربا.

وذُكِرَ لي بإربل أنه كان يسرق الأشعار، ويمدح بها، وقد عثر له جماعة على السرقة.
أنشدني أَبو القاسم بن أبي النجيب بن أبي يزيد التبريزي قال: أنشدني أبو أحمد عبد العزيز بن عثمان لنفسه، ما كتبه إلى الوزير الصاحب شرف الدين أبي البركات المستوفي يُهنيه بعيد الأضحىٰ، وزعم أنه عمل ذَلك بديهة: [من الطويل]

أَبا البركاتِ العيدُ وافاكَ مُقْبِلاً ⁂ بِسَعْدٍ فكُنْ يا سَعْدُ للبِرِّ قابِلا

---

(١) ترجمته في: مجمع الآداب ١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٦، نقلاً عن القلائد. طبقات السبكي ط الرياض ٦/ ١٧٩.
ترجم المؤلف لأخيه (عبد الرحمن بن عثمان) في هذا الجزء برقم ٣٠١، و(عبد الجليل بن عثمان) في الجزء الرابع رقم ٣٧٩.

أتــاكَ أنــاسٌ للتَّهــانــي فَصــادَفــوا ... مــن اسمــكَ فــألاً فيــه للخَلــق شــامــلا

فَــولَّــوا وجــاءَ الــدَّهــرُ فــي إثْــرِ سَعْيهــم ... يُقيــمُ لَهــم عــذراً ويَخْضَــعُ ســائــلا

ونقلت من خطه قوله، وقد جاءه ولد، وهو ما كتبه إلىٰ الشرف أبي بكر محمد بن علي بن حامد، يسأله أن يضع له اسمًا: [من الكامل]

حَــيِّ الفَتَــىٰ الشَّــرَفَ بــنَ حــامــدَ إنَّــهُ ... غيــثٌ بغيــرِ عَطــائــه لا أقْنَــعُ

/ ٢٩٥ب/ يحــدو الــركــابَ وفــي يَــدَيــه ورأســه ... رُمْــحٌ أشــقُّ وصــارمٌ لا يُطْبَــعُ

يَسْعَــىٰ علــىٰ شَــرَف الطُّــروس بغَــرْبَــه ... كيــلا تلــوحُ بــه الشُّمــوسُ الطُّلَّــعُ

تُــرْوَىٰ أحــاديــثُ النَّــدىٰ مــأثــورةً ... عنــهُ وأصــدَقُهــا عليــه تُسمَــعُ

فبكفِّــه شَمْــلُ اللُّهــىٰ مُتَفَــرِّقٌ ... ولَــدَيْــه شَمْــلُ المَكــرُمــاتِ مُجَمَّــعُ

لله كَــمْ لفتًــىٰ شَقــيٍّ مــنْ يــد ... يَضْــاءَ تَبْــرعُ فــي السَّمــاحِ وتُبْــدِعُ

مَــا إنْ قَصَــدتُــكَ فــي اكتســاب فَضيلَــةً ... إلاَّ وبِــرُّكَ للفضــائــل يَتْبَــعُ

ألبســتُ [فيــكَ الشعــرَ مــا يــزَهــو] بــهِ ... يُثْنــي عليــكَ مُعَمَّــمٌ ومقنَّــعُ

نــوَّهــتَ بــي بعــد الخُمــول وزدتَنــي ... شَــرَفــاً بــه تُــومــي إلــيَّ الإصبــعُ

ولقــد صَحَــا جَــدِّي العَثَــورُ وأقبــلَ الإقبــالُ نَحْــوِي فــي خُطــاهُ يُســرعُ

وأتــىٰ يبشِّــرنــي البَشيــرُ بــدُرَّة ... فــي غيــرِ تــاجِ فَــزارة لا تُــرصَــعُ

بــدرٌ تكــامَــلَ نُــورُهُ فــي لَيْلــه ... وتــزيــده عَشْــرٌ تَمُــرُّ وأرَبَــعُ

فــاختَــر لــهُ اسمــاً يَبْــقَ فــوقَ جَبينــه ... وَسْمــاً . . . . . والمــرصــعِ

وقال من قصيدة: [من الطويل]

تَفَــرَّقَ شَعْــبُ الحَــيِّ وانصَــدَعَ الشَّمــلُ ... فــلا كُثُــبٌ تَــدْنــو إلَينــا ولا رَمْــلُ

وَشَطَّــتْ بمَــنْ نَهــواهُــمُ غــربَــةُ النَّــوىٰ ... وأقصــاهُــمُ عــن نــاظري الحَزْنُ والسَّهْــلُ

/ ٢٩٦أ/ فمــا ســاعَــدَتْ سُعــدَىٰ مُحبّــاً بــوَصْلهــا ... ولا أجْمَلَــتْ مــن قبــلِ وَشْــكِ النَّــوىٰ جُمْــلُ

وأنشدني الحسن بن علي بن محاسن قال: أنشدني عبد العزيز لنفسه من قصيدة: [من الكامل]

جــادَ العهــادُ مَــلاعبــاً ومَعــاهــداً ... وسَقــىٰ وهــاداً بــاللِّــوىٰ ومَعــاقــدا

وصَبــتَ بــدِمْنَتِهــا الصَّبــا وَتَنَسَّمَــت ... فيهــا الشَّمــالُ تَجُــرُّ بُــرْداً بــاردا

دِمَنٌ سَحَبتُ بها ذُيولَ شَبيبتي   وَهَصرتُ غُصْنَ العيشِ لَدْنًا مائدا
أيامَ لا أخشى الوُشاةَ ولم أَخَفْ   في حُبِّ عَلْوَةَ كاشحًا ومُعاندا
وسُعادُ تُسْعِدُ بالوصالِ وقَدْ سَها   جَفْنُ الرَّقيبِ وباتَ عنّا راقدا
ونَديمُنا خَنِثُ المَعاطِفِ وَجْهُهُ   بدرٌ لَدَيْهِ البدرُ أمسى ساجدا
حيّا بكأسٍ خِلتُها في كفِّه   بَرْقًا تَحَدَّرَ أو ضِرامًا صاعدا
مدَّتْ على وَجَناتِه مِنْ نورِها   شَفَقًا فصارَ بوَجْنَتَيْهِ جامدا
رَشَأٌ لهُ دينُ المَسيحِ عقيدةٌ   وبذاكَ للزُّنّارِ أضحى عاقدا
كم قد نَصَبْتُ له الحبائلَ أبتغي   صَيْدًا لهُ فَغَدَا لقَلْبي صائدا
يا شارداً بالأمسِ يُلقي نَظْرةً   إياكَ تُتْلِفُ فيكَ قَلْبًا شاردًا
لا تسفكَنَّ دمَ المُحِبِّ تَعَمُّداً   فالإثمُ لا يَلْقاكَ إلاَّ عامدا
/٢٩٦ب/ إن أنكرتْ جَفْناكَ قَتْلي أظهرتْ   لي مِنْ دمي وَجَناتُ خَدٍّ شاهدا
تِهْ في المَلاحَةِ كيفَ شئتَ فَلَمْ أُطِعْ   في دينِ حُبِّكَ لائمًا أو حاسدا
يا راقداً عنّي وحُبُّكَ إنّني   مُذْ غبتَ ما صاحبتُ حبًّا راقدا
أأنامُ والنِّيرانُ حَشْوُ حُشاشتي   يُذْكي الرفيقُ بها زِناداً زائدا
يا سَعْدُ هل لكَ أن تُعينَ أخا هَوًى   لم يَلْقَ غيرَكَ في الغَرامِ مُساعدا
قِفْ دونَ ما حوتِ الخيامُ مُناشداً   قَلْبًا غَدَوْتُ لَهُ بِرَغْمي فاقدا
نَكِّبْ بها طيبَ العُذَيْبِ مُجانبًا   وازجُرْ قَعودَكَ عن قُعودِكَ واخِدًا(1)
وصلِ الوَجيفَ إلى الذَّميلِ بجَسْرَةٍ   تَذَرُ الرِّياحَ العاصفاتِ رَواكدا
خَرَقَتْ بُطونَ الخَرْقِ في إرْقالِها   وغَدَتْ تَقُدُّ أماعِزاً وجَلامِدا
فإذا وَصَلْتَ إلى الحِمى مِن رامَةٍ   وشَمَمْتَ للقيصومِ عَرْفًا صاعدا
ورأيتَ ثَمَّ قَنابلاً وقبائلاً   وذَوابلاً وصَواهِلاً ومَجالدا
فهُناكَ حَيُّ بني فَزارةَ قِفْ به   وأغِثْ بنَصْرِهِمُ مُحِبًّا واجدا
وقُلْ: السَّلامُ عليكُمُ مِن ناحلٍ   لَم يلقَ بعدَكُمُ الصَّبابةَ عائدا
أبني فَزارةَ كيفَ ذَلَّ فتاكُمُ   ويَراكُمُ أُسْدًا له وأساودا

(1) القَعُود: الجمل.

أأخَذْتُمُ بَدَلاً بِهِ واهاً لَهُ ... مِنْ بَعْدِ قُرْبٍ لَمْ غَدَا مُتباعِدا

/ ٢٩٧أ/ وأنشدني أبو إبراهيم فارس بن عسكر بن الحسن الإربلي قال: أنشدني عبد العزيز لنفسه من قصيدة: [من الطويل]

نَعَمْ هذه نُعْمٌ وتلْكَ المعالِمُ ... فهل أنتَ للبَرْقِ الشآميِّ شائِمُ ؟

حَمَتْها من السُّمرِ الدِّقاقِ ذَوابِلٌ ... ومِنْ جَوْهَرِ البيضِ الرِّقاقِ صَوارِمُ

ومِنْ أسَدٍ أسْدٌ ضَوارٍ لسُمْرِها ... ثَعالبُ تَرْدَى مِن سَطاها الضَّراغِمُ

تثَنَّت فأثْنَى الغُصْنُ لمّا تمايَلَت ... علَى قَدِّها والغُصنُ ريّانُ ناعِمُ

إذا أقْبَلَتْ تَخْتالُ في حُلَلِ الصِّبا ... غَدا غادِراً فيها عَذُولٌ، ولائِمُ

تَعذِّبُ قَلْبي والجَوى يَسْتَزِيدُها ... فَآثِمَةُ والمُسْتَزِيدُ . . . .

لها حاجِبٌ يَسْطو بعامِلِ قَدِّها ... ونَاظِرُها بينَ الرَّعِيَّةِ ظالِمُ

رَفَعتُ إليها قِصَّةً لي فَوَقَّعتْ ... علَى رأسِها ما في الهَوَى لَكَ راحِمُ

أحلَّتْ دمَ العُشّاقِ في مَذْهَبِ الهَوَى ... وفي الشَّرْعِ حَقّاً ما تحِلُّ المحارِمُ

بَكَيتُ دَماً في حُبِّها فَتَبَسَّمت ... وإنْ أعْجَبُ الأشياءِ باكٍ وباسِمُ

ونَهْنَهتُ دَمْعي إذْ تَوَلَّت بها النَّوَى ... وللدَّمْعِ شُؤبوبٌ علَى الخَدِّ ساجِمُ

/ ٢٩٧ب/ ولَمّا دَعا داعي الفِراقِ وحُثَّت النِّياقُ غَدا قلبي بها وهْوَ هائِمُ

وحَلَّتْ بأكنافِ العَقيقِ مِنَ الحِمَى ... وحالَتْ بها غيطانُهُ والمحارِمُ

تَعَسَّسْتُ حتى قالَ صَحْبي صَرِيمَةٌ ... مِنَ النّارِ هاجَتْها الرِّياحُ النَّواسِمُ(١)

خليليَّ إلاَّ تُسعِداني علَى الهَوَى ... فَقَلبيَ في سحْرِ الصَّبابةِ عائِمُ

نَشَدْتُكُما إنْ جِئتُما بانَةَ اللِّوَى ... سَلا هَلْ سَلِيمُ العامِريَّةِ سالِمُ ؟

وإيّاكُما ماءَ العُذَيبِ فَحَولَهُ ... حُماةٌ بأيديها رِماحٌ حَوائِمُ

وإلاَّ قفا لي أنَّني بَعْدَ بُعْدِها ... بحَتفي إنْ لم أدْنُ مِنْكُم لعالِمُ

سأرْكَبُ ظَهْرَ العَزمِ نَحْوَ خيامِها ... وما تحمِلُ الأثقالَ إلاَّ العَزائِمُ

وأسألُ خَفّاقَ النَّسيمِ فإنَّهُ ... عَليمٌ بما تَحْوي الرُّبَى والمَعالِمُ

قطَعتُ إليها كُلَّ بَيداءَ سملقٍ ... بَعيدَ المهاوَى حيث تَدْمَى المَناسِمُ

---

(١) الصَّريمة: القطعة.

ومَــرَّتْ بمَــرْت ضَــلَّ فيــه دَليلُــه ... ومـــا صـــاحبـــي إلاَّ جَـــوادٌ وصـــارمُ
وخُضــتُ ظــلامَ اللَّيْــل وهْــوَ أَنيسُــه ... وبَحْــرُ المَنَــايــا مَــوْجُــه مُتــلاطِــمُ
فــإنِّــي قــد آليــتُ لا أَطْعَــمُ الكَــرَىٰ ... وللــرمْــحِ أنبــوبٌ وللسيــف قــائــمُ
إلــىٰ أنْ بَــدَتْ حَــزْوَىٰ ولاحــت خيــامُهــا ... ونــاحَــت علــىٰ رَنْــد العَقيــق الحَمَــائــمُ
/ ٢٩٨أ/ وقد نَصَبَتْ سودُ الأَسْوَد ببابها ... بُــروجَ قنًــى أفــلاكُهُــنَّ اللَّهَــازمُ
تَخَطَّيتُهــا والليــلُ مُلْــقٍ جــرَانَــهُ ... وقــد غَفَــلَ الــواشــونَ والــدَّهْــرُ راغــمُ
وَبِتنــا وقَلْــبُ اللَّيْــل يَخْفُــقُ خيفــةً ... علينــا وحَــوْلَ الخَــافقَيْــن النَمَــائــمُ
إلَــىٰ أنْ سَــرَتْ ريــحُ النَّسِيــم عَليلــةً ... وفَــرَّ سُهَيْــلٌ هــازئًــا والنَّعــائــمُ
ومــالَــت نجــومُ الشَّــرقِ للغَــرْبِ جُنَّحــًا ... ورقَّــت حَــواشــي الليــلِ والصُّبــحُ قَــادمُ

ومنها يقول:

متىٰ رُمتُ عن أهلي رَحيلاً تَعَرَّضَتْ ... إلــيَّ خُطــوبٌ بــالمُقــامِ لَــوازمُ
ومــا إربــلٌ لــي دارُ سُكْنــىٰ أُقيمُهــا ... وإنْ عُقــدَت فيهــا علــيَّ التمَــائــمُ
حَلَلْــتُ بهــا فــي مَعْشــر هَــانَ عنــدهــم ... مَــديحَــي [وعَــزَّت دون ذاك] الــدَّراهــمُ
مَتَــىٰ لَــمْ أزرْ قــالــوا ثَقيــلٌ وأحمــقٌ ... وإنْ زُرْتهُــم قــالــوا العَطَــايــا مَــواسَــمُ
فيــا ليــتَ شعْــري كيــفَ أصنَــعُ فيهــمُ ... وَحظِّــي منْهــم حــالــكُ اللــون عــاتــمُ
ســأرحَــلُ عَنهُــم لا قلًــى بــل تَغَــرُّبــًا ... ففــي الهِنْــد مــا للْمَنــدَل الــرَّطْــبَ ســالــمُ
وأقصُــدُ أبــوابَ المَلــوك فــإنَّنــي ... كَفيــلٌ لنَفْســي بــالَّــذي أنَــا عــازمُ
مَتَــىٰ قُلــتُ إنِّــي مــا تــرخَّصْــتُ بــالــذي ... ادَّعَيــتُ وقَــالَ الخَلْــقُ إنِّــي نَــاظــمُ

تمَّ الجزء الثالث

والحمد لله أولاً وآخراً

/ ٢٩٨ب/ يتلوه في الجزء الرابع إن شاء الله تعالىٰ.

عبد العزيز بن إبراهيم بن علي.

بلغ المقابلة من أصل مؤلفه بخط يده.

والحمد لله على . . . . .

فهرس تراجم الجزء الثالث

ذكر من اسمه السموأل

ذكر من اسمه سهل

ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

حرف الشين

حرف الصاد

ذكر من اسمه صالح

ذكر من اسمه صَدقة

مفاريد الأسماء في هذا الحرف

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

حرف الطاء

ذكر من اسمه طاهر

ذكر مفاريد الأسماء في هذا الحرف

حرف العين

ذكر من اسمه العباس

ذكر من اسمه عبد الله

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

ذكر من اسمه عبدَ الرحمن

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة

رقم الترجمة	صاحب الترجمة	الصفحة